تفسير لسفر التكوين

منسوبٌ إلى القديس أفرام السرياني

في

المخطوط الماروني هونت ١١٢
في مكتبة اوكسفرد

قدّم له ونشره

الأب يوحنا ثابت

رئيس جامعة الروح القدس - الكسليك

توطئة

يطيب لادارة قسم الليتورجيا في جامعة الروح القدس — الكسليك أن تُطلق سلسلةَ منشورات جديدة تحت عنوان :

منشورات قسم الليتورجيا في جامعة الروح القدس

تتضمّن نصوصا ليتورجية قديمة تُنشر ، للمرة الاولى ، في اللغة العربية ، أو دراسات حديثة في الليتورجيا ، وذلك خدمة للكنيسة الشرقية عامّة وللمارونية خاصّة . وتأتي هذه المساهمة بعد ظهور « سلسلة السنة الطقسية المارونية » بأجزائها الستّة ، عن قسم الليتورجيا عينه .

ويطيب لنا أن ندشّن هذه السلسلة بكتاب حضرة الاب يوحنا تابت ، رئيس الجامعة ومدير قسم الليتورجيا سابقاً ، حول : « تفسيرٌ لسفر التكوين منسوبٌ للقديس افرام السرياني ، في المخطوط الماروني هونت ١١٢ في مكتبة اوكسفرد » .

ولنا ملء الامل أنّ هذا التفسير وغيره من النصوص والدراسات التي ستصدر في هذه السلسلة ، ستسهم في خلق مناخ ليتورجي أصيل ، يزيدنا عمقاً في معرفة تراثنا ننهل من ينابيعه الصافية ، ونحن في مرحلة من تاريخنا تضطرّنا الى اكتشاف ذاتنا الكنسية الشرقية اللبنانية .

الاب عمانوئيل خوري
مدير قسم الليتورجيا

الكسليك ، في ٧ تشرين الثاني ، ١٩٨٢
أحد تقديس البيعة

المقدّمة

يومَ عقدنا العزم على استنطاق بعض مخطوطات « الريش قريان »[1] الماروني ، لقراءتها وسبر غورها ، لم يكن في البال أي مشروع لنشر تلك المخطوطات ووضعها في متناول القرّاء ، لأن هذا الحقل من التراث الماروني — كغيره الباقي الكثير — لم يَحظَ ، حتى الآن ، بأبحاث ودراسات وافية ومعمّقة . وهو ، بالتالي ، يصطدم بعقبات كأداء يصعب ، وكدت أقول يستحيل التغلّب عليها . ويزيد في صعوبة الموضوع كونُ المخطوطات التي نشير اليها تشكّل نوعاً فريداً من « الريش قريان » الماروني يتضمّن ، بالاضافة الى نصوص الكتاب المقدس ، متتابِعَةً لا مختارة ، تفسيراً لها منسوباً لأحد آباء الكنيسة الشرقية . فتتعقّد الأمور وتتعدّد المشاكل ، وتستوقف الباحثَ سؤالاتٌ علمية كلاسيكية عديدة ، متعلّقة بنص الكتاب المقدس أو بنص التفسير ، ومنها : أيَّ تقليد يحمل نصُّ الكتاب المقدس ؟ مَن هو المفسّر الحقيقي ؟ ما هي اللغة التي فيها كُتب هذا التفسير ؟ الى أية مدرسة أو مدارس لاهوتية ينتمي هذا التفسير أو ذاك ؟ الى غير ذلك من علامات الاستفهام .

* * *

إن الأدب الآبائي الذي وصل الينا شارحاً سفراً أو أسفاراً من العهد القديم لغزير وغنيّ ، ويتعذّر علينا هنا ذكر وتعداد جميع المخطوطات التي تحتوي على تفاسير مثل تلك الأسفار ، وهي محفوظة في اللغات القديمة ، السريانية أو اليونانية أو القبطية أو الأرمنية أو غيرها . نكتفي هنا بالتوقف عند ثلاثة مخطوطات مارونية حُفظت بالكرشونية ، متشابهة الى حدّ بعيد من حيث النصُ ومن حيث توزيع القراءات على زمن الصوم الكبير ، وكلها تتضمّن نص سفر التكوين وتفسيره المنسوب الى القديس افرام السرياني (+ ٣٧٣) ، وبالتوقف أيضاً عند مخطوط رابع ينتمي الى التقليد عينه ، لكنه غير ماروني ، بل يعقوبي ،

(١) أي : كتاب القراءات ، مختارةً من الكتاب المقدس ، للسنة الطقسية الكاملة .

نُسِبَ فيه تفسيرُ سفر التكوين الى القدّيس كيرلّس الاسكندري (+ ٤٤٤) لا الى القديس افرام السرياني . والمخطوطات هي التالية :

١ ــ المخطوط الماروني **هونت ١١٢** في مكتبة أوكسفرد ؛
٢ ــ المخطوط الماروني الفاتيكاني السرياني **٢١٦** ؛
٣ ــ المخطوط الماروني **مارش ٤٤٠** في مكتبة أوكسفرد ؛
٤ ــ المخطوط اليعقوبي **٢٦٥** في مكتبة الشرفة .

المخطوط الأول ، هونت ١١٢ ، هو الأساسي في عملنا ، اعتمدناه ، رغم بعض الثغرات فيه ، لسببَين :

أ ــ لأنه ، حسب الكاتالوغ ، يعود تاريخه الى القرن الثاني عشر ؛
ب ــ لأنه ، وحده بين المخطوطات الأربعة ، يتضمّن تفسيراً لسفر تثنية الاشتراع ، وإن ناقصاً .

أمّا المخطوطات الثلاث الأخرى ، فنعود إليها كلّما دعت الحاجة الى ذلك .

أولاً : المخطوط الأساسي : هونت ١١٢ (مكتبة أوكسفرد) [1] (= هـ) .

١) مقدمة

هذا الجو العام هو الذي حدا بنا إلى أن نتريّث طويلاً قبل الإقدام على نشر تفسير سفر التكوين كما جاء في الريش قريان الماروني ، المخطوط هونت ١١٢ ، في مكتبة أوكسفرد ، وهو يتضمّن تفسيراً لسفر التكوين ولسفر الخروج ولسفر تثنية الاشتراع ، منسوباً الى القديس افرام السرياني . ولقد رأينا من الضروري توضيح منهجيتنا في نشر هذا المخطوط :

غايتنا الأساسية التي نرمي اليها من نشر هذا المخطوط ، أو بالحريّ الجزء الأول منه ، أي تفسير سفر التكوين ، هي التعريف بالأدب الماروني ، وخاصّة الليتورجي منه ، ووضعه في متناول القرّاء . لذلك ، لم نعتمد الاسلوب النقدي الصارم في نشر النص على سجيّته ومقارنته الدقيقة مع غيره من النصوص ، بل سمحنا لأنفسنا ، مثلاً ، بأن نصحّح بعض

---

(١) راجع خاصة :
PAYNE-SMITH, *Catalogi codicum manuscriptorum bibliothecae Bodleinae, Pars sexta, codices syriacos, carshunicos, mendeos,* Oxford, 1864, no 5, col. 34; G. GRAF, *Geschichte der christlichen arabischen Literatur,* II (studi e Testi, 133), Città del Vaticano, 1947, p. 289.

الأخطاء اللغوية البسيطة ، في التفسير ، لكي يستقيم النص ويستوي ويصلح للقراءة ، الشخصية منها والجماعية . كما اعتمدنا نصّ ترجمة الآباء اليسوعيين في بيروت [1] لسفر التكوين ، لا النص المذكور في المخطوط هونت ١١٢ ، الذي يستحقّ ، وحده ، اهتماماً خاصّاً من حيث ترجمة سفر التكوين الى العربية . كما اننا لم نذكر ، بتدقيق ، مراجع أوراق المخطوط ، واحدة واحدة .

٢) وصف المخطوط

المخطوط منسوخ بالكرشونية ، أي بالحرف السرياني واللفظ العربي ، وهو ناقص في البداية حوالي السبعة أوراق ، اذ يبدأ بالورقة الثامنة ؛ وهو ناقص أيضاً في النهاية . أما قياسه فهو : ٢٢ سم × ١٤ سم ؛ ومساحته المكتوبة ١٩ سم × ١١,٥٠ سم . يتضمّن ٢٧١ ورقة ؛ وعلى كل صفحة عمودان . وعدد الأسطر في الصفحة الواحدة ، ٢٣ سطراً .

أمّا الدفاتر التي تُكَوِّن المخطوط ، فغير منتظمة وناقصة أحياناً كثيرة ، ومؤلّفة ، مبدئياً ، من خماسيات quinions (١٠ = ٥ × ٢) .

يُقَسَمُ المخطوط ، كما يلي ، إلى :

— سفر التكوين وتفسيره : ٨ أ — ٢٠٣ ب (لزمن الصوم الكبير) ؛

— سفر الخروج وتفسيره : ٢٠٤ أ — ٢٤٤ أ ؛

— سفر تثنية الاشتراع وتفسيره : ٢٤٥ أ — ٢٧١ ب .

ورد اسم مالك المخطوط ، ليس في الورقة ١٦٩ ب ، كما جاء في وصف الكاتالوغ ، بل في الورقتين التاليتين :

ورقة ١٧١ ب : « هذا الكتاب هو للشماس الياس ابن المحاسب . كل من يأخذه بسبب أم بَيْعٍ أم طمع أم سرقة ، يكون محروماً ، مغضوباً من الله ومن القدّيسين . أنا بريء (من) هذا الحرم الحارق » (مرّتين) .

ورقة ٢٤٤ ب : « هذا الكتاب (كذا) الشدياق ابن المحاسب من قرية غوسطا . كل من بياخدو يكون محروم . وأنا بارئ (كذا) من هذا الحرم » (مرّتين) .

(١) الكتاب المقدس ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، سنة ١٨٧٦ .

لم يرد اسم الناسخ ولا أي تاريخ لهذا المخطوط . بيد أن الكاتالوغ يميل الى اعتبار المخطوط من القرن الثاني عشر . وهذا ما جعلنا نختار المخطوط هونت ١١٢ كمخطوط أساسي لعملنا .

٣) مضمون المخطوط

المخطوط هونت ١١٢ ، كما أشرنا سابقاً ، هو ريش قريان ماروني ، أي كتاب قراءة متواصلة لسفر التكوين مع شرح مفصّل لهذا السفر ، منسوب الى القديس افرام السرياني ، موزّع على زمن الصوم المقدس ، مساء كل يوم ، من الاثنين الى الجمعة ؛ ولا ذكر لقراءات مخصّصة ليومَي السبت والأحد ، أو لصباح أحد أيام الأسبوع . فمجموعة القراءات سبع وخمسون قراءة ، بما فيها قراءة لعيد البشارة (١) وأخرى لليلة الزيتونية أي الشعانين .

٤) من هو المفسّر ؟

في المخطوطات المارونية الثلاثة ، يرد اسم مار افرام السرياني (+ ٣٧٣) أكثر من مرّة كشارح ومفسّر لسفر التكوين . أما في مخطوط الشرفة ، فالشرح والتفسير منسوبان للقديس كيرلّس الاسكندري (+ ٤٤٤) .

إن للقديس افرام السرياني شرحاً آخر أكيداً لسفر التكوين ، نشره ، بطريقة علمية دقيقة الأب ر.م. تونّو في مجموعة الكتّاب المسيحيين الشرقيين (٢) ، مستنداً خاصّة على أقدم وأثبت مخطوط لمار افرام في هذا الموضوع ، أي المخطوط الفاتيكاني السرياني ، الرقم ١١٠ ، الذي يعود تاريخه الى سنة ٥٢٣ مسيحية (٣) .

---

(١) A. SCHEER, *Aux origines de la fête de l'Annonciation*, dans *Questions Liturgiques*, 3 (1977), pp. 97-169.

(٢) SANCTI EPHRAEM SYRI, *IN GENESIM ET IN EXODUM COMMENTARII*, éd. et trad. *R. - M. TONNEAU*, dans *CSCO*, vol. 152/153, Scriptores Syri 71/72, Louvain, 1955.

(٣) راجع :
S.E. et J.S. ASSEMANI, *Bibliothecae Apost. Vatic. Codd. Mss. Catalogus*, I, 3, Romae, 1769, pp. 76-77.

ونحن ، مع كوننا نميل الى اعتبار النص الذي ننشره هنا منسوباً الى القديس افرام لا نصّاً أصيلاً له ، فقد آثرنا نشره لمعرفة أيّ « افرام » سمع الموارنة في كنائسهم واجتماعاتهم ، ومن أيٍّ « افرام » غذّوا قراءاتهم طيلة الصوم المقدس . وقد تُظهر الابحاث في المستقبل كاتباً غير افرام أو مجموعة كتّاب للنص المذكور .

٥) منهجية المخطوط

أ ــ الناحية الليتورجية في المخطوط

الغاية التي من أجلها وُضع هذا المخطوط ، هي ، في الأساس ، الاستعمال الليتورجي . فقد وُزِّعت ، فعلاً ، قراءات سفر التكوين ، كما قلنا ، على الأسابيع الستة من زمن الصوم المقدس ، حسب الطقس الماروني ، رغم وجود ثغرات واشكالات حول عناوين بعض القراءات وحول نسبتها ليوم معيّن من الصوم . ولقد تأمّل الشعب الماروني ، ولا شكّ ، هذه النصوص ، في كنائسه واجتماعاته المسائية ، وأصغى اليها بانتباه ، سنة بعد سنة . وان كثرة المخطوطات المارونية المتشابهة والمتضمنة هذا النوع من الريش قربان لَدليل على شمولية الاستعمال الليتورجي في الكنيسة المارونية .

يلفت النظر وجود خاتمة ليتورجية لبعض القراءات ، نوع من المجدلة ، كما هي الحال ، مثلاً ، في القراءة الخامسة : « وليس هذا وقت نصف فيه كل التوراة التي روحنها ناموس المسيح . له السجود دائماً ابداً » [١] ، وفي القراءة السابعة والعشرين : « بنعمة المسيح الذي له المجد والسجود ، دائماً الى الأبد . أمين » [٢] ؛ أو في غيرها .

ب ــ الناحية الكتابية في المخطوط

درج التقليد الانطاكي على قراءة سفر التكوين في زمن الصوم ، كما ذكر القديس يوحنا فم الذهب ، وكما جاء في الطقس الكلداني وغيره [٣] . وهذا ما عزّز النظرية

---

(١) الورقة ٦٩ ب ، عمود ب .

(٢) الورقة ١٧٢ أ ، عمود أ .

(٣) ا . بو مشترك ، الليتورجيا المقارنة ، بلجيكا ــ باريس ، ١٩٥٣ ، ص ١٣٧ ــ ١٤٠ .

الليتورجية القائلة إن السنة الطقسية الانطاكية عدّة بداءات ، منها البدء بقراءة الكتاب المقدس انطلاقاً من سفر التكوين في زمن الصوم الكبير .

ج ـــ الناحية الآبائية في المخطوط

نعني بالناحية الآبائية الشرح أي التفسير الذي يتبع نصَ سفر التكوين والمنسوب ، في المخطوطات المارونية ، الى القديس افرام السرياني .
يتميّز شرح سفر التكوين بالاشارة المستمرّة الى بقية أسفار العهدين القديم والجديد ، مما يؤكّد لنا معرفة المفسّر معرفة عميقة بالكتاب المقدس ، رغم ان المراجع ليست دقيقة ولا حرفية . ولقد عملنا على اثبات هذه المراجع وضبطها لِتُظهر هذه الناحية المقارنة بين سفر التكوين وغيره من أسفار الكتاب المقدس .

أما المعطيات التي يتضمّنها التفسير ، فلا يمكن تعدادها في هذه المقدّمة ؛ بل يكفي أن نُشير الى انها واسعة وشاملة : فمن تفسير طبيعي للعالم والفلك والخليقة ، الى شرح لاهوتي وعقائدي ، ومن معطيات ليتورجية كثيرة وثمينة الى أخرى كنسية ، ومن ارشادات مسيحية عامّة الى أخرى رهبانية ونسكية خاصّة ، ممّا يشير الى ان القراءة لم تكن محصورة بالأديار أو بالكنائس ، بل ربما كان المؤمنون يشتركون ، مع الرهبان ، في صلاة واحدة .

هذه اللوحة الشاملة تجعل التفسير الآبائي المذكور متنوّعاً في الوحدة ، شاملاً بدون تجزئة . وهذه طريقة تربوية طريفة تساعد المستمع على الانتقال بهدوء من الأمور الأقلّ صعوبة الى العقائد الصعبة والمتشعّبة .

٦) المصدر اللاهوتي للمخطوط

ما هي المدرسة اللاهوتية التي ينتمي اليها هذا التفسير ؟
هنالك عدّة أُمور يجب التوقف عندها للتمكن من تقديم بعض الجواب على هذا السؤال :

أ ـــ أَين كُتِبَ المخطوط ؟

قد يكون للمصدر الجغرافي علاقة مباشرة بالمدرسة اللاهوتية التي ينتمي اليها المخطوط . لذلك ، سنتوقف أولاً عند هذه الناحية لمعرفة أين كتب هذا المخطوط :

لا نستطيع البتّ في هذا الموضوع ، بيد ان بعض المعطيات الخاطفة الواردة في التفسير تشير الى أنه قد يكون مكتوباً في مصر . من هذه المعطيات ، نورد فقط ما جاء في تفسير سفر التكوين ، ولكنّنا نجد أيضاً معطيات مماثلة في شرح سفر الخروج وسفر تثنية الاشتراع ، في المخطوط عينه .

جاء في الورقة ٣٢ ب ، عمود أ : « فاذا ما وجدت الحبوبُ المزروعة في بطن الأرض ماء سخناً في الشتاء ، مع نداوة بطن الأرض الكائنة في **النيل** أو من المطر ... » ؛
وفي الورقة ٦٧ أ ، عمود أ : « وذلك في جريانها ليس يزرع عليها سوى **أرض مصر** فقط لكونها وطيئة جداً ... **فأرض مصر** الوطيئة تشبه بني اسرائيل ... » ؛
وفي الورقة ١٤١ أ ، عمود أ : « وكانت الأرض جميلة جدّاً مثل فردوس الله ومثل **أرض مصر في أيام الربيع** » .

ب — متى كُتِبَ المخطوط ؟

يتراوح تاريخ المخطوطات المارونية التي نذكرها في عملنا هذا بين القرن الثاني عشر والقرن السادس عشر . بيد ان الحدود التاريخية الحقيقية للتفسير ، ان صحّ التعبير ، تختلف عن هذه المعطيات ، خاصّة اذا أخذنا بعين الاعتبار الحقائق العقائدية التي يُلمح اليها التفسير والتي تصل ، من جهة ، الى عمق القرن الخامس ، مع مشكلة الطبيعة الواحدة في المجمع الخلقيدوني (سنة ٤٥١) ، ومن جهة أخرى ، تشارف على القرن العاشر — الحادي عشر مع الجدل حول انبثاق الروح القدس ، مروراً بالاشارة الى الفتح العربي في القرن السابع . وان النصوص والشواهد على كل ذلك لَكثيرة ومتنوّعة ، سنذكر بعضها في المقطع التالي .

ج — كيف كُتِبَ المخطوط ؟

ان التفسير — كما يبدو لنا — هو تجميع (Compilation) ذكيّ مؤلَّف من عدّة تقاليد لاهوتية وآبائية ورهبانية ، مما يشير الى أن الكاتب قد يكون استعان بمصادر مختلفة في بنائه هذه المجموعة .

بكلام آخر ، هنالك جوّ مونوفيزيتي يبرز أحياناً من خلال بعض النصوص ، ويجعلنا نميل الى الاعتقاد بأن مشكلة الطبيعة الواحدة ظاهرة في المخطوط . وهذا ما نطالعه في المقطعين التاليين :

الورقة ٥١ ب ، عمود أ و ب : « وها هنا ظهر نهار وليل متّصلان بلا فرقة ، موجودان معاً . **أعني لاهوت المسيح وناسوته اللذين اتّحدا في الجوهر والاقنوم والطبيعة والمشيئة اتحاداً اجتماعياً غير منفصل** » .

الورقة ١٣١ أ ، عمود أ — ١٣١ ب ، عمود أ :

« وجماعة المسيح ، حين كانت امانة واحدة وقلباً واحداً ، كانت كلها للشيطان غالبة ولوصايا المسيح حافظة . فلما انقسمت وتباغضت ، بدأ الشيطان يملك فيها ، وسلّط عليها أُمّة غريبة لتنقسم عن بعضها البعض . وتلك الأمّة الغريبة هي بابل بالحقيقة . ويوحنا الانجيلي في الرؤيا التي له ، هكذا أسماها بابل ، لأن بها تقسّم المؤمنون المسيحيون وعُدموا الصلح مع بعضهم البعض . ومن أجل ان فرقة منهم تقوّت على فرقة أخرى بالملوك الأرضيين الذين لهم القدرة والسلطان على القتل والنفي والعزل بلا امتناع ، سلّط عليهم ملكُ السماء ، في وقت طغيانهم وخروجهم عن الواجب ، هذه الأمّةَ الغريبة التي هي بابل ، وانتزعت منهم الممالك الكثيرة ، لأنهم أحدثوا في البيعة المقدسة أقوالاً غريبة شنيعة . **وفرّقوا بها المسيحَ وجعلوه أقنومَين وطبيعتَين ومشيئتَين من بعد الاتحاد الكلّي الحقيقي** » .

المقطع الأول ، ان صحّ التعبير ، هو بمثابة فعل ايمان بالطبيعة الواحدة في المسيح ؛ بينما المقطع الثاني ، الذي هو نقد لموقف أصحاب الطبيعتين والمشيئتين في المسيح ، يُلمح الى الفتح العربي والى تدخّل « الملوك الأرضيين » في خلافات الكنيسة العقائدية .

هذا بالاضافة الى مناهضة المخطوط للآريوسية والنسطورية ، كما ورد في : **الورقة ٤٢ أ ، عمود أ** : « وبهذا علمنا أن الذي قال لهما : نخلق انساناً كصورتنا ومثالنا ، وهما صورته وطبيعته . وهذا توبيخ وخزي لآريوس (+ ٣٣٦) ومقدونيوس (+ قبل ٣٣٧) اللذين جعلا الابن والروح القدس طبيعة غير طبيعة الآب ، وصارا عابدين لآلهة كثيرة بجواهر مختلفة ... » .

وفي **الورقة ٩١ ب ، عمود ب ، في ف** : « ولمّا ظهر سوء الاعتقاد من آريوس ومقدونيوس ونسطوريوس (+ ٤٥١) وافتيشيوس (+ قبل ٣٣٧) وغيرهم ممّا أحدث اعتقاداً غريباً في الكنيسة ، اجتمعت رعاة الكنيسة في موضع واحد ، وأزالوا سوء الاعتقاد من الكنيسة » .

هنالك أيضاً ذكر للجدل حول انبثاق الروح القدس من الآب والابن

(Filioque) والذي كان مسرحه القرن العاشر ــ الحادي عشر مع فوسيوس (+ ٨٩٥) والذي لم يأخذ كل أبعاده الاّ بعد انشقاق الكنيسة الى شرقية وغربية . وهذا ما نقرأه في الورقة **٤ ب ، عمود ب ، في ف** :

« هذا الابن من الآب مولود . والروح القدس من الآب منبثق الى الابن . وذلك ان كلمتنا ليست تخرج منا قط الاّ ونسمتنا معها خارجة منّا لكي يكون ذلك لنا قياساً على خروج الروح من الآب الى الابن المولود منه : الابن الحيّ بالروح الخارج من أبيه حي ، ويغتذي كالولد الذي يغتذي في لبن أمه . فهو يحيا بما به تحيا أمه . هذا الروح منبثق من الآب الى الابن ، **وليس هو منبثقاً من الابن** ، لأن الآب هو ينبوع الروح الى ابنه . ولو كان الابن هو أيضاً ينبوع الروح ، لكان الابن هو أيضاً أباً ، لكونه قد صار علّةَ الوجود ، اقنوماً تامّاً . وهذه قلّة معرفة ممن يعتقدونه . لأن الإنجيل المقدس قال : « **إن الروح منبثق من الآب** » (متى ١٠/٢٠) ، ولم يقل : منبثق **من الآب والابن** . والابن يقول لتلاميذه عن الروح القدس : « **أنا أرسله لكم من قِبَلِ أبي** » (يوحنا ١٥/٢٦) . وبطرس الرسول يقول في كتاب الابركسيس : « **إن الابن لمّا ارتفع عن يمين الآب أخذ وعد الروح القدس من الآب وسكبه علينا** » (أعمال ٢/٣٣) . هذا الابن ، الروح القدس الذي به يغتذي من أبيه ، مَن حبّه وحفظ وصاياه واستحقّ ان يغتذي به مثله ، أخذه منه وأعطاه ، وبه في هذا العالم يغذّي كل المؤمنين المتعمدين الذين حفظوا وصاياه ويقوّيهم على حفظها » .

وهنا تظهر يد مارونية في المخطوط على هامش الورقة عينها حيث تقرأ : « هذا اعتقاد الروم الذين جعلوا افتراقاً في الآب والابن . معاذ الله من ذلك ! هذا مضاد الامانة الكاثوليكية وقول الانجيل القائل : انو انو أورحو وقوشتو وحايه : أنا الطريق والحق والحياة » .

د ــ كيف وصل المخطوط الى الموارنة ؟

ان اليد المارونية لَواضحة تماماً في هذا المخطوط وفي **ف** و **هـ** ، استناداً الى الملاحظات الهامشية العديدة .

يبقى السؤال حول تاريخ وكيفية استعمال الموارنة لنص التفسير الذي هو من أصل مصري وتأثير قبطي ، وله لون مونوفيزيتي يرفضه الموارنة ، أساساً ، كعقيدة لاهوتية . ويأتي الجواب على صعيد الطروحات أكثر منه على صعيد الحلول النهائية :

هل جامعُ تلك التقاليد المختلفة في تفسير واحد هو ماروني ؟
هل أخذ الموارنةُ عن الأقباط تفسير سفر التكوين ، واستعملوه ، رغم التباين العقائدي أحياناً ، مبرزين شخصيتهم وعقيدتهم فيه من وقت الى آخر ؟
هل استعمل الموارنة هذا التفسير في كنائسهم بسبب طابعه « الكاثوليكي » العام ؟
هل كان افتقار الموارنة الى أدب ليتورجي أُصيل من وضعهم ، جعلهم يستعينون بطقوس أخرى ، حتى المختلفة عنهم عقائدياً ؟

هنالك ، ولا شك ، غموض يكتنف شرح وتركيز وتأريخ علاقة الموارنة بالأقباط على صعيد هذا المخطوط بالذات . انما التفاعل الليتورجي عامة بين الكنيستين ، وهو لا ريب فيه ، وقد يُساهم في ايجاد حلول أكثر وضوحاً ، يَظهر ، مثلاً ، في « كتاب الهُدى »[1] ، وفي « الشبيّة المارونية »[2] ، وفي « الدهن بالزيت في حفلة الاكليل »[3] ، وفي غيرها من الشواهد الناطقة .

هـ — الطابع الرهباني للمخطوط

لا يمكننا الجزم بأن هذا الريش قريان استُعمل فقط في الأديار وفي الأوساط الرهبانية . بيد أننا نكتشف فيه بعض المؤشّرات التي تُوحي بمصدر رهباني ممكن لهذا المخطوط :

أُولى هذه المؤشّرات تلاوة نص سفر التكوين بطريقة متتالية لا مختارة . وهذا النسق الكتابي هو رهباني لا رعائي .
بالاضافة الى ذلك ، تظهر جليّاً في المخطوط[4] نظرية روحية تتعلّق بالأميال

---

(١) بطرس فهد ، كتاب الهدى ، حلب ، ١٩٣٥ ؛
A. JOUBEIR, *Kitab al-Huda*, Essai, Jounieh (Liban), 1974.

(٢) طُبعت في روما ، سنة ١٥٨٥ . « هي كتاب صلوات رهبانية من أصل يعقوبي استعمله الموارنة فحوّلوه عن أصله اليعقوبي . يتضمّن سلامات قبطية دخيلة على السريان اليعاقبة تحت تأثير الدير السرياني اليعقوبي الشهير في صحراء الاسقيط ، وادي النطرون ، المعروف بدير السريان » (الخوري بطرس الجميّل ، بنية صلاة المساء المارونية ، (بالفرنسية) . مجلة « الشرق السرياني » ، ٩ (١٩٦٤) ، ص. ١٠٦ ، مرجع ١) .

(٣) J. GH. VAN OVERSTRAETEN, *Le rite de l'onction des époux dans la liturgie copte du mariage*, dans *Parole de l'Orient*, vol. V, 1 (1974), pp. 83 - 85.

(٤) الورقة ١١٦ أ ، عمود ب ، الخ ...

وتطهيرها ، وتتوقف عند تحليل دقيق للنفس البشرية ولحواس القلب وطرق استئصال النزوات منها ، والارتفاع ، تدريجياً ، بالانسان ، الى مراقي الروح الصافية النقية المحرّرة من الانغماس في شهوات العالم . وهذه النظرية هي من المعطيات الأساسية للرهبان في سيرتهم ونسكهم وحياتهم الروحية .

ومن المؤشّرات التي تدعم المصدر الرهباني للمخطوط أيضاً ، وجود رواسب [١] لحركة « المُصَلِّين » (Messalianisme) [٢] الشائعة قديماً بين الرهبان ، والتي تتلخّص بما يلي :

ان نعمة الروح القدس ، اذا تملّكت النفس البشرية ، قلعت منها الخطيئة بالكليّة ونهائياً ، باطناً وظاهراً ، حركة وفعلاً . وأصبحت النفس ، في هذه الحال ، بغنى عن أية ممارسة نسكية جسدية أو ممارسة ليتورجية أوكنسية . فاذا هي في استقلالية تامّة وتحرر كامل عن كل رباط . أما النفس التي لم تمتلكها بعد نعمة الروح القدس ، فهي خاضعة لمداومة القراءة والوعظ والتطهير بالتوبة ، الى ما هنالك مما يفترض التعب والعناء في عالم الروح ...

* * *

هذه الأضواء السريعة ، الجغرافية منها والتاريخية والعقائدية والرهبانية ، تساهم في تحديد الإطار اللاهوتي الذي فيه كُتب تفسير سفر التكوين . وهي تُختصر كالآتي : انه تفسير تتراوح « طبقاته » بين القرن الخامس والقرن العاشر — الحادي عشر ، أي بين مشكلة الطبيعة الواحدة والجدل حول الروح القدس ، وهو ذو نَفَسٍ مونوفيزيتي مع تأثير رهباني واضح .

ثانياً : المخطوط الفاتيكاني السرياني ٢١٦ [٣] (= ف) .

١) وصف المخطوط

هذا المخطوط ، كسابقه ، ريش قريان ماروني ، منسوخ بالكرشونية ، يتضمن شرح

(١) الورقة ٢٠ أ ، عمود ب ، الخ ...

(٢) M. KMASKO, *De Secta Messalianorum deque libri graduum ad eam necessitudine*, dans *Patrologia Syriaca*, pars prima - tomus tertius, Paris, 1926, pp. CXV - CXLIX.

(٣) S.E. et J.S. ASSEMANI, *Cat. cit.*, p. 503.

سفر التكوين والخروج . قياسه : ٢٣,٥٠ سم × ١٦ . ومساحته المكتوبة ٢٢ سم × ١٣,٥٠ . يتضمّن ١٩٠ ورقة ، وعلى كل صفحة عمودان . عدد الأسطر في الصفحة الواحدة غير منتظم ، يتراوح بين ٣٢ و ٤٢ سطراً . أما الدفاتر التي تكوّن المخطوط ، فمؤلّفة من خماسيات quinions (١٠ = ٥ × ٢) .

٢) مضمون المخطوط

— سفر التكوين وتفسيره : ١ أ — ١٢٠ ب (لزمن الصوم الكبير) ؛

— سفر الخروج وتفسيره : ١٢١ ب — ١٩٠ أ .

٣) تاريخ المخطوط

كثيرة هي التواريخ الهامشية في هذا المخطوط ، وكلّها تدلّ على هويّة المخطوط المارونية . بيد ان هناك تأريخين نظنّهما الأقدم ، هما :

الورقة ١٨٦ أ : « فلمّا كانت سنة ألف (و) ثماني مائة من سنين الاسكندر ابن فيلبس اليوناني ... (أي سنة **١٤٨٩** مسيحية) » ...

الورقة ٢ ب : « فلمّا كانت سنة ألف وثماني مائة وعشرة من سنين الاسكندر ابن فيلبس اليوناني (أي سنة **١٤٩٩** مسيحية) ، رُزق الشدياق ابراهيم المسمّى غادر ولداً اسمه يوسف ... » .

بالاضافة الى ذلك ، هنالك تواريخ أخرى وردت في الورقة ٢ أ (سنة **١٥٢٢** مسيحية) ، وفي الورقة ١٨٥ أ (سنة **١٥٠٩** مسيحية) .

٣) كاتب المخطوط

يبقى أن نشير الى أنه ورد اسمان لكاتبين مختلفين لهذا المخطوط ، هما : **دوريع الحصروني** ، كما جاء في الورقة ١٨٥ أ ، بالسريانية : «كَتَبَ (أي كتبه) الضعيف الخاطئ دوريع الحصروني ، من جبل لبنان ، كتبه في مكان مجهول » ؛ **وغادر ابن الخوري** الذي نقرأ اسمه في الورقة ذاتها ، انما بالعربية : « لمّا كان تاريخ سنة ألف وثماني مائة وعشرين يونانية (أي سنة ١٥٠٩ مسيحية) ، تجوّز كاتبه العبد الحقير **غادر ابن الخوري** من

مدينة (؟) حصرون لبنت الشدياق ابن ابو اللحية من العاقورة ، وكان ذلك نهار الأحد في الحادي والعشرين من شهر تشرين الأول ... » .

ثالثاً : المخطوط مارش ٤٤٠ (مكتبة اوكسفرد) [١] (= م) .

١) وصف المخطوط

هو ريش قريان ماروني ، كُتب بالكرشونية . أوراقه ٣٧٣ ورقة ، وعلى كل صفحة عمودان . يحتوي ، كسابقَيه ، سفر التكوين وشرحه وسفر الخروج وشرحه ؛ وهو منسوب الى مار افرام السرياني . يُقسم الى :

— سفر التكوين وتفسيره : ١ أ — ٢١٤ ب (لزمن الصوم الكبير) ؛

— سفر الخروج وتفسيره : ٢١٥ أ — ٣٧٠ ب .

أما الدفاتر التي تؤلّف المخطوط فمكوّنة من خماسيات quinions (١٠ = ٥ × ٢) .

٢) تاريخ المخطوط وكاتبه

يعود تاريخ هذا المخطوط الى سنة ١٤٨٨ مسيحية ، كما جاء في الورقة ٢١٥ أ :
« كمل بعون الله تعالى سفر الكون وسفر الخروج من التوراة على حسب الاختصار ، ولربنا المجد . وكان ذلك عند تسع ساعات من نهار الاربعاء ، خمسة وعشرون يوم مضت من شهر حزيران المبارك ، سنة ألف وسبع مائة ، تسعة وتسعين يونانية (أي سنة ١٤٨٨ مسيحية) ، في أيام السيّد الروحاني الجليل مار فطرس البطريرك المالك الكرسي الانطاكي يومئذ ، في دير ستّنا العذراء في قنوبين في جبل لبنان ، وخليفته البار الفاضل المطريفوليطس مار شمعون . ادام الرب رئاستهما ، ورفع في الملكوت سريرهما . أمين . أمين .

وكان المعتني في هذا الكتاب الروحاني الشيخ الاجلّ المحترم الشدياق بطرس من قرية القناة المباركة في جبل لبنان . اقتناه للافادة له ولولديه الشدياق وهبه والشماس انطونيوس . سألت الله يعطيه الآخرة الجيّدة بحياتهما ، وأيضاً هما ينجّيهما الله من العدو المارد ومن الانسان الحاسد ومن الفخاخ المخيفة . أمين . ويهنّيهم الله فيه زماناً طويلاً . وفي الآخرة يوصلهم الله

(١) PAYNE-SMITH, *Cat.*, n^{os} 126 et 127, col. 405-409.

الى ساعة السلامة . أمين . أمين » .

وعلى الورقة ذاتها ، نقرأ في السريانية ما ترجمته :

« كمل وتمّ على يدي انسان حقير وخاطئ وملآن عيوب وجرائم ، وهو لا يستحق أن يُكتب اسمه في هذا الكتاب لأجل كثرة خطاياه ، بل لأجل الذكر الصالح يكتب اسمه وهو يوسف الخاطئ باسم قسيس ، بعيد عن هذه الكنية كبعد الشرق عن الغرب والشمال عن الجنوب .

أطلب من كل أب ، ومن كل أب وأخ ماهر يجد هفوة في هذا الكتاب ، ان كان بكلمة أو بنقطة ، فليصلح حسب فطنته ولا يلمني ، لأن كل مخلوق ناقص يجد الكمال في الله .

صلّوا عليّ لأجل ربنا ، وليُجازَ كل انسان حسب صلاته في العالمين ، خيراً كان أو شرّاً . أمين . أمين » .

رابعاً : مخطوط الشرفة ٢٦٥ (١)

يتضمن هذا المخطوط سفر التكوين وشرحه وسفر الخروج وشرحه ، والشرح منسوب ، خلافاً للمخطوطات السابقة ، للقديس كيرلّس الاسكندري لا للقديس افرام السرياني ، كما جاء في الورقة الأخيرة من المخطوط ، ٣٧٢ ب :

« هذا كتاب تفسير قوريلوس للتوراة الشريفة » .

وهو يقسم الى :

— سفر التكوين وتفسيره : ١ أ — ٢١٧ ب (لزمن الصوم الكبير) ؛

— سفر الخروج وتفسيره : ٢١٧ ب — ٣٧٢ ب .

لا تاريخ مذكور لهذا المخطوط ، وجلّ ما نجده في الورقة ٣٧٢ ب هو التالي :

« كمل هذا على ما وجدنا في النسخة القديمة بعون الله . أمين .

أما أيها القارئون الماهرون ، فنعمل رجاء من السيّد المسيح الكامل وحده بان تعتبوا

(١) ا . بولس بهنام صوني ، كاتالوغ دير الشرفة (ستنسال) ، ص . ٤٨٧ .

على الخاطئ الشره الكسلان لأجل النقص ، لأنه ليس كاتباً بل كاذباً ، **قس متيّا ابن قسّ رزق الله** » .

* * *

تلك المقدّمة المفصّلة المتشعّبة ، ترمي الى وضع القارئ في جو عام سيكتشفه لدى مطالعته نص سفر التكوين وتفسيره : فالكتاب المقدس الذي أوحى بالشروحات والتحاليل يبقى مصدر الوحي الأول لآباء الكنيسة في تعاليقهم وعظاتهم المتنوّعة . وان افرام المفسّر ، حتى ولو اختلف عن افرام السرياني الحقيقي ، لَيُمَثِّل تقليداً آبائياً عريقاً انحنى على كلمة الله يستلهمها ويستنطقها ، ويقابل بين مختلف الأسفار ، من العهدَين القديم والجديد ، برشاقة بالغة ومعرفة عميقة . وقد نكتشف هنا نهجاً فريداً لقراءة الكتاب المقدس على ضوء تفسيره الآبائي ، يمكن استعماله وتحديثه في حركة التجديد الليتورجي .

والطقس الماروني لم يكن غريباً عن هذا النوع من الوحدة العضوية العميقة بين القراءة الكتابية والقراءة الآبائية ، بشهادة مخطوطاته ووثائقه ، وهو اليوم لَقادِرٌ على أن يعود الى أصوله الليتورجية ، فيبني ، على أساس متين ، تصوّره لتقديم كلمة الله الى الشعب بطريقة تقليدية وعصرية في آنٍ معاً .

ولنا في نص هونت ١١٢ الذي يُنشر للمرة الأولى ، وغيره ، مثالٌ وقاعدة صالحة لهذا العمل ، شرط أن نُبْحِرَ شخصياً في القراءة الهادئة المتأمّلة ، بغية انتشال اللآلئ الكريمة والدرر الثمينة من قلب تراثنا الليتورجي العريق .

الأب يوحنا تابت
رئيس جامعة الروح القدس
الكسليك

الكسليك ، في ٧ تشرين الثاني ، ١٩٨٢
أحد تقديس البيعة

الاسبوع الأول
من
الصوم الكبير

القراءة الأولى من سفر الكون (١)

تُقرأ يوم الاثنين عشيّة من أول الصوم المبارك

الكتاب :

« في البدء خلق الله السماوات، والأرض . وكانت الأرض خربة وخالية وعلى وجه الغمر ظلام وروح الله يرف على وجه المياه » (تك ١/١ — ٢) .

التفسير :

القديس النبي موسى كتب هذا السفر بعد سفر الخروج . وبعد ذلك ، أمر تلميذه يوشع بن نون لأن يجعله في أول الكتب . وكان ذلك صواباً . لأن وقت تراءى الرب لموسى في جبل سيناء وأعلنه السرَّ وأراه الكون ، أعني كون الدنيا ، وسمّاه سِفرَ الخليقة بعد خروجهم من مصر ، أراه اللهُ ، جُلَّت قدرتُه ، كيف خلق السماءَ وكيف خلق الأرض وجميع الخلقة ، وأراه كيف خلق أبانا آدم وكيف خلق أمنا حواء من جنبه ، وكيف خدعها ابليسُ وكيف نُفي من الفردوس ، الى الطوفان . وبعد ذلك الى ابراهيم . وبعد ذلك كيف تسبَّب لهم النزول الى مصر . ولكونه أظهر فيه كونَ الدنيا التي كانت ولم يكن مخلوقٌ يُشاهدُها فخبَّر بها . لأن موسى ، بعد كون الدنيا بألآف السنين ، كتب هذا السِفرَ بعد خروجه من مصر ، لمّا غَرِقَ المصريونَ في البحر ، سلكوا ووصلوا الى طور سيناء . وهناك كتب هذا السِفر ويوشعُ معه .

كتب هذا السفر وأخبر فيه بما كان قبل أن يكون مخلوقٌ ذو فَهْم . وذلك عَلِمَهُ النبيُّ من كَشْفِ اللهِ له ، الذي هو كان ولم يكن مخلوقاً . وذلك أن النبي موسى لم يُسَمَّ بهذا الإسم الاّ لكونه يُخبِرُ بأمرٍ لم يكن بعد من الله معلوماً يتنبأ عنه قبل أن يكون . ولمّا كان كون الدنيا لا مخلوق يعلم به ، كشفه الله ، تبارك اسمُه ، لهذا النبي القديس ، لأنه أهل الى ذلك بما قد أجرى على يده من الأعاجيب في سفر الخروج .

(١) أو « الخليقة » ، يعني « التكوين » .

بعد ذلك شرّفه به ونفع النّاس بمعرفته ، لأنه ، قبل زمان الطوباوي موسى ، كان كثيرون من حكماء العالم قد تحدّثوا من عقولهم في معنى السماء والعناصر واختلفوا في ذلك جداً : فمنهم مَن قال إنها أزلية لم تَزل مع الباري . ومنهم من جعلها آلهة . ومنهم من جعل النفس والعقل من الله مولودَين لا مخلوقين . ومنهم من جعل الشمس والقمر والكواكب الهة مدبِّرة العالم . ومنهم من جعلها أزلية ولكنّها مخلوقة .

فلمّا أراد محبّ البشر أن يكشفَ عن خلقته هذه الظلمةَ ويعلِّمَها أن كل ذلك مخلوقٌ مُحْدَثٌ أُحدِثَ في ستة أيام ، وَحَدَّد لها ما صَنع من ذلك في يومٍ ويوم ، قال : في أول يوم خلق السماء والأرض ، حقّق أنه خلق السماء والأرض في دفعة واحدة ولست أعني هذه السماء التي فوقنا الآن ، بل السماء العُليا التي فيها الملائكة ، خلقها وخلق ملائكتَها فيها للوقت ، ولم يذكر خلقتهم هنا . وأعلمنا على لسان ملاخي النبي لماذا لم يذكرهم ها هنا . قال : « إني خلقت الملائكة ولم أعلمك بهم ، يا اسرائيل ، لئلا تميل الى عبادتهم » . لأنه ، تبارك اسمه ، لمّا رام أن يوضح لهم وجود ابنه وروح قدسه معه وتسميتهم باسمه وانه سبحانه بهم خلق كلّما خلق ، لأنه علم أنه متى ذكرَ لهم الملائكةَ في البداية . ظنّوا هم عند قوله : نخلق انساناً كصورتنا ومثالنا انه لهم قال ذلك . وكانت جُعلت آلهة وخالقة ، وكانوا عَبدوها ولم يفطنوا بابنه وروح قدسه الأزليَّين منه ومعه بلا ابتداء ولا زوال ولا فرقة ، المساويَين له في الجوهر .

قال : وكانت الأرض غير منظورة وغير مستعدّة ، وكانت الظلمة فوق اللّجة . أوضح أنه خلق الأرض والماء والهواء والنار في دفعة واحدة . ولم تكن الأرض عند خلقتها منفصلةً عن الماء ، منظورةً بذاتها ، مستعدّةً كما هي الآن . بل خلقَها مختلطة بالماء خلقة واحدة : الماء حولها ساتر لها من كل ناحية كبياض البيضة حول مُحِّها والهواء فوق الماء . وكذلك قال : إن الظلمة فوق اللُّجة ، يعني ان الهواء لكثرته كان قتاماً فوق الماء . قال : وروح الله تبارك اسمُه يرفّ فوق الماء ليقرّره على الاستقامة ويعطيه قوّة الحياة ، لكونه أول من خرج منه] [1] نفساً [2] حيّة ، لأنه من الماء خلق الله الطيور والأسماك قبل كل حيّ .

في هذا الموضع سبق رسم المعمودية للمسيح التي هي بدء الانجيل المقدس لكي يكون بدء التوراة والانجيل واحداً ، لأن المعمودية فيها يرفّ روح الله على الماء لكي يكون المولودُ منه روحاً نقيّاً عمّالاً بوصايا المسيح ، مستعيناً ومُستجيراً بروح الله القدّوس على الأرواح النجسة للشياطين الذين يُحسّنون له المعصية من عمل الوصايا [3] . [ومن يعلم ولم يحفظ الوصايا بمعونة الروح القدس من كل معصية هكذا ، فلم تنفعه المعمودية ولا عطيّة الروح القدس ، لأنه أُعطِيَ سلاحاً لكي يستعين به على قتال الخطيئة

(١) المخطوط الفاتيكاني ف ، القسم السرياني ، عدد ٢١٦ ، ورقة ٣ أ ، عمود أ — ورقة ٣ ب ، عمود أ .

(٢) هنا يبدأ مخطوط اوكسفرد هـ ، ورقة ٨ أ ، عمود أ .

(٣) المقطع الاول (نفساً حيّة ... عمل الوصايا) من مخطوط اوكسفرد هـ (ورقة ٨ أ ، عمود ب) ناقص . نكمّله بالمخطوط الفاتيكاني ف .

ودفعها عنه ، تركه بطّالاً ولم يقاتل به . « **دُفِعت وزنة له** ، قال الرب ، **لكي يتاجر بها ويربح فلم يتاجر** » (متى ٢٤/٢٥ — ٢٥) . « **دُفع له سراج لكي يستضيء به ويعمل أعماله التي بها يعيش ويحيا الى الأبد ، وأخفاه تحت مكيال ولم ينتفع به** » (متى ١٥/٥) . وهذا ، هكذا قال الرب : « **إن العطيّة تؤخذ منه ويُلقى الى الظلمة البرانيّة حيث يكون البكاء وصرير الأسنان** » (متى ٢٩/٢٥ — ٣٠) . يا ربّنا العفو] [1] .

الكتاب [2] :

« **وقال الله ليكن نور فكان نور . ورأى الله النور إنه حسن . وفصل الله بين النور والظلام وسمّى الله النور نهاراً والظلام سمّاه ليلاً . وكان مساءً وكان صباح يوم واحد** » (**تك ١/٣ — ٥**) .

التفسير :

قال مار افرام مفسّر هذا الكتاب المبارك [3] : لمّا ذكر الكتاب روح الله [4] بقوله ، قال : إن روح الله ترفّ على الماء ، ذكر لوقته الابن الذي هو كلمة الله ، بقوله : وقال الله : ليكن نور ، لأن قوله قال الله أظهر كلمة الله ، التي هي ابنه ، المولودة منه قبل كل الدهور ، الذي لم يزل منه ومعه وفيه ، الذي هو يده وذراعه ، الذي به خلق كل خلائقه . لأن يد الله ليست جزءاً أو عضواً مثل يدنا نحن . لأنّا نحن ذوو جسد مؤلّف من أعضاء كثيرة . فيدنا جزء منّا لكوننا في ذاتنا أجزاء كثيرة . والله سبحانه ليس ذي جسد ولا ذي أعضاء ، بل هو روح بسيطة لطيفة ، كما قال الرب المسيح في الانجيل المقدس : « **لأن الله روح** » (يوحنا ٢٤/٤) . فلما كان الله ذاتاً كاملة لا متبعّضة ولا متجزئة ، كانت يده أيضاً كاملة كذاته . وهذه هي كلمته . لأنّا نحن ، اذا أردنا أن نعمل عملاً ، عملناه بيدنا لضعف كلمتنا عن ذلك . والله سبحانه لكون كلمته كاملة ، قادرة بذاته ، أقنوم تامّ كأقنومه في ما يصنع كلما يريد هو فقط ، وهي للوقت تصنع ما يريد ، وهي به متّصلة لأنها منه مولودة كاتّصال يدنا بنا . وهو ، تبارك اسمه ، الذي أسماها يده ، وأسماها كلمته ، لكي يوضح لنا أنها ليست كلمة متلاشية لا أقنوم لها ولا ذات موجودة مثل كلامنا نحن ، بل لها وجود ذاتي بغير زوال كوجود يدنا معنا .

وعلى ألسنة أنبيائه أسماها بهذَين الاسمَين : يد وكلمة . من جملتهم داود النبي في المزمور الاثنين والثلاثين بسمّيها كلمة قائلاً : « **ان بكلمة الله خُلقت السماوات** » (مز ٦/٣٢) . وفي المزمور المائة والواحد أسماها يداً . قال : « **ان السماوات عمل يديك** » (مز ٢٦/١٠١) . والروح القدس الذي هو روح الله

---

(١) المخطوط الفاتيكاني **ف** ، ورقة ٣ ب ، عمود ب .

(٢) هنا يتابع نص **هـ** .

(٣) نجد هذه الجملة : « **قال مار افرام مفسّر هذا الكتاب المبارك** » ، كما هي ، في **ف** (ورقة ٣ ب ، عمود ٢) وفي **م** (ورقة ٤ ب ، عمود ب) .

(٤) **م** : « الروح القدس » .

المنبثق منه كانبثاق نسمتنا منّا ، ليس هو نسمة غريبة من الله يتنسّم بها من خارج كما نتنسّم نحن من الهواء ، ولا هو نسمة مضمحلة تخرج وتدخل مثل نسمتنا نحن التي هي غريبة منّا ، بل هو منه منبثق أبداً ، ذاتي من ذاته ، خارج منه بلا انقطاع ولا انفصال ، أقنوم كالذات التي هي منبثقة منه ، ذو وجود وقدرة كالآب والكلمة . وبهذا علمنا وتحققنا أن الله ، عزّ وجلّ اسمه ، ثلاثة أقانيم كاملة تامّة خاصية غير مضمحلة ولا زائلة ولا منفصلة ولا مختلطة اختلاطاً يضيع فيه وجود الأقانيم . بل كل واحد من الأقانيم قائم بخاصته ، غير مُفَارِق للآخر : ألكلمة والروح ، ألآبُ عِلَّتُهما ، وهما منه لم يزالا موجودَين ، كينبوع يُوجَدُ كينبوعين ونهر يُوجَدُ كنهرين وجوداً بغير انفصال . الابن والروح هما اللذان بهما يفعل كل أفعاله . والآن قد تقدّم البيانُ ان ليس هما كَيَدِنا أجزاء أو أبعاضاً كما نحن ، بل خاصيين كاملين بكمال الذات التي هما منها : ثلاثة أقانيم كاملات ، دائمات الوجود ، متّصلات بعضها مع بعض بغير تشويش ، أعني تبليل ، مثل قوله أنا في الآب جوهر واحد ، طبيعة واحدة ، وفعل واحد ، وقوّة واحدة ، ولاهوتية واحدة ، وربوبية واحدة .

وحسناً أوضح الكتاب ذكر كلمة الله ترفّ على الماء . لأن هكذا تُظهِرُ المعمودية لنا سرَّ الثالوث المقدس : لأن الابن ، أحد الثالوث ، أمَرنا ان نغطس فيها ثلاث غطسات : باسم الآب والابن والروح القدس . وهو أيضاً في وقت تعميده أظهر لنا تثليث الأقانيم ظهوراً واضحاً بيّناً . لانه منظور وموجود . « **والروح القدس نازل عليه في شبه حمامة** » (متى ١٦/٣) بوجود حقيقي . والآب بالصوت المسموع يصرخ من السماء : « **هذا هو ابني الحبيب الذي به سُررت** » (متى ١٧/٣) . أظهر الآبُ ذاتَه بصوت مسموع لكي يُوضح لنا أقنومَه . والروح القدس ظهر في شبه جسد حمامة ليتحقق اقنومُه أيضاً . والابن فهو ظاهر الوجود بيّن ، أوضح لنا الثالوث المقدس في حين المعمودية .

هذا الابن من الآب مولود . والروح القدس من الآب منبثق الى الابن . وذلك ان كلمتنا ليست تخرج منا قط الاّ ونسمتنا معها خارجة منّا لكي يكون ذلك لنا قياساً على خروج الروح من الآب الى الابن المولود منه : الابن الحيّ بالروح الخارج من أبيه حي ، ويغتذي كالولد الذي يغتذي في لبن أمه . فهو يحيا بما به تحيا أمه . هذا الروح منبثق من الآب الى الابن (١) **وليس هو منبثقاً من الابن** ، لأن الآب هو ينبوع الروح الى ابنه . ولو كان الابن هو أيضاً ينبوع الروح ، لكان الابن هو أيضاً أباً ، لكونه قد صار علّةَ الوجود ، اقنوماً تامّاً . وهذه قلّة معرفة ممن يعتقدونه . لأن الانجيل المقدس قال : « **إن الروح منبثق من الآب** » (متى ٢٠/١٠) ، ولم يقل : منبثق **من الآب والابن** . والابن يقول لتلاميذه عن الروح القدس : « **أنا أُرسِلُه لكم من قِبَلِ أبي** » (يوحنا ٢٦/١٥) . وبطرس الرسول يقول في كتاب الابركسيس : « **إن الابن لمّا ارتفع عن يمين الآب أخذ وعد الروح القدس من الآب وسكبه علينا** »

---

(١) على الهامش ، نقرأ هذه الجملة : هذا اعتقاد الروم الذين جعلوا افتراقاً في الآب والابن . معاذ الله من ذلك ! هذا مضاد الامانة القاثوليكية وقول الانجيل القائل : « **انو انو اورحو وقوشتو وحايه** » ، أي : **انا الطريق والحق والحياة** (يوحنا ٦/١٤) .

(أعمال ٢/٣٣) . هذا الابن ، الروح القدس الذي به يغتذي من أبيه ، مَن حبّه وحفظ وصاياه واستحقّ ان يغتذي به مثله ، أخذه منه وأعطاه ، وبه في هذا العالم يغذّي كل المؤمنين المتعمدين الذين حفظوا وصاياه ويقوّيهم على حفظها .

وكل ما نَـمُوا في حفظ وصاياه ، زادهم منه حتى يذوقوا حلاوتَه ولذّتَه وطِيبَه ذوقاً حقيقياً في الدنيا قبل الموت ، كما قد طاقه الرسُل القديسون في يوم العنصرة ، اليوم الذي أُعطيَ لهم بالكمال ، لأنه قبل ذلك اليوم ، لم يكونوا يُطيقوهُ طَوْقاً بالكمال ، بل كان معهم منذ نفخة الابن فيهم ، كما يكون مع المتعمدين الذين لم يذوقوه بعد بالكمال مثل الرسل القديسين ، لأن كل المتعمدين الحافظين وصايا المسيح هو الذي عمل في قلوبهم وحرّكهم وحثّهم على حفظها . وهؤلاء الحافظون الوصايا هكذا ، النورُ بالحقيقة ظاهرٌ فيهم ، الذي هو الروح القدس وهم « **أبناء النور** » (لوقا ١٦/٨ ؛ يوحنا ١٢/٣٦) ، كما يقول الرب في الانجيل ؛ وهم « **أبناء النهار** » (١ تسا ٥/٥ أ) ، كما يقول الرسول بولس . والذين لا يحفظون الوصايا ، الظلمةُ بالحقيقة موجودةٌ فيهم ، روح الشياطين . وهم « **أبناء الظلمة وأبناء الليل** » (١ تسا ٥/٥ ب) ، كما يقول الرسول بولس . وحسناً قال الكتاب ان الظلمة بغير نور حتى ظهرت كلمة الله ، بقوله ليكن نور .

فلمّا ظهرت كلمة النور ، صار النورُ والنهارُ معروفَين ومنفصلَين عن الظلمة والليل . لأن قبل ظهور المسيح ، كلمة الله بالجسد ، كانت ظلمة الشيطان بالخطيئة والمعصية موجودة في جميع الأرض بغير نور ، كما يقول النبي داود في المزمور الثالث عشر والمزمور الاثنين والخمسين : « **ان تطلّع الربُ من السماء ليرى ان كان يجد من يفهم أو يطلب الله ، فلم يكن ولا واحد** » (مز ١٣/٢ ؛ مز ٥٢/٣) . فلمّا تجسّد المسيح كلمةُ الله ، النورُ المولود من الآب بغير انفصال منه كالشعاع من الشمس ، وأعطانا بالمعمودية الروح القدس ، أضاء لنا وحرّك بنا مخافته وأشهر في قلبنا نورَ مواعيده إشهاراً حقيقياً ، حتى صدّقناه وحفظناه وحبّيناه وحفظنا وصاياه . حفظناه لمّا تحققناه من عظم العقوبة الدائمة التي بها يعاقب مَن يعصا وصاياه . وحبّيناه لعظم النعيم والحياة والمُـلْك الدائم الذي يُنعم به على مَن يحفظ وصاياه .

فبحفظ وصاياه هكذا صيَّرنا نوراً ونهاراً روحانياً حقيقياً . والذين لا يُـؤمنون به والذين لا يَحفظون وصاياه هم ظلمة وليل حقيقي روحاني ، لأن التوراة لكونها كانت ناموساً جَسدانياً وفي بدئها الظلمة والليل الجسداني والنور والنهار الجسداني ، والانجيل المقدس لكونه ناموساً روحانياً ذكر في بَـدْئِـهِ النور والنهار الروحاني والظلمة والليل الروحاني . وكما قد ذكرت التوراة أنّ الله أفرق بين النور والظلمة ودعا النور باسم والظلمة باسم غيره ، كذلك أفرق المسيح الهنا بأمانته وحفظ وصاياه بين النور وبين بني الظلمة . وأسمى هؤلاء باسم وهؤلاء باسم غير أولئك لكي يُعرَف بعضُهم من بعض . والتوراة في بدايتها ذكرت تكوين سماء حسيّة وأرض وماء وغير ذلك ممّا ذكرت ، جميعه حسيٌ . والانجيل المقدس جميع ما ذكره عقلي لأنه ذكر تكوين سماء جديدة دائمة البقاء بغير زوال تشرق وتضيءُ وتحيي وتغطّي كل من تحتها التي هي ناسوت المسيح الذي ظهر جديداً من امرأة بغير نطفة بشرياً ناسوتاً منظوراً حقيقياً لا خطيئة فيه ولا حركة

(أعمال ٢/٣٣) . هذا الابن ، الروح القدس الذي به يغتذي من أبيه ، مَن حبّه وحفظ وصاياه واستحقّ ان يغتذي به مثله ، أخذه منه وأعطاه ، وبه في هذا العالم يغذّي كل المؤمنين المتعمدين الذين حفظوا وصاياه ويقوّيهم على حفظها .

وكل ما نَمُوا في حفظ وصاياه ، زادهم منه حتى يذوقوا حلاوتَه ولذّتَه وطِيبَه ذوقاً حقيقياً في الدنيا قبل الموت ، كما قد طاقه الرسُل القديسون في يوم العنصرة ، اليوم الذي أُعطيَ لهم بالكمال ، لأنه قبل ذلك اليوم ، لم يكونوا يُطيقوهُ طَوْقاً بالكمال ، بل كان معهم منذ نفخة الابن فيهم ، كما يكون مع المتعمدين الذين لم يذوقوه بعد بالكمال مثل الرسل القديسين ، لأن كل المتعمدين الحافظين وصايا المسيح هو الذي عمل في قلوبهم وحرّكهم وحثّهم على حفظها . وهؤلاء الحافظون الوصايا هكذا ، النورُ بالحقيقة ظاهرٌ فيهم ، الذي هو الروح القدس وهم « **أبناء النور** » (لوقا ١٦/٨ ؛ يوحنا ١٢/٣٦) ، كما يقول الرب في الانجيل ؛ وهم « **أبناء النهار** » (١ تسا ٥/٥ أ) ، كما يقول الرسول بولس . والذين لا يحفظون الوصايا ، الظلمةُ بالحقيقة موجودةٌ فيهم ، روح الشياطين . وهم « **أبناء الظلمة وأبناء الليل** » (١ تسا ٥/٥ ب) ، كما يقول الرسول بولس . وحسناً قال الكتاب ان الظلمة بغير نور حتى ظهرت كلمة الله ، بقوله ليكن نور .

فلمّا ظهرت كلمة النور ، صار النورُ والنهارُ معروفَين ومنفصلَين عن الظلمة والليل . لأن قبل ظهور المسيح ، كلمة الله بالجسد ، كانت ظلمة الشيطان بالخطيئة والمعصية موجودة في جميع الأرض بغير نور ، كما يقول النبي داود في المزمور الثالث عشر والمزمور الاثنين والخمسين : « **ان تطلّع الربُّ من السماء ليرى ان كان يجد من يفهم أو يطلب الله ، فلم يكن ولا واحد** » (مز ١٣/٢ ؛ مز ٥٢/٣) . فلمّا تجسّد المسيح كلمةُ الله ، النورُ المولود من الآب بغير انفصال منه كالشعاع من الشمس ، وأعطانا بالمعمودية الروح القدس ، أضاء لنا وحرّك بنا مخافته وأشهر في قلبنا نورَ مواعيده إشهاراً حقيقياً ، حتى صدّقناه وحفظناه وحبّيناه وحفظنا وصاياه . حفظناه لمّا تحققناه من عظم العقوبة الدائمة التي بها يعاقب مَن يعصا وصاياه . وحبّيناه لعظم النعيم والحياة والمُلْك الدائم الذي يُنعِم به على مَن يحفظ وصاياه .

فبحفظ وصاياه هكذا صيّرنا نوراً ونهاراً روحانياً حقيقياً . والذين لا يُؤمنون به والذين لا يَحفظون وصاياه هم ظلمة وليل حقيقي روحاني ، لأن التوراة لكونها كانت ناموساً جَسدانياً وفي بدئها الظلمة والليل الجسداني والنور والنهار الجسداني ، والانجيل المقدس لكونه ناموساً روحانياً ذكر في بَدْئِهِ النور والنهار الروحاني والظلمة والليل الروحاني . وكما قد ذكرت التوراة أنّ الله أفرق بين النور والظلمة ودعا النور باسم والظلمة باسم غيره ، كذلك أفرق المسيح الهنا بأمانته وحفظ وصاياه بين النور وبين بني الظلمة . وأسمى هؤلاء باسم وهؤلاء باسم غير أولئك لكي يُعرَف بعضُهم من بعض . والتوراة في بدايتها ذكرت تكوين سماء حسيّة وأرض وماء وغير ذلك ممّا ذكرت ، جميعه حسيّ . والانجيل المقدس جميع ما ذكره عقلي لأنه ذكر تكوين سماء جديدة دائمة البقاء بغير زوال تشرق وتضيْ وتحيي وتغطّي كل من تحتها التي هي ناسوت المسيح الذي ظهر جديداً من امرأة بغير نطفة بشرياً ناسوتاً منظوراً حقيقياً لا خطيئة فيه ولا حركة

نطفة خطيئة مثل الآدميين المولودين من الخطيئة وهو بعينه الله الكلمة ، خالق كل الخلائق ، « **لأن الكلمة صار جسداً وحلّ فينا ورأينا مجده معاينة** » (يوحنا ١٤/١) . وصار لنا سماءً ورأساً ونحن له أرضاً وجسداً ، كما يقول الرسول : « **ان المسيح رأس البيعـــة وهي]**[1] **لــه**[2] **جسد** » (أفسس ٢٢/١ — ٢٣) .

فالمسيح هو السماء الجديدة التي ذكر الانجيل . وتجديدها هم جماعة المسيح ، أبناء النور الحافظون الوصايا ، وهم الأرض الجديدة المقدسة التي ذكر الانجيل تجديدها ، إذ يقول : « **إن المؤمنين بي ليسوا هم من دم ولا من هوى لحم ، ولا من مشيئة رجل ، بل وُلدوا من الله** » (يوحنا ١٢/١ — ١٣) . حقّق أنهم خلقة جديدة ، لأن الروح القدس الساكن فيهم بالمعمودية الذي هم به يحفظون الوصايا ، يخلق لهم قلباً نقياً جديداً ونفساً جديدة مستقيمة ، تعمل لوراثة دارٍ أخرى باقية غيرِ دار هذه الدنيا الفانية التي كلُّ بني آدم غير المخلوقين هذه الخلقة الجديدة ، يعملون لها فقط . وداود النبي قد تنبأ على هذا القلب والروح الجديد النقي المستقيم وأوضحه قائلاً هكذا : « **قلباً طاهراً أخلقه فيّ يا الله ، وروحاً مستقيماً جدّده في داخلي** » (مز ١٢/٥٠) . والرسول بولس يقول : « **الذي هو للمسيح خلق جديد** » (٢ كور ١٧/٥) . وكما أن الأرض التي ذكرت التوراة أنها خلقت مع الماء في دفعة واحدة وهي غاطسة فيه ، كذلك جماعة المسيح التي هي أرضه . لأن لا تُخْلَقُ هذه الأرض خلقة جديدة الاّ بغطسها في ماء المعمودية الذي قد جُدِّدَ هو أيضاً في ذلك الوقت بعينه بحلول روح الله عليه . ويقدّسه لكي يتقدّس الغاطسُ فيه . ولذلك قالت التوراة : ان الماء الذي كانت الأرض غاطسة فيه كان روح الله يرفّ عليه ، اشارة ايضاح لروح الله الذي يرفّ على ماء المعمودية الذي تُغَطَّسُ فيه جماعةُ المسيح لكي يُخْلَقوا به أرضاً جديدة للمسيح ، السماء الجديدة . وحينئذ بعد المعمودية ، يلزمون حفظ وصايا المسيح بمعمودية الروح القدس الذي نالوه ، فيكونون نوراً ونهاراً مضيئين واضحين من غير المؤمنين وغير الحافظين الوصايا ، الذين هم ظلمة وليل ، ابناء الأبِ ، الروحِ الشيطان المُظلم يفعل فيهم ، يمنعهم بعمله من النظر الى النور الحقيقي ، الحياة الدائمة ، أعني الأمانة بالمسيح وحفظ وصاياه . وقول الكتاب :

بعد حلول روح الله على الماء أَن تَكَمَّلَ وكان نور ، حقّق وأوضح ان الذي يتعمّد بروح الله لا يُشرق له النور بعد ذلك اذا لم يكن ملازماً كلمة الله قراءة وعملاً . يقرأ دائماً كلام الله لكي ، بدوام القراءة ، يتخشّع ويخاف الله ويعمل بما يسمع من كلامه . هذا كان يقرأ دائماً لهذين المعنَيَين : أعني لكي يتخشّع ويعمل . وأما مَن يكون يقرأ كل أيام حياته ولا العمل والتخشّع قصده ، ليس يُشرق له النور ولا يتحرّك خوف الله داخله . لأنه لم يتقدّم لكلام الله بشهوة وجوع وعطش اليه . هذا ليس ينتفع به وربما انضرّ كالذي يأكل ويشرب لا من جوع ولا من عطش . وقول الكتاب : انه كان مساء وكان صباح ، يوم واحد ، حقّق أن النهار والليل يوم واحد . كذلك أولادُ النور وأولاد الظلمة مختلطون بالسكن

---

(١) ف ، ورقة ٤ ب ، عمود أ — ورقة ٥ أ ، عمود ب .

(٢) هنا يتابع نص هـ .

مع بعضهم بعضاً في هذه الدنيا ، يعني أن المؤمنين مع غير المؤمنين ، والحافظين الوصايا من المؤمنين الذين فيهم يُسَمّون مسيحيين لكونهم شعب واحد في الأمانة بالمسيح . ولكنَّ الحافظين الوصايا منهم هم النهار ، وغير الحافظين الوصايا هم الليل .

قال الله : خلق الأرض والماء والهواء في دفعة واحدة الثلاثة عناصر ، وعند خلقة النور ، خلق عنصر النار . هذه الأربع طبائع ، طبيعتان منها فاعلتان وطبيعتان منفعلتان : النار والماء فاعلان . والأرض والهواء منفعلان . أَحَدُ الفاعلَين النار ، وأَحَدُ المُنفعلَين الهواء . هاتان الطبيعتان ، الأولى منهما حَرّة يابسة ، والثانية حَرّة رطبة . وهاتان الاثنتان خفيفتان طالبتان الصعود الى فوق أبداً بطبعهما : النار فوق والهواء تحتها ، كنهر فوق نهر . ومع كون الهواء بطبعه طالب الى فوق ، مَنعته قوّة صانعه من الطلوع من موضعه الذي حُدَّ له ، ومن الاختلاط بالنار واضمحلال واحدة ما في الآخر ، لكي بذلك تظهر قوّته أنه الماسك والحافظ لما خلق . والطبيعتان ، الأرضُ والماء ، إحداهما ، وهي الأرض ، منفعلة وطبيعتها باردة يابسة ، والأخرى ، هي الماء ، فاعلة وطبيعتها باردة رطبة . وهاتان الطبيعتان احداهما في الأخرى ، لأن الماء فوق الأرض ، واثنتاهما ثقيلتان طالبتان أسفل أبداً .ومع ثقلها وكونها تطلبان أسفل بالطبع ، وهما ممسوكتان بقوّة صانعهما عن النزول الذي في طبعهما ، لأنه ، جُلّت قدرته ، أراد أن يُظهر لنا قوّته الماسكة الخليقة ، خلق الهواء والنار طبيعتين طائرتين تطلبان فوق أبداً بالطبع ، وهما بقوّته قائمتان في حدّهما ممسوكتان عن الطلوع الذي في طبعهما ، والماء والأرض طالبان أسفل أبداً بالطبع وهما بقوّته ثابتان في موضعهما ، ممسوكان وممنوعان عن النزول الذي هو طبعهما .

والقديس بسيليوس يقول : ان الماء حول كل الأرض من كل ناحية كبياض البيضة حول كل المقل ، والهواء حول الماء من كل ناحية كالقشر حول البياض ، والنار حول الهواء من كل ناحية . قال : وخلق بحكمته طبع الهواء والنار طالبَين فوق أبداً ، واذا رامت الأرضُ والماءُ النزولَ في طبعهما ، مَنعهما من ذلك الهواءُ والنارُ اللذان تحتهما ، اللذان هما بالطبع طالبان فوق . واذا رامت النار والهواء الطلوع الى فوق ، منعهما من ذلك الأرض والماء اللذان فوقهما بالطبع طالبان أسفل . قال : فحصر الطبائع هكذا بعضها ببعض ، وبحكمته منعها من الاختلاط بعضها ببعض ، لكيلا تفسد ، ودليله ذلك انّا ننظر الماء الذي على الأرض ، وبقوّة الله لا يؤذيها ولا يحلّها ولا ينزل فيها بروك من تحليلها . وكذلك كل الطبائع لا يمكنها أن تضرّ بعضُها البعض ، وقوّةُ الله تحفظها وتمنعها من المضرّة . ولمّا ركّب الربُ الطبائع لم يجعل المتضادّة منها بالكليّة بجوار التي تضادّها ، بل جعل بينهما واسطة لا تضادّها بالكليّة . وذلك أن الأرض باردة يابسة تضاد الهواء بالكليّة الذي هو حَرٌ رطب . بل جعل بينهما طبيعة الماء الذي هو بارد رطب ، لأنه برطوبته يوافق الهواء الذي فوقه . لأن الهواء أيضاً رطب ، وبرودته توافق الأرض التي هي تحته ، لأنها باردة يابسة . فهو الماء بجهته الواحدة يوافق ما فوقه، وبجهته الأخرى يوافق ما تحته ، فيصلح بينهما . وكذلك الماء والنار اللذان طبيعتهما تطارد بعضها بعضاً بالكليّة ، لأن الماء بارد رطب ، والنار حرّة يابسة ، جعل الهواء بينهما لأنه حرّ رطب . فهو بجهة حرارته يوافق النار التي فوقه ، وبجهة رطوبته يوافق الماء الذي تحته .

وهذا جعله الرب للانسان قياساً لكي يتعلّم منه تدبير دنياه وآخرته ، لأنه خلقه مركّباً من نفس

عاقلة وجسد أرضي . وهو ، بجهة عقله ، سماوي علوي ، ويمكنه أن يفكّر في ما فوق أبداً ويوافق فعل الملائكة ؛ وهو ، بجسده ، يلتمس ما يحتاجه من الحاجات الأرضية ويهتمّ بما لا بدّ له عن ذلك . فيمكنه بجهته الواحدة أن يعمل لحاجته الأرضية ، وبجهته الأخرى أن يعمل لحاجته السماوية ، لأنه بجهته العقلية يشبه الملائكة العلوية ، وبجهته الجسدانية يشبه البهائم وكل الحيوان السفلي . فان هو استعمل الجسدانية فيما يحتاج اليه لقوام جسده فقط ، لا للتلذذ والتنعّم ، وان استعمل جهته العقلية فيما يرضي الله مثل الملائكة ، فهو في ملكوت السماء يكون أعلى من الملائكة ، لكونه خضّع جهته الجسدانية لجهته العقلية ، واختار اللذّات الباقية على اللذّات الحاضرة الفانية .

ولما كانت الطبائع المقدّم ذكرها غير ناطقة وغير حيّة ، خلق لها باريها المقام والثبات في المكان الذي رتّبها فيه من غير أن يمكنها الزوال عنه . والانسان ، لمّا كان ناطقاً ، جعل له خالقه الاختيار والارادة . فان هو بجهته الجسدانية استعمل ما يحتاجه من قوام الجسد ، وبجهته العقلية جميعها كرّم خالقه وطلب ما فوق باختياره وبارادته ، فهو يكون متّصلاً بالعلويين . وان كان بجهته الأرضية ، فهو متّصل بالسفليين . وعند خروجه من دنياه ، تصعد نفسه العقلية الى العلويين التي لم تزل متّصلة بهم . وعند عودتها الى جسدها يوم القيامة ، تطير به الى العلاء الذي فيه كانت ساكنة قبل خروجها من الدنيا وبعد . والذي لا تكون جهته العقلية متّصلة بالعلويين ، وهو في الدنيا ، بل يكون بجملته متّصلاً بالسفليين ، فهذا ، كما قد كان في الدنيا كلّه أسفل ، كذلك بعد الوفاة ، تكون نفسه أسفل ، لأنها تعرف طريق العلاء والى الحبس السفلي تنحدر . واذا هي عادت الى جسدها يوم القيامة ، فليس لها أجنحة تطير بها الى فوق ، لأنها وهي بغير جسدها بعد الموت لم يمكنها تطير بذاتها وحدها . فكيف يمكنها تطير بالجسد الأرضي الثقيل ؟

وفي الوقت الذي طاع آدم وحواء مشورة الشيطان وعصوا باريهم ، سكن في كل واحد منهم روح شيطان يحثّ للجهة الجسدانية على جذب الجهة العقلية الى أغراضها النجسة ، ويتساعد معها عليها . ولذلك صار كل جنس آدم مغلوباً من الجهة الأرضية . حتى ان الآباء القديسين والأنبياء غُلبوا وتزوجوا النساء الكثيرات الحُرَّات والعبدات . ولما صُلب الاله المتجسّد وفدى جنسنا بنفسه وأعطانا المعمودية روح قدسه لكي يساعد الجهة العقلية على الشيطان الذي يساعد الجهة الجسدانية ، وذلك انه لمّا قُبر عنّا ثلاثة أيام ، أعطانا أن نُدفَن في الماء ثلاث غطسات مِثالاً لدفنه . فبموته عنّا يُعطى لنا روحُ قدسه نعمةً وتفضّلاً . فان نحن حرّكنا جهتنا العقلية على قتال الجسدانية ، ومنعناها من الشهوات واللذات التي لا يحتاج اليها قوام الحياة ، فان الروح القدس يساعدنا عليها وعلى الشيطان ، يساعدنا ويُظفّرنا بهما كليهما . وبهذا الروح القدس وبهدايته تطير أنفسنا الى العلاء ، قبل الموت وبعد القيامة . واذا نحن لم نقاتل جهتنا الجسدانية ، فالروح القدس يكون داخلنا في ضيق واغتمام علينا ، كما يقول الرسول : « **لا تحزنوا الروح القدس الذي خُتمتم به في الخلاص يوم تعميدكم** » (أفسس ٤/٣٠) . وفي يوم الموت ، يُفارقنا ويُسلّمنا الى روح الشيطان الذي كنّا له طائعين ، ويُحدرنا الى الحبس السفلي . وهذا المحلّ بعينه يحلّ لمن يُعدَمُ

الروح القدس من غير المؤمنين ، مضافاً الى المؤمنين الذين الروحُ القدس فيهم غيرُ عمّال . والطبيعتان الخفيفتان — الهواء والنار — اللتان بطبعهما تَطلبان فوق ، تَمنعهما الطبيعتان — الأرض والماء — الثقيلتان اللتان بطبعهما تطلبان أسفل . وهما (الأرضُ والماء) أيضاً ، يَمنعهما (الهواءُ والنار) أن تنزلا . جعلها الله تعليماً للانسان يعرف بها ذاته وكيف تركيبه ، لأنه مركّب من نفس عاقلة وجسد ثقيل . نفس خفيفة طالبة بطبعها فوق . وجسد ثقيل طالب بطبعه أسفل . فاذا ما تعظّمت نفسه من أجل شرفها وظنّت أنها شيء ، قَمعت أوجاعُ الجسد عظمتَها ، وكسر ضعفُ جسده تكبّرها ومنعها من الارتفاع المهلك . فتبقى ثابتة في الحدّ النافع لها الذي رتّبه لها خالقها ، ويشاء لها فيه أن تبقى دائماً في الاتضاع . واذا مال الجسد بطبعه الى الشهوات واللذات الأرضية ، وأراد النزول الى أسفل حسب طبعه ، يمنعه من ذلك العقلُ ويضبطه عن النزول ويثبت في الحدّ الذي رتّب له خالقُه ، وهو العناية بما يحتاج اليه لقوام الحياة فقط .

والله ، تبارك اسمه ، هكذا بحكمته خلق الطبائع أربعة : اثنتان تطاردان اثنتين : الماءُ يطارد النارَ ، والهواءُ يطارد النار . وركّبها بحكمته تركيباً أوجب به ملازمتها والتصاق بعضها ببعض بغير فرقة . وذلك أنه جعل بين الماءِ والنار الهواءَ والأرض ، واحداً من هذه الناحية وواحدة من هذه الناحية ، تفرّق بين الضدين ، حتى لا تُبيد الاضدادُ أضدادَها ، ولكي ، بسبب التضاد ، تهرب الى بعضها البعض ، وتلتئم وتجتمع . وهذه صفة تركيبها ، لكي يمجّدَ اللهَ مَنْ يتأمله ويسبّح حكمتَه . الحرارة ملاصقتها الرطوبة من ناحيتها الواحدة ، ومن ناحيتها الأخرى ملاصقتها اليبوسة . تلاصق اليبوسةُ الحرارةَ وتؤذيها وتتعلّق بها فتتعلّق هي بالرطوبة التي هي ضد اليبوسة وتلصق بها لكي تجد لذاتها بها فَرَجاً من اليبوسة التي هي ضدها . فاذا تعلّقت الحرارة بالرطوبة وضايقتها ، تعلّقت الرطوبة هي أيضاً بالبرودة التي هي ضد الحرارة . لكي تجد لذاتها فرجاً من الحرارة التي هي ضدها . فاذا تعلّقت البرودة هي أيضاً باليبوسة التي هي ضد الرطوبة لكي تجد لذاتها فرجاً من الرطوبة التي تضايقها ، تعلّقت اليبوسة هي أيضاً بالحرارة التي هي ضد البرودة ، لكي تجد لذاتها فرجاً من البرودة التي ضايقتها . وحينئذ تتعلّق هي أيضاً بالرطوبة على ما قد قلنا أولاً ، من أجل مضايقة اليبوسة لها . وبهذا التدبير والنظام الشريف ، ثبّتت الأربع طبائع في كل مركّب تحت السماء ثباتاً هكذا بحكمة الصانع ، تبارك اسمه . وبهذا تتعلّم النفس العاقلة انها هي أيضاً بين ضدين متضادين : روح الله ، تبارك اسمه ، وروح ابليس المخزي . فاذا ما ضايقها روح ابليس النجس وأوجعها في محبة الخطيئة ، تهرب الى روح الله وتلصق به بالصلاة والتضرّع الدائم . لكي ، بروح الله ، تجد لذاتها فرجاً من روح الشيطان المخزي المضايق لها . وبهذا تبقى كل حين ملتمّة الى روح الله وملتصقة به في حرب الارواح الشريرة . فلولا مضايقة روح الشرير لها ، لَـمَا كانت تلصق بروح الله وتهرب اليه . وكل نفس تحسّ بألآم مضايقة روح الشرّ لها ، وتلصق بروح الله هكذا ، فهي نفس حيّة ، لأنها تحسّ بالآلام وتطلب لذاتها الفرج . ومن لا تكون هكذا ، فالويل لها ، لأنها عادمة الحياة .

هذا اليوم الأول الذي هو يوم الأحد المقدس وسيّد الأيام ، الذي فيه ظهر النور قبل اشراق نوره ، فيه خُلقت السماء العليا وملائكتها والأربعة عناصر التي تحتها ، وهي الوقت بعينه الذي فيه كانت قيامة

سيّدنا المسيح من بين الأموات ، لأنه قام في غَلَسِ يوم الأحد . وهو اليوم الأول ، فيه خلق الله أصول جميع خلقه الذي كل الخلق منه . وذلك انه خلق فيه سبع أصول كلِ الخلق منها ، وهي : السماء العليا والأرواح الملائكة والأرض والماء والهواء والنار والنور . هذه السبعة كُوِّنت في اليوم الأول . ومن قال إنّ شيئاً منها كان قبل ذلك اليوم ، كتاب الله يكذّبه ، لأن الله ، تبارك اسمه ، قال في الكلمة الثالثة من العشر كلمات المعطاة لموسى بقوله إنه في الأيام الستة خلق السماء والأرض والبحر وجميع ما فيها . فحسناً جداً قال داود النبي : « ما أعظم أعمالك يا رب . صنعت كل شيء بحكمة » (مز ٩١/٦) ، وذلك ان الذي يميّز كل شيء هو يسبّح حكمته تسبيحاً بغير فتور .

عند كمال اليوم الأول ، قال : كان مساء وكان صباح . وهذا القول يكرّره في كل واحد من الأيام الستة ، لأن في المساء والصباح حكمة يستحق من أجلها تسبيحاً وتمجيداً . وذلك أن الأرض التي نحن عليها سكّان ، خلقها يابسة مجتمعة ولم يمكن أن تكون بأسرها يابسة حجرية لِما تحتاج اليه من النبات الصاعد منها ، فخلقها أرضاً طيّبة . واذا ما يبست جداً من حَرّ الشمس ، تفتّت ، واذا ما تغذّت من البرودة والرطوبة ، استرخت وانحلّت ، فدبّرها ، تبارك اسمه ، بحرّ النهار وبرد الليل حتى تبقى دائماً مجتمعة لا تنحلّ ولا تتفتّت ، وذلك انه لو دام عليها حرّ النهار تفتّت ، ولو دام عليها برد الليل انحلّت . فاذا ما أشرقت الشمس عليها وأكثرت تجفيفها ، ارتفعت عنها بحكمةِ الخالق ، وحلّت عليها برودةُ الليل مع رطوبة الندى لكي تترطّب في زيادة تخفيف الحرارة التي نالتها في النهار . فاذا ترطّبت في الليل جداً ، ردّ اليها النهار وأشرقت الشمس وارتفعت النداوة كل النهار . فاذا ما تجفّفت أيضاً وزادت يبوسة ، ارتفعت الشمس وعادت النداوة قطرت عليها .

وتدبير هكذا دبّره الخالق للنفس العاقلة ، وجعل هذا التدبير يوضح لها ذلك التدبير . وعوض الحرارة والبرودة أيضاً والرطوبة واليبوسة التي دبّر العالم بها ، دبّر النفس ، هي أيضاً ، بين أربعة هكذا : اثنتان منها تضادان اثنتين ، مثل هذه الأربع طبائع ، وهي : الأوجاع والمواهب والعظمة والاتضاع . دبّرها ، تبارك اسمه ، بها ، كما دبّر الأرض بالتدبير المقدّم ذكره . وذلك ان برودة الليل ونداوته لو دامت على الأرض ، لانحلّت واسترخت . وكذلك لو دامت الأوجاع التي من قتال ابليس خزاه الله ، على النفس ، انحلّت واسترخت ، وتركت عمل الله . ولكنّه سبحانه ، اذا ما أعمتها (أي النفس) الأوجاع التي أطلقها عليها لكي تكون سبباً لاتضاعها ، حينئذ بموهبته ، أعني بنعمة روح قدسه ، يرفعها عنها ويُعينها بمعونته . فاذا ما عزّاها ونظرها تتعظّم ، رفع العزاء عنها ، وأطلق عليها أيضاً الأوجاع لكي تتّضع . فاذا اتّضعت ، رفع عنها أيضاً الأوجاع وعادت المواهب اليها والعزاء من الروح القدس . لأن نعمة الروح القدس التي تعزّي النفس وتعينها وترفع عنها الأوجاع والرخاوة تشبه الشمس التي ، باشراقها على الأرض ، ترفع عنها النداوة والبرودة . والعظمة التي تنال مَن تحلّ عليه نعمة العزاء ، تشبه اليبوسة التي تلحق الأرض من حرارة الشمس ؛ والبرودةُ التي تكون في الليل على الأرض تُشبهها الأوجاعُ والتعب والتجارب التي تكون من قتال الشيطان . والرطوبةُ التي تكون من كثرة البرودة في الليل ، تشبه الاتضاعَ

الذي تكسبه النفس من الأوجاع والتجارب . فلولا الأوجاع ، كانت المواهب والعزاء توصل الانسان الى العظمة ؛ ولولا المواهب والعزاء ، كانت الأوجاع توصله الى اليأس . ولكنّ تكرير هذه الأربعة وتردّدها على النفس دبَّرها باريها ، أعني بالمواهب وبالعظمة وبالأوجاع والاتضاع ، كما دبّر الأرضَ بالحرارة واليبوسة والبرودة والرطوبة .

ومع وجود حرارة الشمس ، يوجد النور ويستيقظ النائم ويمكن العمل . كذلك مع وجود نعمة الروح القدس ، يوجد النور الذي هو خوف الله في النفس ، وتستيقظ من نوم الغفلة ورقاد الجهالة ويمكنها عمل وصايا الله . ومع غروب الشمس ، توجد البرودة والظلمة والنوم والكسل عن كل عمل . لأن العمل حينئذ لا يمكن . كذلك بغياب النعمة — التي من الروح القدس — من النفس ، تكون الأوجاع ونوم الغفلة وظلمة الأفكار والكسل والاسترخاء عن كل أفعال الله : وكما يقدر ضوء السراج أن يَهدي في ظلمة الليل ويعين على العمل ، كذلك تقدر قراءة كتب الله وتأديب المعلّمين أن تعزّي مَن هو في ظلمة الأوجاع ، وتعينه وتنشّطه وتيقظه لكل أعمال الله . بل وتدفع عنه البرودة والكسل ، كما تقدر حرارة النار التي يُضَاء منها السراج أن تدفع البرودة عن مَن قد نالته في الليل. ولذلك يقول داود النبي : « **يا رب ناموسك سراج لرجليّ ونور لطرقي** » (مز ١١٨/١٠٥) . فالذي تـعْمَـلُه نعمةُ الشمس بلا كلفة ولا هِـمّة ولا تعب ، والنارُ والسراج بتعب وكلفة ، كذلك الذي يعمله الروح القدس بالكمال ، تعمله مداومةُ قراءة كتب الله وطاعةُ المعلّمين الروحانيين ولكن بتعب وكلفة . وذلك ان نعمة الروح القدس ، اذا أشرقت على النفس بالكمال ، قلعت الخطيئة منها بالكليّة ، باطناً وظاهراً ، حركة وفعلاً . والذي لم يبلغ الى هذا الحدّ بعد ، وهو مداوم قراءة كتب الله ووعظ المعلّمين والتطهير بالتوبة على يَـدَيْهم من كل خطيئة ، فهو يتنقّى من الخطايا ويتطهّر من جميعها ، ولكن بكلفة وهمّة وتعب ، أعني تعب القانون الذي يحمله دائماً عن كل زلّة . فالذي يتطهّر على يد المعلّمين هكذا كل حين ، هو مثل أرض ينبت فيها العشب والغلّة والزؤان ، وفلاّحها ، بهمّةٍ وحرص ، ينقّي كل ذلك في مبتدا نباته ، أعني ينقّيه منها أولاً بأول ، وهي تبقى أبداً نقيّة . والذي يمتلئ من الروح القدس ويتنقّى بالكمال ، فهو مثل الأرض التي قد قلع اللهُ بقوّته من باطنها جميعَ النبات الغريب ونزعَ زرعَته منها ، وليس عاد ينبت منها البتّة ، لأنها صارت نقيّة وغير محتاجة الى عناية وكلفة . وذلك ان الشيطان الساكن في الانسان هو سبب نبات الخطيئة فيه . فاذا حلّ عليه الروح القدس بالكمال ، طرد منه الشيطان . وبعد ذلك ، لا يبقى للخطيئة فيه أصل . والذي لم تحلّ عليه النعمة هكذا ، وهو بالاعتراف والقانون الدائم ينقّي نفسه من كل زلّة تحدث له أولاً بأول ، هذا هو الذي قال عنه : انه يأكل خبزه بعرق جبينه . وهو يعيش من تعبه . أمّا ذاك فيأكل خبزه بلا تعب مثل مَن ينزل له خبز من السماء . والذي ينقّي نفسه دائماً بالاعتراف والقانون يشبه مَن به حَبّةُ جَرَبٍ وهو كل حين يدهن جسده بدهان يستطيع ازالتها . وعند مدّة يسيرة تطلع . وهو يعود يدهنها أيضاً ويُزيلها ويفعل هكذا كل وقت حتى بدا جسمه لا يظهر خارجه جرب . والذي ينقّيه الروح القدس بالكمال يشبه من قد شرب دواء مستفرغاً منه الخلط الذي هو أصل الحَكّة ؛ هذا لا ينظرها تطلع على جسمه بعد . كذلك قـوّة الروح القدس ، اذا حلّت على الانسان بالكمال ، هي تطرد منه

الشيطان الذي هو أصل الخطيئة . وكما قد قدّمنا القول إن الذي لم يصل بعد الى هذا الحدّ هو في ظلمة الليل والبرد الشديد الشتوي ، فاذا كان ينقّي نفسه بالاعتراف والقانون المستمرّ ، فهو يتعزّى في ظلمة ليله بضوء السراج ، ويزيل عنه البرد بحرارة النار ، حتى يأمر عليه المسيح الهنا باشراق الشمس ، وتضيء له ضوءها دائماً بلا كلفة . وبحرارتها تطرد منه البرد بالكليّة . لأن الظلمة والبرد لا يطيقان الثبات مع حرارة الشمس وضوئها . وكذلك لا تثبت ظلمة الشيطان وبرودته مع ضوء حرارة الروح القدس .

فأما المعلّمون الذين تكون التوبة بوعظهم ، فهم السراج ونور العالم ، عنهم قال الرب ، عزّ وجلّ اسمه ، « **لا يوقد سراج ويُخبأ تحت مكيال** » (متى ١٥/٥) . والسراج فضوْءه من النار ، والنار فهي موجودة في الأرض من حرارة الشمس التي تضيء في النهار . وذلك ان الشمس مهما أشرقت عليه ، كانت فيه حرارتها . وكل شيء جسمه رطب أو رخو ورقيق ومتخلخل ، اذا ما حلّت فيه حرارة الشمس وضربته البرودة بعد غياب الشمس ، ارتفعت منه أكثر الحرارة ، ولا يبقى منها الاّ ما صار له طبيعياً ، وهو قليل جداً ، لكون جسمه لا يستر الحرارة من البرودة المتضادّة لها . فأما جنس الحجر والحديد فلكون جسمِه صَلْباً جداً مهما حصل فيه من الحرارة ، سترها وحفظها ، فتكون الحرارة كامنة فيه في هذا الأمر بكثرة . فلذلك عند قدحها دون غيرها من الأجسام ، تحصل منها النار . فالنار هي من حرارة الشمس . وكذلك المعلّمون الأطهار الذين هم سُرُجنا في الظلمة ، الذين استضاءوا من كتب ناموس المسيح الذي هو النار . وهذا الناموس الذي هو النار من شمس الروح القدس ، الذي به يستضيء الكاملون أولادُ النهار .

وكما في جنس الحجارة والحديد توجد النار من حرارة الشمس ، كذلك ناموسا ، أعني شريعتنا التوراة والانجيل أُظهر الروح القدس نورَه فيهما في العالم . ومنهما يُشعِلُ حرارتَه في القلوب . وهما ناموس العتيقة وناموس الحديثة . وأَحَدُهُما أفضل من الآخر . مثل الحديد والحجر . وبقدحهما توجد النار .

كذلك الذي يجمع كلام العتيقة والحديثة يُظهِرُ معناها واحداً . وهو يقدر بتعليمه ان يشعل نار الروح القدس في نفوس السامعين ، فيستضيئوا في ظلمة الليل بالضوء المخزون من الشمس ، كما يقول عظيم الرسل بطرس في رسالته الثانية : « **جيّد أن تتأملوا كلام الأنبياء مثل سراج يضيء في موضع مظلم ، حتى يأتي النهار ويشرق النور فيطلع في قلوبكم** » (٢ بطرس ١٩/١) ؛ والذين يُطهرون نفوسَهم من كل زلّة بتأديب المعلّمين هم هؤلاء ، ولو كانوا في الليل ، لا فرقة بينهم وبين الذين في النهار من القديسين الكملاء . ومن أجل هذا قال الكتاب المقدس : ان المساء والصباح يوم واحد . يعني ان يكون ملكوت واحد مُنتهى هذين الاثنين . كما قال ربّنا لصاحب الخمس وزنات الذين هم القديسون الكملاء : « **أدخلوا الى الفرح الدائم** » (متى ٢١/٢٥) . كذلك قال لصاحب الوزنتين الذين هم كل حين مُسرعون الى التوبة . قال : « **أدخل مثل رفيقك الى الفرح الدايم** » (متى ٢٣/٢٥) . وكذلك الابن الكبير — الذين هم القديسون — ، والابن الشاطر أعني الابن الصغير — أي التائبين — الذي رجع وقال : « **أخطأتُ بالسماء وقدّامك يا أبتاه** » (لوقا ٢١/١٥) ، أعني لأن اثمه كان صعد الى السماء من كثرة خطيئته ، ولمّا اعترف وتاب وأشهر نفسه ، صار فرحٌ عظيم قدّام ملائكة السماء بالذي يندم ويتوب . لما

رأوه من فرح سيّدهم ، طربت له جميع السماويين وصحّ ذلك بقول الابن الكبير لأبيه : « **لأنك لم تدفع لي جدياً أتنعّم به مع أصدقائي ، وأكرمتَ هذا الذي ضيّع المال في البذخ وصنعتَ له هذا الفرح** » (لوقا ١٥/٢٩ — ٣٠) . لأن القديسين الذين عمرهم لم يخالفوا قوله حردوا على الكرامة التي وهبها المسيحُ للذين يتوبون ويعترفون بخطاياهم . ولأجل دالّة القديسين عند ربّنا ولطفه ومحبته لهم ، يقول : وجود أخيك خاصتي وخاصتك ، ولا يهلك الابن الصغير مع المال . وهذا هو الابن الصغير بالحقّ .

القراءة الثانية (من سفر الكون)

تمام قراءة يوم الاثنين عشيّة

الكتاب :

« وقال الله ليكن جلد في وسط المياه وليكن فاصلا بين مياه ومياه . فصنع الله الجلد وفصل بين المياه التي تحت الجلد والمياه التي فوق الجلد فكان كذلك . وسمى الله الجلد سمآء . وكان مسآء وكان صباح يوم ثان » (تك ٦/١ — ٨) .

التفسير :

قال القديس مار افرام السرياني : في اليوم الاول ، لمّا خلق الله السماء والأرض ، خلق الماء لجّة واحدة من الارض الى السماء ، وهي السماء العلوية ليست هي التي نراها . فلمّا كان يوم الاثنين ، خلق سقفاً من جلد في وسط اللجّة ودعاه سماء ، وصارت اللجّة فوقه الى السماء العليا ، وتحته الى الأرض . وهذا صنعه بحكمته العظيمة ، لانه أراد أن يخلق الشمس والقمر والكواكب ويتركها في هذه السماء التي من جلد . وصنع اللجّة من فوقها لكي يكون برد الماء يحفظ الجليد لئلا تحرقه الشمس والكواكب ، وتكون برودة الماء تطرد ضوء الكواكب الى أسفل فيضيء على الارض ، لان الكواكب مخلوقة من نار ، والنار بالطبع خفيفة تطلب الى فوق أبدا . فلمّا ترك فوقها كثرةَ برودة الماء ، والنار بالطبع تهرب من الماء ، صار ضوؤها ينطرد الى الأرض ، وصارت هي أيضاً معلّقة تجري أبدا الى فوق ، والبرودة لا تدعها تصعد ، والى أسفل فليس لها طبع تطلب . والوقوف ليس هو طبعها . فلمّا لم يمكنها الطلوع والنزول ، صارت دائرة تجري أبدا بحكمة خالقها .

وقد قلنا ان السماء الاولى كانت اشارة الى تجسّد المسيح إلهنا ، لانه بناسوته صار لنا سماء ورأساً ، كما قد ثبّتنا ذلك في تفسير اليوم الاول . فاذا كان المسيح هو السماء العقلية واللجّة التي تحتها هي جماعة الرسل ، والذين تبعوا أوامره في اليوم الاول ، أعني قبل صلبه ، وهذه السماء الاخرى التي خلقها في وسط تلك اللجّة في اليوم الثاني ، هم عظماء التلاميذ الذين ، بعد صلبه وصعوده الى السماء ، أرسل كمال روح قدسه عليهم ، الرجال منهم والنساء . **« وكان جميعهم مائة وعشرين اسماً »** (اعمال ١٥/١) ، جعلهم ينطقون بكل لسان تحت السماء . وزالت منهم الخطيئة بالكليّة ، حتى صارت أجسادهم مثل جسده لا خطيئة فيه . ونشاهدهم سماء مثل اسمه **« لكونهم امتلأوا من الروح القدس »** (اعمال ٤/٢) . كما يشهد لهم كتاب الابركسيس ، لكي يكونوا مركزاً للنور يسكن فيهم ويضيء على المؤمنين ، كما صارت السماء التي فوقنا تضيء لنا .

حسنا قال الكتاب : ان هذه السماء من الماء خُلِقَت ، لان الرسل الذين كُـمِّلوا بالروح القدس وكل من تكمّل مثلهم ، فأَصلهم أَجمعون من ماء المعمودية التي فيها يكون مبتدا حلول الروح القدس فيهم . وقوله ان هذه السماء صارت فاصلة بين الماء الذي فوقها والماء الذي تحتها ، فهو يعني ان رسل الرسل والذي يكمل مثلهم يكونون منفصلين من الملائكة الذين فوقهم ، طائرين أنقياء ، لكنهم أرواح بغير أجساد . وهؤلاء ، يعني الرسل القدّيسين ، لهم أجساد مخلوقة من النطفة . والنطفة والاوجاع الشيطانية لم تزل فيهم الى الوقت الذي امتلأوا من الروح القدس وصاروا سماء جديدة . صاروا أرواحاً ذوي أجساد بشرية مخلوقة من النطفة وهم في آل الطهارة والقداسة مثل الملائكة وأفضل . فهم ، بهذا الانفصال ، منفصلون من الملائكة الذين فوقهم . والفصل الذي به ينفصلون من شعب المؤمنين الذين تحتهم هو ان أولئك الخطأة داخلُهم يقاتلُهم وينبت منهم كل حين ، وهم ، مع الزمان ، يقطعون نباته ولا يَدَعُوه يثمر فيهم . فهم أطهار بحرصهم وتعبهم وعبادتهم الدائمة . وليسوا أطهاراً بلا تعب مثل الرسل ، فقد صاروا هم أيضا معروفين من الرسل بفضلٍ يُعْرَفون به . وفي هذا اليوم ، سُمِّيَ الرسلُ سماءً والذين تحتهم ماء ، كما قد سُمّوا في الاول نهاراً ، والذين تحتهم ليلاً . وقيل : ان المساء والصباح يوم واحد .

الكتاب :

« وقال الله لتجتمع المياه التي تحت السمآء الى موضع واحد وليظهر اليبس . فكان كذلك . وسمى الله اليبس أرضاً ومجتمع المياه سماه بحاراً . ورأى الله ذلك انه حسن » (تك ١/٩ — ١٠) .

التفسير :

الأرض ، في اليوم الاول ، خلقها مستورةً بالماء . فلما كان في اليوم الثاني ، كشف عنها الماء ، وأظهرها يابسة لكي يمكنها أن تنبت وتثمر . ولما رام ، تبارك اسمه وجُلَّت قدرته ، أن يجعلها تنبت ، وعلم ان النبات محتاج الى رطوبة الماء ، لكي به يعيش النبات ، جمع الماء الذي على وجه الارض بمجامع وجعلها أبحاراً حول الارض ، حتى اذا أحمتها حرارة الشمس ، غليت وصعد منها الهبال ، أعني البخار ، واختلط بالبخار اليابس الصاعد من الارض كل يوم . فيصير البخاران ، الرطبُ الصاعد من الماء والبخارُ الصاعد من اليبس من الارض بِحَمٍّ الشمس ، سحابا واحدا . وبعناية الله ، عزّ وجلّ اسمه ، يسيّره الهواء الى حيث النبات المحتاج اليه فتنحلّ السحاب وتمطر تسقي ذلك النبات . فهو ، جُلَّت قدرتُه ، لم يخلق النبات حتى هيّأ له الذي يسقيه . وكذلك لمّا أراد ان ينبت بيعتَه ويثمرها ، هيّأ لها أنهرَ الحياة وعيونَ الخلاص التي هي أناجيله المقدسة ، ورسائل تلاميذه ، لكي تكون كهنتُه مثل السحاب يحملون منها الماء بحرارة الروح القدس الذي هو الشمسُ الحقيقية . وهم يسقوها ويُروها لكي تحيا ولا تموت .

وكما تُصعد الشمسُ بحرارتها البخارَ الرطب من الماء ، والبخارَ اليابس من الارض ، ويختلط البُخاران فيصيران غماما واحداً يسقي نبات الارض ، كذلك حرارة الروح القدس من عقل وذهن المعلّمين

ومن أسرار الكتب المقدسة تُخرج معاني نافعة تصل وتتّضح للسامعين . ذلك المعلّم الذي له رغبة ومحبة في تعليم تلاميذه وامتلائهم من خوف الله ومحبته تظهر له من حرارة الروح القدس معانٍ من الكتب المقدسة ، وتخرج من ذهنه قياسات وأمثال يوصلها الى عقول تلاميذه ويوضحها لهم ، لان الناس ليس كلّهم يفهمون المعاني فهما سريعا ، بل فيهم مَن يحتاج الى عدّة قياسات وأمثال حتى تصل الى عقله ، ويكون الذي كلّمه بتلك القياسات كمن يكلّم الانسان بلغته التي بها يفهم الكلام . ولا يقدر يفهمه بغيرها . فحرارة الروح القدس تُجمّل أسرار الكتب الروحانية لكي يفهم بها المعاني . ومن ذهن المعلّمين معنى واحد هكذا نفع السامعين (كذا) ، كما تُصْعِدُ حرارةُ الشمس البخارين ، الرطبَ واليابس ، من الماء والارض ، ويصيران غماماً واحدا يُسقى به النبات ، وكما ان الغمام يسقي جميع الارض من واطئ وعالٍ حتى أعلى التلال والجبال ، وكذلك الرسل القديسون كانوا الغمام أسقوا وأرووا بكلمة الله جميعَ أقطار الارض . وأما الانبياء وناموس التوراة فلم يسقوا غير شعبهم فقط ، كالانهار والعيون لم يمكنها أن تسقي الاّ وطيه والموضع السفلي ، ولا يمكن أن تصعد الجبال والتلال فتسقيها .

الكتاب :

« وقال الله لتنبت الأرض نباتا عشبا يبزر بزرا وشجرا مثمرا يخرج ثمرا بحسب صنفه بزره فيه على الارض . فكان كذلك . فاخرجت الارض نباتا عشبا يبزر بزرا بحسب صنفه وشجرا يخرج ثمرا بزره فيه بحسب صنفه . ورأى الله ذلك انه حسن . وكان مسآء وكان صباح يوم ثالث » (تك ١/١١ — ١٣) .

التفسير :

ولما رامت الحكمة العالية ان تخلق الحيوان ، سبقت فهيّأت له ما يغتذي به كما سبقت فهيّأت للاشجار المياه التي منها تُسقى . وفي الكنيسة هكذا عمل كما قد تقدّم القول : هيّأ لها المعلّمين والتعليم الذي تغتذي من قبل ولادتها [1] . وكذلك متى وُجد في المعلّمين والمؤمنين مَن هو جائع وعطشان الى التعليم وفهم المعاني والاسرار الالهية ، كشف له ذلك بنعمته وسبّب له الوصول اليه بتحنّنه وأوقفه على كل ما ينفعه من ذلك بسعة وجود . وكل مَن نظره رائداً في الجوع والعطش الى ذلك ، زاده هو أيضا من الطعام والشراب . وكل مَن جاع وعطش الى عمل الوصايا ، أنعم عليه بذلك وأشبعه منه . كما قد قال في الانجيل : **« طوبى للجائعين والعطاش الى البرّ ، فانهم سيشبعون »** (متى ٥/٦) . وكما خلق في اليوم الاول نهاراً وليلاً ، وفي اليوم الثاني الماءَ فوق السماء والماءَ تحت السماء ، وكان ذلك قياس الكملاء مثل الرسل والذين لم يكملوا بعد ، كذلك في اليوم الثالث ، خلق أشجاراً مرتفعة عالية مثمرة وغيرها دونها ليس مرتفعاً عن الارض ، شبه الكملاء والذي لم يكملوا في ثمرة الروح القدس بعد .

---

(١) ف : « من قبل دخولها في الايمان ، لكي يهيء للمولود اللبنَ في ثدي امه من قبل ولادتها له » (ورقة ١١ ب ، عمود ب) .

وكما في الاشجار مَن لها ورق وليس لها ثمرة ، كذلك يكون في المعلّمين والمؤمنين مَن يعمل الوصايا بالظاهر فقط ، وهو من داخل قلبُه متعظّم ومحبّ مديح الناس ومُشْتَهٍ ذلك ، وحاسد وحاقد ومبغض وغيور . ومَن هذه صفته ، ملكوتَ السماء لا يرث ، ولم ينظر لاهوت المسيح ولم يتنعّم به . لان لاهوت المسيح لا ينظ لاّ من نقّى قلبه من جميع الخطايا بما قد وصفناه — وما لم نصفه من سائر الخطايا — كما قد قال : « طوبى النقيّة قلوبهم فانهم يرون الله » (متى ٥/٨) . ومن ينقّي قلبه هكذا هو شجرة مورقة مثمرة . وذلك ان الله من أجل الثمرة خلق الورق في الاشجار ، لكي تستر الثمَر من حرّ الشمس لئلا يحرقها . كذلك لم يأمر بالنسك الطاهر مثل الصوم والصلاة والسجود والسهر والخدمة والتعب الاّ من أجل نقاوة القلب التي هي الثمرة ، لكي اذا انكسر شغاب الجسد بالتعب ، يقدر العقل على تنقية القلب ، لانه ما دام الجسد مستريحاً متنعّماً ، يغلب العقل من رياضته وحينئذ تغلب شهوته على القلب وتنغسل .

فمن كان يُتعِبُ جسدَه ولا ينقّي قلبه ، فهو مثل مَن طحن طحيناً وعجنَه وخبزه من أجل قوم جياع يقصد أن يُشبعهم . فلما فرغ من خبيزه رماه في البحر وضاع تعبُه ولم ينتفع به شيئاً . ولذلك أنكر من أتعب جسده في خدمة الرب اذ لم ينقِّ قلبه . وأنتَ من أجل نقاوة قلبك تُتعِبُ نفسك . فاذا لم تُتعب وتنقّي قلبك ، فماذا انتفعت بتعبك ؟ ولكنَّ الذي يَتعب على تنقية قلبه كل حين والذي قد تنقّى قلبُه بالكمال بالروح القدس ، ملكوت واحد يرثانه . لذلك قال في اليوم الثالث : كان مساء وكان صباح يوم واحد ، يعني ان الكملاء والذين يجهدون على تنقية أنفسهم بالتعب ، كلُّهم واحد . والملامة والخزي على مَن يُتعِبُ جسدَه ولا يَتعب على تنقية قلبه . تُتعِبُ جسدَك وأنت بالقصد تنظر بعينك ما ينجّس قلبك ، وتسمع باذنك ما ينجّس قلبك ، وتشَمّ بأنفك وتذوق بفمك وتلمس بيدك وتتكلّم بلسانك وتمشي برجلك الى ما ينجّس قلبك . تُتعب جسدَك وأنت تفكّر فيما ينجّس قلبك . ماذا تنتفع بتعب جسدك ؟ والرب من فمه المقدس يقول : « الويل لمن ينقّي خارج الكأس والسُكُرُجَةِ وداخله ممتلئ وسخاً » (متى ٢٣/٢٥) ؛ يعني مَن يَتعب بجسده ولا ينقّي قلبَه لانه لا ثمرة فيه ؛ « وكل شجرة لا تثمر فمصيرها الحريق » (متى ١٩/٧) . لان الشجرة المثمرة يُعنى بها أربابُها وتفلحها وتسقيها وتحترص عليها من كل مؤذٍ . « والغير المثمرة مهملة غير محترص عليها ، ومنتهاها تُقطَع وتلقى في النار » (متى ١٩/٧) ، كما قال الرب .

القراءة الثالثة (من سفر الكون)

اليوم الثلاثاء العشي في الجمعة الاولى من الصوم

الكتاب ::

« وقال الله لتكن نيرات في جلد السماء لتفصل بين النهار والليل وتكون لآيات وأوقات وأيام وسنين . وتكون نيرات في جلد السماء لتضيء على الارض . فكان كذلك . فصنع الله النيرين العظيمين النير الأكبر لحكم النهار والنيّر الأصغر لحكم الليل والكواكب وجعلها الله من جلد السماء لتضيء على الأرض ولتحكم على النهار والليل وتفصل بين النور والظلام . ورأى الله ذلك أنه حسن . وكان مساء وكان صباح يوم رابع » (تك ١/١٤ — ١٩) .

التفسير ::

النور الذي خلقه في اليوم الاول متفرّقة صُوَرُه . وفي اليوم الرابع ، جمعه وتركه في السماء التي من الجليد ، وهي التي خلقها في اليوم الثاني . شمس وقمر ونجوم ، وفصلها على النهار والليل ، ليكون النهار والليل بها معروفَين . كذلك الشهور والسنة وفصول السنة : فالقمر به تُعْرَف الشهورُ ، ومع النجوم يضيء في الليل ، يهتدي المسافرين في البراري والابحار على الناحية التي يقصدونها . وذلك انه خلق في النجوم نجوماً لا تسير ولا تتغيّر من موضعها ليكون الناس يستدلّون في سيرهم . والشمس بها تُعرَف فصول السنة الاربعة وهي الربيع والصيف والخريف والشتاء . وبها — أعني الشمس — تنضج الاثمار ، وبها تصعد الابخرة من البحار ومن الارض ، وتصيّر ذلك مطراً ، لان الشمس تحمّي البحر وتحمّي الارض ، فيصعد بخار الرطوبة من البحر ونداوة الارض ، ويجتمع ذلك ويصير غماماً أعني غيوماً تمطر على الارض .

وكما تُعرف سواعي النهار بالشمس ، كذلك تُعرف سواعي الليل في النجوم . فلذلك قال :: انها العلامات والازمان والايام والفصول الاربعة التي رتّبها في السنة ، لانه رتّبها بعظم حكمته ولطفه . وذلك ان الصيف لو هجم على الشتاء ، أو الشتاء هجم على الصيف ، لكان ذلك يسبّب للناس والحيوان المرضَ والموت ، عندما يكونون في شدّة الحرّ ، فتدركهم شدّة البرد ، أو اذا كانوا في شدّة البرد فتدركهم شدّة الحرّ . فلذلك جعل في حسن حكمته بين الشتاء والصيف الربيعَ ، وبين الصيف والشتاء الخريفَ ، حتى يكونا ((الربيع والخريف)) واسطة بينهما ((الشتاء والصيف)) . وذلك ان الشتاء بارد رطب طَبْعُهُ الماء ، يجعل برودته تسخن قليلاً قليلاً ، فتصير حرّة رطبة . ((هذا)) طبع الهواء ، وهذا هو زمان الربيع :: لكيلا تهجم الحرارة في دفعة واحدة ، بل قليلاً قليلاً ، حتى تعتاد بها الاجسامُ من الناس والحيوان . ثم

تجعل الرطوبة تيبس قليلاً قليلاً . فاذا صار الوقت حَرّاً يابساً ، هذا طبع النار ، فهو فصل الصيف . فاذا كمل فصل الصيف ، جعل الحرارة تبرد قليلاً قليلاً ، يصير الوقت بارداً يابساً طبع الارض وهو فصل الخريف . فاذا كمل فصل الخريف جعل اليبوسة تترطّب قليلاً قليلاً . فاذا صار الوقت بارداً طبع الهواء ، فهو فصل الشتاء . وفي فصل الخريف الذي هو فصل الارض ، تفلح الارض ، وفي فصل الشتاء الذي هو طبع الماء تمطر الامطار. وفي فصل الربيع الذي هو فصل الهواء ، تكثر الرياح لكي بها تغتذي الاشجار وتنمي ثمرتها حين ترطّبها . وفي فصل الصيف الذي هو فصل النار ، تقوى الحرارة جدّاً ، لكي تطبخ الأثمار وتنضجها . « فما أعظم أعمالك يا رب ، لانك صنعت كل شيء بحكمة » (مز ٩١/٦) .

وهذا عمله رياضة وهداية للنفس . لكي تكون ، اذا أرادت الخروج من حالة الى حالة ، تبتدئ تفعل ذلك قليلاً قليلاً ، حتى تعتاد وتقدر على العمل الذي ترومه . فانها ، اذا تدرّجت هكذا في أمورها ، أمكنها كل شيء براحة . وذلك ان المعتاد بالاكل اذا أراد ان يصير صَوّاماً يعوّد نفسه ذلك قليلاً قليلاً ، ويتدرّج اليه ويمكنه ذلك . وكذلك في السجود وفي كل عمل يُتعب الجسد ، مها تدرّجت اليه قدرت عليه . وبعظم حكته ، جعل الخريف الذي هو فصل الارض ، يتقدّم الشتاء الذي هو فصل الماء ، حتى اذا فلحت الناس في الخريف الارض وزرعوها ، تمطر عليها الامطار في الشتاء . ثمّ دبّر بحكمته أن يكون الزرع في الشتاء ، لكي تجد الحبوب المزروعة في بطن الأرض حرارة فتنطبخ وتنمو ؛ وذلك في الشتاء ، لكثرة برودة الهواء ، تهرب الحرارة من البرودة ، فتختني في بطن الارض . ولذلك يكون ماء الانهار في الشتاء سَخناً وفي الصيف بارداً ، لكون البرودة تهرب من حرارة الشمس وتختني في بطن الارض ، كما حدّ لها . فاذا ما وجدت الحبوبُ المزروعة في بطن الارض ماءً سخناً في الشتاء ، مع نداوة بطن الارض الكائنة من النيل أو من المطر ، تلبث الحبوب في النداوة والسخونة ، فتعفّن وتنبت وتطلع ، لانها اذا لم تعفّن لا تنبت ، كما يقول الرب في الانجيل : « ان حبّة القمح المبلورة اذا لم تمت لم تثمر » (يوحنا ١٢/١٢) . وجعل ذلك قياساً للنفس : انها اذا لم تُبغض ذاتها في هذا العالم وتتعب في حفظ الوصايا ، لا تثمر ولا تنال الحياة المؤبدة . واذا ما نبت الزرع في حين الشتاء ، تلقاه سخونة الشمس اللطيفة مع كثرة برودة الهواء ورطوبة المطر والندى فينمو ويطلع ، لان الله بحكمته جعل شمس ذلك الاوان ضعيفة الحرارة ، ومقامها على الارض قليلاً ، لقصر النهار وكثرة الغيوم لكيلا تحرق الحرارة الزرع الصغير ، والليل جعله طويلاً جدّاً لهذا المعنى بعينه ، وكل ما صارت للزرع قوّة على احتمال الحرارة ، جعل حرارة الشمس تقوى والنهار يطول ، والليل يقصر والغيوم تقلّ ، لكي — بقوّة الحرارة — ينضج الزرع وينشّف رطوبته ويستوي .

هذا جعله للنفس تعليماً وعزاء تقوى به أمانتها وتعلم ان ما دامت قوتها ضعيفة عن احتمال التجارب ، وهي في الصبر مصغّرة ، فلا تقوى عليها التجارب ، بل يدبّر لها اليسير منها (التجارب) ويخلط مع ذلك العزاء ويكثره لها . وكل ما علم انه قد صار لها قوّة على احتمال التجارب ، أكثر ذلك لها حسب قوّتها . لانها لا يمكن أن تنضج وتنمو الاّ بالتجارب ، كما لا ينضج الزرع الاّ بقوّة الشمس .

ويجب على كل نفس ترى الرب ان لا تغلب عليها التجارب . تعلم أنها عنده غير صبورة وغير محتملة كالزرع الصغير الذي لا يحتمل قوّة الشمس . فلذلك لا تغلب عليها التجارب . واذا نظرته تغلب عليها التجارب ، يجب عليها أن تفرح وتبتهج وتكثر شكرها له على ذلك ، لكونه جعلها نمت وقويت في التجارب ، حتى صارت ممن يغلب عليها التجارب ، كالزرع الذي نمى وقوي على حرارة الشمس ، وبغير شمس لا يمكن زرع ان ينمي ، وذلك ان الشمس تحمي الزرع . فاذا حمي عطش وشرب أصله من الرطوبة التي في بطن الارض . وهذه الرطوبة التي يشربها هي لطيف الماء مع لطيف الطين . فاذا شربها العود المزروع اغتذى بها ونما وغلظ . فلولا سخونة الشمس ، لمّا كان يعطش ، ولو لم يعطش لم يشرب ، ولو لم يشرب لم ينمُ . وكذلك اذا ما التجارب ألّمت النفس استعانت بالرب ملتمسة معونته . وكلّما استعانت به قربت اليه ونالت قوّته . فلولا التجارب لم تستغث به دائماً ولم تلصق به كل حين ، بل لخوفها من التجارب ولعلمها انه قادر على معونتها وخلاصها منها ، تهرب اليه وتلصق به وتدوم أبدا بقربه . وبالتجارب تنال مغفرة ذنوبها والتطهير من أوساخها ، وتنال الاتضاع الذي هو الغلبة ؛ لانها بالتجارب تعرف ضعفها وكونها للرب محتاجة بحقّ . ومنذ عرفت ضعفها وانها للرب حقّا محتاجة ، فقد نالت الطوبى التي قالها الرب : « **طوبى لمن هو مسكين بالروح ، فان له ملكوت السماوات** » (متى ٥/٣) ؛ لان هذه النفس التي قد علمت انها كل حين محتاجة للرب ، يُعينها ، ويخلّصها من تجارب الذنوب وَقِتْلات الشياطين . فهي بالحقيقة محتاجة بالروح تلتمس حضوره اليها وزيادته فيها كل حين لكي يخلّصها من أوجاع الخطيئة ، ومن الافكار الوسخة والاحزان المترادفة . هذه النفس تَبْيَضُّ بكثرة التجارب ، كما يبيضّ الزرع بكثرة الشمس ، لان الشمس تُنشّف من الزرع الرطوبةَ فيبيضّ ، والتجارب تنشّف من النفس الخطيئة فتتّضع وتتطهّر ، لان الاتضاع هو بياضُ النفس وطهرُها .

وكما جعل الله الاضواء التي تُضيء على العالم في السماء الثانية التي قد قدّمنا القول انها قياس الرسل والقديسين ، كذلك الاضواء المُنيرة للنفس موجودة بالحقيقة في الرسل والقديسين وفي خلفائهم . ومرتبتهم هكذا ترتّبت في الكنيسة : عوض الشمس رؤساءُ البيعة ، وعوض القمر الكهنة ، وعوض النجوم الشمامسة ، لان هؤلاء ، اذا كانوا يعملون وصايا المسيح ويعلّمونها لشعبهم ، فهم بالحقيقة يضيئون للنفس ويهدونها ويرشدونها أكثر من الشمس والقمر والنجوم ، لان هذه تضيء للاجساد ، وأولئك للنفس ؛ فشرفهم يزيد على تلك كزيادة شرف النفس على الجسد . واذا كان الكهنة لا يعملون وصايا المسيح ، فهم شمس مخسوفة وقمر لا ضوء له . والذي قدّمه [1] كهنة وهو هكذا ، فويله من الله ويله ، وعقابه شديد ، لانه اتّمن على سفينة أولاد ملك الملوك ، لكي يقيم لها رئيساً خبيراً جدّا بتدبير البحر ، يدبّرها ويسيّرها . فأخذ مَن لا دراية له بالبحر ولا خبرة بصناعة اقامة رئيس . فغرّق السفينة وكلَّ مَن فيها . فملك الملوك ، والد البنين الذين غرقوا ، يطالب ذلك الذي أقام الرئيس ويعاقبه بكل عقوبة عن بنيه وعن

(١) أي : قدّمه للرسامة الكهنوتية .

سفينته . ولماذا رتّب رئيسَ الكهنة في مرتبة الشمس والكاهنَ في رتبة القمر ، من الشمس يستضيءُ ويُضِيءُ على العالم ؟ لان الله خلق القمرَ كالامرأة . فاذا كانت الشمس غائبة عن العالم وكان القمر قبالة الشمس ، فضوْها يُشرق فيه من أسفل ويضيء به على العالم . وبمقدار ما يكون القمر يقابل الشمس ، يظهر ضوْها فيه ، متى ظهر بعضُ ضوئها في بعضه (القمر) . ومتى قابلها كلّه ظهر ضوْها فيه كلّه . فليكن الكاهن من رئيس الكهنة يستضيء ويتعلّم . رُتّب أحدُهما في مرتبة الشمس والآخر في مرتبة القمر . ويكون رئيس الكهنة هو أيضاً قمراً ، لكونه يستضيء من ناموس المسيح الذي هو الشمس الحقيقية . وكل من يستضيء منه هو قمر . ويمكنه أن يضيء على غيره بالضوء الذي يستضيء به من ناموس المسيح ، كما يُضيء القمرُ على العالم بالضوء الذي يستضيء به من الشمس .

وقد كان ناموسُ موسى قمراً والانبياءُ نجوماً ، لكونهم في الليل كانوا يُضيئون لامّتهم . وناموس المسيح هو الشمس الحقيقية الذي ، لمَّا أشرق ، أغنانا بضوئه عن القمر والنجوم . وكلّ معلّم هو شمس تلميذه ، والتلميذ المستضيء منه هو قمر . والاثنا عشر رسولاً هكذا كانوا قمراً يستضيئون من المسيح ، شمسِ البرّ . والسبعون تلميذاً الذين لهم كانوا نجوماً . أشعيا النبي يقول : « **ان الشمس تصير سبعة أضعاف والقمر يصير مثل الشمس** [1] » (٢٦/٣٠) . يحتجّ اليهود العميان القلوب بهذه النبوءة ويقولون : إن كان المسيح قد جاء بحقّ ، فلماذا لم تصر الشمس والقمر كما قال النبي ؟ يظنّ العميان القلوب أن أشعيا عن الشمس والقمر المحسوسين قال : يا عميانَ القلوب ! اذا صارت الشمس مثلها سبعة أضعاف ، ما الانتفاع بها ؟ لأن حرارتها تكون أعظم من جهنم وضوءَها لا يمكن حدقة عين أن تراه إلاّ وينطفئ ضوْها .

أوَ ما سمعتم أشعيا أيضا يقول لاورشليم : « **انها عند مجيء المسيح ، لن تحتاج الى ضوءِ الشمس في النهار ، ولا الى ضوء القمر في الليل ، بل الرب يكون لها نورا مؤبدا** » (١٩/٦٠) . فقد ذكر بطلان الشمس والقمر المحسوسين ، وزعم ان الرب هو الذي يكون لها نوراً مؤبدا . وملاخي النبي هكذا قال : « **ان الرب يُشرق لخائفيه شمس البرّ والبهاء تحت جناحيه** » (٢/٤) . فالمسيح هو شمسٌ ، ورسلُه كانوا له قمراً ، لكونهم يستضيئون منه . وقول أشعيا النبي : « **ان الشمس تصير سبعة أضعاف** » (٢٦/٣٠) ، اشار الى مجد ناسوت المسيح ، الذي ظهر بعد صلبه وقيامته ، لانه ، قبل صلب المسيح ، كان ناسوته يجوع ويقبل الآلام والموت . ويُرى ظاهراً مكشوفاً حتى يُسْتَر بالكسوة ، لانه — تبارك اسمه — بجسده المؤات ، تألم ومات عنّا لكي به يفدينا من الموت ، ثم تشبّه بنا بكل شيء ما خلا الخطيئة .

فلمّا صُلب ومات وقام وتمّ خلاصنا ، أظهر مجدَ لاهوته في ناسوته ، فصار غير قابل الموت وغير موّات وغير قابل الجوع والعطش وغير محتاج الى كسوة ، لان ضياء لاهوته ظهر ساتراً لناسوته ، حتى ظنّوا ، عند نظرهم له ، أنه روح بغير جسد ، لما نظروه من عِظَمِ نوره . وهذا الضياء هكذا هو له لم يزل ،

(١) النص الكامل لأشعيا هو التالي : « ويصير نورُ القمر كنور الشمس ونور الشمس يصير سبعة اضعاف كنور سبعة ايام ، يوم يجبر الرب كِسْرَ شعبه ويشفي جرح ضربته » .

ولكنه كان قبلاً يُخفيه حتى تمّم خلاصنا من العدو الذي خدعنا . وقد كان قبل صلبه « **أظهر نوره هكذا في جسده لثلاثة من تلاميذه ، لمّا تجلّى على جبل طابور** » (مرقس ٢/٩ — ٨ ؛ متى ١/١٧ — ٨ ؛ لوقا ٢٨/٩ — ٣٦) ، ونظروه ، وهو مثل الشمس ، لكي يعلموا انه هو الشمس الذي قال أشعيا النبي ؛ لان قول أشعيا « **ان الشمس تصير مثلها سبعة أضعاف** » (٣٠/) ، يعني القوّة والمجد الذي ظهر في جسده بعد قيامته . وعن هذا المجد وعن هذا البهاء وهذه القوّة التي تجدّدت للرب بالجسد بعد قيامته ، قد تنبّأ داود النبي قائلا : « **ملك الرب ولبس البهاء . لبس الرب البهاء وتمنطق به** » (مز ١/٩٢) . ولمّا تمجّد الرب بعد قيامته وعظم مجده جدًا ، مثل قول أشعيا النبي : « **ان الشمس تصير مثلها سبعة أضعاف** » (٢٦/٣٠) ، مجّد رسله هم أيضا بروح قدسه الذي ملأهم منه يوم العنصرة ، حتى جعلهم بالحقيقة مثل جسده بلا خطيئة ولا فكر نجس بل مضيئين بضياء لاهوته داخل نفوسهم ، ممتلئين من محبة كل البشر مثله . حينئذ ، كمل قول أشعيا النبي : « **ان القمر يصير مثل الشمس** » (٢٦/٣٠) . وتمّ قول الكتاب : ان المساء والصباح يكونان يوما واحداً .

الكتاب :

« وقال الله لتفض المياه زحافات ذات أنفس حية وطيورا تطير فوق الارض على وجه جلد السمآء . فخلق الله الحيتان العظام وكل داب من كل ذي نفس حية فاضت به المياه بحسب أصنافه وكل طائر ذي جناح بحسب أصنافه . ورأى الله ذلك انه حسن . وباركها الله قائلا انمي واكثري واملأي المياه في البحار وليكثر الطير على الارض . وكان مسآء وكان صباح يوم خامس » (تك ٢٠/١ — ٢٣) .

التفسير :

قال المفسر : في كل واحد من الايام ، يُظهر الكتاب سرّ الثالوث المقدس بتسمية الله عزّ وجلّ ثلاث دفعات بتكرير ، وذلك انه يقول : قال الله : ليكن كذا وكذا . ويستثني ويقول : فخلق الله كذا وكذا . ثم يثلّث القول ان الله نظر ذلك انه حسن . يثبت انه الله الآب يشاء ان يخلق الخلق ، والابن الذي هو اله حقّ مثل أبيه للوقت يصنع ما شاء أبوه كالخادم ، بل كإله ، لان الابن هو يدُ الآبِ وقوّته ، أقنومُه كأقنومه كامل . فاذا صنع الابن ما شاء أبوه ان يصنعه ، يقول الكتاب : ان الله نظر ذلك انه حسن ، يعني ان الآب يستحسن ما يصنع الابن . ليس انه كان غير عالم انه سيصنعه حسناً حتى استحسنه عندما صنعه ، بل الكتاب أراد بهذا ان يعلّمنا ان الله يشهد لكل ما صنع انه حسن ، لكي يُخرس ويُبكم كلَ من يروم بجسارة أن يقول عن شيء مما خلقَ اللهُ انه رديء . والايام التي مضت لم يذكر فيها ان الله خلق شيئاً حيًا ، بل سماوات وعناصر ومعادن ونباتاً وأنواراً ، وجميع ذلك لا نفس حيّة له . وفي اليوم الخامس ، بدأ بخلقة النفس الحيّة من الماء ، حيتاناً وطيوراً ، إشارة الى ماء المعمودية المقدسة التي منها بالحقيقة تكون الحياة بالميلاد الجديد .

وحسناً قال إن من الماء خرجت حيتان ساكنة في البحور ، وطيور تطير على الارض نحو جلد

السماء ، لان المعمودية من أولادها تكون رتبتان : متزوجون ورهبان . فليكن الرهبان قد فرّغوا نفوسَهم لعمل الله كل حين ، وعقولُهم بغير فتور مفكِّرةٌ في مجده وعظمته ، مهتمّة ، فيما به يُنمي فيهم خوفَه ومحبته ، مشتاقين بلا فتور الى عمل وصاياه ، والصعود الى ملكوته . فلذلك أسماهم طيوراً يطيّرها على الارض نحو جلد السماء ، يعني انه يجب أن يكونوا على الا... ... وعقولُهم طائرة الى السماء بالمحبة والشوق الى خيرات ذلك الموضع . والمتزوجون ، من أجل رباطهم في تعب العالم ، شبّههم بالسمك الذي في الماء ، وأوضح ان هؤلاء وأولئك نظر الله أنهم حَسن ، وباركهم بركة واحدة متساوية . وذلك انه لما كانت خطيئة الفسق والزنى لا خطيئة أخرى تنجّس المعمودية مثلها ، لأن الجسد (الذي) قُدِّس بماء المعمودية يتنجّس بالزنى ، فلذلك أمر الله بالتزوّج ، وشكره وباركه لانه يحفظ من الزنى .

وليس يعوق ولا يمنع من حفظ الوصايا المسيحية ، لان الحريص على تطهير نفسه من كل معصية يعاصي بها وصايا المسيح ، والمجاهد على تنقية ذاته أولاً بأول بالاعتراف والقانون ، قوّة المسيح تساعده على حفظ وصاياه . وان كان غاطساً في بحر العالم كالسمك في الماء ، فان القوّة التي شقّت البحر الاحمر لبني اسرائيل حتى جازوا ، هي تشقّ بحر العالم لهذا وتجعله يصبر فيه بلا غرق وبلا خطيئة بالتوبة الدائمة التي هي تأديب المسيح ، وتأديب المسيح هو عصاته التي بها يشقّ لنا بحر العالم ، كما شقّ موسى البحر بعصاته . لان عصاة موسى كانت مثالاً لخشبة صليب المسيح ؛ لان المسيح ، بخشبة صليبه ، أنعم علينا بالتوبة ، وكل من لازم التوبة باستمرار ، متزوجا كان أم راهبا ، فهو يقدر على الخلاص من بحر العالم بقوّة معطي التوبة الذي صُلب على الصليب ، الذي شقّ البحر الاحمر بعصاته ، أعني الجسد الآدمي المأخوذ من طبعنا هو يُسمّى بحراً . ومشى به باتحاده وعُلِيَ به الى أعلى السماوات . وذلك ان ملازمي التوبة من الفريقَين يكونون كلهم واحداً . قال : والمساء والصباح يوم واحد .

القراءة الرابعة (من سفر الكون)

تقرأ للاربعاء بالعشي في الجمعة الاولى من الصوم المقدس

الكتاب :

« وقال الله لتخرج الارض ذوات أنفس حية بحسب أصنافها بهائم ودبابات ووحوش أرض بحسب أصنافها . فكان كذلك . فصنع الله وحوش الأرض بحسب أصنافها والبهائم بحسب أصنافها وكل دبابات الأرض بحسب أصنافها . ورأى الله ذلك إنه حسن » (تك ١/٢٤ — ٢٥) .

التفسير :

وها هنا أيضا أظهر سرّ الثالوث المقدس بتثليث القول . قال الله ، وخلق الله ، ونظر الله ذلك انه حسن . بحقّ ان الله الآب يشاء ماذا يخلق فيخلقه الله الابن ويرى الله الآب ذلك انه حسن . وفي اليوم السادس ، قبل أن يخلق الحيوان الناطق الذي خلق جسدَه من الارض ونفسَه العاقلة أبدعها من لا شيء ، تقدّم فخلق من الارض نفسا حيّة كما قد خلق من الماء حيتاناً وطيوراً . كذلك خلق من الارض بهائمَ ووحوشاً ودبائب . فالتي خلقها من الماء ، طعامُها من بعضها البعض ؛ لأجل ذلك باركها لئلا تفنى حتى تكون البركةُ فيها دائماً . والتي خلقها من الارض ، منها مَن خلقه لخدمة الانسان الذي كان مزمعاً ان يكون وان يخلقه ، هيّأ له ما يحتاج اليه قبل خلقته ، ومنها مَن خلقه ليكون طعاماً له ، ومنها مَن خلقه لمنفعته لمداواة جسمه . ومنها مَن خلقه ليكون يتعجّب به من قوّة خالقه ، وكيف استطاعت قوّته أن تخلق أجناسا لا تحصى ، وكيف هو ، مع كثرتها ، يُعنى بجميعها ويسوسها . وذلك ان البهائم منها التي تخدم الانسان مثل البقر والخيل والحمير وما أشبه ذلك ، والحيوان الذي به يغتذي الانسان مثل الخراف والجداء وما أشبهها . فان الانسان يُعنى بها من أجل حاجته بها ويسوسها . وليس ذلك عجباً ، بل العجب من الوحوش والدبائب والطيور التي ليس لها من يُعنى بها من الناس . ومع كثرتها واختلاف ما تحتاج اليه ، يرعى جميعَها ويُغذّي كلَّها ، لان فيها من يغتذي بالعشب ، ومنها من يغتذي بالحبوب . ومنها من يغتذي باللحم ، وهو يفتح للجميع بما يخصّ كل واحد منها من الغذاء . وبتدبير حكمته ، جعل الحيوان الذي يؤكل من الحيوان الآخر في مواضع يحتفظ فيها من ذلك الحيوان . ولم يجعله محتفظاً بالكليّة ، لانه لو حفظه منه بالكليّة ، لكان ذاك يموت ويبيد جنسه ؛ بل بتدبيره يحفظه ويوصل اليه منه ما يحتاج اليه لقوته كل يوم . وبارك ذلك الحيوان الذي يغتذي منه الآخر وأنماه جداً ، لكي يبقى جنسه وافراً مع ما يؤكل منه . وهكذا فعل بالحيوان الذي به تغتذي الناس ، أكثره وأنماه .

وهذا فعله لتنظر النفس حسن عنايته واهتمامه وسياسته ، وتُكثر التسبيح والتمجيد والشكر والتقديس لاسمه ، وتعلم أنه ، كما قد أكثر البركة والنمو للحيوان الذي ينتفع به غيرُه من الحيوان ، كذلك مَن جعل نفسه منفعة لغيره نال البركة والنمو العظيم . وهو فقد وهب لكل انسان عطيّة يمكنه أن ينفع غيره بها . حتى تكون تلك العطيّة سبباً يصل بها الى ملكوت السماء . ومتى نفع غيره بها بكلّ قوّته ، (وهو) عالِم واثق(؟) انها لم تُعطَ له لانه مُستحقّهـا . بل انما أُعطيت له لكي تكون معيشته ينال بها ملكوت السماوات ، اذا هو نفع غيره وخدمه . وانما أُعطيت له لكي ، اذا هو تاجر بها ، نفع غيره وانتفع هو واستحقّ أن يكون عند سيّده أميناً ويدخل الى فرحه . لان الامين عند السيّد هو الذي ينفع غيره ويخدمه بما أُعطي له . وكما قد خلق للانسان ما يحتاج اليه من الحيوان ، قبل أن يخلقه ، كذلك خلق للحيوان ما يحتاج اليه ، قبل أن يخلقه . ثم خلق جميع الحيوان المركوب لكي يظهر بذلك انه خُلق لخدمة الانسان وسيادته لكونه قائما منتصبا . وذلك مركوب لكي ، اذا نظره الانسان ونظر ذاته ، عرف شرف ذاته من نقص ذاك . وعلم ما قد جعله الله له من المعرفة والفهم والسلطان وأكثر التسبيح والتمجيد للذي شرّفه هكذا .

الكتاب :

« وقال الله لنصنع الإنسان على صورتنا كمثالنا وليتسلّط على سمك البحر وطير السمآء والبهائم وجميع الأرض وكل الدبابات الدابة على الأرض . فخلق الله الإنسان على صورته على صورة الله خلقه ذكرا وأنثى خلقهم » (تك ١/٢٦ — ٢٧) .

التفسير :

عند خلقة الإنسان ، أوضح كتابُ الله سرَّ الثالوث أيضا أيضاحا حقيقياً بقوله : ان الله قال : لنخلق انسانا كصورتنا وشبهنا . أوضح الابنَ والروحَ القدس ، المساويَين للآب في الجوهر والصورة والقوّة والفعل ، اللذَين لهما كانت هذه المشورة ، وبهما خلق كلّما خلق وحقّق انهما صورة الآب وطبيعته لانه قال : نخلق انسانا كصورتنا . والانسان المخلوق ، فمع كثرة عدد أقانيمه ، الجميعُ صورة واحدة وطبيعة واحدة . وبهذا علمنا ان الذي قال لهما نخلق انسانا كصورتنا ومثالنا وهما صورتُه وطبيعتُه . وهذا توبيخ وخزي لأريوس ومقدونيوس اللذَين جـعَلا الابنَ والروح القدس طبيعة غير طبيعة الآب . وصارا عابدَين لآلهة كثيرة بجواهر مختلفة . قال الله : لنخلق انسانا كصورتنا . هذه هي المشورة العظمى اذ قال ان أشعيا سمّاها المشورة اذ تنبأ عن المسيح « **انه فتى وابنٌ مولود ومعطى لنا ؛ رئاسته على منكبيه ويُدعى اسمُه ملاكَ المشورة العظمى . مشيرٌ عجيب اله قادر مسلّط ، رئيس الصلح أب الدهر العتيد** » (٩/٦) . سمّاه أب الدهر العتيد ، لانه تأنس وصار آدم الثاني ؛ أبا جديدا ، لان آدم الاول ، أب الدهر الاول ، كان في المعصية عتيقاً ؛ وجميع الذين وُلدوا منه ورثوا المعصية منه . لانه لما تعبّد للشيطان ، صار كلُ من يولد منه عبدا له لكونه ملك أبيهم . فلما صار اللهُ الكلمةُ آدمَ الثاني ، وغلب الشيطان ولم يعصِ ، وكل من

تتلّمذ له لكي يتعلّم منه طاعة الله ، صار ابنَه في الطاعة ، صار معتوقاً من الشيطان لكونه صار ابن آدم الثاني الذي غلب الشيطان . وكذلك كل من تتلّمذ لتلاميذه ولتلاميذ تلاميذه يتعلّم منهم طاعة الله وحفظ وصاياه . فالجميعُ بنوه وبنو بنيه الى الانقضاء ، والجميعُ يرثون ملكه وحياته كما ورث بنو آدم الاول سيرة أبيهم وموته .

قال الله : لنخلق انساناً كصورتنا . الله مخيَّر مدبّر مهما شاء فعل . وخلق الانسان هكذا مخيَّراً مدبراً مهما شاء فعل من حسنة وسيئة . فهو ، بهذه الجهة ، صورة الله لكونه ذا سلطة وارادة مثله . فاذا عبَّدَ ارادتَه لخالقه وخدمه في حفظ وصاياه ، صار حقّا شبهَه لانه قال : كصورتنا وشبهنا . وكل جنس آدم هو صورة الله لكون الجميع لهم سلطان الاختيار . واما كشبهه ، فليس يصير كذلك الا من عبَّد ارادته لله . وهو ان الله خلق الانسان حرّاً ، ان شاء خدمه وان شاء لم يخدمه ، لانه لا يكلّفهُ خدمته غصبا . فان هو عبَّد حريته له وخدمه باختياره ، استحّق مواهبه وملأه من محبته وتحننه ورأفته ، حتى يصير بشبهه ومثاله في الحنّة والرأفة والصفح عن المُسيئين اليه والامتناع عن المخافة بالشرّ مع القدرة على تلك . ومن أجل كون الانسان خُلق حرّاً هكذا ، لذلك لمّا باع آدمُ حرّيتَه للشيطان ، ملكه بالعدل هو وكل بنيه لكونه باع نفسه له . والحرّ مخيَّر يبيع نفسه لمن أراد . وعلى هذا ، تحنّن خالقُنا على هذه العبودية المُرّة التي سلّطناها على أنفسنا . واشترانا بدمه من العدو الذي بعنا أنفسنا له . وافتدانا منه بموته ، لانه لمّا نظره في صورة أدمي ، ظنّ انه من جملة عبيده بني آدم . جاسر وقت الموت وحضر اليه مثل كل جنس آدم يروم أخذ نفسه الى الجحيم .

فلمّا أظهر ربُّنا له قوّته ولاهوته وأثبت عليه حجّة انك عملت في موت مَن ليس هو لك ، ولا باع لك نفسه بالخطيئة قط ، وحرّكتَ المطيعين لك من اليهود على قتله ورمت إحدارَه الى الجحيم ؛ وأنا الذي رمتَ تفعل بي هذا الفعل ، لستُ إنساناً ساذجاً بل إلهاً متأنساً قتلتني ، وفي حقّ[1] موتي آخذُ منك كل مَن باع نفسه لك من جنس آدم ، وكلَ من يَبيعك نفسَه من الآن والى الابد ، اذا هو ندم وسألني ، عتقتُه منك وآخذه منك في حكم حقّ لاجل موتي . لان جنس آدم ما يساوي موتي ، قال له ابليس : خذهم مني بحكم حق ، لانك بجسدهم الذي تجسّدتَ به ، لم يوجد فيه خطيئة ولا لي عليه حجّة . أخذتَهم مني بحق بهذا الجسد الضعيف لا بقوّة ولا بتجبّر ، بل باتضّاع حتى انك صُلِبتَ ولم كنت أعرفك ، بل أنا خدعتُ آدم وصار هو وجنسه في يدي وسلطاني . دبّرتَ أنت تدبيرا لا أعرفه أنا . وأخفيتَ ذاتك في الجسد الضعيف ، وظنّنتُ أنا الشقي انك واحد منهم ، ساذج . فقد خلّصتهم بديّة صلبك بجسدهم . فأخذ الرب تلك النفس وردّها الى النعيم وجعل للذين هم أحياء سلاحا يغلب به حيلته . وهو حفظ وصاياه .

---

(١) ثمن .

قال : نخلق انسانا كصورتنا وشبهنا ، وليرئسوا على أسماك البحور وطيور السماء والوحوش والبهائم وكل أقطار الارض . قال : لنخلق انسانا كصورتنا وليرئس على ما قد خلقنا . قوله : ليرئسوا ، يعني كثرة أقانيم الانسان الذي هو طبيعة واحدة . قال : لنخلق انسانا كصورتنا ، له فهم وعقل وتمييز لكي يرئس ويدبّر كل ما خلقنا له . فقد لزم الانسان من هذا القول ان يعتني ويهتمّ ويدبّر ويسوس كل ما تحت يده من الحيوان ولا يظلمها ولا يتجبّر عليها ولا يحمّلها ما لا تطيق ، لان الله ، تبارك وتعلّى ، جعله مدبّراً لها بالفهم والعقل الذي خلقه له ، الذي هو خصٌ فيه الانسان عن كافة تلك الحيوانات الفاقدة الفهم والعقل التي خوّل بها الباري الانسان والملائكة والارواح الشريرة . فقال : وخلق الله الانسان ، على صورة الله خلقه ، ذكرا وأنثى خلقها . قال خلق الله الانسان على صورة الله ، اللهِ الكلمة ، الابنِ الوحيد ، خالقِ كل شيء . خلق الانسان على صورة الله أبيه التي هو صورته ، أي خلقه ذا فهمٍ وتمييز وروحٍ ناطقةٍ لا تموت .

قال : خلق الله الانسان على صورة الله ذكرا وأنثى خلقها . نحن نعلم ان النفس العاقلة هي التي خُلقت على صورة الله . فكيف يقول : ذكرا وأنثى خلقها ؟ صورةُ الله لا ذكر ولا أنثى فيها ؛ والنفسُ العاقلة هي التي هي صورته ، لا تسمّى بذكر ، ولا تسمّى بأنثى . وانما هو ، عندما خلق النفس العاقلة على صورته ، وعلم ان الانسان لا بدّ له أن يعصي ويستوجب الموت ، شاء ان لا يبيده بالكليّة . سبَّب له الولادة الجسدانية لكي ينمو بها الجنس ويبقى موجوداً . فلذلك خلق له للوقت هيئةَ ذَكَر . وعند خلقة الامرأة خلق لها هيئة الانثى . هذا فعله لعلمه بما سيكون منها من المخالفة والحاجة الى التناسل ، ليبقى الجنس دائما مع دوام الموت . ولمّا كان هذا التناسل وجعاً من الاوجاع البهيمية ومنجل المخالفة والموت ، أعطى ذلك للانسان . لذلك أيضا صار له باقي الاوجاع التي في البهائم من الغضب والشهوة وما أشبه ذلك ، وذلك ان الغضب من أوجاع السباع ، والشهوة من أوجاع البهائم .

وهذين الوجعَين أولا يجب على العقل ان يرئس ويدبّر ، لانهما ساكنان داخله ، ويجب عليه الحرص في قمعها وتسكينها وتصرّفها فيما خُلقا له ومن أجلهِ فقط . وذلك ان الشهوة خُلِقت له للنسل فقط . وينبغي ان يُمسكها ويضبطها عن الخروج الى الزنى والفسق ، واستعمال هذا الفنّ بغير حدّ ولا مقدار ، باستكثار وزيادة ، لأن الاستكثار من إفراغ هذه الشهوة يُضعف قوّة الانسان من جسمه ويهرم البدن ويغلّظ العقل ويجعله كثيفاً جسدانياً ، قليل الخوف من الله ، أعمى عن نظر المخافة الكائنة بعد الموت ، ويقصّر العمر ويسرع بالموت والنخز والشقاء والهمّ . هذا جميعه يصيب من يستعمل الاستكثار من افراغ شهوة النكاح . ولما كانت هذه الشهوة قد خُلقت من أجل النسل ، ممكنة في الانسان ، أراد الرب أن يخلق له ما به يقمعها ، فخلق له الغضب ، لكي اذا هي رامت الخروج عن الحدّ الواجب ، يحرّكه عليها غضبه الطبيعي ويزجرها ويسكّنها . فمن دبّر شهوته بحدّها هكذا ، دبّر غضبه بحدّه هكذا . وهو ان لا يطلقه البتّة على الانسان ولا على الحيوان ولا على شيء آخر غير شهوته . فانه في الحقيقة يكون قد أخذ القوّة من الله على قمع غضبه وشهوته . وكما أمكنه تدبير هؤلاء المختّصين به طبيعيا ، فممكن له أيضا

تدبير غيرهم وسياسته . ومن كان لا يقظة له ولا حرص على سياسة تدبير أوجاع نفسه ، فكيف يمكنه تدبير أوجاع غيره ؟

الكتاب :

« وباركهم الله وقال لهم انموا واكثروا واملأوا الأرض وأخضعوها وتسلطوا على سمك البحر وطير السمآء وجميع الحيوان الداب على الأرض . وقال الله ها قد أعطيتكم كل عشب يزرز بزراً على وجه الأرض كلها وكل شجر فيه ثمر يبزر بزرا يكون لكم طعاما . ولجميع وحش الأرض وجميع طير السمآء وجميع ما يدب على الأرض ممّا فيه نفس حية جميع بقول العشب جعلتها مأكلا . فكان كذلك . ورأى الله جميع ما صنعه فإذا هو حسن جدا . وكان مسآء وكان صباح يوم سادس » (تك ١/٢٨ — ٣٢) .

التفسير :

قال انه لما خلق الذكر والانثى باركهما وقال : أُكثرا وانميا واملأا الأرض واستوليا عليها وعلى كل ما فيها . هذه البركة باركهما بها عندما خلقهما قبل المعصية ، علماً منه بما سيكون منهما ؛ سبق باركهما حتى اذا عصوا ولا يمكنه ان يباركهما ، حينئذ تكون بركة التناسل قد تقدّمت لهما فيتناسلا . وكان كذلك . وعندما خلقهما قال : قد أعطيتُكما كل ما خلقت من النبات والحيوان ، وقد خلقتُ لكما الحيوان حتى به تقتاتون . قال هذا لئلا يحمل آدم همّ من قد رأسه عليهم ويقول من أين أُقيتهم ؟ أزال عنه الهمّ وقال له : قد خلقتُ لك ولهم من الارض ما تقتاتون . قال ونظر الله الى جميع ما خلق (فاذا هو) حسن جدًا . فلماذا قال لموسى : **« ان بعض الخلق طاهر كلوه ، وبعضه نجس لا تأكلوه »** (احبار ١٠/١٠ ؛ قضاة ١٣/١٤) . والنجس والطاهر لا يصحّ الاّ على المعصية والطاعة . ومن لا عقل له فليس يلزمه معصية ولا طاعة . وليس فيه نجس ولا طاهر . فليس عن الحيوان غير الناطق كان معنى قول الله انه نجس أو طاهر ، بل أراد أن يربطهم بناموس ليكونوا كل حين تحت الناموس . فيتعبّدوا لآلهة كثيرة التي تتعبّد لها الامم المجاورة لهم . وكان معنى قوله في الطاهر وغير الطاهر يشير به الى جنس الناس الناطقين الذين يمكنهم بأفعالهم أن يكونوا أطهاراً وأنجاساً . وقال كل حيوان يجترّ وظلفه مشقوق ، فهو طاهر ، وما لا يجترّ وظلفه مشقوق والذي يجترّ وليس ظلفه مشقوقاً والمشقوق الظلف ولا يجترّ ، قال : ذاك نجس .

أراد بالذي يجترّ وظلفه مشقوق مَن يداوم القراءة بمعرفة ويعمل بما يقرأ . والذي لا يجترّ ولا ظلفه مشقوق هو الذي لا يقرأ ولا يعمل . والذي يجترّ وليس ظلفه مشقوقاً ، هو الذي يقرأ ويعلّم ولا يعمل . والذي يعمل وليس يقرأ هو شبه الذي ظلفه مشقوق ولا يجترّ ، لأن الذي يعمل ولا يقرأ يكون عمله بلا معرفة ، وليس له أساس ثابت على صخرة . والرب **« شبّهه بزرع مزروع على حجر ليس له تربة كثيرة ولا أصل في الأرض . فاذا احترّ من الشمس يبس . والزرع الذي في التربة الجيّدة اذا احترّ من الشمس شرب من رطوبة الطين الذي أصله فيه وترطّب »** (متى ٣/١٣ — ٩) ، وكذلك الذي يعمل بمعرفة ومشورة وعلم وقراءة كتبِ الله ، يعمل ، اذا أصابته التجارب والاتعاب ، في العمل الذي يعمل ، عزّته

المعرفة والقراءة واعظة المعلّم كل حين وصبّرته على ذلك . والذي يعمل ولا يقرأ ولا شاور ، لا صبر له عند التجارب ولا دوام على العمل الذي بغير معرفة ، مثل الزرع الذي ليس له تربة كثيرة ترطّب أصله ، اذا ما أحرقته الشمس فلا يجد في أصله ما يرطّبه فيجفّ سريعاً . والطيور التي وصفها انها نجسة ، وصف كل طير يؤذي غيره من الطيور وكل حيوان يؤذي غيره من الحيوان ، إشارة الى كل انسان يؤذي غيره من الناس أجمعين . وحيتان البحر التي وصف انها نجسة قال كل سمك ليس له قشر هو نجس ، لان السمك الذي قشرُه ظاهر هو طاهر ، لان قد خرجت منه أوساخُه . والسمك الذي لا يخرج منه قشره فأوساخه الطبيعية فيه ، اشارة بذلك الى كل انسان لا يُخرِجُ منه أوساخَه بالاعتراف الدائم .

قال : وكان مساء وكان صباح يومٌ سادس . اليوم الاول ذكره عند اشراق نوره . قال : انه بدء . وذكر مساه والصباح الذي بعد المساء وهو باكر يوم الاثنين ، حَسِبَ ذلك أجمع يوماً واحداً ، النهارَ والليل . واليوم الثاني حسِبَه كذلك وجعل انقضاه باكر الثلثاء . واليوم الثالث جعل انقضاه باكر الاربعاء . واليوم الرابع جعل انقضاه باكر الخميس . واليوم الخامس جعل انقضاه باكر الجمعة . واليوم السادس جعل انقضاه باكر السبت . لانه قال في اليوم السادس كان مساء وكان صباح ، يعني يوم الجمعة . وكان صباح يوم واحد . يعني ان صباح السبت انفصال لليوم السادس .

ولما استراح في اليوم السابع وسمّاه راحته ، وأمر اليهود بالبطالة فيه ، سنّ لهم ان يبطّلوا من مساء يوم الجمعة الذي هو نصف اليوم السادس ، لان تمام اليوم السادس بكرة السبت ، فيكون مساء يوم الجمعة بلا شكّ نصفه . في نصف اليوم السادس ، حدّ أن تكون راحته ، اشارة الى راحته الحقيقية التي كانت بعد الخمسة أيام والنصف ، أعني في نصف الالف السادس من خلقة العالم . وذلك انه في ذلك الوقت ، صُلب وتألم وتعب بالجسد تعبا حقيقيا واستراح حين قام من الاموات . وحينئذ أمرنا ان نستريح ونبطّل من كلّ أعمال الخطيئة التي كنّا في عملها مستمرّين . أمرنا أن نبطّل منها باقي حياتنا لكي ، بالقوّة اللاهوتية التي بها قام جسده من الاموات وصار لا يتعب ولا يتألم ولا يموت ، فيها نصيرُ نحن أيضا لا نخطأ ولا نعمل الاعمال الرديئة التي كنّا فيها مستمرين قبل ذلك . فاذا كان صباحُ السبت هو انقضاءُ اليوم السادس ، وانقضاءُ اليوم السابع على هذا الحساب باكرَ الاحد ، فليلةُ الاحد ، أظنّ ، تكون محسوبة من اليوم السابع . وفيها قام المسيح من الاموات واستراح وصدق فيه قوله انه استراح في اليوم السابع من جميع أعماله وباركه وقدّسه .

الكتاب :

« فأكملت السموات والأرض وجميع جيشها . وفرغ الله في اليوم السّابع من عمله الذي عمل واستراح في اليوم السّابع من جميع عمله الذي عمل . وبارك الله اليوم السّابع وقدّسه لأنه فيه استراح من جميع عمله الذي خلقه الله ليصنعه » (تك ٢/١ — ٣) .

التفسير :

قال : إن الله استراح من أعماله التي بدأ الله أن يصنعها . الله استراح من أعماله التي بدأ الله أن يعملها . كرّر اسم اللاهوتية لكي يحقّق عندنا أن كلمة الله الابن الذي تولّى خلقة كل ما شاء الآبُ أن يخلقه ، فخلَقه الابن ، لأنه اله حقّ من طبيعة أبيه الاله الحقّ . وقوله انه استراح من جميع أعماله ، نحن نعلم ان الله الكلمة الذي به خلق اللهُ الآب كلَ شيء ، لم يكن له جسد ، ومَن ليس له جسد ، فليس يتعب فيا يعمل . ومن لا يتعب فلم يسترح . فهو في خلقه الخلقَ لم يتعب ولم يسترح ، بل أشار بذلك الى راحته التي بها استراح حين تعب بجسده تعباً حقيقياً عن خلاصنا ، وتألّم ومات وقام في اليوم الثالث واستراح من كل أعماله التي تصرّف فيها من أجلنا ، أعني يوم الأحد ، جعله يوم بركة وتقديس خصّه للرب . ينبغي أن نبطّل فيه من أعمال المعيشة التي تُعيق عن ملازمة الصلاة والقداس والقراءة والتضرّع والتفرّغ لها بعقل صافٍ لا يُشغله الهمُّ الجسداني . ومن أجل هذا ، أوجبت القوانين الكنسية الحرومَ على مَن يشتغل بعمل المعيشة الدنياوية في هذا اليوم عن مثابرة الكنيسة .

حسناً قال كتاب الله : إن الله كمّل جميعَ أعماله في اليوم السادس . حقٌّ وصدق . لأن الرب المسيح في يوم الجمعة الذي هو اليوم السادس ، تمّم جميع أعماله ، كلمة حقّ وصدق قالها كتاب الله . ان الله تمّم جميع أعماله في اليوم السادس ، لمّا تجسّد ووُلد وظهر على الأرض . العمل الذي من أجله ظهر في اليوم السادس تمّمه بأسره ، لأنه في هذا اليوم ، تألم حيث صُلب ومات وفدانا من الموت . وافتدانا من الجحيم وأوجب الدينونة على عدوّنا الذي كنّا بِعْنا له أنفسنا بالمعصية . وأعتقنا المسيحُ بدمه من تملّكه . وأشهره وفضحه هو وجميع أجناده ، وسبى ونهب جميع جنسنا الذي كان في حبسه ، وأصعدهم من بيت الظلمة الذي له . وجعل اللص اليمين يمضي الى الفردوس سابقاً جميعهم . وبعد ذلك ، ألحقهم به أجمعين . وكل ما خلقه في الستة أيام جعله اشارة ورمزاً لجميع تدبيره الذي دبّره على الأرض من أجلنا ، من ميلاده الى موته . فمن كان للمسيح مُحبّاً ومُشتهياً تمجيده ، فليميّز ما نذكره من ذلك . وكيف الأيام الستة ، كلُ يوم منها يُوضح تدبيراً من تدابير الهنا المسيح :

أول ما خلق اللهُ السماءَ والأرض . هذا بدء الكتاب . خلق الله سماء لطيفة وأرضاً كثيفة ، إشارة الى النفس اللطيفة والجسد الكثيف الذي تجسّد بهما من أجل خلاصنا . وكانت الأرض غير منظورة وغير مستعدّة ، والظلمة على اللّجة . وقوله ان الأرض كانت لا تُرى ، لكون اللّجة تسترها ، يعني أن التجسّد كان غير منظور وغير مشهور ، لكونه في أحشاء الوالدة ، كان موضع لا يُرى . ولذلك قال ان الظلمة على اللّجة تعني ظلمة الأحشاء .

قال : وروح الله ترفّ على المياه ، لأن التجسّد من الروح القدس ومن مريم العذراء كان ، لأن الروح القدس كان يقدّس ما يحتاج اليه الابن من دم العذراء ويسيّره الى جسده ، مُقَدَّساً نقياً من دون الشهوة ، لكي ينمو به الجسد في الاحشاء قليلاً قليلاً . وفي مدّة أيام الحَبَل ، كان الروح القدس يرفّ على دم العذراء ويقدّس ويسيّر للابن منه ما يحتاج بجسده ؛ ولكون هذا كان خفياً عن السماويين والأرضيين ولا عقلٍ يصدّقه ، قال : ان الظلمة كانت على اللّجة ، يعني أن أمراً خفيّاً لم يُشهر قط لمخلوق : ان الله من حقٍّ يصير انساناً ويُحْمَل في البطن تسعة شهور . آدم حين خُلِقَ ، كان جميعُ دمه كدم الطفل لا توجد نطفة فيه . فلمّا اشتهى وعصا ، تحرّكت فيه كل شهوة ولا سيّما التناسل ، لأن الله مكّنها تتحرّك فيه ليبقى الجنس مع دوام الموت ، كما قدّمنا القول في بدء المقالة ؛ وهذه الشهوة موجودة مختلطة بدم كل الرجال وكل النساء منذ إدراكهم القامة . فلذلك كان الروح القدس يقدّس دم العذراء من زرع التناسل المختلط به ، ويسيّره الى جسد الابن المقدس من ذلك ، مثل دم آدم قبل المعصية في بداية خلقته ، لكي يكون ناسوت الابن آدماً ثانياً جديداً عوض الأول .

ولكنّ البناء الأول هُدم « كما كُسر لوحا موسى الأولان المكتوبان بإصبع الله » (خروج ٣٢/١٦ و ١٩) . لأنه لم يَأتمن عليها إلا أُناساً سكرى في الخطيئة ، ولم يترك لآدم بعد المعصية الوقوف في بلد النعيم المقدس . ولذلك « أمر الله موسى أن يتّخذ لوحَين آخرَين ثانية » (خروج ٣٤/١) ، اشارة الى نفس وجسد المسيح المكتوبَين باصبع الله ، أعني بالروح القدس . فانها ثبتت كلوحَي موسى الثانية ، ولم يقدر عليها فساد الموت ولا الجحيم ، بل هدمت الجحيم وقهرت الموت وأعادت اللوحَين الى تركيبهما بالقيامة من الأموات . وهي ثابتة الى الأبد عن يمين الله الآب في العلاء . لوحا عهدِ الله كما قد مثّلهما اللهُ في بدء السِفر بالسماء اللطيفة والأرض الكثيفة ، وهذان اللوحان كانت فيهما العشر كلمات اشارة الى العشر حواسّ العقلية والحسيّة التي في نفس وجسد المسيح ، وجميعها مكتوبة باصبع الله .

قال الكتاب : قال الله ليكن نور وكان النور . يعني به ولادةَ المسيح ونزولَه الى الأرض ، نور الحق الحقيقي المُشرق من الآب النورِ الحقيقي . ولذلك عند ولادته أشرق نور مجده على الرعاة ، وملائكةُ النور ظهرت على الأرض تبشّر بالفرح والخلاص . وها هنا ظهر نهار وليل متّصلان بلا فرقة ، موجودان معاً . أعني لاهوت المسيح وناسوته اللذين اتّحدا في الجوهر والأقنوم والطبيعة والمشيئة اتحاداً اجتماعياً غير منفصل . ولذلك قال الكتاب : ان المساء والصباح يوم واحد .

وفي اليوم الثاني ، خلق الله في وسط الماء جَلَداً يحمل عن الأرض نصف الماء الذي كان يسترها ويخفيها لكي تدنو من الانكشاف . وهذه اشارة الى نمو ناسوت المسيح ؛ اشتدّت قوّته الجسدانية بالنمو قليلاً قليلاً . ومع نمو ناسوته ، ظهرت أفعال لاهوته في ظهور أفعال النفس العاقلة ، لأن النفس العاقلة لا تُظهر فعلَها النطقي العلوي في المولود حين ولادته ، بل اذا اشتدّ جسدُه وصار منه قوّة ، تُظهر الفعل النطقي . وذلك انه يبتدئ قليلاً قليلاً يتكلّم ويعمل . وهذا النطق اللفظي والعلمي هو السماء التي قال إنها تجدّدت لناسوت المسيح في اليوم الذي هو نمو قامة جسده ، لأنه عندما نطق أظهر علماً وفهماً من لاهوته

حتى « **أبهت فيه المعلّمين وهو جالس بينهم في الهيكل** » (لوقا ٢/٤٦ — ٤٧) . وشهد لأمه مع نبوّته الالهية . وقال : « **ينبغي أن أكون في بيت أبي** » (لوقا ٢/٤٩) . فهذا أمر قد أشهر به كثيراً في مجد لاهوته المخفي ، كما أن السماء التي خُلقت في اليوم الثاني رَفعت كثيراً من الماء الذي كان يستر الأرض . كذلك انكشف كثيرٌ من الستر الذي كان يستر عنّا مجد لاهوت المسيح الخفي في ناسوته .

وفي اليوم الثالث ، كشف الله باقي الماء الذي كان يستر الأرض ، وأظهرها واضحة يابسة طبيعتها . وهذا اليوم الثالث هو أوان تعميد المسيح بعد كمال نمو ناسوته ، عندما كشف باقي الستر الذي كان يستر عنّا مجدَ لاهوته الخفي في ناسوته ، واتّضح لنا مشهوراً ظاهراً انه ابن الله الوحيد الحبيب « **بشهادة أبيه وظهور الروح القـدس عليـه وفتـح السماوات لـه** » (متى ٣/١٣ — ١٧ ؛ مرقس ١/٩ — ١٠ ؛ لوقا ٣/٢١ — ٢٢) . ولذلك يُسَمّى يومُ تعميدِه يومَ الظهور ، لأنه فيه ظهر لنا لاهوتُه . وفي اليوم الثالث أيضاً ، بعد انكشاف الأرض من الماء ، أنبت اللهُ منها كلَ الأشجار المثمرة وغيرها ، والحبوب والنبات لوقته بالكمال . والمسيح ربّنا ، تقدّست أسماؤه ، للوقت عند تعميده ، أظهر من أرض جسده النسكَ والامساك الذي هو ثمرة تليق بالتوبة كما كان يوحنا المعمدان يأمر قائلاً : « **إصنعوا ثمرة تليق بالتوبة . وهوذا الفأس موضوعة على أصول الشجرة . وكل شجرة لا تثمر ثمراً صالحاً تُقطع وتلقى في النار . وأنا أعمّدكم بالماء والذي يأتي بعدي يعمدكم بالروح القدس والنار . ذلك الذي في يده ينقّي أجرانه فيجمع القمح الى أهرائه ويحرق التبن في نار لا تطفأ** » (متى ٣/٨ ، ١٠ — ١٢ ؛ لوقا ٣/٨ — ٩) .

ذكر يوحنا أثمارَ التوبة إشارة الى النسك . وذكر الأشجار والقمح والتبن ، ذلك جميعه الذي في اليوم الثالث خُلق . نعلم ان النسك هو النبات الذي ينبت في أرض الجسد وبه يُثمر النبات . والرب المسيح ، عند تعميده ، بدأ به لأنه « **في ساعة تعميده صلّى لوقته** » (لوقا ٣/٢١) ، كما يشهد لوقا الانجيلي . انه لوقته « **مضى الى البريّة وانفرد متنسّكاً صائماً أربعين يوماً وأربعين ليلة** » (متى ٤/١ — ٢) ، لكي يعلّمنا ان الصوم والصلاة والبعد عن سجس العالم هو النبات الذي به تثمر ثمرة الروح . ومتّى (٤/١ — ١١) ومرقس (١/١٢ — ١٣) ولوقا (٤/١ — ١٣) شهدوا لنا أنه للوقت حين تعميده ، ابتدأ بالصوم والخلوة هكذا ، وجرّبه ابليس وولّى العدو منه مغلوباً ، لأنه غلبه من الكتاب المقدس وشهد قائلاً : « **ان الانسان ليس يعيش بالخبز وحده ، بل بكلِ كلمة تخرج من فم الله** » (تثنية الاشتراع ٨/٣ ؛ متى ٤/٤ ؛ لوقا ٤/٤) . والخبز من القمح الذي خُلق في اليوم الثالث ، لكي يعلّمنا ان تلاوة كلام الله ومداومة قراءته والعمل به هو الشجرة المثمرة التي ينبغي أن تثمر منّا .

وفي اليوم الرابع ، خلق الشمس والقمر والنجوم وتركها في جَلَد السماء تضيء على العالم . وهذه إشارة الى ما فعله الرب بعد صوم الأربعين يوماً وعودته ، وهو « **استدعاؤه لتلاميذه وانتخابه لهم واستدامته اياهم معه** » (متى ٤/١٨ — ٢٢ ؛ مرقس ١/١٦ — ٢٠ ؛ لوقا ٥/١ — ١١) . وهم ثلاث مراتب : كالشمس والقمر والنجوم : الرسل الاثنا عشر ، والتلاميذ السبعون والنسوة اللواتي كنّ تخدمهنّ . وهؤلاء كانوا تابعين نُطقَهُ ، وكانوا مقيمين في تعليمه لكي منه يضيئوا على العالم ؛ وَنُطْقُه هو السماء التي تصوّرت

في اليوم الثاني ، أعني تربيته . وتلاميذه كانوا بهذا النطق مجتهدين وفيه مقيمين ، كما ترك الله الشمس والقمر والكواكب في السماء التي ، في اليوم الثاني ، خلقها .

وفي اليوم الخامس ، خلق الله من . أسماكاً فيه تعيش وطيوراً تطير على الأرض نحو جَلَد السماء . وهذه إشارة الى تعليم المسيح ومناداة الى التوبة وقربِ ملكوت السماء وآياته وعجائبه التي بكثرتها جُذِب كثيرون الى التوبة عن كل خطيئة وعمل ناموس الله : فمنهم مَن حفظ ناموس الله وهو في التزوّج وسَجَس العالم ، كالسَمك الذي يعيش في البحر ، لأنه بقوّته خلق حيواناً في البحر . ومتزوّجون في سجس بحر العالم وهم أحياء بروحه عمّالون بناموس الله . ومنهم من تركوا العالم وطاروا فوقه بعقولهم ولم يرتبطوا بترويج ولا بلذّة من لذّاته . وهؤلاء باركهم الله لينموا ويكثروا ويملأوا الأرض . المتزوجون الحافظون الناموس في وسط سجس بحر العالم ، بوركوا ليملأوا العالم ؛ وغيرُ المتزوجين الشاخصة عقولُهم الى العلاء كل حين ، الطائرون بذهنهم الى باريهم ، بوركوا ليملأوا البراري . وهذا موجود دائماً بتعليم المسيح . لأن هاتين المرتبتين — التزويج والوحدة — الحافظين الناموس هم مولودون من ماء المعمودية ، كوجود السمك والطير في الماء . ولذلك في آيات المسيح وعجائبه ، أبدع السمك دفوعاً كثيرة ، « **لأنه دفوعاً كثيرة نزل تلاميذه وألقوا الشبكة بكلمته ، فرفعوها ممتلئة حيتاناً عظاماً** » (يوحنا ١١/٢١) . وأعلمهم أنها اشارة لصيد الناس . السمك الذي قدّمنا ذكره ان الرب يصيده من بحر العالم ، وسمك قليل أيضاً ، أحضره بين يديه ، فباركه وجعله كثيراً . وأبدع جمراً من نار وعليها خبزٌ وسمك لم يُصد .

وفي اليوم السادس ، خلق الله أولاً من الأرض البهائمَ والسباع والدبائب . هذه إشارة الى ما احتمله عنّا في اليوم السادس من الآلام والشتيمة والهوان والهزء والضرب ؛ بسبب ذلك ، صار كثيرون صابرين من أجل محبة الذي تألم عنهم ، عن خدمة الناس ، كالبهائم ، يحتملون المسبّات والأوجاع بغير مجاوبة ولا محارنة ، تحت أوامرهم وطاعتهم بغير امتناع . يخدمونهم محبةً فيه وطاعةً له في القنوبيّات [1] ، يخدمون أباءهم في الرب خدمة كما تقدّم القول . والمتزوجون في العالم يخدمون معلّميهم الكهنة كذلك . وهذه البهائم والسباع من الأرض أبدعها الله إشارة الى ما صبر عليه بجسده من الآلام والأوجاع عنّا . وكونه قُدّم عنّا كالخروف الى الذبح ، وهو أيضاً أسمى نفسه في الانجيل عند ذبحه عنّا « عجلاً معلوفاً » ، وكثير من القديسين الشهداء دفعوا أجسادهم للآلام والتعذيب ، وصبروا في الجراحات مثله وكانوا « **كالخراف بين الذئاب** » (متى ١٦/١٠ ؛ لوقا ٣/١٠) . وهذه هي البهائم والمواشي التي بآلامها أبدعها في البراري . فهم المتوحدون والسوّاح الكثيرة عدّتهم جداً ، « **الذين كانوا في البراري والجبال والمغائر وشقوق الأرض** » (عبرانيين ٣٨/١١) ، يأوون مع الأسود والسباع ، لأن آلام المسيح التي تألم بها في اليوم السادس هي التي سبّبت كل هذا . وأخرجت هؤلاء أجمعين أن يصبروا هذا الصبر . والدبائب التي أبدعها بآلامه في اليوم السادس هم « **أولاد الأفاعي الحيّات** » (متى ٣٤/١٢ ؛ ٣٣/٢٣ ؛ لوقا ٧/٣) ،

(١) الاديار.

التي هذه أسماؤها ، الذين كانوا يهزأون به ويشتمونه ، ومثلهم ومشاركٌ لهم كلُ من يَهزأ بصليبه ويستهين بالآمه كل حين الى الأبد . وفي اليوم السادس ، بعد خلقة المواشي والدبائب ، خلق الانسانَ كصورته ومثاله ، الذي رأسه على كل خلقه . وفي اليوم السادس أيضاً ، الذي فيه صُلب ، صنع ذلك . كذلك بصلبه وموته . لأنه مات عن الانسان لكي يخلقه جديداً ويعيده الى الحياة بلا موت ، والخلودِ معه في نعيمه ، باقياً كبقائه ، ومالكاً كملكه . ولوقته في ساعة موته ، جدّد خلقة أجساد كثيرة من القديسين الموتى « **وأقامها من مقابرها** » (متى ٥٣/٢٧ و//) . واللص اليمين جدّد نفسه وجعلها بلا خطيئة ، جديدة صالحة ، كما خلقها ، « **ومضى بها الى الفردوس** » (لوقا ٤٣/٢٣) ، وفعل ذلك بعينه في النفس المحبوسة في الجحيم وأخرجها الى الضوء . فقد خلق الانسانَ بموته خلقةً جديدة باقية خلاف الأولى القديمة البالية . فقد صدق الكتاب في قوله : ان الله كمّل في اليوم السادس جميعَ أعماله .

ولمّا ذكر هذه الأفعال الستة التي فيها جميعُ تدبيره من ميلاده الى موته ، ذكر أيضاً قيامته بقوله : واستراح الله في **اليوم السابع** من جميع أعماله . وبارك الله اليوم السابع وقدّسه ، لأن فيه استراح الله من جميع أعماله التي بدأ الله يعملها . وهذه الراحة اشارة الى قيامته التي كانت بعد موته ، وأسماها يوماً سابعاً ، لكونها كانت بعد الستة أيام . الأفعال التي تمّم فيها جميعَ أعماله ، ونكرّر لنعرف : الأول منها ميلاده ، والثاني نمو ناسوته وظهور نطقه وفهمه ، والثالث إظهار لاهوته بالتعميد وامساكه ونسكه وحربه مع الشيطان وحطمه ، والرابع استدعاؤه لتلاميذه المراتب الثلاثة كالشمس والقمر والنجوم يعني الاثني عشر والسبعين والنسوة اللواتي تخدمهنّ . والخامس تعليمه ونداه بالتوبة وآياته وعجائبه ، والسادس آلامه وصلبه وموته وقبره ، والسابع قيامته . وأفعالاً ستة كهذه أعطاها للناسك اذا هو فعلها استراح في السابع من جميع أعماله مثل راحته الالهية : الخمسة منها حفظ حواسّ جسده الخمسة من كل ما يُسخط الله : وهي النظر والسمع والشمّ والذوق واللمس . والسادس منها هو حِفظُ القلب الذي ، اذا حفظه مع تلك ، وصل الى الراحة الالهية وعدم الاعراض . وكما ان الله تبارك وتقدّس خلق في اليوم السادس أولاً البهائم والسباع والدبائب ، كذلك الذي يطهّر قلبه ، يريد أولاً أن يسكّن منه الشهوة البهيمية ، ويحرص كل حرص على قمعها . وكذلك يفعل بالغضب الذي هو وجع السباع . وكذلك يفعل بالحقد الذي مَن مسكه في قلبه صار شبيه الحيّات التي تخبّئ سمّها داخلها ، لكي تسكبه وتقتل به في وقت الفرصة .

وفي اليوم السادس ، بعد خلقة المواشي والدبائب المقدّم ذكرها ، خلق اللهُ الانسانَ كصورته وشبهه ، ورأسه على جميع خلقه . وذلك انه يجب على مَن يسعى في تطهير قلبه بعد جهاده في تطهيره من الشهوة والغضب والحقد الذي للسباع والبهائم والدبائب أيضاً ، ويحرص بكل حرصه ان يسكن فيه مجد الله وذكرُه فلا فتور ، أن يكون كصورته وشبهه يحبّ ويحنّ ويترأف على كل الناس ويسامح ويغفر لمن يسيء اليه ؛ لأنه بهذا الفعل يصير بالحقيقة شبه الله كما يقول ربّنا : « **كونوا رحومين مثل أبيكم السماوي** » (لوقا ٣٦/٦) . « **وكونوا مثله كاملين** » (متى ٤٨/٥) . « **لا تحبّوا من يحبّكم فقط** » (متى ٤٦/٥ ؛ لوقا ٣٢/٦) ، « **ولا تحسنوا لمن يحسن اليكم لا غير** » (لوقا ٣٣/٦) ، « **بل أحبّوا وأحسنوا لمن يبغضكم**

ولمن لا يحسن اليكم ، لأن هذا هو فعل أبيكم السماوي الذي يشرق شمسه على الأخيار والأشرار ، ويمطر على العادلين والظالمين » (متى ٥/٤٤ — ٤٥ ؛ لوقا ٦/٣٥) [1] مَن أتعب نفسه في حفظ الستة هكذا — الحواس الخمسة والقلب — أراحه الله من جميع أمراضه التي هي أوجاعه . بعد ذلك أعطاه القيامة من بين الأموات بالكمال ، اذ يحيي نفسَه بروح قدسه « **كما فعل برسله القديسين ير لعنصرة** » (أعمال ٢/٤) ، ويجعلها بلا خطيئة ، بلا حرب ، بلا فزع ، بل منيَّحة مع روح الله ، تبارك اسمه الى الأبد .

وعند خلقة الله أيضاً الأنواعَ التي خلقها في هذه الستة الأيام ، علّم النفس باختلاف مراتبها كيف الوصول الى المرتبة العالية ، وذلك ان الله أولاً خلق كلما هو عادم النفس والحياة البتة من المعادن أجمع ، وهي الأرض والعناصر الآخر الثلاثة ؛ ثم خلق مرتبة ثانية أرفع من هذه وهي النبات . والنبات له جسم كجسم المعادن . لكن له زائد عنها النمو والغذاء ، لأن له نفساً غاذية تحسّ بحرارة الشمس وتعطي وتجذب لذاتها الغذاءَ من بطن الأرض ، وتغتذي وتنمي ، ولكنها لا تحسّ بالآم ما ينخسها ولا بما يَدْكَسُها ، لأن لا حسَّ لها . ثم خلق مرتبة ثالثة وهي الحيوان . خلق لها جسماً كالمعادن ونفساً نامية غاذية كالنبات . وزادها عن ذلك الحسّ لأنها تحسّ بما يؤلمها وتسعى في التماس ما يصلحها . لكن ليس لها عقل ولا فهم . وبعد هذا خلق المرتبة الكاملة وهي الانسان ، وله جسم كالمعدن ، والنمو والاغتذاء كالنبات ، والحسّ والحركة كالحيوان . وله زائد عن ذلك النطق والتمييز والعقل .

ومن هذه المراتب نتعلّم انه توجد نفوس هكذا : لأن النفس التي لا تشتاق الى سماع كلام الله ولا تلتمسه ولا تتحرّك للاغتذاء به ، هي تشبه المعادن والحجارة عديمة الحياة البتّة ؛ واذا هي صار لها شوق لكلام الله ، وجوع وعطش لسماعه ، واستمرار على طلبه لتغتذي به ، فتكبر وتنمو في خوف الله . وهذه قد ارتفعت عن مرتبة الحجارة الى مرتبة النبات . واذا هي صارت تحسّ بالأفكار النجسة اذا نجّسها الشيطان ، وتتألم منها وتقاتلها وتدفعها عنها بتجدة الصلاة والقراءة والاعتراف ، فانها قد ارتفعت من مرتبة النبات الى مرتبة الحيوان ، لأنها صارت تحسّ وتتحرّك . واذا هي صارت أبداً مفكّرة بالله ، ناطقة بروحه ، ذات تمييز وفهم ، تفرز الخير من الشرّ ، تحبّ وتحنّ وترحم وتترأف على كل انسان ، فقد ارتفعت من مرتبة الحيوان الى مرتبة الانسان ، لأنها صارت صورة الله وشبهه ، وتحبّ كل مُحبّيها ومُبغضيها وَتنعَمَ إحسانها عليهم مثل الله تبارك اسمه . فيجب على الانسان ان يميّز نفسه في كل حين في أيّة مرتبة هو ، ويحرص ويجاهد بعون الله على الارتفاع من مرتبة دنياه الى ما هي أعلى منها .

(١) المرجع معكوس هنا ، مما يدلّ على ان النص مذكور غيباً .

(القراءة الخامسة من سفر الكون)

تقرأ ليوم الخميس من أول الصوم المقدس

الكتاب :

« هذه مبادئ السموات والأرض إذ خلقت يوم صنع الرب الإله الأرض والسموات . وكل شجر البرية لم يكن بعد في الأرض وكل عشب البرية لم ينبت بعد لأن الرب الإله لم يكن قد أمطر بعد على الأرض ولم يكن إنسان ليحرث الأرض . وكان يصعد منها بخار فيسقي جميع وجهها » (تك ٢/٤ — ٦) .

التفسير :

أبكم الله بهذا القول من يقولون إن السماء والأرض كانت خلقتهما قبل الايام الستة ، ويكذّبون ما قد قاله في العشر الكلمات . إنني في ستة أيام خلقتُ السماءَ والأرض والبحر وكل ما فيها . وقوله أيضا ها هنا يوم خلق اللهُ السماءَ والارض ، جعلها مخلوقة في يوم ، قال : خلَقها ، لم تكن خضرة ولا عشب بعد . لان ذلك لم ينبت الا في اليوم الثالث . من بعد خلقة السماء والأرض ، قال ، ولم يكن الله أمطر مطراً على الأرض ، لان المطر لم يكن الا من حمو الشمس ، والشمس لم تُخلَق الا في اليوم الرابع . قال : ولم يكن انسان يفلح في الارض ، لان الانسان لم يُخلق الاّ في اليوم السادس . قال : وكانت عين ماء تخرج من الارض وتسقيها كلّها ؛ وهذه اللجّة لم تنكشف الا في اليوم الثالث . وفي ذلك اليوم ، بغير تفليح انسان ، بغير مطر ، أنبت الله من الارض كلَ نبات بكلمته .

وهذا ذكَره الكتاب تعليما للنفس . وذلك ان الانسان ، لمّا يتعمّد بحميم الميلاد الجديد ويُخلَق جديداً ، ليس تُنتَزَعُ منه الاوجاع بالكليّة ، أعني قتالات الخطيئة ، بل تكون نابعة منه ومقاتلة له . وهو يقاتلها بقوّة الروح القدس الذي أخذه بالمعمودية ، ويضربها وتضربه ، ويدفعها وتدفعه ، وليس يمكنه أن يثمر أثمار الروح بنقاوة ولذّة من غير تعب ، بل بكلفة وحزن ، لان الشيطان ، عندما يراه يعمل عملا يُثمر ، يقاتله في ذلك العمل بالرغبة في المجد الباطل أو بالعظمة أو بدينونة مَن لا يعمل مثله أو بالضجر من العمل والتمرمر . فبهذا وما أشبهه يكون العملُ مُتعبا جدّا وغيرَ نقي بالكليّة ، لانه لا يكون نقياً بالكليّة وبراحة ، حتى يصل الانسان الى الكمال وعدم الاوجاع . وهذا لا يكون الاّ بعد جهاد كثير على تطهير النفس والجسد . واذا هو جاهد على هذَين الظهرين هكذا ، وصل بنعمة الله وقوّته الى عدم

الاوجاع ، وهو اليوم الثالث بعد الظهرين المقدّم ذكرهما. وكذلك ان المعمودية التي فيها أخذ النور وخُلقت نفسُه وجسده جديدَين من الخطيئة . فخلقة السماء والارض في اليوم الاول . والمعمودية هي اليوم الاول .

والتوبة التي بعد المعمودية الدائمةِ المستمرّة هي اليوم الثاني ، لانها هي السماء التي خُلقت في اليوم الثاني ، تفصل بين الماء الفوقاني والماء السُفلي ، لان التوبة هي بالحقيقة تفصل بين الاعمال الفوقانية السماوية الالهية وبين الاعمال السفلية الارضية الشيطانية . وفي اليوم الثالث ، كشف الله الماء السفلي عن الارض ، وبقوّته أنبتها وأثمرها . فكذلك بعد ملازمة التوبة والجهاد على التطهير بها من كل خطيئة جسدانية ، وخطايا الفكر ، يكشف اللهُ جميعَ الاوجاع بقوّته عن النفس بغتة ، وتعاين نورَ لاهوته مثل أعمى تنفتح عيناه وينظر نور الشمس ، وبقوّة الروح القدس الذي كشف عنه الاوجاع ، تنبت نفسه وتثمر أثمار الروح بغير تفليح ولا عمل ، بل بقوّة الروح القدس ، لانه قدكان يفلح ويعمل زمانا طويلا ولم تثمر نفسه أثمار الروح هكذا ، بل كان يحصد الافكار من نفسه دائماً . وهي تعود تنبت دائماً . فلما أظهر فيه الروح القدس فعله مثل الرسل يوم العنصرة أثمرت نفسه «**أثمار الروح التي هي المحبة ، الصلح ، الفرح ، طول الروح ، الخلوة ، الخيرية ، الامانة ، الوداعة ، الامساك**» (غلاطية ٥/٢٢ — ٢٣) .

الكتاب :

« وان الرب الاله جبل الانسان ترابا من الأرض ونفخ في أنفه نسمة حياة فصار الانسان نفسا حية . وغرس الرب الإله جنة في عدن شرقا وجعل هناك الانسان الذي جبله » (تك ٢/٧ — ٨) .

التفسير :

ذِكرهُ لخلقة الانسان ههنا مضاف الى ذكره الذي تقدّم اشار به الى كمال الانسان الذي عُدِمَ الاوجاع بالروح القدس ، وكون الله بقوّته يخلق نفسه خلقة جديدة بلا وجع . وكما خلقْ من التراب انساناً ، كذلك الانسان الذي يتّضع وينسحق بالتوبة وتصير نفسه عنده مثل التراب محقورة ومرذولة ، يخلقه اللهُ بروح قدسه انساناً كاملاً لان قول الكتاب : نفخ فيه نسمة الحياة فصار الانسان نفسا حيّة ، يعني انه يجعل روح قدسه يهبّ داخله «**كما هبَّ على الرسل يوم العنصرة مثل ريح عاصف**» (اعمال ٢/٢) ، فيصير الانسان نفسا حيّة ، يعني ان النفس العادمة الروح القدس هي ميتة من عمل الله وغير متحركة اليه ، وبطّالة منه بالكليّة ، كالجسد اذاكان عادم النفس يكون غيرَ متحرّك وبطّالاً من كل عمل ومُنتنَ الرائحة كنتانة النفس بالخطيئة التي هي عادمة الروح القدس . قال : ونصب الله فردوساً في عدن ، يعني ان الله ينصب الروح القدس الذي هو فردوس الحياة في عقل النفس الى أن تصل لعدم الاوجاع . وغرس الله روحه في عقلها . وحسنا قال الله : انه قبالة المَشرق ، لان المشرق منه تُشرِقُ الشمس ، ونور الروح القدس يُشرق للنفس من عقلها . فعقلها هو المَشرق الذي فردوسُ الروح القدس منصوبٌ فيه . وهذا الروح القدس يسكن في الانسان والانسانُ فيه ، كما قال الرب لرسله القديسين .

فالانسانُ يكون ساكناً في الروحِ القدس والروحُ القدس فيه . وانما سمَّى الروح القدس فردوساً ، لان الانسان الساكن فيه يتنعّم ويتلذّذ بنعيم اللاهوت الذي لا يُنطَقُ به ، يتلذّذ بنظر كل منظر يُفرح النفس ، لان عين النفس هي التي تنظر وتتلذّذ وليس عين الجسد . وتتنعّم بكل ذوق لذيذ طيّب يُطيب الفم ويُحلّيه ، وبكل رائحة لا يوصف طِيْبُها مثل قياس الذين يسكنون في فردوس أرضي ويتنعمون بالنظر والذوق والرائحة ؛ ولكنّه نعيمٌ فانٍ سريع الزوال . ونعيم الروح القدس باقٍ لا يزول ، تتنعّم به النفس التي ينعم عليها بعدم الاوجاع ، تتنعّم به وهي في الجسد قبل الموت . وأما قول الكتاب عن آدم : ان الله خلق جسده من التراب ونفخ فيه نسمة الحياة ، فنسمة الحياة التي قال عنها هي النفس العاقلة ، لان الله خلقها عند قوله : لنخلق انسانا على صورتنا وشبهنا . ثم خلق جسده ونَفَخَها فيه بروحه فصار الجسدُ حيّا بنفس عاقلة ؛ ثم غرس له الفردوس في المشرق وأسكنه فيه ، كَمَلكٍ ساكنٍ في قصر ناحيةَ من العالم . حسنا قال ان الفردوس في المشرق ؛ ومن أجل هذا أمرنا الروحُ القدس نحن المسيحيين أن تكون صلاتُنا أبدا الى المشرق . لان اليهود مدينةُ مقدسهم أورشليم . واليها كانوا يُصلّون . ونحن مدينةُ مقدسنا هي الفردوس ، مسكننا القديم . ولكونه في المشرق نُصِبَ ، أمرنا أن نُصلّي اليه ؛ لان ربّنا يسوع المسيح عند صعوده الى السماء ، منه صَعد ، وعلى سماء السماء فوقه جلس ، كما يقول داود النبي في ترتيله : « **سبّحوا الله الذي ركب على سماء السماء في المشرق** » (مز ٦٧/٣٣ — ٣٤) . وحقّق لنا أن الهنا يسوع المسيح جالس بناسوته على عرشه في الشرق ، ووجهه الى العالم ناظر ، لكي يكون كل مَن يُصلّي الى الشرق ويسجد بين يديه ، يُصلّي ويضرع لرحمته .

الكتاب :

« وأنبت الرب الإله من الأرض كل شجرة حسنة المنظر وطيبة المأكل وشجرة الحياة في وسط الجنة وشجرة معرفة الخير والشر . وكان نهر يخرج من عدن فيسقي الجنة ومن ثم ينشعب فيصير أربعة أرؤس اسم أحدها فيشون وهو المحيط بجميع أرض الحويلة حيث الذهب . وذهب تلك الأرض جيد . هناك المقل وحجر الجزع . واسم النهر الثاني جيحون وهو المحيط بجميع أرض الحبشة . واسم النهر الثالث حدَّاقل وهو الجاري في شرقي أشور . والنهر الرابع هو الفرات . وأخذ الرب الإله الانسان وجعله في جنة عدن ليفلحها ويحرسها . وأمر الرب الإله الإنسان قائلا من جميع شجر الجنة تأكل وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها فإنك يوم تأكل منها تموت موتا . وقال الرب الإله لا يحسن أن يكون الإنسان وحده فأصنع له بازآئه . وجبل الرب الإله من الأرض جميع حيوانات البرية وجميع طير السمآء وأتى بها آدم ليرى ماذا يسميها فكل ما سماه به آدم من نفس حية فهو اسمه » (تك ٢/٩ — ١٩) .

التفسير :

قال : إنَّ الله أنبت من الارض كل شجرة بهيّة المنظر وطيّبة الطعام ، وشجرة الحياة في وسط الفردوس وشجرة علم الخير والشرّ . حقّق ان لذّة ونعيماً موجودان في العقل الذي سكن فيه الروح القدس بالكمال . وشجرة الحياة موجودة في وسطه ، الذي هو المسيح . كما قال تبارك اسمه : « **ان الذي يحبّني ويحفظ كلامي ، أبي يحبّه وأنا أحبّه وأظهر له ذاتي . وأنا وأبي نجيء اليه وعنده نتّخذ المنزل** » (يوحنا

٢١/١٤ و٢٣) . حقّق انه يجعله له منزلا ومسكنا ، وهذا ، هكذا يكون الافراز فيه بالحقيقة الذي هو علم الخير والشرّ . والذي يتعمّد باسم المسيح ويُخلَقُ جديداً بالمعمودية على صورة الله وشبهه ، فهو يُترَكُ في الكنيسة التي هي فردوس الله والتي غرستها يمينه .

الكنيسةُ هي الفردوس والشجرة الطيّبة الحسنة التي في هذا هي وصايا المسيح . وشجرة الحياة التي في وسطه هي جسد المسيح ودمه . وشجرة علم الخير والشرّ هي الدينونة التي نهانا عنها ربّنا يسوع المسيح ، لانه قال لنا : « **حبّوا أولاد البيعة** » ، مثل قوله لآدم : كُلْ من كلِ شجرة في الفردوس ، ومن شجرة علم الخير والشرّ لا تأكل . قال : حبّوا كل مَن اسمُه مسيحي ، ولا تنظروا في أفعاله هل هي جيّدة أم رديئة ، فتحبّونهم وتبغضونهم لذلك ، بل من أجل المسيح الذي قد أُسميوا باسمه . حبّوا جميعَهم حبّاً متساوياً وأكثروا لهم الاحسان بمحبة المسيح ، ولا تُحبّوا مَن ترون انه جيّد فيهم وتبغضوا من ترون انه رديء . فمن فعل هذا قال « بالموت يموت » ، ومَن كان محسناً اليكم تُحبّونه . ومن كان منهم مُسيئا اليكم تبغضونه . فبهذا تأكلون من شجرة علم الخير والشرّ وبالموت تموتون ، لانكم ، كما قد أبغضتم من أساء اليكم ، كذلك هو بالمخافة العادلة يُبغضكم الرب عندما تسيئون اليهم ، كما قد كافأتم شرّاً بشرّ .

كذلك يكافئكم الرب عند شروركم ، لانه قال : « **لا تدينوا لئلا تدانوا . فاغفروا يغفر لكم** » (متى ١/٧ ؛ لوقا ٣٧/٦) . حقّق لنا ان الذي يبغض الذي أساء اليه ويكافئه شرّاً بشرّ ، فان الله يبغضه على ذنوبه ، ويكافئه ويعاقبه عن ذلك . ومن يغفر لمن قد يسيء اليه ، فالله غفرانا يغفر له كل ما عليه ، لكونه لم يأكل من شجرة علم الخير والشرّ . وكذلك مَن لا يُبغض خاطئاً ولا يرذله في قلبه بل يحزن عليه ويُكثر الصلاة عنه والوعظ له بمحبة ، ومن يغفر لمن أساء اليه ولا يدين مَن أخطأ ، فله يُعطى جسد ودم المسيح بحقّ ، الذي هو شجرة الحياة ؛ لانّ من أجل حفظ وصيّة الرب ، لم يأكل من شجرة معرفة الخير والشرّ ، يكون جزاه الاكل من شجرة الحياة . ولآدم شجرتان تُركتا في الفردوس هكذا حتى لا يأكل من الشجرة التي أُنهي الاكل منها ، خوفا من الاكل من شجرة الحياة .

وهذا الفردوس الذي هو الكنيسة ، المسيحُ هو الذي يسقيه بروح قدسه ، لان الشجر التي فيه هي الوصايا الالهية ، وكل من لزم يحفظها ، فالمسيح بروح قدسه يسقيه ويعضده وينمي وصاياه فيه ويثمرها داخله . ومن المسيح النهر المُحيي خرجت من الكنيسة أربعة أنهار حياة تسقي كلام الحياة لكافة المسكونة . قال الكتاب : ان النهر الاول فيه الذهب والياقوت والزمرّد . ذكر ثلاثة أفخر الحجارة وهي ثلاثتها معدنية طبيعة واحدة ، اشارة الى الثالوث المقدس المتساوي في الجوهر . فاما النهر الاول فهو انجيل متّى خاصة الاناجيل الاربعة . ذكره اذ قال : ان الرب قال لتلاميذه : « **تلمذوا كل الامم وعمّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس** » (متى ١٩/٢٨) . فذكر الآب والابن والروح القدس موجود مفرّق في كل كتب الكنيسة ؛ وأما مجموع هكذا فلا يوجد الاّ في انجيل متى ، النهرِ الاول الذي فيه الذهب والياقوت والزمرّد .

والنهر الثاني الذي هو جيحان ، ويصل يَسقي أرض مصر التي فيها كرز مرقسُ صاحبُ الانجيل الثاني ، بل وجميع البلاد التي يجوز بها هذا النهر ، جُعلت في كرسي مرقس ، أعني أرض الحبش والنّوبة . قال الكتاب ان الله قال : ليس جيّداً أن يكون الانسان وحده ، فنخلق له معيناً مثله . وهذا هو ناموس الكنيسة أن يكونوا بأجمعهم تلاميذ يتلمذون بعضهم بعضاً في حفظ وصايا المسيح . لان كذلك قال الرب لمعلّمينا الاولين : « **تلّمذوا وعمّدوا كل الامم . وعلّموهم حفظ كل ما أوصيتكم به** » (متى ١٩/٢٨ — ٢٠) ؛ يعني أدّبوهم بالوعظ والقوانين حتى يحفظوا كل ما أوصيتكم به ، لكي يكون لكل واحدٍ منهم انسان مثله يُعينه على حفظ وصايا المسيح . ومن ليس له معين هكذا فليس له سبيل أبدا أن يحفظ وصايا المسيح ، لان الله قال : ليس هو جيّد أن يكون الانسان وحده . فمن ليس له معلّم يُعينه بالادب والقانون على حفظ الوصايا ، فليس يحفظها أبدا ، لانه اذا عصا وصيّة منها وكان له مؤدب ، فمؤدّبه يعمل له قانوناً يغفر له تلك المعصية . واذا همَّ بالعصيان أيضا منعه خوفُ الله والقانون . فهو هكذا بالتأديب يتعلّم الوصايا معيشة الحياة المؤبدة بكل ما يتعلّم ، كما انَّ الصبيان يتعلّمون معيشة حياة الدنيا بخوف المؤدّبين . وأولاد الكنيسة هكذا ينبغي أن يكونوا صبيانَ المسيح تحت التأديب كل حين ، كما يقول أشعيا النبي للكنيسة : « **إنَّ أولادكِ يأتون محمولين على مناكب غيرهم** » (اشعيا ٢٢/٤٩) .

ثم ذكر الكتاب انَّ الله عزّ وجلّ أحضر الى آدم كل المواشي فأبدع لها أسامِيَ ، وكلُّ اسم أسماها به ثابتٌ الى الآن . قال : كل نفس حيّة به تُسمَّى الى الابد . أوضح الله لنا ها هنا عِظَمَ الحكمة التي في آدم ما لم توجد بغيره . ومن أجل أن الانهار الخارجة من الفردوس كانت محسوسة ، علمنا انه هو محسوس ، ولكنه محسوس معقول . والدليل على ذلك أنه معقول كونُ الذي يسكن فيه لا يموت . وآدم كان عائشاً فيه عيشاً عقلياً ولا حاجة له بالعيش الحسّي ؛ ولعلّ الله عن الشجرة الحسيّة نهاه ، لكونه لا حاجة له بها ان يأكل منها ، بل بالنظر الى حسنها فقط ؛ لكي تتلذّذ بنظرها عينُه الحسيّة ، كما تتلذّذ العين العاقلة بنظر الملائكة والامور العقلية . فلكون الغذاء العقلي لا يجعل جسدَه يجوع ، فلم يكن له حاجة بالاكل من الاثمار الحسيّة ، وانما أسماها علم الخير والشرّ ، لكون المغتذي بالاثمار العقلية ، اذا هو ذاقها ، علم رداءتها ومرارتها من جود وطيبة الاثمار العقلية .

والانهار الخارجة من الفردوس ، عند خروجها منه ، تغوص من منافذَ أنفذها لها الخالق وتخرج من تلك المنافذ في وسط الجبال ، فتظهر حيث العمران . كل نهر منها يخرج الى ناحية ؛ تصعد عيون من الارض وتُجمع تلك العيون الى موضع واحد ، تصيّرها نهراً . وكل هذه الانهار تنتهي الى البحار المالحة وتختلط بها . ومن حمِّ الشمس يصعد بخار من البحار المالحة ويصير سحاباً ، وتسير بأمر الله تعالى تمطر على الارض لكي تشرب منها وتزرع عليها كل أقطار الارض ، لانها في جريانها ليس يشرب منها سوى البلدان التي تعبر بها . دبّر الخالق تبارك اسمه بحكمته تدبيراً حتى صارت الارض بأسرها تشرب منها وتزرع عليها . وذلك في جريانها ليس يزرع عليها سور أرض مصر فقط لكونها وطيئة جدًا . يصعد عليها نهر جيحان عندما يمتلئ من المطر ويسقيها . وباقي الارض كلها لا تصعد الانهار تسقيها لكثرة علوّها . جعل الرب

سحاباً يأتي عليها من فوق ويسقيها جميعها . فأرض مصر الوطيئة تشبه بني اسرائيل الذين في بدايتهم كانوا يسكنون بأرض مصر . وفيها ظهرت آياتهم « **والرب يسوع المسيح — لذكره السجود — اليا حُمِلَ وهو طفل** » (متى ١٤/٢) دون جميع الارض ، لكونها شبه بني اسرائيل ؛ ونهرها الذي يسقي أرضها فقط هو شبه ناموس اليهود وأنبيائهم الذين أسقوهم وحدهم دون جميع الامم . ورسل المسيح ... نا يشبهون سحب السماء ، الذين بالقوّة التي تذرعوا من العلاء قدروا واستطاعوا أن يسقوا جميع الارض من ناموس الحياة ، العالية والوطيئة .

وناموس المسيح ليس هو غير ناموس موسى ، كما ان الماء الذي تمطر الامطار ليس هو غير ماء الانهار الخارجة من الفردوس ؛ بل هو ماء الانهار لطّفته حرارة الشمس وروحنته . وحينئذ تعالى وصار غمامَ ماءِ مطرٍ على الارض . وكذلك ناموس موسى لطّفه الروح القدس وروحنه ، وأعطاه للناس روحانياً لطيفاً نافعاً بحقّ ، وذلك ان ختانة الغلفة الجسدانية روحنها الروح القدس وقال : « **اختنوا غلفة القلب** » (رومية ٢٩/٢) ، وهي الخطيئة التي هي دخيلة على النفس ، وغلفة تسترها عن نظر الله . والخمير الذي أمر الناموس بتنقيته من البيوت روحنته نعمة الروح القدس . وقالت : « **الخمير شيء غريب يدخل بالعجين** » (غلاطية ٩/٥) ، وهو الخطيئة التي هي غريبة عرضا وطولا ؛ تدخل على النفس ؛ أجْلُوها ونقّوها منكم كل الايام التي هي كلها سبعة لا يوجد لها ثامن ، لكي بتنقية الخطيئة والصدأ بالتوبة دائماً تستحقّون لحم الخروف الالهي ؛ ناموس التوراة قال : « **خروفاً بلا عيب تذبحوه** » (خروج ٥/١٢) ، « **وكلوا لحمه مشوياً بالنار** » (خروج ٨/١٢) ، فتنعتقوا من عبودية المصريين . روحنته نعمة الروح القدس وقالت : الخروف هو المسيح ، خروف الله ، ابن الله الذي هو وحده دون كل البشر انسان بلا خطيئة ، دفع نفسه للموت الذي لم يكن يجب عليه من أجل أنه لم يخطأ ، فأحيا بموته جميع الخطأة المستحقّين الموت . وأعطاهم يأكلونه خبزاً مشوياً بالنار .

ناموس التوراة قال : « **الابرص نجس ، ومن له لونان في جسده هو نجس ، يجب أن يُري برصَه الكاهن ويقبل حدوداً حتى يطهّره** » (أحبار ٢/١٣ — ٣ الخ ...) . روحنته نعمة الروح القدس وقالت : الابرص الذي له لونان هو الانسان الذي له قلبان . ينبغي له أن يُطلع الكاهن على قسمة قلبه ، ويقبل منه حدوداً وقوانين حتى يطهر . ناموس التوراة قال : « **الرجل الذي يهرق زرعه في المنام والذي يهرقه مع زوجته نجسان يطهّران الجسد بالماء ولا يخالطان الجماعة حتى تغيب الشمس** » (أحبار ٤/٢٢ — ٧) . والذي يقطر منه زرعه دائماً نقطة بعد نقطة من مرض هو نجس ، ينعزل عن الجماعة حتى يزول مرضه هذا ويستحمّ بالماء ويتطهّر . روحنته النعمة وقالت : المعنى عن زرع النفس وليس زرع الجسد ، لان زرع الجسد لا ينجّس الاّ من أهرقه للذة الخطيئة بالقصد ؛ وذلك لو استحمّ في كل ماء البحار والانهار لم يطهر أبدا . وأما الجنابة والزوجة الحلال والقطر من مرض فليس ينجّس ، بل المعنى عن زرع النفس العاقلة الذي هو كلامها .

قال من غفل عن نفسه حتى تخرج منه كلمة بطّالة أو هزء أو مزاح أو شتيمة أو كذب فيكون ذلك

بالقصد ، بل بغفلة كنائم العقل ، فهو نجس ، لانه لا بدّ أن يعطي جواباً يوم الدين عن كل كلمة وعن ذلك الكلام . قال الرب : فيجب ان يستحمّ من تلك الخطيئة بالتوبة ، لانه اذا اعترف وأخذ عن ذلك قانون توبة ، غسله بالروح القدس من الذنب ، كما يقول يوحنا المعمداني : **« أنا أعمدكم بالماء والمسيح بالروح القدس »** (متى ١١/٣ ؛ مرقس ٨/١ ؛ لوقا ١٦/٣ ؛ يوحنا ٢٦/١ و٣٣) . والذي يسكب زرعه مع زوجته هو الذي يتكلّم بالكلام الصالح الشرعي المأمور به وربما اختلط معه مجد باطل ، فينبغي أيضا أن يغتسل منه بالتوبة . ومن دام يغتسل هكذا من كل زلّة ، فاذا لم تبطل منه الزلاّت بالكليّة وتنقطع قبل الموت ، فليس يخالط جماعة الكملاء حتى يموت . وهو دائم بالتوبة عند غياب الشمس ؛ فانه في ذلك الوقت يحسَب مع القديسين الكملاء لكونه كان ينقّي نفسه من كل زلّة تحدث له أولا بأول . والذي يقطر زرعه دائماً من مرض هو الذي لسانه دائماً لا يحتفظ به مع الزمان ويتكلّم بما لا يجب ، وهو أبدا نجس حتى يكفّ من هذه الحال ويحفظ لسانه ويأخذ توبة عن ما تقدّم من تفريطه ، ليغسله الروح القدس .

ناموس التوراة قال : **« امرأة يسيل دمها في الطمّة أو الميلاد والسقط والنزيف فهي نجسة ومن خالطها يتنجّس »** (أحبار ١٩/١٥) . روحنته النعمة وقالت : ليس ينجّس الامرأةَ دمُها لان الله خلقه وكل خلقة الله جيّدة . كما قال في التوراة ، ولا من يخالطها نجس ، سوى رجلها الذي يضاجعها . فانه يخطأ خطيئة عظيمة لكونه ، بمخالطة ذلك الدم المفسود ، لا بدّ له أن يتجذّم أو يتبرّص ، إمّا هو وإما الولد الذي يعلق به في ذلك الوقت . واما غير هذا الفنّ ، فلا تكون الامرأة نجسة ؛ ولو كانت نجسة ، لكان الرب غضب على نازفة الدم التي لمسته ، لكونها نجسة ، بل لكونها نالت الشفاء لوقتها من مرضها من ملامسته . بل سيلان هذا الدم يعني عن النفس التي لا تحرس ذاتها من الافكار النجسة ، بل قلبها مع الزمان ينبع حقداً وبغضة وحسداً ودينونة ومحبة فضة وزنى وغيظاً وسُبحاً باطلاً وضجراً وغير ذلك ممّا أشبه هذه من سائر الاوجاع . وليس هذا وقتُ نصِفُ فيه كل التوراة التي روحنها ناموس المسيح . له السجود دائماً أبداً .

القراءة السادسة (من سفر الكون)

ليوم الجمعة في أول اسبوع من الصوم المقدس عشيّة

الكتاب :

« فدعا آدم جميع البهائم وطير السماء وجميع وحش الصحراء بأسماء . وأما آدم فلم يوجد له عون بإزائه . فأوقع الرب الإله سباتاً على آدم فنام فاستل إحدى أضلاعه وسدّ مكانها بلحم وبنى الرب الإله الضلع التي أخذها من آدم امرأة فأتى بها آدم . فقال آدم ها هذه المرة عظم من عظامي ولحم من لحمي . هذه تسمّى امرأة لأنها من امرئ أُخذت ولذلك يترك الرجل أباه وأمه ويلزم امرأته فيصيران جسداً واحداً . وكانا كلاهما عريانين آدم وامرأته وهما لا يخجلان » (تك ٢٠/٢ — ٢٥) .

« وكانت الحيّة أحيل جميع حيوان البرية الذي صنعه الرب الإله فقالت للمرأة أيقيناً قال الله لا تأكلا من جميع شجر الجنّة . فقالت المرأة للحية من ثمر شجر الجنّة نأكل وأما ثمر الشجرة التي في وسط الجنّة فقال الله لا تأكلا منه ولا تمسّاه كيلا تموتا . فقالت الحية للمرأة لن تموتا إنما الله عالم أنكما في يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما وتصيران كـآلهة عارفي الخير والشرّ . ورأت المرأة أن الشجرة طيّبة للمأكل وشهيّة للعيون وأن الشجرة منية للعقل فأخذت من ثمرها وأكلت وأعطت بعلها أيضاً معها فأكل . فانفتحت أعينهما فعلما أنهما عريانان فخاطا من ورق التين وصنعا لهما منه مآزر . فسمعا صوت الرب الإله وهو متمشّ في الجنة عند نسيم النهار فاختبأ آدم وامرأته من وجه الربّ الإله فيما بين شجر الجنة . فنادى الرب الإله آدم وقال له أين أنت . قال إني سمعت صوتك في الجنة فخشيت لإني عريان فاختبأت . قال فمن أعلمك أنك عريان هل أكلت من الشجرة التي نهيتك عن أن تأكل منها . فقال آدم المرأة التي جعلتها معي هي أعطتني من الشجرة فأكلت . فقال الرب الإله للمرأة ماذا فعلت فقالت المرأة الحية أغوتني فأكلت . فقال الرب الإله للحية إذ صنعت هذا فأنت ملعونة من بين جميع البهائم وجميع وحش البرية على صدرك تسلكين وتراباً تأكلين طول أيام حياتك . وأجعل عداوة بينك وبين المرأة وبين نسلك ونسلها فهو يسحق رأسك وأنت ترصدين عقبه . وقال للمرأة لأكثّرن مشقّات حملك بالألم تلدين البنين والى بعلك تنقاد أشواقك وهو يسود عليك . وقال لآدم إذ سمعت لصوت امرأتك فأكلت من الشجرة التي نهيتك قائلاً لا تأكل منها فلعونة الأرض بسببك بمشقة تأكل منها طول أيام حياتك وشوكاً وحسكاً تنبت لك وتأكل عشب الصحراء . بعرق وجهك تأكل خبزا حتى تعود الى الأرض التي أُخذت منها لأنك تراب والى التراب تعود . وسمّى آدم امرأته حوّآء لأنها أم كل حي » (تك ١/٣ — ٢٠) .

التفسير :

أوضح الله لنا في كتابه عِظَمَ الحكمة التي خلقها في آدم ، بقوله إنّه صنع أساميَ لكل البهائم والوحوش والطيور ، لكي نعلم السببَ الذي به عظمت معصيتُه وصعبت على الله جدّاً ، لأنّ الانسان ، كلّما عظمت معرفته ، عظمت خطيئته في معصيته . قال وان آدم لم يجد له في الحيوان مُعيناً مثله ، فأنزل الله عليه سُباتاً من نوم وأخذ ضلعاً من أضلاعه وملأ موضعه لحما . وبنى الضلع وأنشأه امرأة . وأوضح

كتاب الله : ان آدم لو لبث في الفردوس في الطاعة ، لم يَحْتَجْ الى التناسل البهيمي ، كما قد خلق الله منه بشراً مثله . كان يستطيع ان يخلق منه لذلك ما لا يُحصى . قال : « وملأ موضع الضلع لحماً » ، حتّى لا يتعوّض عوض الضلع فينساه . بل ليكون بذكره أبداً ، ويحبّ المأخوذَ منه ، لكونه لم يستبدل بضلع عنه . قال : وقرّبها الله من آدم ، فقال : الآن هذه عظم من عظامي ، ولحم من لحم . ومن أجل هذا يترك الرجل أباه وأمّه ويلتصق بامرأته ، ويكونان كلاهما جسداً واحداً .

عَظُما هكذا في المعرفة والفهم الروحاني أوضحَ اللهُ لآدم ، اذ نظر حوّاء . فعلم انّها من لحمه وعظمه ، من غير أن يعلم بالضلع المأخوذ منه ، لأنّه أُخِذَ منه . ثمّ اسماها امرأة . وقال : تسمّى هكذا ، لأنّها من رَجُلِها مأخوذة . وتنبّأ وعلم أنها منه أُخِذَت . ثمّ تنبّأ على الأب والأمّ اللّذين سيكونان ، وعلى ترك الرجل لهما ، والتصاقه بامرأته ، الأمر الذي لم يكن بعد ولا عُلِم ؛ ثمّ وُضِعَ الناموس المسيحي قائلاً : « انّهما جسد واحد » (أفسس ٣١/٥) . هذا غير ناموس موسى الذي أمر بالطلاق . لأنّ موسى ، لقساوة قلب قومه ، وتَغَلُّبِ الشيطان عليهم وعلى كل جنس آدم ، خاف أن يمنعهم من الطلاق ، ويَكْرَهَ أحدُهم امرأتَه فيقتلها ، لكون الشريعة لا تفسّح له في طلاقها . فلذلك فسّح لهم في الطلاق ، لأنّ طلاقها خَيْرٌ من قتلها . وربّنا المسيح ، لمّا كسر قوّة الشيطان بصليبه ، ورفع تغلّبه عن كلّ من لا يريد أن يُطيعه ، أعطانا الناموس الذي رَسَمَ آدم ، وهو أن يكون الرجل والامرأة جسداً واحداً ، وانّ هذا السرّ ، قال بولس ، « **عظيم هذا السرّ ، لكونه سرّ اتّصال المسيح سيدنا بجماعته التي هي عروسته** » (أفسس ٣٢/٥) التي أهرق دمَه عنها ، حتّى وهب لها عوض هرق دمه معموديةَ الماء تتقدّس بها ، « **لكي تكون طاهرة مثله مقدّسة بلا عيب** » (أفسس ٢٧/٥) ، فتكون معه روحاً واحدة ، كما يكون الرجل وامرأته جسداً واحداً .

وسرّ عظيم في هذا الكلام : إن الرجل يأخذ امرأة لا تقرب له في الجنس البتّة ويلتصق بها ، فتكون محبوبة عنده مثل والديه اللّذين منهما خرج ، لأنّ اشتراكهما في نعمة الروح القدس التي شملتهما في وقت المعمودية والاكليل قدّسهما من كلّ عيب جسداني ودنس ، واستحقّا كذلك النعمة « **أن يكون السّيد المسيح لهما كالشجرة ، ويكونان هما له كالأغصان** » (يوحنا ٥/١٥) ، حسب قوله . فحينئذ يصيران جسداً واحداً ، لكونهما قد صارا أعضاء المسيح ، وانّ كلّ واحد منهما قائم بذاته في نفسه ومُيَسَّراً لما غلبه الله عليه وفوّضه له . قال : وكان آدم مع امرأته عريانَين ولا يستحيان . وذلك لكون عقليهما لم يكونا أسفل عند أجسادهما ، بل كانا مشغولَين بالروحانيات التي بها يتنعّمان ويتلذّذان ، ولا يَدريان بالجسد عريان هو أم لابس ، وذلك أنه كما كان قد تقدّم القول في كتاب الله : أنبت اللهُ من أرض الفردوس كلّ شجرة حسنة المنظر وطيّبة المأكل جسدانيّة ، وشجرةَ الحياة التي هي لذّة لاهوته ونعيم روح قدسه عند الملائكة في وسط الفردوس ، مع تلك الشجرة الجسدانية التي أسماها « شجرة معرفة الخير والشر » ، ونهى آدم عن أكلها والدنوّ اليها ، ولكيلا ينحطّ عمله من اللذّات الروحانية واللاهوتيّة الى

الأمور الجسدانية فيستوجب الموت ، فليتعلّق عقلُه وعقل امرأته وأشغاله باللذّات اللاهوتية ، لم يدريا أنهما عريانان .

قال : وكانت الحيّة أحكم من جميع الوحوش التي خلقها الله . كيف ومتى تكون الحيّة غير الناطقة تُسمّى في كتاب الله ذكيّة ، وليس لها نفس عاقلة ؟ كل هذا القول عن الشيطان خاصة الذي أخفى نفسه في الحيّة ، لكي اذا سمعاها تتكلّم ، يتعجبان منها وينخدعان ويميلان الى كلامها . لذلك سُمّي حكيماً ماكراً في الشرّ ، لا في الخير . لأن ليس عنده خير . قال : فانّ الحيّة قالت للامرأة : لأيّ شيء منعكما اللهُ من كلّ شجرة في الفردوس ؟ هذا قاله لأنّه فكّر في نفسه أن الله قد منعكما من أكل الشجرة الأرضية لكونها دنيئة جداً . وخاف أن يسألها إن كان الله منعهما منها ، فيفطنا بخداعه ويَحذرانه ولا يُخبرانه الحق . فنصب وقال : لماذا منعكما الله من أكل كلّ شجرة في الفردوس ؟ ولم يقصد بهذا القول آدم ، لعلمه انّه أفهم من حوّاء .

وربّما فطن به ، بل قصد مَن يأنسُ اليها آدم ويرجع الى قولها . وصنع له الطغيانَ بها . وهذا فعله مع كلّ من يَحذره ويعرف بشرّه . ويحرص أن يطغيه ويهلكه بمن يأنس اليه ، إمّا بامرأته ، أو بولده أو بأخيه أو بصديقه أو بتلميذه . يجب على كل من يحذر فخاخ العدو أن يحذر ممّن يقرب منه هكذا ، بل يحذر لكي لا يخدعه الشيطان ، لانّه ليس هو أفضل من آدم ، ولا الذي يتبعه ويقرب منه أفضل من حوّاء . وقد أمكن الشيطان أن يتكلّم فيها ويخدع آدم بها . كان الشيطان ماكراً عيّاراً في الشرّ ، وحوّاء ساذجة . من ساعتها كشفت له باطن الوصيّة وبلّغته غرضَه . وقالت له من كلّ ثمرة الشّجر نأكل الاّ من ثمر الشّجرة التي في وسط الفردوس ، قال لنا : لا نأكل منها ولا ندنو اليها لئلاّ نموت . فالويل ثم الويل لمن يكشف الشيطانُ باطنَه ويسبّب له أن يعلم هواه ، خيراً كان أم شرّاً . فانّه بما يعلمه من هواه يهلكه ، وذلك انّه إن كان هواه رديئاً ، فهو يلده ويساعده على اتمامه . وان كان هواه صالحاً ، فهو إمّا يقاتله بلذة أو بشهوة ، أو أمر دنيوي يطارد ذلك الصالح ويمنعه منه . فاذا لم يمكنه ذلك ، وعلم أنه لا يقدر أن يبطله من ذلك الصلاح ، جعله يتعظّم به ويلتمس المجد الباطل من أجله أو يدين ويحقد ويفتخر على مَن لا يعمل مثله أو يزيد فيه فوق القدر زيادة عن الحدّ المحدود . وكلّما يزيد عن الحدّ فهو ناقص من المحدود .

الكتاب : إنّ حوّاء لمّا قالت له إنّ الله منعَنا من الشجرة لئلاّ نموت ، قال لها : ليس اذا أكلتما منها تموتان ، بل الله علم أنكما اذا أكلتما منها تنفتح أعينكما وتصيران مثله آلهة . كذّبَ العدوُّ الشرّير كلمةَ الله ونسبه الى الكذب والبخل ، ورغّبهما بالشرف والعظمة ليسقطها بذلك ، كما سقط هو بها . وهو بمثل هذا يُسقط كلَّ الذين يطيعونه ، ويجعلهم يُكذّبون كلمة الله ، ويتوانون عن العمل الذي يُخلّصهم من مواعيد عقابه ويتعظّمون . **قال الكتاب** : إن حوّاء نظرت الى الشجرة اذ هي حسنة المنظر ، طيّبة المأكل ، فأخذت منها ، أكلت وأعطت زوجَها فأكل . لذلك يحسّن العدوّ للانسان أمرا مهما كان حتّى يقبل منه ذلك . وينظر الى الامر ويتفرّسه إن كان هو حسناً كما قال له . فالعدو للوقت يجعله عنده حسناً

جدًا. لا يكون أحسن منه شيء ولو كان بالحقيقة قبيحاً وحشاً. وكذلك اذا كان الشيء جيّداً وأراك الشيطانُ أنّه رديء، وتقبل منه وتنظر اليه لتتفرّسه، فهو للوقت يُريك أنّه أردأ من كلّ شيء. فطوبى ثمّ طوبى لمن لا يقبل من العدوّ ما يقوله له إنّه جيّد، ولا ما يقوله له إنّه رديء. هذا العدوّ الشرّير، اذا ما علم من فكرك أنّك فرحان بوصايا الرب، وفي ذلك الرجاء المُعَد. فللوقت يرفعك للعظمة. واذا ما علم أنّك حزين من أجل ذنوبك، وانت منسحق القلب، للوقت يحطّك الى اليأس وقطع الرجاء؛ فطوبى لمن في فرح الرّجاء لا يقبل منه فيتعظّم، بل يتّضع اكثر ويقول: لولا نعمة المسيح وقوّته لم انهض بعمل وصية واحدة. وطوبى لمن في الحزن وانسحاق القلب لا يقبل منه شيئا، بل يقول: أنا اؤمن أن رحمة المسيح تعينني على الوصول الى الغفران والنقاوة من كلّ خطيئة.

قال الكتاب: أكلت حوّاء وأعطت رَجُلَها فأكل. ولوقتهما علما أنّهما عريانان. لمّا أكلا من الثّمر الجسداني ونزل عقلهما الى الجسد فأنزلَ وانحط من اللذّة العالية، نظرا عُرْيَةَ الجسد، وللوقت حملا همّه وسترة عورته. وأوصلا لهما ورق التّين متزراً، وصحّ بهذا ان الخطيئة تُعمي العقل وتتلف الافراز. عن آدم الحكيم الذي أبدع اسماً لكلّ حيوان. لما أخطأ، تلف افرازه حتّى علم أنّ ورق التين لا تثبت سترته، بل تجفّ وتتلف. ولعمري انّ اللذّات العالميّة كلّها تحصل منها لذّة. ولمّا يحصل من سترة ورق التين حيناً، يسير ثمّ يضمحلّ ويبقى الانسان ندماناً، فلمّا أخطأ آدم هو وحوّاء جعلهما الرّب ينظران عريهما لكي يستحيا ويتّضعا فتنالهما الرحمة. فلم يحتملا هما الفضيحة لكثرة عظمتهما، بل اخذا ورق التين وسترا عُرْيهما. فلذلك لمّا كانت شجرة التين لا ثمر فيها. بل الورق فقط الذي ستر الفضيحة النافعة، لعنها الرب المسيح تبارك اسمه وقال: «**لا تخرج منك ثمرة الى الابد**» (متى ٢١/١٩؛ مرقس ١١/١٤؛ لوقا ١٣/٦). يعني الذي يستر خطاياه ويحتشم أن يعترف بها لا تخرج منه ثمرة التوبة الى الابد، لانّ عظمته هي التي تمنعه من الاعتراف، لانّه يخشى من الفضيحة الزائلة ويدفع لنفسه الفضيحة الدائمة.

قال الكتاب: وانّهما سمعا صوت الرب ماشيا في الفردوس وقت المساء. فاختفيا من وجه الرب في شجر الفردوس. فدعا الرب آدم قائلا: آدم أين أنت؟ قوله له أين أنت يعني أين عقلك الحكيم الذي جعلتَه ملآناً من حكمتي. وأبدعتَ اسماً لكلّ الحيوان وتنبّأتَ وعلمت الغيب، وما سيكون قبل كونه؛ أفسدتِ الخطيئةُ عقلكَ وفهمك الحسن حتّى تظنّ أنّه يمكن مخلوق أن يختفي عنّي أنا الذي لا يخلو منّي مكان. أين أنت من ذلك الفهم الحسن؟ قال: أنّهما سمعا صوت الرب الاله يمشي، يعني صوت قدميه. والرب الاله، ذلك الوقت، ليس كان له جسد. فكيف يمكن أن يُسمع له صوت مشي؟ ولكن أَسمعه الصوتُ نبوءةً أن سقطتَك هذه لا يكون لك منها خلاص حتّى أتجسّد من ذرّيتك وأمشي على الارض بقدمين يُسمَعُ صوتهما. ولذلك سأله: «أين أنت». كما يسأل البشر الذين لا يدرون. ليعرّفه أني لا بدّ أن أصير انساناً من اجلك وأتشبّه بالناس بكلّ شيء ما خلا الخطيئة.

قال: وكان سماعهم صوت مشيه وقت المساء، ليعلّمه أن في آخر الزمان يكون هذا التجسّد. واختفيا من وجه الرب. لانّ الخطيئة تقطع الدّالّة. ومن اجل هذا، أمرت الكنيسةُ ان يكون الممنوع من

القربان من اجل خطيئته ، وهو تحت قانون التوبة ، لا يظهر بين يدي الرب وهو متجسّد على المذبح . بل بعد فروغ قراءة الانجيل ، عندما يأمر الشمّاس بخروج التائبين ، في ذلك الوقت يخرج وهو ندمان وحزين ويلوم نفسه لماذا أخطأ وحرم نفسه شجرة الحياة ، يعني جسد الرب ودمه . قال الرب لآدم : أين أنت ؟ توبيخا له ، لانّ الخطيئة أعمت عقله ، وظنّ انّه لا يَعرف له موضعاً . فقال : سمعتُ صوتك ماشياً فاختفيتُ لانّي عريان . قال له : من أعلمك أنّك عريان ، لانّك قد أكلتَ من الشجرة التي نهيتُك عنها أن لا تأكل منها وحدها . قال له الرب هذا القول برفق ولطف ، لعلّه يتّضع ويقول أخطأتُ ، وذلك أنّه لو فعل هذا غُفرت له الزّلة . أجاب قائلا : الإمرأة التي جعلتَ معي هي التي أعطتني فأكلت . ردّ اللائمة على ربّه من عظمته ولم يَلُم نفسه ، لانّ المتعظّم قطّ لا يلوم نفسه في زلّة يزلّها ، بل إمّا ان يلوم ربَّه أو الشيطان ، أو واحداً من الناس أو معنى من المعاني يوجب الملامة عليه دون نفسه . وهذه علامة الذي هو متعظّم ، أعني مَن لا يلوم نفسه في الزّلات .

التفتَ الربّ الى حوّاء قائلا : لِـمَ فعلتِ هذا ؟ لعلّها تتّعظ وتقول أخطأتُ فيترحّم عليها . بل لم تتركها العظمة تتّضع وتلوم نفسها ، بل أوجبت الملامة على غيرها قائلة : الحيّة هي التي أطغتني . ومن أجل هذا قلنا : إن الذي يخطأ لا يجب أن يلوم أحداً ولا الشيطان بل نفسه فقط يلوم . قال الربّ للحيّة : لانك فعلتِ هذا ، ملعونة تكونين من دواب الارض ، تمشين على بطنك وصدرك . وأترك العداوة بينك وبين الامرأة وبين زرعك وبين زرعها . وهو يرصد منك الرأس ، وأنتِ ترصدين عقبه . هذا القول كان للحيّة وهو كان خاصاً بالشيطان ، وانّما الكتاب سمّى الشيطانَ باسم الحيّة .

أراد الربّ أن يجعل الحيّة مثالا له ، لكي يعرف منها شرّه ومضرّته . وذلك انّه خلق الحيّة مسمومة قتّالة ، يهرب منها كلّ الناس . وكل من قدر على قتلها ، أسرع بذلك ، لكي يكون خوفُنا منها ، وحذرُنا من أجل ما يأتينا منها من الموت تعليماً لنا أن نتحذّر أكثر ونخاف من الذي يمكنه أن يميتنا بسمّه خلاف الحيّة . لانّ سمّ الحيّة يميت الجسد الذي لا بدّ له أن يموت . وسمّ الشيطان يُلقي النفس غير المؤاتة في النار المؤبّدة . وكما انّ الحيّة إذا لسعت وصلت لسعتُها الى الجسم ، إذا لم يُسرع الانسان أن يقطع موضع السمّ ، ويَلحقه سريعا قبل تمكّنه منه ، والاّ هو للوقت يسري فيه ويميته ، كذلك اذا ما الحَنَشُ العقلي ، الشيطان ، لسع النفس بفكر من أفكاره ، اذا لم يُسرِع يقطع موضع السمّ بصلاة وتضرّع وطلبة من المسيح واعتراف وتذكار كلام الله حتّى ينطرد الفكر منه ، الذي هو السمّ ، يضمحلّ بقوّة الروح القدس الذي بسيفه الروحاني يقطع السمّ من كلّ من يسرع يتضرّع اليه في ذلك ، والاّ فهو يخطأ ويموت . والذي لا يمكنه ان يقطع موضع سمّ الحيّة ، ويتوانى حتّى يسري فيه ، فهو يسرع يشرب أدوية تحطه (كذا) منه . كذلك ينبغي لمن يتمكّن منه سمّ الشيطان أن يُكثر درس الكتب الالهية ، ودرس الصلوات ، حتّى يزول منه ذلك الفكر . وان كان قد تمكّن وصار فعلاً ، فقد مات ذلك الانسان من الله ؛ والذي يلسعه حنش اذا مات لا يعيش .

وامّا الحنش العقلي ، فإنّ المسيح لمّا مات عنّا أوجب الحكم عليه وأعطانا جسده ودمه المحيي نحيا

به من لسعته بعد الموت . وذلك انّه أمرنا ان نعترف ونأخذ قانونَ توبة عن تلك الخطيئة التي قد منعتنا من الجسد والدم المحيي . فاذا فعلنا ذلك وتمّمنا قانون التوبة ، أقامنا الجسد والدم المحيي من الموت قيامة من موت النفس ، أفضل جدًا من قيامة موت الجسد . وهذا هو القول الذي قاله الربّ : **« انّ من يؤمن بي لا يموت ، وان مات فهو يحيا »** (يوحنا ٦/٤٠) . نحيا بالتوبة كما قلنا ؛ وكلّ حيّ يؤمن بي لا يموت الى الأبد ، يعني المُلازم أخْذَ السرائر المقدسة ، الذي من امانته بها ومحبّته في تناولها ، يمتنع من قبول كلّ فكر نجس أوجب له الخطيئة ، التي تمنعه منها .

وكلّ حيّ يؤمن بي هكذا ويستمرّ على هذا الفعل لا يموت الى الأبد . يعني لا يموت بالخطيئة موتا يمنعه من تناول السرائر المقدّسة المحيية . قال الله للحيّة التي هي الشيطان : ملعوناً تكون ، يعني من أجل الشرّ الذي تفعله . لانّ فاعل الشرّ ملعون ؛ تمشي على بطنك وصدرك ، يعني أنّ الشيطان ليس له أبدا سعي إلاّ على شهوة بطنه أو شهوة قلبه . وتأكل التراب جميع أيّام حياتك ، يعني انّ التابع له ، فكرهُ أبدا في الارضيّات وليس بالسّماويّات . وأجعل العداوة بينك وبين الامرأة وبين زرعك وزرعها ، حقّق أنْ ليس لجنس آدم عدوّ سواه هو وجنده . وكلّ من يعادي آدمياً ، كافراً كان أو مؤمناً ، فهو من زرع الشيطان ، لانّ الله قد قال إنّ زرع الشيطان يعادي بني آدم وحوّاء . قال : هو يرصد منك الرأس ، وأنت ترصد منه العقب يعني أن يكون الانسان أبدا دائماً يرصد ويحرس قلبه من فكر الشّيطان ، لا يخلّي بدءَه ، الذي هو رأسه ، يصل الى قلبه . كما يحرس نفسه من سمّ الثّعبان ، لا يخلّي رائحته تصل الى جسمه . هذا هو ترصّدنا نحن لرأسه الذي من رصده هكذا سلم من سمّه كلّ أيّام حياته لا يلسعه ، كما أنّ الذي يرصد رأس الحيّة لئلاّ تلسعه سلم من الموت . وامّا ترصّده لعقبنا هو مثل الثّعبان الذي لكونه على الارض وعقبنا على الارض فهو أبدا يمكنه أن يلسعنا فيه .

ومن أجل هذا أمرنا من الحدود الطبيعية ان نكون نستر أرجلنا بأحذية . كذلك الحنش العقلي لكونه روحاً ويندسّ في القلوب ، فهو يمكنه أن يلسعنا في قلبنا بفكرٍ يبذره فينا . فيجب علينا كلّ حين أن نستر قلوبنا منه بالقراءة المستمرّة والصلاة الدائمة وذكر الله بلا فتور . يكون هذا الفعل حِذاءً لقلوبنا نستره من لسعته ، واذا ما نظرت عيننا أو سمعت أذننا أو شمّ أنفنا أو ذاق لساننا أو لمست يدنا ما نعلم أنّه ينجّس قلوبنا ، نسرع نتخبّأ عن ذلك ، ونهذي في قلوبنا بالصّلاة الدائمة ، لكيلا يصل الشيطان الى ذكر ما قد شهدناه أو التفكّر فيه . ومع هذا نعلم أنّ آدم ، لمّا خُلق ، لم تكن للنطفة في جسمه حركة ولا فعل ، بل كان جسمُه كجسم المولودين ، لا فعل نطفة فيه . فلمّا عصا ربّه واستحقّ الموت ، تحرّكت فيه النطفة وصارت فاعلة .

وكذلك الثعبان والحيّات والعقارب ، لمّا خُلِقَت ، لم يكن لها سمّ ؛ بل لمّا أخفى الشيطان نفسه في الحيّة واراد الربُ أن يكون هذا الجنسُ عندنا قياسَ الشيطان ، نتعلّم منه شرّه ونحذره ، جعل هذا الجنس ذا سمّ من الوقت الذي لعن الحيّة . ولمّا عاقب الله الحيّة ، عاد عاقب حوّاء بالكثرة : أُكثّر أحزانك وتنهّدك ، وبالحزن تلدين البنين ، وتكونين مذلولة لرجلك . حوّاء وآدم كانا قياس الجسد

والنفس . وذلك أن الشيطان كما لم يجاسر على آدم ، فطغى حوّاء وجعلها خدعت آدم ، كذلك يفعل الشيطان بالجسد : يخايل له بشهواته ولذّاته ، ويحسّنها قدّامه ، ويحرّكها فيه ، حتّى اذا ذاقها ، أوصلها الى العقل . فاذا ذاقها العقل معه ماتا كلاهما . وهذه العقوبة التي عوقبت بها حوّاء من الله ، بها يعاقب الجسد لانّه كثير الحزن بالتعب والشقاء والعبوديّة . والامرأة هي هي أيضا لم تعاقب بشدّة الطلق ، إلاّ من اجل اللذة التي ذاقت طيبها عند الحبل : جعل الله الآلام عوض اللذة ؛ ولذلك انّ سيّدتنا والدة إلهنا ، لمّا كان حبلها بغير لذّة رجل ، لم يكن طلقها بالألم . فكان بها انحلال العقوبة المحكوم بها على الجنس .

الكتاب :

« وقال لآدم اذ سمعت لصوت امرأتك فأكلت من الشجرة التي نهيتك قائلا لا تأكل منها فلعونة الأرض بسببك بمشقة تأكل منها طول ايام حياتك . وشوكا وحسكا تنبت لك وتأكل عشب الصحرآء . بعرق وجهك تأكل خبزا حتى تعود إلى الأرض التي أخذت منها لانك تراب والى التراب تعود » (تك ١٧/٣ — ١٩) .

التفسير :

قال له : خيّرتَ امرأتك عليّ وطعتها دوني . الارض ملعونة من أعمالك ، يعني بلعنة الأرض نبات الشوك والحسك فيها ، الذي بسببه يكون وجود الخبز منها بالشّقاء . ولذلك قال له عند لعنة الارض : إن بالمشقّة تأكل منها دائما وتنبت لك الشّوك والحسك ، كما تجدّدت النطفة في الانسان عند المعصية ، والسمّ في جنس الحيّات ، كذلك نبت الشّوك في الأرض عند لعنتها بسبب فعل آدم ، ثمّ أنبت له الشوك ليُتعبه في تفليح الارض . ثمّ قال له : بعرق وجهك تأكل خبزك ، وذلك انه من أجل المعصية قضى بالتعب على جنس آدم ، الرجال والنساء : النساء أتعبهنّ بكثرة الحزن والغمّ وألم الطلق ، وخضوعهنّ تحت رأي رجالهنّ ، وتسلّطهم عليهنّ ؛ والرجال أتعبهم بالعمل والكدّ والشقاء . قال : وتأكل العشب ، يعني نبات الارض . عاقبه بهذا الغِذاء ، لكونه كان في الفردوس ليس هذا يغتذي ، بل غذاءً روحانياً مثل الملائكة . فلمّا كان لم يعرف الكرامة التي كان فيها ، جعله يغتذي بالنبات مثل البهائم . ثمّ قضى عليه بالتعب الى يوم موته ، لانّه قال : حتّى تعود الى الارض التي منها أُخِذْتَ لانّك تراب ، والى التراب تعود .

والقول الذي قضى به على الجسد ، أصاب النفسَ أيضا مثله سواء . وذلك أنّ الشيطان سكن في النفس وجعلها تُنبت أفكارا وسخة ، وضمائر نجسة تضرّ وتؤذي خلاف الشوك والحسك الذي أنبتته الارض للجسد . لكي بالشقاء وبعرق جبينه يأكل خبزه . كذلك بالمشقّة والتعب الكثير تأكل النفس خبزها السماوي ، الذي أعطاه لها لتحيا به . ولم يجعل لها اليه وصولاً ولا سبيلاً الاّ بتنقية أرض قلبها بالتعب الدائم من كلّ فكر الخطيئة ؛ وهي كلّ ما فلحت تعبت ، والالآم عادت بالافكار النجسة تنبت . كذلك تعود تفلح وتنقّي من الاوّل . وهي كذلك دائماً تعمل لكي تستحقّ أن تأكل خبزها بعرق جبينها ، بالحقيقة بالشقاء تأكله دائماً كلّ أيّام حياتها . والمقصود بهذا التعب الذي قد سلّط عليها أن تتضع وتنسحق

وتعرف ضعفها معرفة حقيقيّة ، حتّى تكون عند ذاتها كالتراب الذي يصير اليه جسدُها عند الموت .

فاذا انسحقت وصارت تراباً هكذا ، فنعمة الروح القدس تهب لها عدم الاوجاع وتنقّيها بالكمال من كلّ نبات شوك الارواح النجسة ، لان الله لا يمتنع أن يعمل لها هذا من البداية ، الاّ لكونه يعلم انّها لم تعرف ضعفها معرفة حقيقية . ولو عمل لها ذٰلك أصابها من التعظّم ما أصاب آدم في الفردوس وهلكت هلاكه ؛ لانّ الكامل اذا أخطأ والعادم الوجع ليس يمكن له غفران . كما لم يمكن غفران لآدم حتّى مات عنه الالهُ بالجسد . وليس يموت الاله دفعة أخرى فيغفر لكلّ من يخطأ بعد ذلك . فمن أجل هذا ، لشفقة الرب على الانسان من خطيئة العظمة ، ليس يعطيه الكمال وعدم الاوجاع ، وذٰلك انّه يجرّب الانسان ويعطيه موهبة صغيرة جسدانية وإمّا روحانية ، فيرى منه يتعظّم ويمدح نفسه ، فيشفق عليه ، ويمتنع أن يعطيه شيئا . واذا هو لم يتعظّم ، زاده هو أيضاً موهبة أخرى . واذا ثبت هكذا دائماً لا يتعظّم ، وعلم منه هذا الثبات ، يهب له الكمال وعدم الاوجاع ، لانّه قال : « **ان حبة القمح لا تثمر حتّى تموت** » (يوحنا ١٢/٢٤) . يعني حتى تعفّن وتتهرأ ، حينئذ تثمر .

قال : وانّ آدم دعا اسم امرأته حوّاء التي تفسيرها حياة ، أي انها ام كلّ حيّ . هذا هو عجب عجيب . ان في الوقت الذي قضى اللهُ عليه بالموت الذي حوّاء كانت سببه ، فهو أسماها حوّاء ام كلّ الأحياء ، في الوقت الذي كان ينبغي أن يسمّيها موتاً وعلّة كلّ الاموات . ولكنّ هذا كتبه كتاب موسى نبوءة في هذا الموضع : إن هذا الموت الذي كان بدؤه من الامرأة ومن الامرأة يكون زواله ، والظفر بالقيامة منه بمريم العذراء والدةِ الحياة ، التي هي بالحقيقة حياة وام كلّ الاحياء .

وذٰلك انه كما أخفى الشيطانُ نفسه عن آدم وحوّاء في الحيّة حتى خدعها ، كذلك أخفى ابنُ الله لاهوته عن الشيطان في جسد أدمي أخذه من الروح القدس ومن مريم العذراء ، وأوجده في شيء انه انسان حقيقي . وأخفى لاهوته عنه في أوجاع الانسان الطبيعية مدة مقامه على الارض ثلاثاً وثلاثين سنة ، لكي يأخذه بالطريق التي بها أخذ آدم وحوّاء . وافتخر انّه حكيم . كسّر الرب فخره بحكمة الحق . واخفى له الصّنارة في طعامه الذي هو معتاد أن يأكله . فلمّا أكله تسلّطت عليه الصنارة . وذٰلك أن اجساد الآدميّة كانت له طعاماً تحت عز سلطانه . وكلّ انسان كان يموت يحضر اليه عند موته ، يُحدر الى الجحيم نفسَه ، لكونه لا يُعدَم معصية الله ، قد باع نفسه له بها مثل آدم الأوّل . فلمّا ظهر له المسيحُ في شبه الجسد الذي هو له طعام ، ظنّ أنه له مثل كل بني آدم ، فحضر اليه عند موته على الصليب يروم أن يُحدره الى الجحيم ، فقبض عليه إلهنا بقوّة لاهوته وطالبه بديّة موته ، لكونه وسوس لرؤساء الكهنة وحسّن لهم قتله ، وجسّرهم عليه ، ولم يقنع حتى جاء اليه على الصليب يروم إنزاله الى الجحيم . فلمّا خرجت نفسه من جسده وهو (الشيطان) يروم أنه يجدها نفس انسان ؛ لان لاهوتاً متّحدٌ بها ، فلمّا أحرقت عينيه وأعمته ببرق لاهوتها ، قبضت عليه وعلى مَن حضر من جنده ونزلت الى الجحيم أصعدت النفوس المعتقلة فيها . مضت بها الى الفردوس ورجعت نفسُه الى جسدها وقامت في اليوم الثالث قيامة لا ألم فيها ولا موت ، لكي تهب لنا تلك القيامة . لانّ المسيح سيّدنا هو خروف الله الذي بلا عيب ، قرّب نفسه لله

أبيه عنّا قربانا نقيّا ، اذ مات عنّا ، وهو لا يستحقّ الموت ؛ فدانا منه نحن الذين نستحقّه ، وخطايانا حملها عنّا . لانّ الشوك بسبب الخطيئة نبت . ولذلك حمل على رأسه إكليل الشوك .

وفي يوم الجمعة الذي فيه خلق آدم وحوّاء ، فيه جدّد خلقة جنسهم بموته عنهم . وكما كان موتهم من ثمرة العود ، كذلك مات عنهم على عود الصليب . وكما بسطتْ حوّاء يدَها الى العود أخذت ثمرته ، كذلك بسط المسيح يديه عنّا وسترنا على عود الصليب . كما مشت حوّاء برجلها الى العود لتأخذ ثمرته ، كذلك سُمّرت رجلا المسيح عنّا على عود الصليب . وكما ان آدم وحوّاء حين أكلا تعرّيا ، كذلك صُلب المسيح عنّا عرياناً . وكما لبس آدم عند المعصية ثياباً من جلود لبس الهوان ، كذلك لبس المسيح ثياباً حُمراً وهم يهزؤن به في يوم صلبه . وكما ان آدم وهو نائم أُخذ ضلع من جنبه خلقت منه الامرأة التي سمّيت حياة ، كذلك المسيح وهو ميت فتح جنبه بالحربة ، خرج منه دم وماء اللذان جعلهما لنا بالحقيقة حياة . وكما تعظّم آدم وحوّاء وهما يريدان الطبيعة اللاهوتية التي ليست لهما ، جلبا الموت على كلّ جنسهما . كذلك باتّضاع الله الكلمة واتّحاده بالحقيقة بطبيعة بشرية لم تكن له ، وتصويرته بارادته في صورة عبد ، أنعم بالحياة المؤبّدة والمُلك السماوي على كلّ مَن تتلّمذ له من جنسنا ، ويصيرون له بالحقيقة بنين فيحيون معه بطاعته لله أبيه ، كما مات بنو آدم الاول معه بمعصية الله خالقه .

الاسبوع الثاني
من
الصوم الكبير

القراءة السابعة (من سفر الكون)

ليوم الاثنين من الاسبوع الثاني من الصوم المقدس عشيّة

الكتاب :

« وصنع الرب الإله لآدم وامرأته أقمصة من جلد وكساهما . وقال الرب الإله هوذا آدم قد صار كواحد منا يعرف الخير والشر والان لعله يمد يده فيأخذ من شجرة الحياة أيضا ويأكل فيحيا إلى الدهر فأخرجه الرب الإله من جنة عدن ليحرث الأرض التي أخذ منها . فطرد آدم وأقام شرقي جنة عدن الكروبين وبريق سيف متقلب لحراسة طريق شجرة الحياة » (تك ٣/٢١ — ٢٤) .

« وعرف آدم حوّاء امرأته فحملت وولدت قاين فقالت قد رزقت رجلا من عند الرب . ثم عادت فولدت أخاه هابيل . فكان هابيل راعي غنم وقاين كان يحرث الأرض . وكان بعد أيام أن قاين قدم من ثمر الأرض تقدمة للرب وقدم هابيل أيضا شيئاً من أبكار غنمه ومن سمانها . فنظر الرب الى هابيل وتقدمته . وإلى قاين وتقدمته لم ينظر . فشق على قاين جدا وسقط وجهه . فقال الرب لقاين لم شق عليك ولم سقط وجهك . ألا إنك إن أحسنت تنال وإن لم تحسن فعند الباب خطيئة رابضة وإليك انقياد أشواقها وأنت تسود عليها » (تك ٤/١ — ٧) .

التفسير :

قال المفسّر : قال انّ الله صنع لآدم ولامرأته ثيابا من جلود وألبسهما اياها . وذلك انّه ، لمّا رام ان يُخرجهما من الفردوس الى الارض الملآنة شقاء ، خلق لجسمهما جلداً مثل جلد الحيوان ، يباشران به شقاء الارض . لان في الفردوس ، لعدم الشقاء ومباشرة النعيم فقط ، والراحة الدائمة ، لم يكونا يحتاجان الى ذلك . قال : وعندما ألبسهما تلك الثياب ، قال الله قد صار آدم كواحد منّا ، يعلم الخير والشرّ . فلعلّه الآن يبسط يده يأكل من شجرة الحياة ويحيا الى الابد . هاهنا أثبت الكتاب تثليث أقانيم الله بقوله : كواحد منّا . قال كان آدم قبل هذا الوقت يعرف طيبة شجرة الحياة الالهيّة ولم يكن يعرف رداءة الشجرة الارضية التي نهيناه عنها . والآن فقد صار يعلم حسن هذه ورداءة هذه . فان تركناه ساكنا في الفردوس ، فهو لا يغتذي الاّ من شجرة الحياة التي مَن اغتذى بها دام حيّا الى الابد ، لانّه ما دام يغتذي بها لا يمكن أن يموت . وهو فلا بدّ أن يموت ككلمتي الصادقة التي حكمتُ عليه بها عندما نهيته عن الشجرة بأن لا يأكل منها . فمن أجل هذا يجب اخراجه من الفردوس الى الارض التي يمكنه أن يموت فيها . هذا قاله الله الآب مثل المشورة التي لهما . قال عندما خلق آدم : لنخلق إنسانا على صورتنا وشبهنا . وهما ابنه وروح قدسه . فان كان الله الآب الذي لا أب له ولا رأس ، يكرّر الكتاب القول عنه هكذا انّه فيما يعمل كان

يتكلم على سبيل المشورة مع ابنه وروح قدسه ، كما قال اشعيا النبي عن المسيح : « **انه ملاك المشورة العظمى** » (٢/١١) . والمخلوق الذي يرى أنّه لا يحتاج الى مشورة غيره ، عظمته بالحقيقة أعظم من عظمة ابليس ، لانّه لم يرضَ يعادل نفسه بالله الآب ، بل شرّف نفسه عليه .

قال وانّ الله أخرج آدم من الفردوس ليعمل في الارض التي منها أُخذ ، حين أسكنه في الفردوس ، كما قال انّه تركه فيه ليعمل ويحفظ . وفي الارض قال ليعمل في الارض التي منها أُخذ ، يعني بهذا العمل يفلح الارض تفليحاً جسدانيا ، وامّا في الفردوس ، فكان تفليحا روحانيا . وهو ان يفلح قلبه من افكار العظمة ، عالماً وعارفاً انّه مخلوق ومحتاج بالحقيقة الى قوّة خالقه ، وهو متغيّر ومنتقل من حال الى حال ، لانّ كلّ مخلوق متغيّر ومنتقل ؛ هو هذا العمل الذي أمر آدم أن يعمله في الفردوس ، يعني تفليح قلبه من أفكار العظمة ، بإذكار نفسه بضعف ذاته كلّ حين وتغيّره وانقلابه ، وانّه لا يمكنه أبدا أن يصير غير متغيّر وغير منتقل من حال الى حال ، لانّ مخلوقاً لا يمكنه ان يصير هكذا ؛ وليس هكذا سوى الطبيعة الالهية الآب والابن والروح القدس . هي وحدها التي لا تتغيّر ولا تنقلب .

هذا هو العمل والتفليح للقلب الذي لزم آدم أن يعمله والحفظ الذي أُمر به هو ان يحفظ ذاته ممّن يخدعه بأفكار العظمة ويحرس نفسه منه بكلّ حرس . فلمّا لم يعمل هذا العمل ولم يحفظ بل مكّن الخدّاع خدعه ، وقال له : إنّك تصير إلهاً . صدّق ما لا ينبغي أن يتصدّق . لانّ الاله لا يتغيّر والطبيعة المخلوقة تتغيّر . فكيف يمكن أن تصير لا تتغيّر وكيف يُصدَّق مَن ما كان امس واليوم كان ؟ انّه يصير أزليا لم يزل . كيف يمكنه ان يتقدّم الى خلف قبل حين خلقته ؟ حتى يصير لا بدء له ، فجهلا عظيماً جهله رغبةً في العظمة ، وأن يصير رأسا مَن لا رأس له . وكلّ مَن يرضى لنفسه أن لا يكون له مشير ولا معلّم ، فقد رضي بما رضي به آدمُ من العظمة بمشورة الشيطان . أُنزل آدم من الفردوس وتُرك في الارض يفلح فيها عوضاً من أن يفلح قلبه في نعيم الفردوس . ونزل واحد من عظماء الملائكة يحرس منه طريق شجرة الحياة بحربة نار ملتهبة . وأُسكن آدمُ قبالة الفردوس لكي يراه ويتحسّر على ما أُعدم نفسه من عظم النعيم ، ويندم ويحزن فتحصل له توبة .

كذلك أُمرت الكنيسة أن يكون الذي يخطأ يُمنع من القربان الذي هو شجرة الحياة بقانون الاعتراف ويخرج بعد قراءة الانجيل ، عندما يأمر الشمّاس بخروج المعترفين وغير المعمّدين . واذا خرجوا لا يُوعَظوا ، بل يقف كل منهم عند باب الكنيسة ليتحسّر ويندم على ما حرم نفسه من تلك النعمة ؛ والذي بغير خطيئة تمنعه ويمتنع وحده من السرائر المقدسة ، كيف يندم ويتحسّر اذا امتنع من اجل خطيئة واحدة ؟ أوكيف اذا رام ان يخطأ يمتنع من الخطيئة ، خوفا أن يمتنع من السرائر ، لانّه قد يمنع روحَه بغير خطيئة . فليس الامتناع عنده ألما يمنعه من الخطيئة اذا رامها . حين لسعت الحيّات في البرّيّة بني اسرائيل ، وماتت جموع كثيرة ، لانّ الحيّات ثارت عليهم بكثرة وزيادة ، سخطه (كذا) من الله ؛ حينئذ سأل موسى الله فيهم ، فأمره أن يصلب حيّة من نحاس في وسط المعسكر . ومَن لُسِعَ يسرع ينظر الى الحيّة المصلوبة فليس يموت . ومن لا ينظر اليها لوقته يموت .

إلهنا المسيح قال : « **ان تلك الحيّة المصلوبة مثال لي** » (يوحنا ١٤/٣) ، « **لكي مَن يؤمن بي لا يهلك ، بل ينال حياة الأبد** » (يوحنا ٤٠/٦) . وذلك أنه اعطانا جسده ودمه الذي أهرقه عنّا على الصليب ، وأمرنا بالمحبّة في تناوله والرغبة اليه والجهاد على الدنو منه ، والحرص على حفظ أنفسنا من كلّ ما يمنع منه ، ونأخذه بأمانة ويقين أنه الحياة المؤبّدة ومغفرة الخطايا . فمن آمن هكذا ورغب وحبّ هكذا ، فانّه عندما يلسعه الثعبان العقلي ويلقي سمّه داخله ، الذي هو الفكر النجس ، فانّه من ساعته ينظر بعقله الى جسد ودم المسيح ، ويفكّر أنه متى مكّن من نفسه ذلك الفكر النجس الذي هو السمّ المهلك ، فهو يخطأ ويتمّم ذلك الفكر فعلا ويموت ، ويحترم الجسد والدم المحيي . فان المؤمن المُحبَّ اذا فكّر هذا ونظر الى الجسد الذي صُلب عنه ، هو لوقته بامانته ومحبته فيه يطرد ذلك الفكر النجس لئلاّ يتمّمه بالفعل ويخطأ . فهو يبقى حيّا ولا تقتله لسعة الثعبان الذي لسعه . ومَن كان لا يؤمن ويحبّ هكذا ، فاذا لسعه التّنين العقلي بفكر نجس ، فانّه لا ينظر الى الجسد والدم المحيي ، لانّه ليس له فيه أمانة ومحبّة ولا همُّ في تناوله ، ولا يبالي بما يمنعه منه ، لانّه هو ، لقلّة أمانته به ، وبالنعمة والفائدة الكائنة منه ، والحياة المؤبدة وغفران الخطيئة ومشاركة لاهوت المسيح ، والقوّة التي تغلب كلّ خطيئة لقلّة معرفته وأمانته بهذه الفوائد الكائنة منه ، قد يمتنع منه بغير خطيئة .

وكيف يمتنع من الخطيئة لئلاّ يمتنع منه ، فهو يقبل الفكر النجس ويتمّمه بالفعل ، إمّا بزنى وإمّا بسرقة وإمّا بكلام وإمّا بغمز أو بما يشبه ذلك ، يعني كل هذا . واذا هو أتمّ الخطيئة بالفعل فقد مات ، لانّ الخطيئة اذا كانت بالفكر ، فهي سمّ فقط قد سكبه الثعبان العقلي داخل القلب ؛ فاذا تمّت الخطيئة بالفعل بالجسد ، فقد جَزَفَ السمّ وقتل . والمؤمن بأنّ جسد المسيح ودمه هو الحياة المؤبدة بامانة صحيحة صادقة ، له فيه رغبة وشوق ومحبّة ، فاذا هو غفل عن نفسه عندما يُلسَع ، وعمل بالفكر ومات وأخطأ بالجسد ، فإنّ امانته في الجسد ودم المسيح وروح الامانة والمحبّة التي داخله والشوق الذي له في تناوله ، يُحوجه أن يسرع يأخذ توبة لكي يحيا بها من موته ، ويستحقّ الوصول الى شجرة الحياة دفعة اخرى ؛ وهو هذا الذي قال الربّ عنه : « **إن الذي يؤمن بي لا يموت ؛ وان مات فهو حيّ** » (يوحنا ٤٠/٦) . واما الذي ذكرناه اوّلا أنه مستيقظ محبّةً في تناول الجسد والدم المحيي ، وطرد من قلبه كلّ سمّ من بداية الامر ، فهو المؤمن الحيّ الذي قال الرب عنه : « **إن كلّ حيّ يؤمن بي لا يموت الى الأبد** » (يوحنا ٤٠/٦) .

ولمّا سكن آدمُ الارض عرف حوّاء امرأته فحبلت وولدت ابنا ودُعي اسمُه قايين ؛ ثمّ ولدت الثاني ودُعي اسمُه هابيل . قال : وكان قايين فلاّحا في الارض . وهابيل راعي غنم . فرفعا لله قربانا ، قايين وهابيل ، أمّا هابيلُ ، فبحسن همة وتعظيم قرّب لله بكر غنمه وأسْمَنَهم ، وقايينُ أخذ من ثمرة الارض خلاف ذلك . لم يأخذ من البكر ولا طيّب الثمرة كحسن همّة اخيه وشكره لله . فقبل الله قربان هابيل كحسن همته به وتعظّمه إياه ، ولم يلتفت على قربان قايين . فلمّا نظر قايين أن الله قد أرسل النار وقبل قربان أخيه ، ولم يقبل قربانه اغتمّ وحسد أخاه جدًا . فلمّا نظره الله قد حسد أخاه واغتمّ ،

أسرع الله خاطبه لكي يهدّئ عنه هذين الوجعين الملعونين : الاغتمام والحسد ، اللذين منهما يولد القتل . قال الله : إن أحسنت قُبِلَ قربانك منك . واذا لم تُحسن اخطأت أخمد (كذا) ، يعني إن أحسنت وقرّبتَ قرباناً بحسن همّة مثل أخيك ، فهو يقبل قربانك منك أيضا . واذا لم تفعل ذلك فقد أخطأت ؛ أعني الخطيئة رابضة باغتمامك وحسدك ، لانّ الاغتمام لا يكون الاّ على فساد ما لا يمكن الانسان بصلحه . فانت الذي كنت سبب هذا الفساد ، لكونك لا تهتمّ حسناً ، عُد من الآن فأحسن همّتك مثل أخيك وأنت تُقبل مثله . أخمد وأسكن حسدك واغتمامك .

علّمنا الكتابُ هذا القول أنّ وجع الغمّ ووجع الحسد عظيما الخطر وتجب سرعة الاهتمام بهما ، والسرعة في تسكينهما واخمادهما . وذاك أن ابليس ، خزاه الله ، اذا ألقى في الانسان الغمّ ، ونظره يقبله منه ، شدّده عليه وأعمى قلبه به ، وبغّضه في حياته وجفاه على ذاته وسهّل عليه قتل نفسه «**كالذي فعل يهوذا الاسخريوطي**» (متى ٥/٢٧ ؛ اعمال ١٨/١) ، وليس يكون كفرٌ ولا خطيئةٌ أخرى تعادل خطيئة مَن يقتل نفسه . لان الكفر وغيره يمكن التوبة بعدها لكون الانسان حيّ ؛ وهذا الفعل لا توجد بعده توبة لكون الانسان قد مات فلا خطيئة تشاكل هذه الخطيئة . والحسد هو أيضا اذا ، بذره الملعون في القلب ، ونظره يقبله منه ، شدّده عليه وعظم بغتة الذي يحسده حتى يُحَسِّن له قتله ولو كان أخاه ، كما فعل قايين بأخيه .

القراءة الثامنة (من سفر الكون)

عشيّة يوم الثلثاء ، الاسبوع الثاني من الصوم المقدس

الكتاب :

« وقال قاين لهابيل أخيه لنخرج الى الصحراء . فلما كانا في الصحرآء وثب قاين على هابيل أخيه فقتله . فقال الرب لقاين أين هابيل أخوك . قال لا أعلم ألعلي حارس لأخي . فقال ماذا صنعت إن صوت دمآء أخيك صارخ اليّ من الأرض . والان فلعون أنت من الأرض التي فتحت فاها لتقبل دمآء أخيك من يدك . واذا حرثت الأرض فلا تعطيك قوتها أيضا . تائها شاردا تكون في الأرض . فقال قاين للرب ذنبي أعظم من أن يغفر . إنك قد طردتني اليوم عن وجه الأرض ومن وجهك أستتر واكون تائها شاردا على الأرض فيكون أن كل من وجدني يقتلني . فقال له الرب لذلك كل من قتل قاين فسبعة أضعاف يقاد به . وجعل الرب لقاين علامة لئلا يقتله كل من وجده » (تك ٨/٤ — ١٥) .

التفسير :

لما قبل قايين الحسدَ لأخيه من بذار الشيطان ، وعلم الشيطان انه قد قبل منه ، شدّده عليه وأكثر بغضته اليه . وعلّمه أمرا لم يكن بعد وهو أن الموت والقتل لم يكونا بعد عُرفا ، لانه الى ذلك الوقت لم يكن أحد منهم مات . فحين قبل قايين زرع الشيطان ، علّمه ان يقتل أخاه بجفاء وقساوة . فأخرجه الى الوطاء وقتله ، والله الحنون المحبّ البشر أراد توبته كما أراد توبة آدم في الفردوس . فخاطبه مع عظم الخطيئة التي قد فعلها قائلا له : أين أخوك هابيل ؟ لعلّه يندم ويقول : أخطأت . وكان قايين ، لما فزع من قتل أخيه ، علم الشيطان أنه قد حزن ، شدّد عليه الحزن والاغتمام حتى ييئس من الغفران . ومع ذلك عمي قلبه حتى ظنّ أن الله يُخفي عنه أمراً . فلمّا سأله : اين أخوك ؟ كذّب وقال : لا أدري ، هل أنا حافظ لاخي ؟ زاد على خطيئة القتل الكذبَ بالله . فلعنه الله قائلا اذ بلاه بالارتعاش والفزع والتوهان في الارض وشهد ان دم أخيه يصرخ على الارض لكي يحقّق عند السامعين أن دم الانسان اذا أُهرق يكون الله مطالباً الذي أهرقه ومنتقماً لذلك الذي لا يزال ملتمساً من الله الانتقام له ممن أهرقه ظلما .

وحين سمع قايين قول الله هذا قال : خطيئتي أعظم من أن تغفرها لي . وأنت قد أبعدتني من وجهك وبليتني بالارتعاش والفزع والتوهان في الارض وسيكون كل من يجدني يقتلني . فقال الله ليس كذلك ، كل من يقتل قايين ، يجازى واحدا لسبعة أضعاف . منع ، تبارك اسمه ، من القتل بكل جهة حتى الذي يقتل قال من قتله يجازى واحداً بسبعة ، لانه وان كان مستحقاً القتل ، فان الذي يقتله يخطأ أكثر منه . وذلك القاتل عقابُه عند الله عظيم في النار المؤبدة . فما لك أنت تقتله وتردّ خطيئته عليك . أترك

النقمة لله الذي هو وحده الديّان والمنتقم لكل مظلوم . وهذا هو ناموس المسيح ابن الله الذي أعطاه لنا . **« أن لا ننتقم لانفسنا »** (روميه ١٢/١٩) ، ممّن يسيء إلينا ، لئلا ينتقم هو أيضا منّا عن سيئاتنا ، بل **« نغفر ليغفر هو أيضا لنا »** (متى ٦/١٤ — ١٥ ؛ مرقس ١١/٢٥) مثل قوله الصادق .

القراءة التاسعة (من سفر الكون)

عشيّة ليوم الاربعاء الاسبوع الثاني من الصوم المقدس

الكتاب :

« وخرج قاين من أمام الرب فأقام بأرض نود شرقي عدن . وعرف قاين امرأته فحملت وولدت أخنوخ . ثم بنى قرية فسماها باسم ابنه أخنوخ . وولد لأخنوخ عيراد . وعيراد ولد محويائيل . ومحويائيل ولد متوشائيل . ومتوشائيل ولد لامك . واتخذ لامك له امرأتين اسم إحداهما عادة والأخرى صلة . فولدت عادة يابل وهو أبو ساكني الخيام ومتخذي المواشي . واسم أخيه يوبل وهو أبو كل عازف بالكنارة والمزمار . وصلة أيضا ولدت توبل قاين وهو أول صيقل لجميع المصنوعات النحاسية والحديدية . وأخت توبل قاين نعمة . وقال لامك لامرأتيه عادة وصلة اسمعا قولي يا امرأتي لامك وأصغيا لكلامي . إنني قتلت رجلا لجرحي وفتى لشدخي . إنه ينتقم لقاين سبعة أضعاف وأما للامك فسبعة وسبعين . وعرف آدم امرأته أيضا فولدت ابنا وسمته شيثا وقالت قد أقام الله لي نسلا آخر بدل هابيل إذ قتله قاين . ولشيث أيضا ولد ابن وسماه أنوش . حينئذ ابتدئ بالدعاء باسم الرب » (تك ٤/١٦ — ٢٦) .

التفسير :

حين أخطأ آدمُ في الفردوس ، أخرجه اللهُ منه وأسكنه قبالته في الارض . وحين أخطأ قايين ، أخرجه الله من الارض التي أخوه ساكن بها ، الى الارض التي دونها ، لكي يكون نفيه عن أرضه عقابا له . وهذا هو ناموس الكنيسة التي أمرت بخروج الخاطئ من بعد قراءة الانجيل وإبعادِه من بين الجماعة تأديبا له ولمن ينظره . ثم ان قايين في الارض التي فيها أبعد عرف امرأته وحبلت وولدت له أولادا والاولاد ولدوا أولاد الأولاد ، وتكاثر نسل قايين جداً في تلك الأرض ونما زائداً ؛ وبنوا المدن وكان فيهم من يسكن القفر في الأخبية يربّي المواشي ، ومنهم حدّادون ونحّاسون ، لأنهم هم الذين أحدثوا الغناء والطنابير والقياثير وجميع الملاهي .

وكان ذلك من إرشاد الشيطان لهم لكي ، باللهو والطرب الجسداني ، يلقيهم في خطيئة الزنى . وكان كذلك لانهم بغير ناموس كانوا يفسقون فسقا كثيراً : الذكور بالاناث بلا حشمة خاصة . واما فسق خارج الطبيعة فلم يحدث بينهم ذلك الوقت . فكان واحد من نسل قايين اسمه لامك قد ذهب ينظره وهو جالس يحرس مزروعه ، سمع حسّ قايين ماشياً فيها ، ظنّ انه وحش ، ضربه بسهم نشّاب ، قتله . وكان ولد له جالساً قدّامه صغيراً جدّاً ، فأعلمه انك قتلت جدّنا قايين . فتندّم ولطم يده الواحدة على الارض ، فصادفت رأس ولده فقتله . ولذلك قال : إنّي قتلت رجلا بضربتي وغلاما بلطمتي . وكما قد

قال : مَن قتل قاين يُجازى واحداً بسبعة قال : ومَن قتل لامك يُجازى سبعة بسبعين مرّة ، قصداً منه ، تبارك اسمه ، أن لا يقتل أحدٌ أحداً جملة كافية . ولوكان جرمه ما كان . وهذا هو القول الذي قاله الرب لبطرس حين سأله : « **اذا أخطأ أخي عليَّ ، إلى كم مرّة اغفر له ؟ إلى سبعة مرّات ؟ بل إلى سبعين مرّة** » (متى ١٨/٢١ — ٢٢) ، كما قد قيل في قايين ولامك .

فلمّا قتل قايينُ هابيلَ ، عاد آدم عرف امرأته فولدت له ابنا فسمّاه شيت . وقال : هذا خلف هابيل الذي قتله أخوه . وشيت ولد أنوش . وهؤلاء كانوا يَدعون باسم الرب الاله خلاف بني قايين الذين كانوا للشيطان طائعين ولأوامره متعبّدين . فكان بنو شيت تحت الفردوس في الارض قبالته متعبّدين لله جدّا ، وبنو قايين في الارض التي أسفل منهم متعبّدين للخطيئة جدّا . ولم يمكن الشيطان يجعلهم يكونون كذلك حتى ألقاهم بالطرب والغناء والقيثارة والطنابير واللهو الجسداني . أمكنه تحريض الشهوة فيهم بقوّة حتى يخطأوا بلا حشمة ولا ناموس طبيعي ؛ بل كل واحد منهم يفسق مع كل أنثى يهواها .

القراءة العاشرة (من سفر الكون)

لعشيّة الخميس من الاسبوع الثاني من الصوم المقدس

الكتاب :

« هذا كتاب مواليد آدم . يوم خلق الله الإنسان على مثال الله عمله . ذكرا وأنثى خلقه وباركه وسماه آدم يوم خلق . وعاش آدم مئة وثلاثين سنة وولد ولدا على مثاله كصورته وسماه شيتا . وعاش آدم بعدما ولد شيتا ثماني مئة سنة ولد فيها بنين وبنات . فكانت كل أيام آدم التي عاشها تسع مئة سنة وثلاثين سنة ومات . وعاش شيت مئة وخمس سنين وولد أنوش . وعاش شيت بعدما ولد أنوش ثماني مئة وسبع سنين ولد فيها بنين وبنات . فكانت كل أيام شيت تسع مئة سنة واثنتي عشرة سنة ومات . وعاش أنوش تسعين سنة وولد قينان . وعاش أنوش بعد ما ولد قينان ثماني مئة سنة وخمس عشرة سنة ولد فيها بنين وبنات . فكانت كل أيام أنوش تسع مئة سنة وخمس سنين ومات . وعاش قينان سبعين سنة وولد مهللئيل . وعاش قينان بعد ما ولد مهللئيل ثماني مئة سنة وأربعين سنة ولد فيها بنين وبنات . فكانت كل أيام قينان تسع مئة وعشر سنين ومات . وعاش مهللئيل خمسا وستين سنة وولد يارد . وعاش مهللئيل بعد ما ولد يارد ثماني مئه سنة وثلاثين سنة ولد فيها بنين وبنات . فكانت كل أيام مهللئيل ثماني مئة سنة وخمسا وتسعين سنة ومات . وعاش يارد مئة واثنتين وستين سنة وولد أخنوخ . وعاش يارد بعد ما ولد أخنوخ ثماني مئة سنة ولد فيها بنين وبنات . فكانت كل أيام يارد تسع مئة سنة واثنتين وستين سنة ومات . وعاش أخنوخ خمسا وستين سنة وولد متوشالح . وسلك أخنوخ مع الله بعد ما ولد متوشالح ثلاث مئة سنة ولد فيها بنين وبنات ، فكانت كل أيام أخنوخ ثلاث مئة سنة وخمساً وستين سنة . وسلك أخنوخ مع الله ولم يوجد بعد لأن الله أخذه . وعاش متوشالح مئة سنة وسبعاً وثمانين سنة وولد لامك . وعاش متوشالح بعد ما ولد لامك سبع مئة سنة واثنتين وثمانين سنة ولد فيها بنين وبنات . فكانت كل أيام متوشالح تسع مئة سنة وتسعا وستين سنة ومات . وعاش لامك مئة سنة واثنتين وثمانين سنة وولد ابنا وسماه نوحا قائلا هذا يعزينا عن أعمالنا وعن مشقّة أيدينا في الأرض التي لعنها الرب . وعاش لامك بعد ما ولد نوحا خمس مئة سنة وخمسا وتسعين سنة ولد فيها بنين وبنات . فكانت كل أيام لامك سبع مئة سنة وسبعا وسبعين سنة ومات » (تك ١/٥ — ٣١) .

التفسير :

قال إن في اليوم الذي خلق اللهُ الانسان بصورته ، ذكراً وأنثى خلقها ودعا اسمه آدم . حقّق ان الذكر والانثى ، آدم وحواء ، في يوم واحد خُلقا وانهما كليهما آدم : لان آدم لفظة بالعبراني تفسيرها الانسان . واسم الانسانية فهو واقع على الرجل والامرأة ، لانّ الكلّ أدميون . ثم وصف مواليدهم وأعمارهم ، اعني آدم وبنيه ، واحدا بعد واحد ، وما كان لهم من العمر الطويل الذي انتهى الى تسعمائة وسبع وسبعين سنة . وهؤلاء كانوا أجمعين يسكنون في الارض التي دون الفردوس وهم لله مرضيين ؛ وبنو

قايين قاتل أخيه في الارض التي دونها ، وهم في تلك الارض متمرّغون في كل أفعال الخطايا : من الزنى والغناء واللهو .

وكان بنو شيت سكّاناً في الارض الفوقانية ، اذا ما نزلوا الى عندهم في أمر ، لمّا يسمعون الاغاني والقيثارة يتلذّذون بها ، لكونه شيئاً لم يسمعوه قط ولا عرفوه ، ويطربون له جداً . وعند طربهم يخالطونهم بالخطيئة ولا يعودون يصعدون الى فوق . ومَن نزل الى أسفل ليأخذ خبرهم ، فلم يعد يصعد . فلم يزل الفوقانيون ينقصون والسفليون يكثرون مدّة طويلة . إلاّ أن أخنوخ المرضي لله أكثر الوعظ والانذار في زمانه لبني شيت ، وأخذ يُكثر لهم الوصيّة والتحزير في الامتناع من النزول الى عند بني قايين ومن مخالطتهم البتة ، وبها انحفظ القوم في زمانه من النزول . وبعد زمانه انحفظوا زماناً طويلاً ؛ وبهذا سُرّ الله جداً بفعل أخنوخ وعظمة محبته فيه ، لانه كان يُكثر الوعظ والوصيّة لمن في زمانه أن يتحفّظوا ولا يخطأوا . ثم نقله الله من بين الناس وأنعم عليه بالحياة والبقاء في الجسد الى مجيء المسيح الكذّاب ، يحضر اليه هو والياس النبي الذي هو أيضاً حيّ . ويوبّخانه ويوضحان كذب آياته وعجائبه بآيات وعجائب حقيقية بفعلانها . ويرجع الى المسيح الحق على يديهما كثيرٌ من اليهود الذين من أجلهم أبقى الله اليهود في الدنيا ، من أجل تلك الجماعة التي تؤمن به سهم ذلك الزمان . وحينئذ يشتدّ غضب المسيح الكذّاب ويقتلهما ، أعني أخنوخ والياس ؛ وبعد قتلهما بثلاثة أيام ، تقوم القيامة .

ولمّا ولد نوح قال الكتاب : ان أباه قال : هذا الذي يريحنا من تعبنا وعمل يدينا ومن الارض التي لعنها الرب الاله . وذلك ان الارض التي كان بنو شيت وبنو قايين سكّانا فيها ، كانت كثيرة الشوك ، كثيرة الحفاء والوعر ، تُتعب سكّانها جدّا ، وزرعُها لا يغلّ ثمرة كثيرة ، لان الله قال لقايين : تعمل في الارض ولا تعطيك قوتها . فلمّا وُلد نوح تنبأ أبوه أن على يديه تكون نقلة بني آدم من تلك الارض الى هذه الارض العامرة اليوم . وذلك أن هذه الارض العامرة اليوم من شرقيها جبالاً طويلة شامخة لا يمكن انسان أن يصعدها تحول بين سكّان هذه الارض وتلك الارض . وذلك فلمّا نزل الطوفان ، غرق كل الارض ، شرقيها وغربيها ، وعلى كل الجبال سيَّر الله السفينة من الارض الشرقية فوق الماء وعدا (كذا) بها الجبال الى هذه الارض . وكملت نبوءة والد نوح أنهم على يديه يستريحون من تلك الارض الشقية المتعبة . وبقيت تلك الارض خراباً خالية من زمان الطوفان الى الآن .

القراءة الحادية عشرة (من سفر الكون)

ليوم الجمعة عشيّة من الاسبوع الثاني من الصوم المقدس

الكتاب :

« ولمّا كان نوح ابن خمس مئة سنة ولد ساما وحاما ويافث . ولمّا ابتدأ الناس يكثرون على وجه الأرض وولد لهم بنات رأى بنو الله بنات الناس إنهن حسنات فاتخذوا لهم نسآء من جميع من اختاروا . فقال الرب لا تحل روحي على الإنسان أبدا لأنه جسد وتكون أيامه مئة وعشرين سنة . وكان على الأرض جبابرة في تلك الأيام وأيضا بعد أن دخل بنو الله على بنات الناس وولدن لهم أولادا أولئك هم الجبابرة المذكورون منذ الدهر . ورأى الرب أن شرّ الناس قد كثر على الأرض وأن كل تصور أفكار قلوبهم إنما هو شرٌّ في جميع الأيام فندم الرب أنّه عمل الإنسان على الأرض وتأسف في قلبه . فقال الرب أمحو الإنسان الذي خلقت عن وجه الأرض الإنسان مع البهائم والدبابات وطير السمآء لأني ندمت على خلقي لهم . أما نوح فنال حظوة في عيني الرب » (تك ٥/٣٢ + ٦/١ — ٨) .

التفسير :

قال : إن نوحاً ، حين صار له خمسمائة سنة ، وُلد له ثلاثة بنين . عظيمة هي فضيلة الطهارة وجليلة هي جدّاً ومرضية لله ومُسبِّبة ، لمن يعملها ، الحياة والبقاء والنعمة . وذلك الزمان ، كان جميع الناس يفسقون فسقاً بلا حياء ، ونوحٌ بينهم غير متزوّج خمسمائة سنة . قال : وإنَّ بني الناس وَلدوا لهم بنات تسمَّى بني قايين الفسقة بني الناس . قال : فنظر بنو الاله أعني بني ألوهيم بني شيت الى بنات الناس أنهنَّ حسان واتّخذوهنّ لهم نساء من كل ما اختاروا ، أعني بني شيت ، المتعبّدين لله ، يسمّيهم بني الاله . قال : فنظروا بنات الناس ، يعني قايين ، فحسّنهنّ لهم الشيطانُ وانحطّوا من الفكر العالي ، فكر الطهارة ، الذي به استحقّوا ان يُسَمَّوا بني الله ، وتزوّجوا بنات الناس من كل ما اختاروا ، يعني كان الواحدُ منهم يأخذ من تحسن له وتختارها عينه .

قال الله : لا تسكن روحي في هؤلاء الناس الى الابد لانهم لحم ، يعني أن العقل اذا وافق جسد اللحم على كل ما يهواه غلط وخطف وصار هو أيضاً لحماً ، وروحُ الله لا تسكن لحماً نجساً هكذا ، بل تسكن في عقل الذي ليس هو لحما بل معانداً لهوى اللحم ومانع جسده من كل خطيئة يهواها مثل راكب البهيمة الذي ، باللجام والمقرعة ، يمنع الذكر من التقفز على البهيمة الانثى التي يراها قدّامه ومن اعتراض قرط أو شعير أو زرع أخطر من زروع الناس وكذلك كل عقل يمنع جسده بخوف الله وبالتعب مع الصوم والصلاة والسهر والسجود من شهوة الزنى ومن التماس طعامٍ أو شرب فوق الحدّ ومن كل ظلم وكبرياء ،

فان روح الله تسكن فيه لكونه لم يمل الى الجسد اللحمي بل الى روح الله القدّوس ، لان العقل بين هٰذين الاثنين ، بين الروح القدس والجسد واللحم ، فإن مال الى الروح القدس وخضّع هواه ، كان روحاً كما قال الرب : « ان المولود من الروح يميل نحو الروح » (يوحنا ٦/٣) ، لكي يسكن فيه الروح ويُصيّره روحا . وإن مال الى الجسد ، كما قال الرب : « إن المولود من الجسد هو جسد » (يوحنا ٦/٣) ، يسمّي العقل المائل الى الجسد مولوداً من الجسد . وفي هذا العقل الذي قد صار جسد الانسان كلّه جسداً ، قال الله : هؤلاء قد صاروا لحما لا يسكن روح الله فيهم الى الابد ؛ تكون أيامهم مائة وعشرين سنة . لعنة عظيمة وقصف عمر هو الزنى والفسق ، وذٰلك أن الله من بغضته له ومقته لمَن يفعله ، أنقص مدّة أعمار الناس ثمان مائة واثنين وأربعين سنة ، لان فيهم مَن كان يبلغ تسع مائة واثنين وستين سنة ، حطّهم الى مائة وعشرين سنة ، وليس ذلك فقط ، بل وندم على خلقتهم وعزم على إبادتهم أجمعين ، وليس هم فقط ، بل كل حيوان موجود على وجه الارض من أجلهم .

قول الكتاب إنه ندم على خلقة الانسان يريد بها يعلّمنا أنه لا يشاء هلاك انسان واحد . وأنه يتأسّف على مَن يهلك . ولكن لكون العدل هكذا كان يقتضي ان يخلق الانسان مخيّراً مريداً ، له سلطان ان يميل الى حيث يشاء ، الى الخير أو الى الشرّ ، حتى اذا هو بسلطان إرادته عمل الخير أخذ الملكوت بحقّ ، واذا هو عمل الشرّ عوقب بحقّ . وقد علم الله ان كثيراً من الناس يخلص منهم القليل . فسبب ذٰلك كونهم لا يمكن أن يخلقوا إلاّ مخيَّرين . والقليل من الكثير يميلون إلى الخير في كل زمان ، والله ، لكثرة كرمه وجوده ، فرحاً كثيراً يفرح بهم ، وليس يسرّه هلاك مَن يهلك منهم ، بل يتأسف عليهم ، ومراده أنّ كلّهم يميلون الى الخير ، ولكنّ خيرهم على تلك غير ممكن ، لان الخير بالتكليف لا يستحقّ مخافة ، وهذا الهلاك العام الذي عزم عليه لم يكن له من سبب الاّ الناس بأسرهم أخطأوا وكثر شرّهم ، وقلبهم مائل الى الشرّ كل حين ، سائر الأيام ، وذٰلك أنه اذا نظر البعضَ يخطأون والبعض لا يخطأون ، ليس يُهلك هلاكاً عاماً ، بل يؤدّب بالبلايا ، لان جميع بلاياه مثل الامراض والغلاء والفناء والاسر والسبي والخسائر ليس يُقصد بكل هٰذه سوى تنبيه الناس وايقاظهم للتوبة .

فمن تيقّظ انتفع ومن لا يتيقّظ تكون البلايا سبب الحكم عليه يوم الحساب . يقول له الله : ما قد أيقظتك بالبليّة مرّة على مرّة وبوعظ الكتاب وبموت من يعزّ عليك ؟ فلماذا لم تستيقظ ؟ قال : وعندما أخطأ جميع الناس وَجد نوح نعمة عند الله لكونه وحده لم يخطأ دون جميع الناس ؛ وكذلك نعمةً عظيمة وَجد عند الله مَن يصنع فضيلة وبها يدين كل أهل زمانه ، لاجل انه هو حفظ وصيّة ناموسه دون كل أهل زمانه ؛ اذا هم احتجّوا أن قدرتنا ضعفت عن حفظها ، يقول الله لهم فرفيقكم فلان كيف قدر بضعفه على حفظها ؟ وهكذا يدين حنان وقيافا وكل علماء اليهود ، بتلاميذه قائلا : كيف عرفني هؤلاء الاميّون وصدّقوني وأنتم لم تصدّقوني ؟

الاسبوع الثالث
من
الصوم الكبير

القراءة الثانية عشرة (من سفر الكون)

لعشيّة يوم الاثنين من الجمعة الثالثة من الصوم المقدس

الكتاب :

« وهؤلاء مواليد نوح . كان نوح رجلا برّا كاملا في أجياله وسلك نوح مع الله . وولد نوح ثلاثة بنين ساما وحاما ويافث . وفسدت الأرض أمام الله وملئت جورا ورأى الله الأرض فإذا هي قد فسدت لأن كل جسد قد أفسد طريقه عليها فقال الله لنوح قد دنا أجل كل بشر بين يدي فقد امتلأت الأرض من أيديهم جورا فهاءنذا مهلكهم مع الأرض . إصنع لك تابوتا من خشب قطراني واجعله مساكن واطله من داخل ومن خارج بالقار . كذا تصنعه . ثلاث مائة ذراع طوله وخمسون ذراعا عرضه وثلاثون ذراعا سمكه . وتجعل طاقا للتابوت وإلى حدّ ذراع تكمله من فوق واجعل باب التابوت في جانبه ومساكن سفلى وثواني وثوالث تصنعه . وهاءنذا آتٍ بطوفان مياه على الأرض لأهلك كل جسد فيه روح حياة من تحت السماء وكل ما في الأرض يهلك . وأقيم عهدي معك فتدخل التابوت أنت وبنوك وامرأتك ونسوة بنيك معك . ومن كل حيّ من كل ذي جسد اثنين من كل تدخل التابوت لتحيا معك . ذكرا وأنثى تكون . من الطير بأصنافها ومن البهائم بأصنافها ومن جميع دبابات الأرض بأصنافها يدخل إليك اثنان من كل لتحيا . وأنت فخذ لك من كل طعام يؤكل وضمّه إليك فيكون لك ولهم مأكلاً . ففعل نوح بحسب ما أمره الله به هكذا فعل » (تك ٦/٩ — ٢٢) .

التفسير :

قال : إن نوحاً كان إنساناً صدّيقاً كاملاً في جيله . قوله في جيله يعني أن كل الناس في ذلك الوقت كانوا عصاة ومفسدين ، ونوح دونهم كلّهم ، غير متشبّه بهم في عصيانهم وفسادهم . فهذا هو الذي يُرضي الله جدّا : أن يكون الانسان يرى اذا كانت كثرة الناس تعصاه ، وهو ، مع ذلك ، لا يتشبّه بهم في عصيانهم ولا ينطفي في طغيانهم ويحرص في عظتهم ، ويذكّرهم بالطاعة لله وترك المعصية بكل الطاقة ولو ناله منهم ألم أو هوان من أجل عظته لهم أو من أجل كونه لا يتشبّه بهم ، فلا يبالي ولا يبطل ما هو فيه . يُسرّ الله جدّا بمن يكون هكذا ، ونوح كان رجلاً هكذا ، وبنوه الثلاثة : سام وحام ويافث تشبّهوا به . ولذلك لم يكن لكل واحد منهم سوى امرأة واحدة مع كثرة ما يرون من الفسق الكثير . وأما هم فتشبّهوا بأبيهم ومسكوا الناموس الذي جعله اللهُ فيهم طبيعياً من بداية الخلق ، وذلك انه ، عندما خلق آدم ، لم يخلق معه الاّ امرأة واحدة . أوضح بهذا الامر أنَّ هذا هو ناموس الطبيعة الحق والعادل أن يكون للذكر أنثى واحدة . ومتى خرجت الناس عن هذا الناموس حتى أن يكون للذكر عدّة اناث أو للانثى عدّة ذكور . فذلك يكون ظلما وجورا في الطبيعة ، لان اللهَ قد خلق للذكر والانثى شهوةً متساوية متى استَعمل أحدُهما هذه الشهوة أكثر من الآخر ، كان له ذلك ظلما وجائراً عن الحقّ . ولذلك يقول

كتاب الله : لما كثر الفسق في أيام نوح أن نظر اللهُ الارض قد امتلأت ظلما وجوراً . وقال لنوح : أنا مُهلك الارضَ لانها قد امتلأت ظلماً وجوراً . ثم أمره أن يصنع تابوتاً لكي يخلّص به هو وبنوه من ماء الطوفان .

وكان ذلك التابوتُ إشارةً الى الكنيسة عروسة المسيح التي هي جماعته المقدسة مثل التابوت المجتمع بعضه الى بعض بالمسيح من أجناس كثيرة وبلدان وألسن كثيرة ، جمعهم المسيح إلى أمانته وجعلهم الكل واحداً بروحه ، مجتمعين بمحبته وحفظ وصاياه كاجتماع خشب السفينة بعضها الى بعض بالتسمير والتزفيت . كذلك خوف المسيح ومحبته بجميع المؤمنين الخائفين المحبّين له ولبعضهم البعض وتسميرهم بالمحبة الروحانية وتوصلهم بحفظ الوصايا بعضهم الى بعض حتى يكونوا كلّهم تابوتا واحداً ، جسدا واحداً للمسيح . كل واحد منهم كما أعطاه الله من المواهب يخدم غيره ممن لم يعطاها ، كما يخدم كل عضو من الجسد باقي أعضاء الجسد بما قد خُصّ به من الموهبة . ولذلك قال الله لنوح : زفت التابوت من داخل ومن خارج يعني أن المحبة تكون داخل قلوبهم بعضهم ببعض ، وتطهّر خارجهم بخدماتهم وعنايتهم وتعزيتهم بعضهم لبعض . فمن يكونون هكذا هم تابوت واحد وكنيسة المسيح وجسد حقيقي له ؛ لان جميعهم أُعطي بعضهم لبعض ، متسمّرين بعضهم ببعض بمسامير خوف الله ، والمحبة تسترهم من دخول الشيطان اليهم ، كما يستر الزفت السفينة من دخول الماء اليها .

وكما لا يمكن أن تجتمع ألواح السفينة بعضها الى بعض الاّ بالمسامير ، كذلك لا تجتمع الجماعة بالفة الى بعضها البعض الاّ بخوف المسيح الهنا . والمحبة تستر من الشيطان ، لا يدخل اليها كسترة السفينة بالزفت . فحسنا جدّا مثّل المسيحُ إلهنا كنيستَه بالسفينة ، لكي يُظهر كيف يجب أن تكون إلفتها مع بعضها البعض حتى تكون ميناء خلاص وموضع نجاة لمن هو داخل اليها ، لانه (ينيّحهم) من الخطايا الشيطانية : الطوفان المغرق المهلك لكل من هو خارجها بغير ضرورة تلزمه . وأيضا السفينة كان فيها ثلاث طبقات : الطبقة العليا هم رؤساء الكهنة ، والوسطي هم الكهنة ، والسفلى أيضا الشمامسة وما دونهم . وارتفاع السفينة ثلاثون ذراعا ؛ وقانون المسيح رسم أن يكون الذي يوسم كاهناً لا يوسم قبل إتمام ثلاثين سنة ، كما لم يتعمّد ربّنا قبل ذلك الوقت ولا تلمذ . ولكون الكنيسة هي مؤمنة بالثالوث ، أشار الى ذكر الثالوث في السفينة مُكرَّراً من كل ناحية الطبقات الثلاث وارتفاع الثلاث مائة والثلاثين ذراعاً .

وفي السفينة قال الله لنوح : إجمع من الاطعمة التي تأكلها لكي تغتذي أنت ويغتذي به كل الحيوان معا . وجميع الحيوان الذي ليس غذاه متّفقاً كان يغتذي غذاء واحداً في السفينة ، لان فيها اجتمعت الوحوش المختلفة من السباع والبهائم والدبائب . والكنيسة هكذا اجتمعت فيها الامم المختلفة الاجناس والاشخاص المختلفة الافعال في أمانة واحدة ومعمودية واحدة وقربان واحد وناموس واحد : يعني الرئيس والفلاّح ، والمحتشم والفارس ، الغلام والملك ، العامّي والكاهن ، الشعوبي والراهب والعلماني . كل هؤلاء ، هم وصغارهم ونساؤهم وعبيدهم المؤمنون المتعمّدون بالصبغة : جميعهم يتناولونه في البيعة قرباناً واحداً من صينية واحدة وكأس واحدة ؛ لا فضل لأحدهم على الآخر ، كما كان في تابوت

نوح : الاسد ومن يشبهه الذي لا يغتذي الاّ باللحم ، والخروف ومَن يشبهه من الحيوان الذي لا يغتذي الاّ بالنبات يغتذون غذاء واحداً ، لا خلاف بينهم ، ومدبّر واحد يدبّر الكل وهو نوح . وكما هو وأولاده أربعة رجال وأربع نسوة تابعة مدبّرون التابوت ، كذلك تدبير البيعة بأسرها بالاناجيل الاربعة والكراسي البطريركية الاربعة التابعة للاناجيل .

القراءة الثالثة عشرة (من سفر الكون)

ليوم الثلثاء من الصوم المقدس في الجمعة الثالثة

الكتاب :

« وقال الله لنوح ادخل التابوت أنت وجميع أهلك فإني إياك رأيت بارا أمامي في هذا الجيل . وخذ من جميع البهائم الطاهرة سبعة سبعة ذكوراً وإناثا . ومن البهائم التي ليست طاهرة اثنين ذكرا وأنثى . وخذ أيضا من طير السماء سبعة سبعة ذكوراً وإناثاً ليحيا نسلها على وجه كل الأرض . فإنني بعد سبعة أيام ممطر على الأرض أربعين يوما وأربعين ليلة وماح كل قائم ممّا صنعته عن وجه الأرض . فعمل نوح بحسب كل ما أمره الرب به » (تك ١/٧ — ٥) .

التفسير :

قال : إنّ الله قال لنوح أُدخل الى التابوت لاني وحدك وجدتك انسانا بارّا قدّامي في هذا الجيل . أُدخل أنت وكل الحيوان معك . حسنا قال إن نوحاً بارّ أمامه ، يعني بارّاً من داخله قبل خارجه ، لان البارّ من خارجه هو أمام الناس بارّ . والبارّ من داخله هو البارّ أمام الله لكونه بارّاً في باطنه ، لا يراه غير الله . ومَن كان بارّاً هكذا ، ينقّي قلبه من داخل من كل ما يكرهِ اللهُ ، خوفاً من الله الذي يعلم أنّه يرى باطنه ؛ فهو الخائف من الله بالحقيقة . المؤمن بالله أنّه يراه . وذلك أن الذي يعلم أن انساناً يراه وهو يخطأ يستحي ويخاف من الذي يراه فلا يخطأ . وكذلك الذي لا يخطأ بقلبه هو بالحقيقة آمن أن الله يرى باطنه ، ولذلك هو يخاف ويستحي منه فلا يخطأ . هذا هو حدّ الامانة بالله ، اذا صار الانسان يخاف الله الذي يرى باطنه ولا يخطأ بقلبه ، بل كل حين ينقّي قلبه من العظمة ، الزنى وحب الفضّة والغضب والحزن والملل والشَره والسبح الباطل وما يشبه هذه ممّا ينجّس قلبه . مَن نقّى قلبه هكذا فهو البارّ أمام الله ، والله يخلّصه من الهلاك الذي يهلك به الخطأة . كما خَلّص نوح بل ويخلص معه كل من يصحبه كما قد خلص نوح وكل من معه في السفينة .

قال الله لنوح ان يكون كل حيوان يأخذه معه في السفينة مزوجا ، ذكراً وأنثى ، لكي يكونا ثمرة على الارض . كذلك رسم المسيح أن يكون كلّ من في البيعة أزواجاً ، ذكراً وأنثى ، لكي ينموا ويكثرا ويثمرا لان الذكر والانثى أبدا مثمران ، كذلك واجب أن تكون الكنيسة كلّها أزواجا أزواجا ، تلاميذ ومعلّمين ، لكي ، من التعليم والتأديب ، ينموا ويثمروا في حفظ وصايا المسيح ، كما قد أوصى تلاميذه قائلا : « **اذهبوا وتلمذوا كل الامم وعلّموهم حفظ كل ما أوصيتكم به** » (متى ١٩/٢٨ — ٢٠) . أمر ان تكون الكنيسة بأسرها تلاميذ ومعلّمين . وعلى قدر المعلّم في فضله ، كذلك يكون التلميذ ، كما قد كان

في التابوت ، الذكر والانثى ، الذكر الطاهر له أنثى طاهرة ، والذكر غير الطاهر له أنثى مثله غير طاهرة . ومتى عدم المعلّم حفظ وصايا المسيح ، لا يوجد أيضا تلميذ . كذلك اذا وجد معلّم هذه صفته ، كان التلميذ أيضا مثله .

ولذلك أخذت القوانين المقدسة الوصيّة وحدّدت وأمرت ان لا يقام في الكنيسة أبدا لا كاهن ولا معلّم الاّ من يكون حافظاً لوصايا المسيح بالكمال ، وحرمت وأفرزت من يقيم كاهنا أو معلّما ليس هكذا . لان الخطايا التي لسكّان الارض من بني آدم في أيام نوح أهلكهم الرب وأهلك كل الحيوان الذي تحت سلطانهم وتدبيرهم ، مع كون الحيوان لا خطيئة له ولكن من أجل خطيئة مدبريهم هلكوا هم بهلاكهم . أراد الرب آن يعلّمنا أنه اذا كان المدبّرون والرؤساء من الكهنة والمعلّمين غير حافظين الوصايا ، هلكوا وهلك معهم كل من هو تحت سلطانهم من شعبهم وتلاميذهم ، لان شعبهم وتلاميذهم لا يخطأون الاّ بعمل الوصايا . وهم لا يمكنهم عملها الاّ بتأديب المعلّمين وحثّهم لهم عليها .

فاذا كان المعلّمون لا يعملونها ولا يعلّمونها ، فالتلاميذ كذلك هم أيضا ، وهم أيضا يهلكون ، لكونهم لا يعملون الوصايا . وهذا هو القول الذي قاله ربّنا : « **إن أعمى يقود أعمى يقعان كلاهما في حفرة** » (متى ١٥/١٤ ؛ لوقا ٦/٣٩) . يعني أن معلّما لا يعمل بالوصايا بل شكّ ، هو أعمى وهو يقود تلاميذه الى عدم عمل الوصايا مثله ، وكلاهما يقعان في الجحيم . ولمّا علم الرب بعظم هذا الهلاك ، حذّرنا من اتّخاذ معلّم لا يحفظ الوصايا . قال : « **إحذروا ان يكون النور الذي فيكم ظلمة** » (لوقا ١١/٣٥) ، لان المعلّم هو نور التلميذ والكاهن هو نور الشعب ، يضيء لهم بعمله وتعليمه ويرشدهم الى حفظ الوصايا مثله . فاذا كان الكاهن لا يعمل ولا يعلّم الوصايا ، فليس هو نوراً بل ظلمة . حذّرنا الرب من معلّمنا هكذا قائلا : « **إحذروا أن يكون النور فيكم ظلمة** » (لوقا ١١/٣٥) . قال : « **واذا كان النور ظلمة ، فظلمتكم أنتم بالحري كم تكون زائدة ؟** » (متى ٦/٢٣) . يعني اذا كان المعلّم ظلمة كذلك يكون التلميذ وأزيد منه . واذا كان المعلّم حافظاً الوصايا ، عمّالاً بها ومرشداً شعبه لها ، فهو يخلص ويُخلّص معه جميع شعبه بطاعتهم له . كما أن نوحاً لمّا كان بارّاً خلص كل من كان معه في السفينة تحت تدبيره .

قال الله لنوح : ممّا تغتذي أنت غذِّ كل من معك في السفينة . حقّق أن المعلّم لا يعلّم التلميذ الاّ ما هو عليه : إن كان جسدانيا كان تلميذه مثله ، وان كان روحانيا كان تلميذه مثله . لان التلميذ أبدا مثل المعلّم . ولكن لا يجب على مخلوق ان يدين أو يهين أو يحقر كاهناً قليل الدين ، بل ولا يجب ان يهين انسان علمانياً لاجل أنه خاطئ . ولا يبغض فاعلها ولا يتشبّه به فيها . قال الله لنوح : خذ من الحيوان الطاهر سبعة سبعة ومن غير الطاهر اثنين اثنين . كان الطاهر في السفينة أكثر من النجس ، إشارة بذلك أن يكون أولاد الكنيسة مهتمّين بالروحانيات أكثر من الجسدانيات . وهو حسن قوله ، تبارك اسمه ، إن الطاهر سبعة وغير الطاهر اثنان . لان سبع دفعات هو قانون الصلاة ، رسمها كل يوم وكل ليلة ، لعمل الروح على كل علماني وراهب ، يطلبها وهو في أي حال كان ، حسب طاقته كلّها . إن يمكنه السجود ،

فليسجد ، وان لا يمكنه لكون الموضع لا يصلح أو لضعف قوته ، فليصلِّ وهو قائم . وان كان لا يمكنه القيام ، فليصلِّ وهو جالس أو راقد أو ماشٍ أو مسافر أو راكب . والعلماني له رسم دفعتين يهتّم بهما بجسده : اذ يتغدّى ويتعشّى . ولذلك قال : ان الحيوان غير طاهر يكون اثنين ، أشار بذلك الى الغداء والعشاء الجسداني ، ليس انه غير طاهر ، بل هو طاهر . اذا لم يكن يوم صوم ، يلزم العلماني الامتناع من الأكل فيه .

وفي سفينة نوح ، كانت أربعة أجناس من الحيوان غير الناطق ، وهي البهائم والوحوش وطيور السماء ودبائب الارض . كذلك في الكنيسة موجودة هؤلاء الاربعة الأجناس :

البهائم هم شعب المتزوّجين الخادمين الرب في محبة الرب والاحسان الى بني آدم ، وفي وصايا المسيح والطاعة لمعلّميهم وكهنتهم ، كطاعة البهائم وخدمتها البشر ؛ لان المتزوج الحافظ وصايا المسيح ، المحسن للضعفاء من بني البشر والمتحنّن عليهم والخادم لهم في وصايا المسيح ، هو بالحقيقة خروف وكبش المسيح وحمار يركبه المسيح ويدخل راكبه الى مدينة قدسه السماوية : «كما دخل الى مدينة القدس الارضية راكباً الحمار» (متى ٢١/٧ و//). وربّما لم يركب ذلك الحمار عرياناً بل كانت عليه ثياب تلاميذه . وكذلك هذا العلماني المتزوج استحقّ ان يركبه الرب لكونه حمل تأديب تلاميذ الرب من المعلّمين الذين علّموه الوصايا وأدّبوه بالقوانين حتى حفظها وعمل بها .

والوحوش التي في الكنيسة التي للمسيح هم الرهبان الذين قد انفردوا عن مخالطة العالم وانعتقوا من هموم الدنيا التي يبتلي بها العلمانيون . كما قد انعتقت الوحوش في البرّية من خدمة الناس ومن كل أمورهم . ومن كان راهباً ولم يعتق نفسه من هموم التجائر ومعائش ومكاسب العلمانيين ومن تصرّفهم ومن كل مخالطتهم فليس هو راهباً ، لانه لم يشبّه نفسه في عزلة الوحوش عن الناس وعتقهم من عبوديتهم .

وطيور السماء التي في كنيسة المسيح هم الرهبان الذين قد كمّلوا وحلّ فيهم الروح القدس بالكمال مثل الرسل القديسين ومن يُشبههم مثل أنطونيوس ومقاريوس ، اللذين قد طارت عقولها فوق الى السماء وهما أحياء في الجسد ، وصارا لله وللملائكه ناظرَين مرتفعي العقول عن الارض كل حين .

والدبائب في الكنيسة هم الموضوعون تحت قانون التوبة ولم يكّملوا بعد قانونهم لكي يتناولوا السرائر المقدسة فيرتفعوا من درجة الدبائب الى غيرها أعلى منها . وبولس الرسول قد ذكر هذه الاربعة في رسالته وقال : «انها في الكنيسة موجودة ، وشبّهها بأواني الذهب والفضّة والخشب والخزف» (رومية ٢١/٩) . وقال إن مَن كان منها اناء الهوان ، فهو قادر ان ينقّي قلبه بالتوبة الكاملة حين يصير اناء للكرامة .

القراءة الرابعة عشرة (من سفر الكون)

لعشيّة يوم الاربعاء في الجمعة الثالثة من الصوم المقدس

الكتاب :

« وكان نوح ابن ست مئة سنة حين كان ماء الطوفان على الأرض . ودخل نوح التابوت هو وبنوه وامرأته ونسوة بنيه معه من ماء الطوفان . ومن البهائم الطاهرة ومن البهائم التي ليست بطاهرة ومن الطير وجميع ما يدب على الأرض . دخل التابوت اثنان اثنان إلى نوح ذكوراً وإناثاً كما أمر الله نوحاً » (تك ٦/٧ — ٩) .

التفسير :

قال الكتاب : إن نوحاً لمّا صار ابن ست مائة سنة ، دخل الى السفينة ، وأتى الطوفان على الارض في سنة ستمائة لعمر نوح . ويجب أن ننظر الى عظمة رحمة الله وعظم إمهاله لكونه لا يسرع بهلاك انسان بسرعة حتى يكثر انذاره قبل ذلك ، لأن الكتاب يقول : إنه أمر نوحاً أن يعمل السفينة وهو ابن خمسمائة سنة ، ولم يأتِ الطوفان حتى صار له ستمائة سنة . أقام نوح مائة سنة وهو يعمل في السفينة بتمهّل ورفق وأناة ، لعلّهم يرجعون ويتوبون بانذار نوح لهم وبما يرونه من عمل السفينة . فلمّا لم يتوبوا بعد هذه المهلة العظيمة ، استحقّوا الهلاك بحقّ ، وذلك ان المهلة التي أراد الرب بها لهم الخلاص جعلوها هم سبباً لهلاكهم ؛ لمّا نظروا أن قد طالت المدّة ولم يأتِ الطوفان ، كذّبوا الوعيد وظنّوا أنه تهديد ولم يصدّقوا حقيقته حتى أدركهم بغتة .

علّمنا الرب بهذا أن متى سمعنا من الرب وعداً وتهديداً ، ويتأخر ذلك ، فلا نظنّ أبدا أن القول يَبطل ونشكّ في كلمة الرب ونتوانى عمّا يجب علينا ممّا أمرنا به ونهانا عنه . ثم لمّا همّ الرب بارسال الطوفان على الارض ، أمر نوحاً بالدخول الى السفينة هو وكل من معه ، ولم يسرع بالطوفان بل قليلاً قليلاً . وقال إلى سبعة أيام يكون الطوفان ، رجاء منه توبتهم وعودتهم في تلك السبعة أيام .

الله يمهل هكذا حتى تثبت حجّته على الخاطئ ، ولا يبقى له حجّة ولا عذر يعتذر به ، بل تمّ الويل الويل لمن استهان بالامهال والانذار ، وطوبى لمن لا يستهين به ، « **لان أهل نينوى ، لمّا لم يستهينوا به ، بل خافوه** وسريعاً أيضاً تابوا من كل **شرورهم الكثيرة المتزايدة ، مع كونهم كانوا عابدي أصنام ، والله يونان لا يعرفونه** قط ، أدركتهم الرحمة ورجع ، تبارك اسمه ، **في قوله الذي قال أن يبيدهم** » (نبوءة يونان ١/٣ — ١٠) . « وأتعاب الملك ، **هو أيضا** ، **لمّا أنذره الياس النبي بالهلاك الذي قال إنه يفعله**

به . أسرع بالتوبة ولبس لباساً خشناً قدّام الله . **فعجب اللهُ من توبته وقال لالياس : إن أخاب اتّضع . الحقّ أقول لك ان الذي وعدته به لا أُفعله به** » (سفر الملوك الثالث ١٧/٢١ — ٢٩) . ويهوذا الاسخريوطي ، لمّا استهان بانذار الرب وقوله : « **الويل للذي يسلّم ابن الانسان على يده . الخير له لو لم يولد** » (متى ٢٤/٢٦) ، لمّا استهان بهذا الانذار ولم يخف ويرتعد ، ناله الويل في ليلته تلك « **ومات بخنقه لنفسه** » (أعمال ١٨/١) ، وفاتته الحياتان : حياة هذا الدهر وحياة الدهر الآتي . قال المسيح الهنا الرحوم الرغبة والسؤال ان لا يجعلنا نستهين بانذاره ولا نرفض ما نسمعه منه ، بل يعضدنا وينهضنا بقوّته ورحمته لنتوب عن الزلاّت التي من أجلها يتواعدنا .

القراءة الخامسة عشرة (من سفر الكون)

لعشيّة يوم الخميس من الجمعة الثالثة من الصوم المقدس

الكتاب :

« وبعد سبعة أيام كانت مياه الطوفان على الأرض . في السنة الست مئة من عمر نوح في الشهر الثاني في اليوم السابع عشر منه في ذلك اليوم تفجرت عيون الغمر العظيم وتفتحت كوى السماء . وكان المطر على الأرض أربعين يوما وأربعين ليلة . في ذلك اليوم نفسه دخل نوح التابوت هو وسام وحام ويافث بنوه وامرأة نوح وثلاث نسوة بنيه معهم . هم وجميع الوحوش بأصنافها وجميع البهائم بأصنافها وجميع الدبابات الدابة على الأرض بأصنافها وجميع الطير بأصنافها من كل طائر وكل ذي جناح . ودخلت التابوت إلى نوح اثنين اثنين من كل ذي جسد فيه روح حياة . والداخلون دخلوا ذكوراً واناثاً من كل ذي جسد كما أمره الله وأغلق الرب عليه . وكان الطوفان أربعين يوما على الأرض فكثر الماء وحمل التابوت فارتفع عن الأرض . وكثرت المياه جدا وتعاظمت على الأرض فسار التابوت على وجه الماء . وكثرت المياه جداً جداً على الأرض فتغطت جميع الجبال الشامخة التي تحت السماء كلها وعلت المياه خمس عشرة ذراعا على الأرض وتغطّت الجبال . فهلك كل ذي جسد يدب على الأرض من الطير والبهائم والوحوش ، وجميع الزحافات التي تزحف على الأرض والناس كافة كل من في أنفه نسمة حياة من كل من في اليبس ماتوا . ومحا الله كل قائم كان على وجه الأرض من الناس والبهائم والدبابات وطير السماء فانمحت من الأرض وبقي نوح ومن معه في التابوت فقط . وتعاظمت المياه على الأرض مئة وخمسين يوما » (تك ١٠/٧ — ٢٤) .

« وذكر الله نوحا وجميع الوحوش والبهائم التي معه في التابوت . فأرسل الله ريحا على الأرض فتناقصت المياه وانسدت عيون الغمر وكوى السماء واحتبس المطر من السماء . وكانت المياه تتراجع عن الأرض كلما مرت وعادت ونقصت المياه بعد مئة وخمسين يوماً » (تك ١/٨ — ٣) .

التفسير :

قال : إن في الشهر الثاني في سنة ستمائة من عمر نوح ، لمّا لم يخف الناسُ اللهَ وصدّقوا ما نظروه من اجتماع نوح مع أولاده وكل الحيوان في السفينة ، حينئذ استحقّوا الهلاك . وأغلق الربُ السفينة على نوح وفتح عيون الغمق ومزاريب السماء وأمطر المطرَ على الارض أربعين يوماً وأربعين ليلة . « **مثل هذه العدّة صام ربّنا** » (متى ٢/٤ و//) ، لكي يعلّمنا أنّ بها يكون تغريق الخطيئة واماتة الذنوب ، وذلك أنه في الاربعين يوما والاربعين ليلة التي دام فيها المطر ، مات كل خاطئٍ تحت السماء وكل حيوان موجود ؛ صعد اليهم الماء من أسفل ونزل عليهم الماء من فوق . كذلك في الصوم الاربعين المقدس العظيم تموت كل الشهوات الارضية الجسدانية بالصوم والحميّة ، وتضيء الافكارُ العلوية السماوية بالصلاة

والقراءة . وذلك أن السفينة ألواحٌ مجتمعة بعض الى بعض مسمّرة بالمسامير . وهذه حفظت سكّانها من الماء المهلك .

ووصايا المسيح هي هكذا مجتمعة بعضها الى بعض ، خوف الله هي متسمّرة . واذا هي اجتمعت هكذا وتسمّرت في مَن يحفظها ويعمل بها ، حفظته من الشياطين الذين يُغرقون النفوس في الخطيئة . وصايا المسيح المجتمعة المتّصلة التي يقول عنها هي المحبة التي توصّلنا وتجمعنا وتآلفنا بعضنا مع بعض ، التي مَن رام حفظها والعمل بها ، احترق الشيطان من الحسد وألهبته الغيرة ، فقاتله بكل نوع من الحيل ، وذلك انه يُصعد له الماء من أسفل ويُحدر له الماء من فوق : الماء الذي يصعد له من أسفل هي القتالات التي يقاتله بها من خارج ، إمّا بمن يبغضه أم بمن يغيظه أو بمن يهينه أو بمن يظلمه أو بمن يتعبه أو بمن يتعظّم عليه أو بخيال نجس من أشكال الزنى يصوّره قدّام عينيه أو بما يُسمعه لأذنيه . والماء الذي يحدر عليه من فوق هي الافكار النجسة التي يبذرها في عقله ، إما ذكر الشرّ الذي قد فُعِلَ به من انسان يذكّره به بغيظ ويجعله يغضب عليه ويشتهي له القصاص ، وإما ذكر ما قد يخايل من اشكال الزنى وما قد سمعه من حديثه الذي يضرم الشهوة . هذه القاتلات اذا ما قاتلت المؤمن ، وكان محفوظاً داخل السفينة التي هي وصايا المسيح في المحبة ، فلا تمكن مياه الشيطان الدخول عليه ، بل اذا هو فتح له طاقة في السفينة بقلعه لوحا من ألواحها ، أعني بمعصية واحدة من وصايا المسيح الالهية ، فهو يدخل ويغرّقه ويهلكه . وكما ذكر أيضا الكتاب : إن السفينة كانت ترتفع على الماء وترفع سكّانها ، كذلك وصايا المسيح ترفع حافظَها هي وتستره وتُعليه عن تجارب الشيطان الجسدانية والروحانية المقدّم ذكرها ان بهما يغرق النفس في السفينة ويهلكها . كذلك بالخطيئة يهلك ويغرق كلّ من ليس هو في وصايا المسيح والمتهاون بوصيّة واحدة منها .

ثم قال الكتاب إنه بعد أربعين يوماً وأربعين ليلة ، مسك الماء عن الزيادة وبقي على حاله بلا نقص الى تمام مائة وخمسين يوماً . ما هي زيادة الماء في هذه الاربعين يوماً والاربعين ليلة ؟ وماذا تتعلّم النفس من هذا الكلام ؟ تعليماً شريفاً جدّا تتعلّمه وهو أن الشيطان ، في مدّة حربها له وحربه لها ، يقاتلها في الماء العلوي ، وهو انه يعلي عقلها الى فوق ويجعلها تتعظّم وتفتخر بما تغلبه به ، وبما تصبر عليه من حربه . وكذلك اذا ما أراد الرب مداواتها من هذه العظمة ورفع عنها عنايته ومعونته التي بها تنشط لعمل الوصايا ، وعلم الشيطان ، عاد (الشيطان) فأحدر عقلها الى أسفل وقاتلها بالماء السفلي الذي هو اليأس وقطع الرجاء ، وأثبت لها أنها لا تعود بعد تقدر على رجوعها الى نشاطها الاول ومحبتها في المسيح . وهذا النشاط وهذا الكسل هما النهار والليل اللذان عيّنهما الكتاب وقال : إن الماء يتزايد فيهما أربعين يوماً وأربعين ليلة . وذلك أن نعمة الروح القدس — التي هي شمس البرّ — اذا ما أشرقت على النفس وأحمتها وسكّنتها ، نشطت لعمل الوصايا واستضاءت بنور النعمة في ذلك . والشمس اذا ما أشرقت على الارض ونشّفت رطوبتها ونداوتها ويبسها ، لا يبقيها الرب عليها لئلا تيبس وتتفتّت ، بل يرفعها عنها ، ويأتيها بدرُ الليل ونداوتُه ترطّب يبسها . فاذا ترطّبت ، لا يبقى ذلك دائماً عليها لئلا تزيد رطوبتها وترتخي وتنحلّ .

وهذا التدبير عينه يدبّره الله للنفس ، وذلك انه اذا نظرها تتعظّم بالنشاط الذي قد حصل لها من نعمة الروح القدس ، وتفتخر على غيرها ممّن ليس له ذلك الحرص مثلها ، أو تدينه أو تحقره ، ولم تعلم ان ذلك الحرص الذي معها ليس هو منها بل من نعمة الروح القدس ، الشمس الذي بتفضّله أشرق في قلبها ، للوقت يرفع النعمة عنها ، التي هي معونتها ، فيبدأ يقاتلها الروحُ النجس بظلمته وبرودته وكسله ورخاوته فيليّنها ويرخّيها . واذا نظرها الرب قد أشرفت على اليأس ، يرفع عنها تلك الظلمة النجسة التي فيها تسري اللصوص والوحوش ؛ وعادت نعمة الروح القدس شمس البرّ أشرقت عليها ورفعت عنها الكسل والرخاوة . وبهذين الامرين وبترادفهما وتكريرهما واحداً بعد واحد ، تتدبّر النفس مدّة طويلة حتى تعرف ضعفها ، ولا تعود تتعظّم في النشاط ، ولا تيأس في الكسل ، بل في النشاط تتحقّق أنه من الرب الذي بقوّته نشّطها . وفي الكسل ترجو الربَّ الذي بقوّته سينشّطها .

هذه هكذا هي التي « **بنت بيتها على الصخرة** » (متى ٧/٢٤) ، أعني قوّة الرب وليس ينهدم بناؤه من الامطار ولا من الانهار . وحسنا قال الرب : بنت بيتها كما تُبنى السفينة ، والامطار والانهار أحدهما من فوق وهو العظمة والآخر من أسفل وهو اليأس ، كالماء الذي كان يمطر على السفينة من فوق ويفجّ لها من أسفل ؛ والرياح التي قال الرب عنها هي أرواح الشياطين التي تلعب بها بهذين المائين : العظمة واليأس كالرياح بالسفينة ، والصخرة التي تبني بيتها عليها هي الربُّ الذي ، عند نشاطها ، تقول : قوّته نشّطتني ، وعند كسلها ترجوه وتقول : قوّته ستنشّطني . فاذا وثقت بالرب هكذا مسكت عنها زيادة التجارب والقتال كما مسكت زيادة الماء بعد أربعين يوماً وأربعين ليلة ، ويبقى القتال على حاله بغير زيادة الى تمام مائة وخمسين يوماً . المائة والخمسون يوماً هي خمسة شهور . قال : إن القتال يبقى على حاله مدّة طويلة حتى تقاتل النفس قتالاً شافياً على حفظ حواسّها الخمسة وتحفظ ذاتَها بقوّة مستمرّة كل يوم وكل ساعة ممّا يسخط اللهَ بالنظر وبالسمع وبالشم وبالمذاق وباللمس ، هذه الخمسة التي يريد الله من النفس ان تقاتل الشيطان بها وتحفظها منه مدّة طويلة ، حتى اذا هو نظر صبرَها وحسن جهادها ، ذكرها وهبَّ فيها بروح قدسه وأنقص منها القتال قليلاً قليلاً . فلمّا ذكر الله نوحا والذين معه في ضيقة السفينة وهبَّ ريحٌ من قِبَلِهِ أنقص الماء قليلاً قليلاً ، كذلك يذكر من قد طالت مدّتُه في الجهاد وحزن الشيطان ، ويرسل اليه هبوب روح قدسه يُنقص القتال قليلاً قليلاً .

القراءة السادسة عشرة (من سفر الكون)

لعشيّة يوم الجمعة الثالثة من الصوم المقدس

الكتاب :

« واستقر التابوت في الشهر السابع في اليوم السابع عشر منه على جبال أراراط . وكانت المياه كلّما مرت نقصت إلى الشهر العاشر وفي أول يوم منه ظهرت رؤوس الجبال . وكان بعد أربعين يوما أن فتح نوح كوة التابوت التي صنعها وأطلق الغراب فخرج وجعل يتردد إلى أن جفت المياه عن الأرض . ثم أطلق الحمامة من عنده لينظر هل غاضت المياه عن وجه الأرض . فلم تجد الحمامة مستقرا لرجلها فرجعت إليه الى التابوت إذ كانت المياه على وجه الأرض كلها فمدّ يده فأخذها وأدخلها إليه إلى التابوت . ولبث أيضا سبعة أيام أخر وعاد فأطلق الحمامة من التابوت . فعادت إليه الحمامة وقت العشاء وفي فيها ورقة زيتون خضراء فعلم نوح أنّ المياه قد جفّت عن الأرض . ولبث أيضا سبعة أيام أخر ثمّ أطلقها فلم تعد ترجع إليه أيضاً . وكان في سنة إحدى وست مئة في اليوم الأول من الشهر الأول أن جفّت المياه عن الأرض . فرفع نوح غطاء التابوت ونظر فإذا وجه الأرض قد نشف . وفي الشهر الثاني في اليوم السابع والعشرين منه جفّت الأرض . فخاطب الله نوحا قائلاً اخرج من التابوت أنت وامرأتك وبنوك ونسوة بنيك معك . وجميع الوحوش التي معك من كل ذي جسد من الطير والبهائم وسائر الدّبيب الساعي على الأرض أخرجهن معك ليتوالدن في الأرض وينمون ويكثرن عليها . فخرج نوح وبنوه وامرأته ونسوة بنيه معه وجميع الوحوش والدبابات والطيور وكل ما يدبُّ على الأرض بأصنافها خرجت من التابوت . وبنى نوح مذبحا للرب وأخذ من جميع البهائم الطاهرة ومن جميع الطير الطاهرة فأصعد محرقات على المذبح . فتنسم الرب رائحة الرّضى » (تك ٨/٤ — ٢١ أ) .

التفسير :

قال : إن الماء استقرَّ نقصه الى الشهر السابع . جلست السفينة بعد نقصه على أحد الجبال . تركَ عددَ الايام وذكر عدد الشهور ليبيّن الغرض المقدّم ذكره وهو قولنا إن كان قصده بعدد المائة والخمسين يوماً ، الخمسة أشهر ، التي هي اشارة لحفظ الخمسة حواسّ ومع حفظ الخمسة حواسّ يُحفظ عضو التناسل أيضا ، وهو السادس . ومع هذه ، يُحفظ القلبُ أيضا من كل فكر رديء ، وهو السابع . فانه اذا حَفظ الستة وحَفظ السابع هكذا ، ولازم حفظه ، جلست السفينة التي هي العقل ، هادئة ساكنة غير متموّجة وغير مضطربة من الامياه الشيطانية . وذلك أن العقل ، اذا ما نقّى قلبه من الاوجاع السبعة التي هي أصول كل الأوجاع وهي : الشره ، والزنى والغضب والحزن والملل والتنفّخ وحب الفضّة ، اذا ما نقى قلبه من هذه ، هدأ من الحرب الشيطاني وارتبط بمحبة الله فقط وسكن عليها . وهي بقوّتها تهديه من كل اضطراب وتموّج ، كما اهتدت السفينة على الجبل في الشهر السابع لان الكتاب لم يُرد بالشهر السابع سوى

تنقية القلب من هذه الاوجاع السبعة التي بتنقية القلب منها يرسو العقل ويهدأ . وقال وان الماء تناقص في الشهر العاشر : في أول يوم منه ظهرت رؤوس الجبال ؛ وبعد أربعين يوماً فتح نوحٌ طابقَ السفينة وأرسل الغراب فلم يعد الى السفينة حتى نشف الماء . قال : إن الماء تناقص في الشهر العاشر. أراد بذلك كمال الحواسّ العشرة : الخمسة التي للجسد والخمسه التي للنفس ، لانه لمّا ذكر تطهير القلب أمر بتطهيره بالكمال وتنقية حواسّه الخمسة كلّها والحرص عليها من كل وسخ ، كما قد فعل بحواس الجسد الخمسة وهي النظر والسمع والشمّ والذوق واللمس ، اذ يحفظها من كل ما يضاد وصايا المسيح . كذلك يحفظ وينقّي حواسّ نفسه الخمسة وهي : العقل والفهم والذكر والفكر والاختيار . يحفظها وينقّيها من كل الاوجاع المضادة لوصايا المسيح ؛ فاذا كمّل تنقيّة هذه العشرة ، الخمسة الحسيّة والخمسة العقلية ، انكشفت له بالحقيقة مناظرُ إلهية واعلانات سماوية وبواطن روحانية التي سمّاها الكتاب رؤوس الجبال ، وقال إنه في الشهر العاشر انكشفت رؤوس الجبال .

أراد بتطهير الحواسّ العشرة ان يكشف للانسان بداية الامور العالية . قال : بعد أربعين يوماً ، أرسل نوح الغراب من السفينة . يعني الامور العالية ، اذا بدت تنكشف للانسان ، واستمرّ كشفها له مدّة من الزمان ، وثبت حافظاً نفسه من التعظيم والامتداح بها ، حينئذ قوّة الروح القدس تطرد منه الشيطان النجس ، الغراب الاسود . تنطرد منه بالكمال ، من النفس والجسد والعقل ، لان الانسان ، اذا هو جاهد على كمال نقاوة باطنه وظاهره بذكر الله المستمرّ في قلبه ، حينئذ يملأه الروح القدس كما قد ملأ الرسل القديسين بعد صعود الرب الى السماء ، ويطرد منه الشيطان ، الروحَ النجس المظلم ، كما قد طرده من الرسل القدّيسين في اليوم الذي كمل حلولُه فيهم . وحسنا قال الكتاب : إنه بعد أربعين يوماً ، أخرج الغراب من السفينة ، « **لانه بعد الاربعين يوماً من قيامة المسيح ، صعد الى السماء وأرسل روح قدسه** » (أعمال ١ /٢ — ٣) ، فطرد الشيطان من تلاميذه . في عشرة أيام من الشهر الحادي عشر ، أخرج الغراب من السفينة ؛ وكذلك بعد صعود ربّنا بعشرة أيام ، خرج الشيطانُ بالكمال بقوّة الروح القدس من نفوس التلاميذ القدّيسين ومن أجسادهم ، وطرد منهم الظلمة بالتمام ، وجعلهم الروح القدس بلا خطيئة وبلا فكر نجس . هكذا يتنقّى ويتطهّر من فعلِ الشيطان كل من كملت له نقاوةُ الحواسّ العشرة ، الباطنة والظاهرة ، ووصل الى التلاميذ من الروح القدس ، وذلك أنّ الغراب لم يكن له في السفينة لا ميتة ولا جيفة ، كما كان ذلك يلذّ له . ولمّا خرج من السفينة ووجد له كثيراً لكثرة الغرقى ، اشتغل بها واستراح من حبس السفينة وتعبها . وكذلك النفس التي تحفظ حواسّها الباطنة والظاهرة لا يجد الشيطانُ له فيها لذّةً ، لانه لا ميتة فيها ولا جيفة ، أعني لا فكر نجس له فيها تقبله من أفكاره . فهو يكون فيها في حبس وشدّة . فاذا أخرجه منها الروح القدس ، لا يعود يدخلها أبدا بل يمضي ويستريح في غيرها من الغرقى في بحر العالم ، الموتى بالخطيئة الذين هم غذاء ولذّة له . ولمّا خرج الغراب ولم يعد ، حينئذ صارت الحمامة رسولة لنوح ، يستعلم بها ما هو عنه خفي . كذلك بعد خروج الشيطان من النفس ، يكون الروح القدس يُعلّمها كل ما هو عنها خفي ، مما تريد علمه . وكما ان الحمامة أحضرت لنوح ورق الزيتون في فمها ، وبشّرته أن الطوفان قد انقضى والشجر قد انكشف ، كذلك لمّا كان طوفانُ الخطيئة مرتفعاً على كل انسان في

العالم كما قال الكتاب : إن الطوفان غطّى أعلى الجبال خمسة عشر ذراعاً ، كذلك أيضا تعالت الخطيئة قبل مجيء المسيح وارتفعت على كل من كان يظنّ أنه صدّيق مثل داود وسليمان الملك العظيم . فكيف من كان خاطئاً ؟

فلمّا كان طوفان الخطيئة مرتفعاً هكذا قبل ظهور المسيح ، وظهر وتعمّد ، أراد ان يثبت لنا إزالة طوفان الخطيئة بالمعمودية المقدّسة ، « **فانحدر الروح القدس مثل حمامة** » (متى ١٦/٣ و//) ، بشارة لنا وحياة كالبشارة لنوح . ولذلك أحضرت المبشِّرة ورقَ الزيتون لكون المعمودية المقدسة بدهن الزيتون تكمل . وكما كان في السفينة من الاطهار في الحيوان سبعة سبعة أزواج ، ومن غير الطاهر أقلّ من ذلك وهي زوجان ، كذلك ينبغي لابن المعمودية المقدسة المؤمن بالمسيح الحافظ لوصاياه أن يكون اهتمامه بالاعمال الروحانية أكثر من اهتمامه بالافعال الجسدانية الضرورية التي لا بدّ منها . وانما أعدّها زوجين من أجل أن الحاجات الضرورية للجسد صنفان ، كما قد ذكرها الرسول بولس اذ يقول لنا : « **غذاء وملبوس . هذا يكفينا** » ؛ قال : « **ومن أراد ان يصير غنيّاً ، فهو يقع في البلوى وفي شهوات كثيرة حمقى** » (١ تيموثاوس ٨/٦ — ٩) . يعني أنه من قدر على الغذاء والملبوس الذي تحتاجه الطبيعة ضرورياً ، وهمّ بما يزيد عن ذلك ، فهو يخالف ناموس الله المفروض في الكنيسة ، الذي قد أمر به من التقصير بهمّة الجسد ، بقوله : لتكن غير الطاهرة أقلّ من الطاهرة . وانما أسمى همّة الجسد غيرَ طاهرة من أجل كونها فانية زائلة ، وعدّ الطاهرة سبعة ، إشارة الى أوقات الصلوات السبعة المفروضة لكل مؤمن بالمسيح في كل يوم وليلة . وأراد بقوله سبعة أزواج ، ذكراً وأنثى ، تعليم المصلّي أن يكون في وقت صلاته لا يصلّي بجسده فقط ، وعقلُه طائش في أمور الدنيا وغير مميّز كلام الصلاة ، بل ليكن عقلُه مصلّيا مع جسده ، متفهّماً كلام الصلاة ، كما يأمر داود النبي اذ يقول : « **بمزامير وتسابيح وتراتيل سبّحوا الله في قلوبكم** » (أفسس ١٩/٥ ؛ كولسّي ١٦/٣)[1] . يعني سبّحوا الله وقلوبُكم تفهم ما تسبّحون به وتتلذّذون في التسابيح . وفي رسالة أخرى يقول : « **إن الذي يزمّر بفمه ، وقلبُه لا يفهم ، فقلبه يكون بغير ثمرة** » (١ كور ٧/١٤)[2] .

فمن أجل ذلك ، يجب على المصلّي أن يجعل باله من عقله ، وكل ما خطفه الشيطان من فهم الصلاة الى النظر في الامور الدنياوية ، يُسرع يستردّه الى فهم الصلاة . وبهذا يكون يصلّي بعقله وجسده اللذين هما ذَكَر وأنثى ، كما أمر الكتاب اذ يقول : وغير الطاهرة في السفينة زوج ، لكون الحاجة الضرورية الى غذاء الجسد في كل يوم وليلة دفعتين ، باكراً وعشيّة . وأراد بقوله زوجا ، ذكراً وأُنثى ، أن

(١) نُسب هذا المقطع لداود النبي ، بينما هو ، في الحقيقة ، لمار بولس ، كما تدلّ المراجع وكما يدلّ النص الكتابي اللاحق « وفي رسالة أخرى » ؛ هذا يعني ان المفسّر يذكر الكتاب المقدس بطريقة عفوية ، من غير تدقيق .

(٢) النص هنا حرّ.

يكون الذي يتغذّى ويتعشّى يُغذّي جسده بالطعام الجسداني ، وعقلُه في ذلك الوقت بعينه يغتذي بالطعام الروحاني ، لا يكون عقلُه في وقت غذاء الجسد مُشتغلاً عن ذكر الله في قلبه . وفي الغذاء والعشاء الجسداني تنبيه النفس على غذاها وعشاها الروحاني ، وذلك أن الغذاء دفعُ آلام الجوع الوارد من طول الليل ، والعشاء دفعُ آلام الجوع الوارد من طول النهار . كذلك أمرتِ النفسُ أن تكون باكر كل يوم تأخذ قانون توبة عن كل زلّة حدثت منها في الليل ، وعشيّة كل يوم تأخذ قانوناً عن كل ما حدث لها في النهار . فمن كان يدفع آلام جسده بالغذاء والعشاء ولا يدفع آلام نفسه بالقانون بكرة وعشيّة ، فقد قتل نفسه كما قتل جسده مَن لا يُغذّيه .

لمّا كان بالجوع والعطش ينقص دمُ الانسان ، وكان استمرار ذلك يميت ، جعل اللهُ في الطبيعة حسَّ ألم الجوع والعطش . يجوع الانسان أن يأكل ويشرب لكي يستردّ عوض ما نقص من الدم واللحم ، لانه اذا جاع الانسانُ ، نقص لحمُه ، واذا عطش نقَص دمه . كذلك بالتهاون بحفظ الوصايا تكون المعصية . الذي ، عندما يعصي المعصية يحسّ بالم المعصية ، ويُسرع يستردّ ذلك بقانون توبة عن تلك المعصية ، فهذا بالحقيقة حيّ بحياة المسيح ، **« وهو هذا الجائع العطشان الى البرّ وله الطوبى من الرب »** (متى ٥/٦) ، لأنه يجوع ويعطش لطاعة وصاياه . قال الكتاب : إنه في اليوم السابع والعشرين من الشهر الثاني ، سنة ست مائة وواحد من عمر نوح ، أُمر بالخروج من السفينة . وقد كان الكتاب قال إن الطوفان بدأ في السابع عشر من الشهر الثاني بسنة ستمائة . يكون مقامُهم في السفينة سنةً واحدة شمسية كاملة ، ثلاث مائة وخمسة وستين يوما .

انظروا ومجّدوا إلهنا على إقامته بكل حيّ تحت السماء داخل حبس السفينة مدّة سنة كاملة . وكونه بارك على ما معهم من القوت ، وجعله يكفي هذا الخلق العظيم ، لكي يكون المؤمن بالمسيح الحافظ لوصاياه غير قليل الامانة في القوت الجسداني ، غير ضعيف القلب وغير مشكك في الوعد الذي قال له : **« أُطلب أولاً برّي وملكوتي وكل ما تحتاجه للجسد تزداده »** (متى ٦/٣٣) ، يعني إذا أكثرت الهمّة ببرّي وملكوتي ، حصل لك ذلك ، وزدتُك عليه من اضطراريات زيادة الجسد ، وباركتُ على ما تملكه من قليلها ، وجعلتُه كثيراً يكفيك في كل ما تحتاجه .

ثم قال الكتاب : إن نوحاً عند خروجه من السفينة ابتنى لله مذبحا ورفع عليه قرباناً من كل الطيور الطاهرة ومن كل البهائم الطاهرة التي كانت معه في السفينة . فأرضى الله ذلك ، حتى انه من كثرة رضاه اشتمّ رائحته طيّبة ترضي الله جدّا . المُقِلُّ الضعيف الذي يهتمّ به ويقرّب له من الشيء القليل الذي هو اليه محتاج . كذلك في انجيله المقدس **« مدح الارملة التي قرّبت اليه الفلسين اللذين لم يكن لها غيرهما »** (مرقس ١٢/٤١ — ٤٤ ؛ لوقا ٢١/١ — ٤) . وقال إن المُقِلَّ ، اذا هو قرّب اليه من قليله ، كان مرضيا له جدّا أكثر من الغني الذي يقرّب له من فضل ماله . نوح لمّا خرج من السفينة كان يعلم أن البهائم والطيور التي معه ، الله سيُبقي زرعها في العالم وليس ينبغي ذبحها . مع ذلك ، بادر وذبح لله منها قرباناً ، ولم يذبح من بعضها ، بل من كل الطيور الطاهرة قدّم لله بكراً لكي تكون بركة الله فيها من أجل

ذلك القربان . وهكذا علّمنا أن نكون نقدّم البكر من كل شيء . ونؤمن انه بذلك تحلُّ بركة الله على ذلك الشيء ، من أجل امانتنا نرضي الله ، لاننا أعطيناه نصيباً من قليلنا ، ومن قبل أن نستعمله نحن ؛ وآمنّا أن ذلك واجب علينا له ، وأنّ بذلك أيضاً يُبارك قليلنا .

الاسبوع الرابع
من
الصوم الكبير

القراءة السابعة عشرة (من سفر الكون)

ليوم الاثنين عشيّة من الصوم المقدس للجمعة الرابعة

الكتاب :

«وقال الرب في نفسه لا أعيد لعن الأرض أيضا بسبب الإنسان بما أن تصور قلب الإنسان شرير منذ حداثته ولا أعود أهلك كل حي كما صنعت . وأبدا ما دامت الأرض فالزرع والحصاد والبرد والحر والصيف والشتاء والنهار والليل لا تبطل» (تك ٢١/٨ ب — ٢٢) .

« وبارك الله نوحا وبنيه وقال لهم انموا واكثروا واملأوا الأرض . وخوفكم وذعركم يكونان على جميع وحش الأرض وجميع طير السماء وكل ما يدب على الأرض وأسماك البحر . انها مسلمة إلى أيديكم . وكل حي يدب يكون لكم مأكلا وكبقول العشب أعطيتكم الكل . ولكن لحما بدمه لا تأكلوا . أما دماؤكم فأطلبها من يد كل وحش أطلبها ومن يد الإنسان . أي إنسان قتل أخاه أطلب نفس الإنسان . إن يكن سافك دم الإنسان إنساناً فدمه يسفك لأنه بصورة الله صنع الإنسان . وأنتم فانموا واكثروا وتوالدوا في الأرض واكثروا فيها » (تك ١/٩ — ٧) .

التفسير :

لمّا خرج نوح من السفينة ، بادر قبل كل شيء فابتنى مذبحاً لله وقرّب عليه من كل نوع من الطيور الطاهرة وكل نوع البهائم الطاهرة . أعجب الله حسنُ همّته وكونُه بادر بتقريب الشكر عن سلامته وسلامة من معه ، لان هذا هو واجبٌ على الانسان أن يفعله اذا ما هو نجا من مصيبة ، يبادر بتقريب الشكر لله عن ذلك . بادر نوح بتقريب الشكر لله عن سلامته أيضا ؛ قرّب له بكراً من الخلق الجديد الذي يروم نموّه على الارض ، لكي يعلّمنا أيضا أن هذا واجب أن نفعله : نسبق نعطي لله نصيبا من كل ما يروم استعماله ، لكي تكون بركة الله حالّة على ذلك الشيء . فلمّا اهتمّ نوح بالله همّة حسنة هكذا أرضى الله فعلُه . وقال معاهداً نوحاً : إني لا أعود دفعة أخرى ألعنُ الارض من أجل أعمال البشر ، ولا أعود أضرب كل جسد حيّ كالذي فعلت . قد صحّ بهذا القول أنه وحتى في القيامة ، لا يميت اللهُ كلَّ حيّ على الارض في مرّة ، بل يقيم الموتى قبل أن يميت الاحياء حتى لا تخلو الارض من وجود الآدمية فيها أحياء . **« والاحياء الذين يميتهم ، لا يبلغون الى الاضمحلال مثل الموتى المتقدّمين ، كما يشهد الرسول بولس ، بل سريعاً يقومون ويتبدّلون من الجسد المَوات الى غير المَوات »** (١ تسالونيكي ١٤/٤) .

قال الله لنوح : لا أعود ألعن الارض من أجل أعمال الناس ، لان عقل الانسان مائل الى الشرّ منذ صباه . يعني أنه من أجل مخالفة آدم ، ملك الشيطانُ على جنسه . وصار كلُ واحد من صباه يميل

قلبه الى الشرّ ويحركه اليه . فذلك لمّا جاء المسيحُ الى العالم ، أعطى روح قدسه بالمعمودية ، حتى اذا ميّل الشيطانُ قلبنا الى الشرّ ، يميّل هو أيضا قلبنا الى الخير ؛ وان نحن طاوعناه وقاتلنا ابليس ولم نطعه ، انعتقنا بما أعطانا من الروح القدس وحُسبنا أمناء على الوزنة التي دُفعت لنا ، لكوننا قد عملنا بها العمل الذي بسببه دُفعت لنا . واذا نظرنا الى الذي دفعها لنا ، آمنّا هكذا وهو يزيدنا فيها جدّا جدّا . واذا نظرنا لا نقاتل بها الشيطان ونمتنع من فعل الشرّ الذي يحسّنه لنا ، قلعها منّا وعاقبنا بالظلمة والبكاء وصرير الاسنان . ولذلك قال : « **إن من له أمانة على ما قد أُعطي له . يُعطى أيضا ويُزاد . ومن ليست له أمانة يُقلع منه ما قد أُعطي له** » (متى ١٢/١٣) .

أنظروا يا مؤمنون ابتهاج الله بنوح في قربانه وكونه اهتمّ بالشكر له وتقديم البكر من الحيوانات الطاهرة وعاهدوه وعاهدهم ان لا يغلب عليهم هلاك عام . وجدّد البركة له ولبنيه كالذي بارك على آدم وحواء قائلا : أنموا واكثروا واملأوا الارض وسوّدوها . وليكن رعبكم على كل حيّ تحت السماء ، وليكن الكلّ لكم طعاماً مثل العشب الاخضر . لكنّ لحماً فيه دم نفس لا تأكلوا . أمرهم ان يذبحوا كل حيوان وحينئذ يأكلونه بعد زوال دمه منه . وهذا ناموس الله لآدم ونوح ، وبه جاءنا المسيح الهنا لانه ردّنا الى ناموس الحقّ الطبيعي الذي أُعطي لآدم قديما . واما الناموس الذي أُعطي لموسى الذي أمره أن يأكل البعض والامتناع من البعض ، فذلك انما كان كلُّه امتحاناً وقد فسّرنا معناه وأشفيناه في القراءة الرابعة من تفسيرنا لهذا السفر . قال لحم فيه دم نفس لا تأكلوه . فلمّا قال إن الدم هو نفس الحيوان ، أفرز نفس الانسان من نفس الحيوان وأوضح أنها ليست دماً فقط ، تضمحل وتموت مثل نفس الحيوان ، بل نفسُ الانسان خُلقت على صورة الله ، يعني عاقلة عالمة باقية لا تموت مثل الله . ولذلك قال : إني أُطلب دم الانسان من كل من يهرقه ، وحشا كان أم انساناً . والوحش فليس له نفس باقية يُعاقب بها عن قتل الانسان ، ولا له أيضا عقل يوجب عقوبته ، بل أراد الرب أن يوضح لنا هذا : أن القاتل مطلوب ، إن كان قتله بمعرفة أو بغير معرفة ، عاقلاً كان ام جاهلاً ، حتى ولو كان في جهله أو في قساوته كالوحش . لا بدّ أن يطالبه ، سكران أم صاحياً ، قاصراً أو غير قاصر ، حتى انه جعل ناموس توبة على من يقتل بغير معرفة اذا هو لم يتوعَّ ، استحقّ الهلاك وطُولب بالقتل . وفي الموضع الآخر هذا أيضا ، أوضح العذاب المخلّد بعد الموت الذي هو عدم الحياة المؤبدة ، لانه قال : كل من يهرق دم انسان ، دمُه يهرق عوضه . وقد نرى كثيرين يقتلون الناس ولا يُهرق لهم دم . أعلمنا الرب بهذا أنَّ لهم بعد الموت عذاباً يُعذَّبون به ويُعدمون حياة تلك الدار ، كما يُعدَمُ حياةَ هذه الدار من أهرق دمه فيها .

القراءة الثامنة عشرة (من سفر الكون)

ليوم الثلثاء من عشيّة في الجمعة الرابعة من الصوم المقدس

الكتاب :

« وكلم الله نوحا وبنيه معه قائلا ها أنا مقيم عهدي معكم ومع نسلكم من بعدكم . ومع كل ذي نفس حية معكم من الطير والبهائم ووحوش الأرض التي معكم كل ما خرج من التابوت من جميع حيوان الأرض . وأقيم عهدي معكم فكل ذي جسد لا ينقرض أيضا بمياه الطوفان ولا يكون أيضاً طوفان ليتلف الأرض . وقال الله هذه علامة العهد الذي أنا جاعله بيني وبينكم وبين كل ذي نفس حية معكم مدى أجيال الدهر . تلك قوسي جعلتها في الغمام فتكون علامة عهد بيني وبين الأرض . ويكون أنه إذا غيمت على الأرض ظهرت القوس في الغمام فذكرت عهدي الذي بيني وبينكم وبين كل نفس حية في كل جسد فلا تكون المياه أيضا طوفاناً لتهلك كل ذي جسد . وتكون القوس في الغمام وأبصرها لأذكر العهد الأبدي بين الله وكل نفس حية من كل ذي جسد على الأرض . وقال الله لنوح هذه علامة العهد الذي أقمته بيني وبين كل ذي جسد على الأرض » (تك ٩/٨ — ١٧) .

التفسير :

ثم إن الله ، من كثرة رضاه وسروره بنوح وقربانه ، أعني همّته به مع قلّة موجوده ، عاهده أن لا يكون طوفان بعد . وجعل العهد أمامه علامة ظاهرة في السحاب وأسماها قوسه . وكرّر هذا القول عنها وقال : إن هذا القوس هو عهدي بيني وبينكم . اني لا أُهلككم هلاكاً كلّيا بعد . وكلما رأيتُ هذا القوس في الغمام ، ذكرتُ عهدي الذي بيني وبينكم . هذا لمّا سرَّ الله تبارك أن يرحم كل جنس آدم الهالكين في الخطيئة ، الغارقين في طوفان الذنوب ، وأن يخلّصهم بتجسّد كلمته الازلية . وكان جسدُ سيّدنا يسوع المسيح قوسا له ، لان به قتل الخطيئة ورمى أعداءه الشياطين بنبل الموت . ولمّا كمّل الخلاص ارتفع سيّدُنا المسيح بناسوته هذا الى علوّ السماوات عن يمين الآب ، فصار ناسوتُه من طبيعة آدم قدّام عينيّ الآب . وكل حين يراه ويرحم كل الجنس ويتذكّر عهده ، يعني الامان الذي بينه وبينهم ، ويسكب عليهم مواهب الروح القدس ، كما يقول الرسول بولس : **« إنه صعد الى العلاء »** (افسس ٤/٨) ، **« ليرضي الله الآب عنّا »** [١] . فهو قوس الله المعتلن بين يديه كل حين ، الذي به يذكر العهد الذي بيننا وبينه ويرحمنا دائما . ولذلك جعل العهد موجودا عندنا في كل قدّاس نتذكّر به عظيم أنعامه علينا وعظم محبته لنا . وكونه هرق دمه الالهي عنّا ليميت خطايانا ونكافئه عن هذه المنّة بحفظنا لجميع وصاياه وتحذّرنا

(١) تنويه الى أفسس ٢/١٦ ورومية ٨/٣٨ .

من معصيتها بأسرها . ولذلك عندما أعطانا هذا الجسد والدم الكريم أسماه « **دمَ العهد الجديد** » (متى ٢٦/٢٨ و//) ، كما أسمى القوس الذي في الغمام باسم العهد . وكما ان القوس فيه موجود ثلاثة ألوان ، كذلك جعل جسده ودمه موجودين عندنا من خبز وخمر وماء .

القراءة التاسعة عشرة (من سفر الكون)

ليوم الاربعاء نصف الصوم المقدس عشيّة

الكتاب :

« وكان بنو نوح الذين خرجوا من التابوت ساما وحاما ويافث . وحام هو أبو كنعان . هؤلاء الثلاثة هم بنو نوح ومنهم انبثت الناس في الأرض . وابتدأ نوح يحرث الأرض وغرس كرما . وشرب من الخمر فسكر وتكشف داخل خبائه . فرأى حام أبو كنعان سوءة أبيه فأخبر أخويه وهما خارجا . فأخذ سام ويافث رداء وجعلاه على منكبيهما ومشيا مستدبرين فغطيا سوءة أبيهما وأوجههما إلى الوراء وسوءة أبيهما لم يرياها . فلما أفاق نوح من خمره علم ما صنع به ابنه الصغير فقال ملعون كنعان عبدا يكون لعبيد إخوته . وقال تبارك الرب إله سام وليكن كنعان عبدا له . ليرحب الله ليافث . يسكن في أخبية سام ويكون كنعان عبدا له . وعاش نوح بعد الطوفان ثلاث مئة سنة وخمسين سنة فكانت كل ايام نوح تسع مئة سنة وخمسين سنة ومات » (تك ٩/١٨ — ٢٩) .

« وهؤلاء مواليد بني نوح سام وحام ويافث ومن ولد لهم من البنين بعد الطوفان . بنو يافث جومر وماجوج وماداي وياوان وتوبل وماشك وتيراس . وبنو جومر أشكناز وريفات وتوجرمة . وبنو ياوان أليشة وترشيش وكتيم ودودانيم من هؤلاء تفرق أهل جزائر الأمم في بلدانهم كلٌ بحسب لغته وعشائره بأممهم . وبنو حام كوش ومصرائيم وفوط وكنعان . وبنو كوش سبا وحويلة وسبتة ورعمة وسبتكا . وبنو رعمة شبا وددان . وكوش ولد نمرود وهو أول جبار في الأرض . وكان جبار صيد أمام الرب ولذلك يقال كنمرود جبار صيد أمام الرب . وكان أول مملكته بابل وأرك وأكد وكلنة في أرض شنعار . ومن تلك الأرض خرج أشور فبنى نينوى وساحات المدينة وكالح ورامس بين نينوى وكالح وهي المدينة العظيمة . ومصرائيم ولد لوديم وعناميم ولهابيم ونفتوحيم وفتروسيم وكسلوحيم الذين خرج منهم الفلسطينيون وكفتوريم . وكنعان ولد صيدون بكره وحثا واليبوسيين والأموريين والجرجاشيين والحويين والعرقيين والسينيين والأرواديين والصماريين والحماتيين . وبعد ذلك تفرقت عشائر الكنعانيين . وكانت تخوم الكنعانيين من صيدون وأنت آت نحو جرار الى غزة وأنت آت نحو سدوم وعمورة وأدمة وصبوئيم الى لاشع . هؤلاء بنو حام بعشائرهم ولغاتهم في بلدانهم بأممهم وولد لسام أيضاً بنون وهو أبو جميع بني عابر أخو يافث الأكبر . بنو سام عيلام وأشور وأرفكشاد ولود وأرام . وبنو أرام عوص وحول وجاثر وماش . وأرفكشاد ولد شالح وشالح ولد عابر . وولد لعابر ابنان اسم أحدهما فالج لأنه في أيامه انقسمت الأرض واسم أخيه يقطان . ويقطان ولد ألموداد وشالف وحضرموت ويارح وهدورام وأوزال ودقلة وعوبال وأبيمائيل وشبا وأوفير وحويلة ويوباب . كل هؤلاء بنو يقطان . وكان مسكنهم من ميشا وأنت آت نحو سفار جبل المشرق . هؤلاء بنو سام بعشائرهم ولغاتهم في بلدانهم بأممهم . هؤلاء عشائر بني نوح بمواليدهم وأممهم ومنهم تفرقت الأمم في الأرض بعد الطوفان » (تك ١/١٠ — ٣٢) .

التفسير :

قال إن نوحاً بدأ بعد الطوفان بفلح الارض . فغرس كرما وشرب من خمره وسكر فانكشفت

عورته . فرآها ابنه حام أبو كنعان فخرج وأخبر اخوته . فأسرعوا وغطّوا عرية أبيهم ، ووجوههم مدارة عن نظرها . كذلك الهنا يسوع المسيح ، لمّا جاء الى العالم لكي يفلح أرض قلوبنا بنير صليبه ، شرب كأس الموت ، وصُلب من أجلنا عرياناً على خشبة ، وأخفت الشمس والقمر ضوءهما لئلا ينظرا عرية خالقهما . رضي الهنا باحتمال عار الصليب وفضيحة الموت من أجلنا ، لكي كل من يؤمن ويمجّد صلبه وموته ويستر ما في ذلك من العار باستعلان الخلاص الذي صنعه لنا بموته ، فهو يستحقّ البركة وحلول الله فيه ، كما استحقّ سام ويافث حين غطّيا عرية أبيهما . والذي يهزأ بصليب المسيح وموته يستحقّ اللعنة والتعبّد للخطيئة كالذي استحقّ حام بن نوح حين تهزأ بعرية أبيه . وهذا سرّ موت المسيح أنه رضي أن يفدي خلقه بنفسه من الموت الواجب عليهم . وذلك أن الله حدّ وقال : إن الخطيئة جزاها الموت . واذا أخطأ الانسان عشر خطايا استحقّ عشر موتات ، وليس يمكنه ان يموت سوى موتة واحدة ؛ فاذا هو مات تلك الموتة ، كانت جزاء خطيئة واحدة من خطاياه العشرة . ثم تبقى عليه تسع موتات يُطالب بها . فليخلد من أجلها في الجحيم . وبهذا السبب انحدر كل بني آدم الى الجحيم قبل تجسّد سيدنا يسوع المسيح له المجد . خمسة الآف وخمسمائة سنة خلدوا في الجحيم من أجل الموتات الكثيرة الواجبة على كل واحد منهم . وذلك أن بني آدم الذين ماتوا في تلك المدّة الكثيرة ، عددهم لا يُحصى . وكل واحد منهم عليه موتات كثيرة . فجملة الموتات الواجبة عليهم لا يمكن احصاء عددها .

ولذلك شفق الله الرحوم على هلاكهم هكذا . وشاء خلاصهم والتمس انساناً واحداً في العالم بلا خطيئة لم يستحقّ الموت ، ويدفع نفسه الى الموت عنهم ، ويفديهم من الموتات الواجبة عليهم . فلم يجد فيهم أحداً لم يخطأ . فنظر الله أن الانسان منهم ، اذا هو مات عنهم ، لا يقدر ذلك الانسان أن يفديهم في موته . ولا يساوي موتُه جميعهم ، وانه لا يستطيع أحدٌ من البشر أن يفدي هذه الموتات الكثيرة عددها ، الاّ الاله وحده يموت في الناسوت . ولمّا كان الاله غير ممكن موته ، لكونه بالطبع غير موّات ، دبّر اللهُ الآب بحكمته سبباً يمكن موت ابنه الوحيد ، وهو سرّ أن يتجسّد بجسد آدمي قابل الموت ، ويموت به فداء لخلقه . وكذلك فعل بجسده اللهُ الكلمة الابن الوحيد ، وتأنّس وصار انسانا حقيقيا ذا جسدٍ متألم وموّات . وسار في الدنيا بلا خطيئة . فلم يستحقّ موتاً بجسده ، لان الله لم يوجب الموت الاّ على من يخطأ . ثم بارادته وسلطانه ، دفع نفسه الى الموت فداء لكل جنس آدم المستحقّ الموت . ففداهم أجمعين وفكّهم من الجحيم وأنقذهم من الموت الذي كانوا قبل صلبه انحدروا اليه . وانحدر هو بنفسه الى الجحيم عند موته وأصعدهم .

وهو الذي ، بعد صلبه والى الابد ، جعل لهم جسدَه الذي مات عنهم ودمه الذي أُهرق من أجلهم موجودا عندهم يأكلونه ويشربونه ، فيمتنعون من الخطيئة من أجل محبتهم في أكله وشربه . واذ أغفل واحد منهم وزلّ زلّة ، أسرع اعترف بها وأخذ قانون توبة ، لكي يستحقّ أيضا الاكل والشرب من الجسد والدم المحيي . فقد صار ذلك الموت الذي مات به المسيحُ خلاصاً لكل جنس آدم المتقدّمين والمتأخرين . فمن أعلن موت المسيح وآمن به هكذا ، استحقّ بركة سام ويافث ؛ ومن هزأ به لُعن مع

الشيطان الذي هزأ به على الصليب ، وللوقت استحقّ اللعنة والرباط ، وذلك أنه كان كل انسان يموت من بني آدم يحضر اليه في ساعة موته لكي يُحدر نفسه الى الجحيم لكونه بالخطيئة كان عبدا له . فلمّا أخفى المسيحُ لاهوته عنه بالتأنس ، كما أخفى هو ذاته عن حواء بالحيّة ، ثم دفع نفسه الى الموت ، ظنّ ابليسُ أنه له مثل غيره من الآدميين الذين صورتُهم كصورته . فحضر اليه مثلهم ، فقبض عليه الربُّ من أجل ذلك ، وأوجب الحجّة عليه وطالبه بديّة موته ، وأخذ منه كل بني آدم الذين باعوا نفوسهم له بالخطيئة . واذا هم تابوا اليه وفرّوا والتجأوا ملتمسين الخلاص من قبله . اما الذين قبل صلبه فانتزعهم منه في ساعة موته ، والذين بعد ذلك ينتزعهم منه بالتوبة . فالذي لا يؤمن بموته ويتوب عن الخطيئة لكي يستحقّ جسده ودمه ، فهو هازئ بموته ويستحقّ اللعنة مع كنعان .

استيقظ نوح من شرابه ولعن وبارك . استيقظ الرب من موته ولعن من لا يمجّد موته وبارك من يمجّده بالتوبة . قال نوح في نفسه : ملعون يكون كنعان ؛ إنه يكون عبدا مملوكا . وكذلك من يتهاون بموت المسيح ولا يتوب عن الخطيئة ، هو يكون للشيطان عبدا مملوكا . قال نوح : إن الله يسكن في مساكن سام ويوسّع يافث . كذلك من يمجّد المسيح بالتوبة ، يسكن اللهُ في نفسه ويوسّع وينمي زرع الفضيلة داخله . داود النبي سبق أن يعلّمنا أن صورة نوح في رقاده سكران واستيقاظه كانت صورة المسيح وقيامته ، وقال في المزمور السابع والسبعين : **« استيقظ الله مثل النائم ومثل القوي السكران بالخمر له استطاعت ضرب أعدائه الى خلفهم وأعطاهم الخزي المؤبد »** (مزمور ٧٧/٦٥ — ٦٦) . اعداؤنا الذين ضربهم هم الشيطان والخطيئة والموت والجحيم . ضربهم وأخزاهم بموته وعتقنا منهم الى الابد ، وبارك التائبين الذين يمجّدون موته ، كما بارك نوح سام ويافث ولعن من ليس هو كذلك ، كما فعل نوح في كنعان . قال : نوح لعن كنعان لانه هو الذي أعلم أباه حام بعرية جدّه ؛ وحام نظر عرية أبيه ومضى أعلم اخوته ، ولعنهما ، أعني حام وكنعان ، لكي نعلم أن هكذا يُلعن من يتّهم انساناً ويكشف خطاياه لمخلوق ، ويبارك جدّا جدّا من يستر هتكة أخيه ويغطّي عيوبه . نوح من السكر تعرّى ، والذي هتكه لُعِنَ والذي ستره تبارك : الشيخ والكاهن والاب والمعلّم الذي يُسكره الشيطان ويشهر من قد زلّ زلّة قدّامه ويهتكه ويدينه عند غيره ، فهو يكون مداناً مستحقاً اللعنة مثل قول الرب : **« ان الذي يدين يُدان »** (متى ٧/١) ، والذي يستر ذلك ولا يدين بل يجتهد ويحرص في تغطيته ، فهو بالحقيقة يكون مباركاً .

قال نوح : إن الله يسكن في مساكن سام . سبق أن تنبأ عن تجسّد الله الكلمة من مريم العذراء المولود من نسل سام ، وثباته متّحداً بالناسوت المأخوذ منها الى الابد . قال : إن نوحاً عاش بعد الطوفان ثلاث مائة وخمسين سنة ، وتُوفي وله من العمر تسع مائة وخمسون سنة من أجل برّ الصدّيق . زاد عمره من عمر آدم الاول عشرين سنة . هذا بعد تقصير الله الاعمار للبشر ، لان الصدّيق لم يستحقّ اللعنة مع الخطأة . ثم ذكر الكتاب بني نوح الثلاثة ، وكونهم نسلوا بعد الطوفان ، وتفرّق نسلُهم على كل الارض . وذكر نمرود الجبار قدّام الله وقال : إن بدء مملكته بابل . أشار الى الشيطان الجبّار الشرير . قال : إن بدء

مملكته هي بابل . تفسير بابل القسمة . قال : إن القسمة هي بالحقيقة بدء مملكة ابليس . وحيث لا قسمة ولا ملك لابليس ما دام القلب واحداً مع الله لا قسمة فيه ، لا ملك لابليس فيه : امانة واحدة لا قسمة فيها لا ملك لابليس فيها . جماعة واحدة لا قسمة ولا خلاف ولا فرق فيها ، لا ملك لابليس فيها . بنو اسرائيل كانوا ملكا واحداً وكانوا عابدين . فلمّا انقسم ملكهم ، بدأ الشيطان يتملّك فيهم بجسد بعضهم بعضا ، جعلهم يعبدون الاصنام .

قايين وهابيل كانا بالمحبة الطبيعية واحداً . فلمّا انقسما بالجسد ، بدأ الشيطان يملك فيهما وجعل الأكبر يقتل الأصغر . وجماعة المسيح ، حين كانت أمانة واحدة وقلباً واحدا ، كانت كلّها للشيطان غالبة ولوصايا المسيح حافظة . فلمّا انقسمت وتباغضت ، بدأ الشيطان يملك فيها ، وسلّط عليها أمّة غريبة لتنقسم عن بعضها البعض . وتلك الأمّة الغريبة هي بابل بالحقيقة . « **ويوحنا الانجيلي ، في الرؤيا التي له ، هكذا أسماها بابل** » (رؤيا ٨/١٤ ؛ ١٩/١٦ ؛ ٥/١٧ ؛ ٢/١٨ ، ١٠ ، ٢١) ، لأنَّ بها تقسّم المؤمنون المسيحيون وعُدموا الصلح مع بعضهم البعض . وصار لهم من ذلك البغض والانشقاق وكثرة المقاولة ، حتى بلغوا الى سفك دماء الالوف والربوات بعضهم لبعض . ومن أجل أن فرقة منهم تقوّت على فرقة أُخرى بالملوك الأرضيين الذين لهم القدرة والسلطان على القتل والنفي والعزل بلا امتناع ، سلّط عليهم ملكُ السماء في وقت طغيانهم وخروجهم عن الواجب هذه الأمّة الغريبة التي هي بابل ، وانتزعت منهم الممالك الكثيرة ، لأنهم أحدثوا في البيعة المقدسة أقوالاً غريبة شنيعة ، وفرّقوا بها المسيح وجعلوه أُقنومَين وطبيعتين ومشيئتين من بعد الاتحاد الكلّي الحقيقي .

القراءة العشرون (من سفر الكون)

ليوم الخميس عشيّة من الجمعة الرابعة من الصوم المقدس

الكتاب :

« هؤلاء عشائر بني نوح بمواليدهم وأممهم ومنهم تفرقت الأمم في الأرض بعد الطوفان » (تك ١٠/٣٢) .

« وكانت الأرض كلها لغة واحدة وكلاما واحدا . وكان أنهم لما رحلوا من المشرق وجدوا بقعة في أرض شنعار أقاموا هناك . وقال بعضهم لبعض تعالوا نصنع لبنا ونضجه طبخا فكان لهم اللبن بدل الحجارة والحمر كان لهم بدل طين . وقالوا تعالوا نبن لنا مدينة وبرجا رأسه الى السماء ونقم لنا اسما كي لا نتبدّد على وجه الأرض كلها . فنزل الرب لينظر المدينة والبرج اللذين كان بنو آدم يبنونهما وقال الرب هوذا هم شعب واحد ولجميعهم لغة واحدة وهذا ما أخذوا يفعلونه . والآن لا يكفون عما هموا به حتى يصنعوه . هلم نهبط ونبلبل هناك لغتهم حتى لا يفهم بعضهم لغة بعض . فبدّدهم الرب من هناك على وجه الأرض كلها وكفوا عن بناء المدينة . ولذلك سميت بابل لأن الرب هناك بلبل لغة الأرض كلها . ومن هناك شتّتهم الرب على كل وجهها » (تك ١/١١ — ٩) .

التفسير :

قال : إن الناس بأجمعهم كانوا لغة واحدة ، الى الوقت الذي نزلوا في وادي سنعار ، استخرجوا من عقولهم صنعة الطوب الاجور ، كما ان الله جعل العقل قوّة سيُخرج بها الصنائع . فلمّا حصل لهم ذلك ، تعظّموا وقالوا : تعالوا نبني لنا مدينة وبرجاً يرفع رأسه الى السماء . فلمّا فعلوا هذا ، فرّق الله ألسنتهم وجعل أحدهم لا يعرف كلام رفيقه . أُنظروا ما أشرّ العظمة والافتخار بالحكمة ! كان الجميع مجتمعين متّفقين . تعظّموا ففرّقهم الله . وهكذا تُفرِّقُ العظمةُ شمل كل المفتخرين . وليست العظمة هي التي تفرّقهم ، بل الله الذي يفرّقهم اذا ما نظرهم يتعظّمون . قال إن الله نزل لينظر المدينة والبرج الذي بناه الناس . الله لا ينتقل من موضع الى موضع ، لانه لا يخلو منه موضع حتى ينتقل منه الى غيره ، ولا تخفى عنه خافية لبعدها منه حتى يحتاج أن يباشرها بنفسه ليعلمها . ربنا يُجَلُّ عن هذا كلّه ، اذ هو في كل مكان موجودٌ ولكل شيء ناظرٌ وعالم ؛ وانما قول الكتاب إنهم تعظّموا ، نزل الرب ليرى فعلهم ، سبق بالنبوءَة عن نزوله بالجسد من أجل خطايا الناس في آخر الزمان ، لانَّ التجسّد هو النزول الحقيقي وليس هو نزول بالانتقال من موضع الى موضع ، بل إن الله غير منظور وغير مُدرَك وغير موجود بالحواس الجسمانية . فلما تجسّد وصار انساناً حقيقياً يُرى ويُوجد بالحواس ، كان هذا من فعله نزولاً بالحقيقة لكونه اتضع فوق كل الاتضاع ، اذ صار غيرُ المنظور منظوراً وغيرُ الملموس ملموساً . ليس ان الطبيعة تغيّرت عن طبعها وغيرَ

الملموس وغيرَ المنظور . لانه أعلى من الانتقال من حالٍ الى حال ، بل صارت له في أقنومه الواحد طبيعة منظورة ملموسة متّحدة به في الاقنوم اتّحادا حقيقياً طبيعياً صار به منظوراً ملموساً .

ذكر النزول لبني اسرائيل يروّضهم بذلك ويدرّجهم اليه حتى لا ينكروا النزول الحقيقي في تجسّده . وكذلك راضهم أيضاً ودرّجهم الى الثالوث المقدس بقوله إن الله قال : **تعالَ ننزل نفرّق ألسنتهم** ، كما قد فعل بهم أيضا عند خلقة آدم . وقوله لهم إنه قال : لنخلق انسانا على صورتنا ومثالنا ، لان الذي قال لهم هذا القول : تعالَ ننزل نفرّق الالسن ، ولهم أيضاً قال عندما ألبس آدمَ ثيابَ الجلود : قد صار آدم كواحد منا . ايضاحاً وبياناً هكذا أوضح الله لليهود تثليث خواصّه ؛ والذي ثبت منهم على الكفر يقول بعمى قلبه إن هذا القول للملائكة ، قاله الله ، يجعلون الملائكة شركاء ومساوين لله في العقل ، لان اللذين قال لهما الله : لنخلق انسانا على صورتنا ومثالنا ، هما مساويان له في الصورة والمثال ، ولهما قدرة أن يخلقا معه . وكذلك أيضا ساواهما بنفسه في الفعل بقوله : ننزل نفرّق الألسن . وبقوله : قد صار آدم كواحد منا ، فقد أوضح أن اللذين قال لهما هذا هما مساويان له في كل شيء . والملائكة ليسوا كذلك ، بل هم مخلوقون ، محدودون ، محصورون ، بعيدون من المساواة له بُعداً كثيراً . بل كانت أقواله هذه لابنه ولروح قدسه اللذين هما منه وبه ، مساويان له في الجوهر ، ومعه وفيه ومنه دائماً بلا ابتداء وبلا زوال . نورٌ مُشرق من نور . هو علّتهما ، وهما منه أبداً أبديّان ، باريان ، بلا افتراق ولا انقطاع منه ، كما يقول الابن الحكمة من فم سليمان في كتاب الامثال : « **إني كنت مع الله عند خلقة الخلائق . وأنا كنتُ أُصلحها معه . وهو كان يفرح بي** » (أمثال ٨/٢٧ — ٣١) [1] . فأي كلام أوضح من هذا يوضح اليوم ان الابن لم يزل أزليّاً مع الله وبه خلق جميع خلائقه ؟

(١) النص حرّ.

القراءة الحادية والعشرون (من سفر الكون)

ليوم الجمعة الرابعة من الصوم المقدس لعشيّة

الكتاب :

« هذه مواليد سام . لمّا كان سام ابن مئة سنة ولد أرفكشاد لسنتين بعد الطوفان . وعاش سام بعد ما ولد أرفكشاد خمس مئة سنة ولد فيها بنين وبنات . وعاش أرفكشاد خمسا وثلاثين سنة وولد شالح . وعاش أرفكشاد بعد ما ولد شالح أربع مئة سنة وثلاث سنين ولد فيها بنين وبنات . وعاش شالح ثلاثين سنة وولد عابر . وعاش شالح بعد ما ولد عابر أربع مئة سنة وثلاث سنين ولد فيها بنين وبنات . وعاش عابر أربعا وثلاثين سنة وولد فالج . وعاش عابر بعد ما ولد فالج مئة وثلاثين سنة ولد فيها بنين وبنات . وعاش فالج ثلاثين سنة وولد رعو . وعاش فالج بعد ما ولد رعو مئتي سنة وتسع سنين ولد فيها بنين وبنات . وعاش رعو اثنتين وثلاثين سنة وولد سروج . وعاش رعو بعد ما ولد سروج مئتي سنة وسبع سنين ولد فيها بنين وبنات . وعاش سروج ثلاثين سنة وولد ناحور . وعاش سروج بعد ما ولد ناحور مئتي سنة ولد فيها بنين وبنات . وعاش ناحور تسعا وعشرين سنة وولد تارح . وعاش ناحور بعد ما ولد تارح مئة سنة وتسع عشرة سنة ولد فيها بنين وبنات . وعاش تارح سبعين سنة وولد أبرام وناحور وهاران . وهذه مواليد تارح . تارح ولد أبرام وناحور وهاران . وهاران ولد لوطا . ومات هاران قبل أبيه تارح في أرض مولده في أور الكلدانيين . واتخذ أبرام وناحور لهما امرأتين اسم امرأة أبرام ساراي واسم امرأة ناحور ملكة بنت هاران أبي ملكة وأبي يسكة . وكانت ساراي عاقرا ليس لها ولد . وأخذ تارح أبرام ابنه ولوط بن هاران ابن ابنه وساراي كنته امرأة أبرام ابنه فخرج بهم من أور الكلدانيين ليذهبوا الى أرض كنعان . فجاءوا الى حاران وأقاموا هناك . وكان عمر تارح مئتي سنة وخمس سنين ومات تارح بحاران » (تك ١١/١٠ — ٣٢) .

« وقال الرب لأبرام انطلق من أرضك وعشيرتك وبيت أبيك الى الأرض التي أريك . وأنا أجعلك أمة كبيرة وأباركك وأعظم اسمك وتكون بركة . وأبارك مباركيك وشاتمك ألعنه ويتبارك بك جميع عشائر الأرض . فانطلق أبرام كما قال له الرب ومضى معه لوط . وكان أبرام ابن خمس وسبعين سنة حين خرج من حاران . فأخذ أبرام ساراي امرأته ولوطا ابن أخيه وجميع أموالهما التي اقتنياها والنفوس التي امتلكاها في حاران وخرجوا ليمضوا الى أرض كنعان وأتوا أرض كنعان . فاجتاز أبرام في الأرض الى موضع شكيم والى بلوطة مورة . والكنعانيون حينئذ في الأرض » (تك ١/١٢ — ٦) .

التفسير :

ترك الكتاب حاماً ويافث وذكر ساماً وأولاده جيلاً بعد جيل حتى وصل الى ابراهيم الذي منه تجسّد اللهُ الكلمة . هو من نسل سام الذي بارك عليه نوح وقال : إن الله يسكن مساكنك . ثم أوضح لك كتابُ الله أن الله حين قال قبل الطوفان إن عمر الناس يكون مائة وعشرين سنة ، وقد كانوا قبل ذلك يعيشون تسع مائة ونيّفاً ، لم يُنقص مدّتهم في دفعة الى المائة والعشرين ، بل أنقصهم قليلاً قليلاً على

حكم التزويج . وذلك أن الولد منهم صار عمره ينقص عن عمر أبيه جيلاً بعد جيل ، حتى انتهوا الى المدّة التي قطعها عليهم باريهم . أعلمنا بهذا أن الله ليس يفعل أفعاله بقلقٍ ولا بعدم ترتيب ، بل على حكم التزويج . ولمّا انتهى الكتاب الى ذكر ابراهيم ، ذكر أن اسمه لم يكن ابراهيم بل أبرام . « **وهذا ابراهيم . في كتاب يوشاع بن نون ، يُخبر بانّ والده كان يعبد الاصنام** » (يشوع ٢/٢٤) . وذلك ان الناس . لمّا تفرّقت ألسنتهم عند بناء البرج ، ضاعت منهم معرفة الله لكون الشيطان كان متسلّطاً على جنس آدم . فضلّهم ثانيةً كما قد فعل بهم قبل الطوفان ، لأنه ، ذلك الوقت ، رماهم جدّا بالاستكثار من الزنى . وبعد الطوفان ، رماهم بالاستكثار من الآلهة ، ولكنّ الله ، لعلمه أن الشيطان يتسلّط عليهم ، قد شفق عليهم ووعد أن لا يبيد كلّهم دفعة أخرى .

فلذلك وفى بوعده ولم يهلكهم عندما تركوه وعبدوا مخلوقاته دونه . بل أضاء قلب واحد منهم لمعرفته . وهو ابراهيم ، ليكون هداية وتوبيخاً للباقي . ولكيلا تخلو الارض من الصدّيقين جملة ، وكان ضياء قلب ابراهيم هكذا أنه ميّز الاصنام التي تعبدها الامم واستجهلها في ذلك جدّا ، وأعجب اللهَ حُسْنُ تمييزه هكذا ، حينئذ أضاء قلبه لمعرفته فترك الاصنام وطلب غيرها يعبدها . فنظر قوما أُخر يعبدون الشمس والقمر والنجوم ، فاستصوبهم أكثر من أولئك . فلمّا تميّز هذه الاضواء المذكورة ، وعلم انها لا تثبت على حال ضيائها بل تهلّ وقتاً وتغيب وقتاً في النهار والليل وقد تنخسف أيضا ويُظلم نورها ، وقد تنتقل من بروج شَرَفها الى بروج هبوطها ، فعلم أنها مصنوعة محرّكة من غيرها لا من نفسها ، وأيقن أنّ الخالق هو غير هذه كلّها . فلمّا عرفه وآمن به هكذا ، وكان بحرّان يسكن في جزيرة العراق ، وبين النهرين الدجلة والفرات ، وكان أبوه قد مات . فقال له الله وعمره خمس وسبعون سنة : أُخرج من أرضك ومن أهلك ومن بيت أبيك ، وتعالَ الى الارض التي أُريك اياها ، وانا أُكثّرك وأُباركك وأُعظّم اسمك وأُبارك مباركيك وأُلعن لاعنيك . وتتبارك بك جميعُ أُمم الارض . هذا قاله الله له ، لمّا آمن به يمتحن طاعته ، لان المؤمن اذا آمن يُطيع الذي آمن به في كل ما يقوله له طاعةً بغير فحص وبغير تشكيك ، لا يكون مؤمنا ويكذب اذا ظنّ أنه مؤمن .

أُنظروا يا مؤمنون وتعلّموا الطاعة من أبيكم ابراهيم ، لان قول الله له أخرج من أرضك ومن أهلك ومن بيت أبيك وتعالَ الى الارض التي أُريك اياها وأنا أُكثّرك ، يعني انك اذا طعتني في هذا تتشبّه الامم بك في طاعتك . وصرتَ أنت لهم أباً ، لكونك سلكت أنت أولا وسلكوا هم خلفك بكثرتهم لكونهم محسوبين ، بقوله له : إن كل الامم يتشبّهون بطاعتك . وكثير منهم يتبعون إثرك ، وذلك قد صحّ وتمّ لابراهيم الخليل بالمسيح الذي ظهر من نسله ، لان به كثيراً من امم الارض تركوا أراضيهم وأباءهم وبيوتهم وأهاليهم ، وتشبّهوا في ابراهيم بطاعته ، وتبعوا كلمة الرب الى حيث أَمرهم . أُنظروا يا مؤمنون سرعة طاعة ابراهيم وتعلّموا طاعته : انه بسرعة فارق أهله وأرضه وكل بيت أبيه ، ولم يقل له الله تبارك اسمه ، تعالَ امضِ الى الارض الفلانية ليكون قد خرج على معلوم ، بل قال : تعالَ الى الارض التي أُريك اياها .

فخرج وهو لا ... الى ...

متّكلاً على الذي أخرجه ، وكانت معه ساراي امرأته ولوط ابن أخيه وكل مواشيهم ؛ وكانوا يسيرون النهار كلّه نحو أرض كنعان بتعب وكدّ ؛ وعند المساء يأتون ويصبحون أيضا يسيرون منتقلين من أمّة الى أمّة ومن مملكة الى مملكة الى شعب آخر . وهم بخوف وجزع من كل أمّة وبلدة يعبرون بها . ومع ذلك لم يرجع عن الطاعة ولا سأل الله الى أين مضي بي أو ما حالي أصِل ؟ لم يقل شيئا من هذا وقد كان يفكّر به : ربّما يسيّرني الى أقصى الارض . فلم يزل سائراً حتى وصل الى أرض كنعان . فسيّره الى الارض كلّها أعني أرض كنعان حتى قرب من آخرها . فلمّا وصل الى ممرا نزل بها في أخبية العشر في القفر . فقال الله له : أنا أعطي هذه الارض لذريّتك . وكان الكنعانيون مُلاّك تلك الارض . وكانوا كثيرين جدّا . فنزل ابراهيم في البريّة وأقام مُنتظراً وعدَ الله . ولوقته بنى مذبحاً لله حيث نزل حتى لا يكون عادم العبادة لله حيث نزل . وفي الوقت الذي نزل في أرض كنعان ، كلّمه الله قائلا : أنا أُعطي هذه الارض لزرعك . لمّا كمَّلَ الطاعة ، ووصل الى الموضع الذي شاء الله أن ينزل فيه ، بشّره بالجزاء الذي يكافئه عن طاعته وقال له : أنا مُعطي هذا الارض لزرعك . فلم يتوانَ هو عن الشكر لله ، بل لوقته صنع له المذبح لكي يخدم الله عليه مستمرّاً ويقرّب له القربان كل حين . وهكذا علم مَن يروم التشبّه به في طاعته أن يكون كلّ حين وفي كل موضع يهتمّ بخدمة الله هكذا .

القراءة الثانية والعشرون من سفر الخليقة (١)

الكتاب :

« فتجلّى الرب لأبرام وقال لنسلك أعطي هذه الأرض . فبنى هناك مذبحا للرب الذي تجلّى له . ثم انتقل من هناك الى الجبل شرقي بيت إيل وضرب خبآءه وغربيه بيت إيل وشرقيّه العاي وبنى هناك مذبحاً ودعا باسم الرب . ثم ارتحل أبرام ارتحالاً متوالياً نحو الجنوب . وكان جوع في الأرض فهبط أبرام الى مصر لينزل هناك إذ اشتدّ الجوع في الأرض . فلمّا قارب أن يدخل مصر قال لساراي امرأته أنا أعلم أنك امرأة جميلة المنظر فيكون اذا رآك المصريون أنهم يقولون هذه امرأته فيقتلوني ويستبقونك . فقولي انك أختي حتى يحسن اليّ بسببك وتحيا نفسي من اجلك . ولمّا دخل أبرام مصر رأى المصريون أن المرأة حسنة جدا ورآها رؤساء فرعون ومدحوها لدى فرعون فأخذت المرأة الى بيته . فأحسن الى أبرام بسببها فصار له غنم وبقر وحمير وعبيد وإمآء وأتن وجمال . فضرب الرب فرعون وأهله ضربات عظيمة بسبب ساراي امرأة أبرام . فاستدعى فرعون أبرام وقال له ماذا صنعت بي لِمَ لَمْ تعلمني أنها امرأتك . لِمَ قلت هي أختي حتى أخذتها لتكون لي امرأة . والآن ها امرأتك خذها وامض . وأمر فرعون قوماً يشيّعونه هو وامرأته وكل ماله » (تك ١٢/٧ — ٢٠) .

« فشخص أبرام من مصر هو وامرأته وكل ماله ولوط معه الى الجنوب . وكان أبرام غنياً جدا بالماشية والفضة والذهب . فمضى في مراحله من الجنوب الى بيت إيل الى الموضع الذي كان فيه خبآؤه أولا بين بيت إيل والعاي الى موضع المذبح الذي صنعه هناك أولا فدعا أبرام هناك باسم الرب . وكان أيضا للوط السائر مع أبرام غنم وبقر وخيام . فلم يحتمل ضيق الأرض أن يقيما فيها معا اذ كان مالهما كثيرا فلم يمكنهما المقام معا . فكانت خصومة بين رعاة ماشية أبرام ورعاة ماشية لوط والكنعانيون والفرزيون حينئذ مقيمون في الأرض . فقال أبرام للوط لا تكن خصومة بيني وبينك ولا بين رعاتي ورعاتك إنما نحن رجلان أخوان . أليست الأرض كلها بين يديك . اعتزل عني إما الى الشمال فأتيامن عنك واما الى اليمين فأتياسر . فرفع لوط طرفه ورأى كل بقعة الأردن فاذا جميعها سقي قبل أن دمر الربّ سدوم وعمورة كجنة الرب مثل أرض مصر حتى تنتهي الى صوعر . فاختار لوط لنفسه كل بقعة الأردن وارتحل الى المشرق واعتزل كل واحد صاحبه » (تك ١/١٣ — ١١) .

التفسير :

قال المفسّر : إن الله لمّا أخرج ابراهيم من أرضه وبيت أبيه وأسكنه عند شجرة ممرا في أرض كنعان ووعده بأن يعطيها له ميراثاً ، سكن ابراهيم في البريّة تحت خيام الشعر . فلمّا أجدب الموضع وضاق في مواشيه ارتحل الى موضع قريب منه شرقيّ بيت ايل وغربّي جادي . وحيث نزل هناك ، بنى أيضا مذبحاً لله . ولمّا ضاق به الموضع الآخر ، سار منه الى غيره قريباً منه . وكلّ موضع كان ينزل فيه ، كان

---

(١) في المخطوطات هـ وف وم وفي مخطوط الشرفة ، لا ذكر ليوم تقرأ فيه هذه القراءة .

يبني فيه مذبحا لله . وهو هكذا في تعب ونصب وينتقل من موضع الى موضع يأوي في أخبية في القفر ، وهو غير متضجّر وغير متفكر ، بل دائماً يشكر فعلَ الله به ، مصدقا ومنتظراً ما وعده به من اعطاء الارض لزرعه . وبعد ذلك صار جوع في الارض ، أعني أرض كنعان ، ولم يمكن ابرام سكناها . فلمّا لم يمكنه ذلك لم يعد الى أرضه ولا عاد حول ناحية بلاده يقيم بها حتى تستوي الارض ، لكيلا يمضي الى موضع قد خرج منه بأمر الله ، بل انحدر الى مصر . فلمّا نزل وقرب من مصر ، قال لساراي امرأته : أنا أعلم أنك جميلة المنظر ، والمصريون اذا رأوك وعلموا أنك زوجتي هم يقتلونني ويستبقونك . فقولي إنك أُختي لكي يُحسن اليّ بسببك فتحيا نفسي من أجلك .

أُنظروا يا مؤمنون الى صبر هذا الرجل الصدّيق وطاعته لاوامر الله وتشبّهوا به في ذلك . أُنظروا الغربة التي قد تغرّب بها طاعةً لله ، إلى أي خوف أوصلته اذ وصل من الخوف على نفسه الى أن قال لزوجته : قولي إنك أُختي لئلا يقتلونني من أجلك ، من كثرة ما أيقن بالموت وسهل عليه ان تؤخذ منه ويفارقها ولا يموت . لمّا فعلت ذلك وبلغ فرعون ملك مصر حسنها وجمالُها ، من يومه أنفذ وأُخذها الى بيته . لم يذمّ إبراهيم بتدبير الله له ، ولا فكّر أن كيف كافأني مثل هذه المكافأة عوض طاعتي له وغربتي من أجله ، لكونها ظلامة أثقل من كل ظلامة . لان ابراهيم لم يكن علم أن الله قد حفظ زوجته في بيت فرعون ، ولم يمكّنه من الوصول اليها ، بل كان يظنّ ان أمرها قد فرغ ؛ ومع ذلك ، لم يستشفع ولا استقبح ولا تقمقم على الرب من أجل تغرّبه . ولذلك أسرع الله اليه بالعزاء قبل أن تعود اليه ساراي بما وصل اليه بسببها من فرعون من المواشي الكثيرة الاجناس والعبيد والاماء . وبعد ذلك ضرب فرعون ضربات في بيته وأعلمه أنها امرأته ، أعني ابراهيم ، وليست هي أُخته . فدعا فرعونُ ابراهيم ولامه على قوله إنها اخته ، فأعلمه أيضا السببَ في ذلك .

فلمّا أخذ ابراهيم ساراي امرأته ولوطاً ابن أخيه وجميع ما صار له من الرزق الكثير ، وصعد من مصر الى أرض كنعان ، وسكن في التيمن منها بين ايل والحيّ حيث كان ساكناً أولا الموضع الذي كان بنى فيه مذبحه ، فدعا هناك اسم الرب ، يعني أنه قرّب الشكر الكثير على عودته من مصر سالماً غانما . قال إن لوطاً ابن أخي ابراهيم صارت له مواشي كثيرة جدّا فلم يسعه الموضع ، هو وابراهيم ، ليسكنوا جميعا ، لكثرة ما صار لهما من الرزق والمواشي ؛ وذلك ان رعاة ابراهيم تخاصموا مع رعاة لوط ؛ وقال ابراهيم للوط : نحن سكّان بين أمم غريبة ، وليس يحسن بنا الخصام لرعاتي مع رعاتك . فإما أن تتيمّن أنت وأتياسر أنا ، أو تتياسر أنت وأتيمّن أنا . قال : إن لوطاً رفع عينيه الى ناحية اليردن فرآها جميلة ، لان الله لم يكن بعد أُفسد سادوم وعامورة ، وكانت الارض جميلة جدّا مثل فردوس الله ومثل أرض مصر في أيام الربيع . فرحل لوط وفارق ابراهيمَ وسكن سادوم .

أُنظروا يا مؤمنون أن الله يطلب من المؤمنين به العمل بالوصية التي قال : « **إنها أعظم الوصايا ؛ وهي أن يُحب الرب إلهه من كل قلبه** » (تثنية الاشتراع ٥/٦ ؛ متى ٣٧/٢٣ — ٣٨) ، وحتى انه اذا نظر المؤمنَ به يحبّ شيئا قد غرّبه تفريقه منه ، حتى لا يكون في قلبه حبٌّ آخر مختلط ، يحبّ ربّه لان

قوله : حبّني بكل قلبك ، أراد أن لا يكون ببعض قلبه يحبّ غيره ؛ ولذلك لمّا كان ابراهيم يحبّ جنسه وبلدَه ، أمره بالفرقة منهم . فلمّا نظره يحبّ زوجته ، جعل فرعون يأخذها منه . فلمّا نظره يُحبّ لوطاً ابن أخيه ، سبّب له الفرقة منه . وفي ذلك جميعه ، صابر شاكر محبّ للرب من كل قلبه . وأما قول الكتاب إن فردوس الله أرض اليَردن وأرض مصر ، . متشابهتان ، فأراد ان يعلّمنا ان الفردوس بالحقيقة على الارض ، وأنه أرض ليّنة وطيّبة كثيرة الماء مثل أرض اليردن وأرض مصر .

الاسبوع الخامس
من
الصوم الكبير

القراءة الثالثة والعشرون (من سفر الكون)

ليوم الاثنين الجمعة الخامسة من الصوم المقدس

الكتاب :

« فأقام أبرام في أرض كنعان . وأقام لوط في مدن البقعة وخيّم إلى سدوم . وأهل سدوم أشرار خاطئون أمام الرب جداً . وقال الرب لأبرام بعد ما فارقه لوط ارفع طرفك وانظر من الموضع الذي أنت فيه شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً . إن جميع الأرض التي تراها لك أعطيها ولنسلك إلى الأبد . وأصيّر نسلك كتراب الأرض حتى إن أمكن أن يحصي إنسان تراب الأرض فنسلك أيضاً يحصى . قم فامش في الأرض طولها وعرضها فإني لك أعطيها . فانتقل أبرام بخيامه حتى جاء وأقام في بلوط ممرا التي بحبرون وبنى هناك مذبحاً للرب » (تك ١٣/١٢ — ١٨) .

التفسير :

امتحن الله ابراهيم بفرقته من لوط ابن أخيه . ومضى لوط وسكن بسادوم وكان أهل سادوم أشراراً جدّاً ، خطأة بين يدي الله ، قبل أن يسكن لوط بينهم . وعند فرقة ابراهيم من لوط وحزنه على مفارقته ، قال الله لابراهيم : إرفع عينيك وأنظر الموضع الذي أنتَ فيه شمالاً ويميناً وشرقاً وغرباً ، لأن جميع الأرض التي تراها أنا أعطيها لك ولنسلك الى الدهر ، وأجعل نسلك كرمل البحر حتى إن يمكن انسان أن يُحصي رملَ البحر فنسلك أيضاً يُحصى . ثم امشِ في الأرض طولاً وعرضاً ، فاني لك أُعطيها . فجاء ابراهيم وخيّم في مرج ممزا ، وبنى هناك مذبحاً لله .

أُنظروا يا مؤمنون ان الله ، اذا ما أحزن محبّيه ، قد خلط لهم مع الحزن عزاءً لكي يصبِّرهم على الحزن ، وذلك أنه ، لِمّا نظر ابراهيمَ حزيناً على مفارقة لوط ابن أخيه ، أسرع خاطبه وعزّاه بهذا الوعد الحسن ، وأشغله برحلة من الموضع الذي كان فيه الى ممرا لكي ، باشتغاله في الرحيل ، يتعزّى وينسى الحزن . ولمّا سكن بممرا وخيّم في بريّتها كالعادة ، بنى هناك مذبحاً لله حتى لا يكون في موضع عديم من مذبح .

وهذا هو ناموس المسيح الذي أتانا به أخيراً : أن يكون للمؤمنين به مذبحٌ حيث كانوا في جميع الأرض ، وليس مثل ناموس موسى الذي أمر أن لا يكون في جميع الأرض سوى مذبح واحد ، لأن الله انما اراد بهذا الأمر لموسى عندما لم يكن له أمّة الاّ أمّة بني اسرائيل ، وكانت الأمّة جميعها ساكنة في

الموضع الذي فيه المذبح يمكنه الوصول اليه . فأمّا اذا صارت جميع الأمم لله ، فلم يكن ذلك الناموسُ ينبغي أن يكون ناموسَهم ، لأنه لا يمكنهم الوصول الى المذبح كل وقت ، لكونه في البعد منهم . وكذلك رسمَ المسيح سيّدنا ان الناموس الذي كان لابراهيم ، نعتمده ان يكون لهم حيث كانوا في جميع الأرض .

القراءة الرابعة والعشرون من سفر الخليقة (١)

الكتاب :

« وكان في أيام أمرافل ملك شنعار وأريوك ملك الأسار وكدرلاعومر ملك عيلام وتدعال ملك الأمم أنهم حاربوا بارع ملك سدوم وبرشاع ملك عمورة وشنآب ملك أدمة وشميئبر ملك صبوئيم وملك بالع وهي صوعر. كل هؤلآء اجتمعوا في غور السدّيم وهو بحر الملح . اثنتي عشرة سنة خضعوا لكدرلاعومر وفي الثالثة عشرة عصوه . وفي السنة الرابعة عشرة أقبل كدرلاعومر والملوك الذين معه فضربوا الرّفآئيين في عشتاروت قرنيم والزوزيّين في هام والايميّين في شوى قريتائيم والحوريّين في جبلهم سعير إلى سهل فاران الذي عند البرية . ثم رجعوا وجآءوا إلى عين مشفاط وهي قادش فضربوا كل أرض العمالقة وأيضاً الأموريّين المقيمين في حصاصون تامار . فخرج ملك سدوم وملك عمورة وملك أدمة وملك صبوئيم وملك بالع وهي صوعر فصافوهم للحرب في غور السدّيم مع كدرلاعومر ملك عيلام وتدعال ملك الأمم وأمرافال ملك شنعار وأريوك ملك الأسار أربعة ملوك مع الخمسة . وفي غور السدّيم آبار حمر كثيرة فانهزم ملكا سدوم وعمورة فسقطا هناك والباقون هربوا إلى الجبل . فغنموا جميع أموال سدوم وعمورة وجميع ميرتهم ومضوا وأخذوا لوطاً ابن أخي أبرام وماله ومضوا إذ كان مقيماً في سدوم فجآء من أفلت وأخبر أبرام العبراني وهو مقيم عند بلّوطات ممرا الأموري أخي أشكول وعانر وهم حلفاء أبرام . فلمّا سمع أبرام أن أخاه قد أُسر جرّد حشمه المولودين في بيته ثلاث مئة وثمانية عشر وجدَّ في إثرهم إلى دان . وتفرّق عليهم ليلاً هو وعبيده فكسرهم واتبعهم الى حوبة التي عن يسار دمشق . فاسترجع جميع المال ولوطاً أخاه وماله ردّهما والنسآء وسائر القوم .

« فخرج ملك سدوم لملتقاه بعد رجوعه من كسر كدرلاعومر والملوك الذين معه إلى غور شوى . وهو غور الملك . وأخرج ملكيصادق ملك شليم خبزاً وخمراً لأنه كان كاهناً لله العليّ وباركه وقال مبارك أبرام من الله العليّ مالك السموات والأرض وتبارك الله العليّ الذي دفع أعدآءك الى يديك . وأعطاه العشر من كل شيء . وقال ملك سدوم لأبرام أعطني النفوس والمال خذه لك . فقال أبرام لملك سدوم رفعت يدي إلى الرب الإله العليّ مالك السماوات والأرض لا أخذت خيطاً ولا شراك نعل من جميع مالك لئلا تقول أنا أغنيت أبرام ما خلا ما أملكه الغلمان ونصيب القوم الذين مضوا معي عانر وأشكول وممرا فإنهم يأخذون نصيبهم » (تك ١٤/١ — ٢٤) .

التفسير :

ذكر كثرة الملوك الذين استعبدهم ملوك سادوم وعامورة اثني عشرة سنة ، وكسروا وغلبوا الملوك الكثيرين ، وسبَوا مدائنهم وكلَّ مالهم ، وظفروا بهم الظفر العظيم . ثم ذكر أن ابراهيم خرج إليه في عدد قليل وهو ثلاث مائة وثمانية عشر غلاماً . فبقوّة الاله غلبَ مَن قد غلبوا تلك الملوكَ الكثيرة ، وقهر مَن قهروا كل الجبابرة . وكان خروجه اليهم من أجل لوط ابن أخيه ، لأنه كان يسكن بسادوم . فلمّا سبَوها ،

(١) في المخطوطات هـ و ف و م وفي مخطوط الشرفة ، لا ذكر ليوم تقرأ فيه هذه القراءة .

سَبَوه وسبوا كلّ ماله . فلمّا بلغ علمُ خبره الى ابراهيم ، تحرّق واشتدّ قلبُه بقوّة الاله ، وأخذ معه غلمانه القليل عددهم ، وهو ثلاث مائة وثمانية عشر ، ورجلان من الامورانيين كانا له صديقين . أخذهم معه وأسرع الى بنياس . وطلب تلك العساكر العظيمة وهي خمسة آلاف . فلمّا أدركهم في الليل بجانب دمشق . كسر بقوّة الله مَن قد كسروا ملوكاً كثيرين ، وسبا مَن قد سبوا أمماً كثيرة ، ولم يردّ للوط ابن أخيه كلّ ماله فقط ، بل ولجميع المسبيين ، رجالاً ونساء ومتاعاً من سادوم وعامورة وغيرها . ردّهم أجمعين ، ولكنه بسبب ابن أخيه خاصة ، خرج في طلب الملوك . فلمّا ردّه من سبيه ، ردّ كلّ المسبيين معه .

وهكذا المسيح فعل لمّا نزل الى الأرض وتجسّد ، والى الموت والجحيم من أجل الصدّيقين خاصة الذين كانوا في الجحيم . فخلّصهم وخلّص كل الخطأة الذين كانوا مسبيين معهم . فلمّا جاء الى الأرض لبني اسرائيل خاصة ، خلّصهم بايمانهم به وخلّص الاممَ معهم . وما أحسن قول الكتاب إن ابراهيم ردّ السبي بثلاث مائة وثمانية عشر من غلمانه . وهكذا المسيح ربّنا لمّا نظر الهراطقة والاريوسيين قد سبَوا المؤمنين به لتجديفهم ، ردّ سبي المؤمنين بثلاث مائة وثمانية عشر من الأساقفة المختصّين به . وها هنا هو يعلّم المؤمن الذي يروم الحرب مع الشيطان أن يكون مشتدّ القلب بالله ، واثقاً أنه بقوّته يغلبه . وكما كان ابراهيم مقيماً مع الرب وأمكنه أن يردّ سبي ابن أخيه . كذلك اذا كان القلب دائماً مع الله ، واثقاً أن يسبي الجسد من العدو ويقع في الخطيئة ، ويكون القلب والعقل لم يُغيّرا ارادته عن الله ، ولا كانَ له في تلك الخطيئة ارادة ولا همّة ولا رغبة ، فهو قادر أن يردّ سبي جسده بالتوبة ويصنع له المغفرة . هذا اذا كان العقل دائماً مع الله ، ومراده في طلب التوبة لم يتغيّر ، ولو كان الجسد ساكناً في وسط مواضع الخطيئة مثل لوط في سادوم . فاذا كان العقل دائماً مع الله ، فانه يقدر على حفظ جسده وردّه من السبي ، والاستغفار من الله بالتوبة المستمرّة على كل زلّة يزلّها الانسان .

وعند عودة ابراهيم من الحرب ، خرج ملك سادوم للقائه ، شاكراً له على فعله . وخرج إليه ملكيصادق ملك السلام ، وأخرج خبزاً وخمراً ، لأنه كان كاهنَ الله العلي ، وبارك عليه وقال : يكون ابرام مباركاً لله العالي ، ملك السماء والأرض ، ومباركاً الله العليّ الذي أسلم أعداءك في يديك . فأعطاه ابراهيم العُشر من كل ماله . عندما كسر ابراهيم الأعداء في الحرب وعاد ظافراً ، أتاه الكاهن المختصّ بالله العالي بالخبز والخمر وبارك عليه . ها هنا علّمنا كيف ومتى نستوجب التناول من جسد المسيح ودمه :

نستوجبه عندما نحارب الخطيئة ونغلبها بالتوبة . لأن ربّنا يسوع المسيح ، لهذا المعنى بعينه . وضع لنا جسدَه ودمه ليكون من أجل شوقنا لتناوله نحارب الشياطين ولا نسمع منهم في خطيئة واحدة يحسّنونها لنا أن نفعلها . يقصد بذلك احترامنا تناول السرائر المقدسة المحيية . واذا كنّا نحن بغفلة يقظتنا وكثرة غفلتنا ، سُبينا منهم بنظر يخالف الناموس أو سمع أو شمّ أو ذوق أو كلام أو لمس أو فكر شرير مثل فكر رغبة زنى أو حبّ الفضّة أو غضب أو حزن أو ملل أو سبح باطل أو عظمة ، اذا ما سُبينا منهم بواحدة من هذه ، لا نيأس ولا نكسل ولا نُغلب ولا نسترخِ ، بل بقوّة الله نثق كما وثق ابراهيم ، ونحاربهم بها ، ونستردّ ذلك جميعه بالتوبة عنه . وحينئذ نستحقّ تناول السرائر المقدسة من يد الكاهن العالي الذي هو

ملك البرّ وملك السلامة ، ربّنا يسوع المسيح ابن الله ؛ لأن ملكيصادق تفسيرها في العبرانية ملك البرّ ، ولذلك قال داود النبي بالروح القدس للمسيح : « **حلف الربّ ولم يُنكر أنك الكاهن إلى الأبد على طقس ملكيصادق** » (مزمور ٤/١٠٩) .

حقّق بهذا أن هذا الكهنوت يدوم الى الأبد ، وأنه ليس يزول مثل كهنوت هارون الذي جعل اللهُ مذبحَه في موضع واحد من الدنيا . فلمّا عُدِمَ كهنوتُهم ذلك الموضعَ الذي فيه المذبح ، بَطل كهنوتُهم وعُدِموه بعدم المذبح ، وشعبهم عُدم القربان والغفران . وأما كهنوت المسيح الذي بخبز وخمر على طقس ملكيصادق ، ومذبحُه موجود في جميع الأرض ، فانه دائم الى الأبد . والكاهن المسيح هو ملك البرّ وملك السلام بالحقيقة . لأن كل مَن يتبعه تَبَعاً حقيقياً ويحفظ وصاياه هو يكمّل البرّ والسلام ، ويكون المسيحُ بالحقيقة له ملكاً وكاهناً ، لكونه لوصاياه حافظاً ولجسده ودمه مستحقّاً وللبركة منه واصلاً ؛ وهو أيضاً يلزمه الخضوع والكرامة حسب طاقته لكاهنه ، كما فعل ابراهيم فيما دفع من العشور لملكيصادق . والذي هو مؤمن بالمسيح ، يلزمه ان يدفع للمسيح مضيفاً الى العشرِ الجسداني العشرَ الروحاني قبل الجسداني ، وهو أفضل جدّاً جدّاً من كل الفضائل .

وهذا هو العشر الروحاني ، العقلُ الذي هو أحد العشر الحواسّ الخمس الجسدانية والخمس النفسانية ، لأن العقل هو أحد الحواس الخمس النفسانية وهو عشر العشرة النفسانية والجسدانية ، وهو أفضلُها كلّها ، ويلزم المؤمن أن يدفعه للرب بكماله كلّ حين بدوام ذكره للرب ، بدوام بلا انقطاع ، ونظره اليه والى وصاياه بلا فتور ؛ « **تكون إرادته في ناموسه تهذّ فيه نهاراً وليلاً** » (مزمور ٢/١) ، مثل قول داود النبي . وهذه — قال الرب — هي الوصيّة الأولى العظمى : « **أن تحبَّ الربَّ الهك من كل قلبك ومن كل نفسك** » (تثنية الاشتراع ٥/٦ ؛ متى ٣٧/٢٢ — ٣٨) . من أجل هذه الوصيّة ، قال الرسول بولس : « **صلّوا بلا فتور** » (١ تسالونيكي ١٧/٥) ؛ والرب قال : « **صلّوا ولا تملّوا** » (لوقا ١/١٨) . « **مَن هو هكذا — قال النبي — يكون مثل الشجرة المغروسة على مجاري المياه ، وكلّ ما يعمل يستقيم** » (مزمور ٣/١) . وقال الكتاب إن ملك سادوم ، لمّا ردّ له ابراهيم السبي قال لابراهيم : أَعطني الأنفس وخذ أنت المتاع . وقال له ابراهيم : أنا أَبسط يدي الى السماء ، وأحلف بالله العالي رب السماء والأرض ، اني لا آخذ من مالك حتى ولا سَيْرَ حذاء ، لئلا تقول غداً إني أنا الذي اغنيتُ ابرامَ الا ما أكلته الصبيانُ ونصيب القوم الامورانيين الذين صحبوني . أُنظر يا مؤمناً بالمسيح قلّةَ محبة هذا الرجل في متاع الدنيا ، وقلّة رغبته في ذلك ، واتكالَه على الله دون قنوة الدنيا ، وحسنَ ثقته أن منه يكون غناه دون جميع خلقه . وأنظر كيف أعجب اللهَ فعلُه هذا ، وكثر سرورُه به ومدحه له ، مخاطباً له من ساعته .

القراءة الخامسة والعشرون (من سفر الكون)

ليوم الثلاثاء الجمعة الخامسة من الصوم المقدس

الكتاب :

« بعد هذه الأمور كان كلام الربّ الى أبرام في الرؤيا قائلاً لا تخف يا أبرام أنا ترس لك وأنا أجرك العظيم جداً . فقال أبرام اللّهم يا ربّ ما تعطيني وأنا منصرف عقيماً وقيّم بيتي هو أليعازر الدمشقي . وقال أبرام إنك لم ترزقني عقباً فهوذا ربيب بيتي هو يرثني . فإذا بكلام الرب إليه قائلاً لا يرثك هذا بل من يخرج من صلبك هو يرثك ثم أخرجه إلى خارج وقال انظر إلى السماء وأحص الكواكب إن استطعت أن تحصيها . وقال له هكذا يكون نسلك . فآمن بالرب فحسب له ذلك براً . وقال له أنا الرب الذي أخرجك من أور الكلدانيين لأعطيك هذه الأرض ميراثاً لك . فقال اللّهم يا رب بماذا أعلم أني أرثها . فقال له خذ لي عجلة ثنية وعنزاً ثنية وكبشاً ثنياً ويمامة وجوزلاً . فأخذ له جميع هذه وشطّرها أنصافاً ثم جعل كل شطر قبالة صاحبه والطائر لم يشطره . فانقضّت الجوارح على الجثث فجعل أبرام يزجرها . ولمّا صارت الشمس إلى المغيب وقع سبات على أبرام فإذا برعب ظلمة شديدة قد وقع عليه . فقال لأبرام اعلم يقيناً أن نسلك سيكونون غرباء في أرض ليست لهم ويستعبدون لهم ويعذبونهم أربع مئة سنة . ثم الأمّة التي يستعبدون لها سأدينها وبعد ذلك يخرجون بمال جزيل . وأنت تصير إلى آبائك بسلام وتدفن بشيبة صالحة . وفي الجيل الرابع يرجعون إلى ههنا إذ لم يكمل إثم الأموريين إلى الآن . فلمّا غابت الشمس وخيّم الظلام إذا تنّور دخان ومشعل نار سائر بين تلك القطع » (تك ١/١٥ — ١٧) .

التفسير :

لمّا ردَّ ابراهيم سبي سادوم وعامورة ، سأله ملك سادوم أن يعطيه النفوس ويأخذ هو المال . فامتنع ابراهيم وحلف أنه لا يأخذ شيئاً ولا سَيْرَ حذاء . فَسُرَّ الله بهذا الفعل من ابراهيم وخاطبه قائلاً : لا تَخَف يا أبرام . فأنا ناصرك وأجرك يكون عظيماً . يعني إذا كنتَ لم تأخذ أُجرة من القوم الذين بنصرتي لك رددت سبيَهم ، فأنا أُعظِّمُ لك الأجرة عن ذلك . قال له أبرام : وما الذي تعطيه لي يا سيدي ، وقد جعلتَ غلامي يرثني ، لأنك لن تُعطني ولداً ؟ قال له الله : لا يرثك غلامك ، بل ولدُك الذي يولد منك يرثك . وأخرجه وأراه نجوم السماء .

وقال له : إن كنتَ تقدر أن تحصي النجوم . فهكذا يُحصى زرعك . فآمن ابراهيم بالله وصدق وعده . أن يكون زرعه مثل عدد نجوم السماء ، وحُسبت له هذه الأمانة برّاً ، لكونه يرى نفسه شيخاً هرماً ، لا قوّة له لِوَلَدٍ ، وزوجته أيضاً عجوز وعاقر ، لا قوّة لها تثمر ولداً . ومع ذلك ، أيقن أن قوّة الله تفعل له ذلك . فلذلك حُسِبَت له أمانة برّ ؛ وهكذا الذي يرى الخطيئة غالبة عليه . وهو فيها مُحِبٌّ جداً ومائل اليها ، ويؤمن أن قوّة الله ستقلع حبّها من قلبه وتُعطيه الغلبة عليها ، ويلازم هو التوبة ، بهذ

الأمانة وحفظ وصايا المسيح ، ويُنهض نفسَه من الزلّة كلّ حين بغير ملل ولا ضجر ، مؤمناً أن القوّة تُعطى له من الله ، وأنه لا بدّ له بقوّة الله أن يصل الى عدم الأوجاع ويثمر ثمرة الروح الكامل الذي بغير عيب ، فإنّ هذه الأمانة تُحسَب له برّاً . وكلّ الذين يؤمنون هكذا ويلازمون التوبة بهذه الأمانة ، فهم بنون لابراهيم ومحسوبون له زرعاً ، وهم الذين شبّههم الله بنجوم السماء . لكونهم بالتوبة مضيئين .

ولمّا كانت هذه النبوءة لابراهيم ليست بالميلاد الجسداني ، بل بميلاد الأمانة ، لذلك حين سأل من الله علامةً يعلم بها أنه سيرث هذا الميراث وأنّ زرعه يكثر هكذا ، قال له الله : خذ عجلاً له ثلاث سنين وماعزاً له ثلاث سنين وكبشاً له ثلاث سنين ؛ ذكر ثلاثة من الحيوان وكرّر التثليث في كل واحد منها لكي يُعلمه أن هذه النبوءة وهذه الوراثة تكون لك بامانة الثالوث ، لأنّ الذين يؤمنون بالثالوث هم يُحسَبون لك بنين ، من أجل أنهم يؤمنون بقوّة الله التي تعطيهم الغلبة على الخطيئة مثل أمانتك . وبأمانتهم يثمر ثمرة الروح الكامل ، كما أثمرتَ أنتَ بعد اليأس . وهؤلاء الكثيرون هكذا هم لك بنون ، وبهم يتمّ لك الوعد أنّ زرعك يكون مثل نجوم السماء ؛ ولذلك أمره أن يقسم الذبائح ويضعها قبالة بعضها البعض ، يعني أن المؤمنين الذين بالتوبة ذبحوا نفوسهم لله ، ذبحوا أجسادهم له قرباناً بقطع هواهم بعضهم البعض ، من أجل محبته . وهم يتلمذون بعضهم البعض . والحمام واليمام اللذان أمره أن لا يقسمهما ، بل يضعهما فوق على الأجساد المقسومة ، هما إشارة الى الطهارة ، لكون الذكر منهما والأنثى اذا عُدِمَ أحدهما الآخر ، لا يتّخذ له عوضه أبداً ولا يتروج غيرَه . والحَمام إشارة الى الوداعة مثل قول ربّنا : « **كونوا ودعاء كالحمام** » (متى ١٠/١٦) . لذلك لم يأمره أن يقسم اليمام والحمام ، كما أمره أن يقسم باقي الحيوان ، لكونه برّر هاتين الفضيلتين اللتين هما الوداعة والطهارة .

تكون كل واحدة منهما معنا صحيحةً كاملة غير مقسومة ، لأننا بهاتين الفضيلتين ، الوداعة والطهارة ، نغلب الغضب والشهوة اللذين هما أصول كل الأوجاع . ومن غلبهما غلب الجميع . والربّ حين أعطانا جسدَه ودمه قرباناً جعله سبباً لقطع الغضب والشهوة منا ، لأنه أمرنا ، متى أردنا تناولَ الجسد والدم النقيّ ، أن نُنقّي أنفسَنا من كل غضبٍ وحَرَد ، وكذلك من كل زنى ونَجَس . وحينئذ نكون ودعاء أطهاراً ونستحقّ جسدَه ودمه . وهكذا أمرنا أن نكون كلّ يوم أطهاراً من كل غضب وشهوة ، مستحقّين السرائر المقدسة . ولذلك قال : إن الذبائح التي قسمها ابراهيم كانت الطيورُ تروم ان تنزل عليها وتنهشها . وأبرام جالس يحفظها منها الى مغيب الشمس ، يعني أن اعداءنا الشياطين ، الأرواح التي في الجو ، يَرومون أن ينزلوا على عقولنا ينهشوها وينجّسوها بالغضب والشهوة . ونحن يجب علينا أن نحفظها منهم دائماً باسم الرب وبالتوبة الدائمة ، ونفعل ذلك الى مغيب الشمس الذي هو خروجنا من هذه الدنيا يوم الموت .

قال : ووقع على ابراهيم سكوتٌ وخوف عظيم وظلمة ، يعني أن الذي يكون يلزم عبادةَ المسيح هكذا ، هو يمتلئ من خوف المسيح والسكون ، وتحلّ الظلمة من قبل المسيح على أعدائه الشياطين الذين ينجّسون أفكاره . وكما قد قال إن عند مغيب الشمس صار تنوير نار ودخان على تلك الذبائح ، كذلك

عند نفس عابد المسيح ، من جسدها تتّقد فيها نار الروح القدس ، وتحرق منها كلّ الأرواح النجسة المقاتلة لها ، وتجعلها تضمحل منها كالدخان ، «**كما قد فعلتْ ذلك بالرسل القدّيسين في يوم العنصرة بعد صعود ربّنا الى السماء ، حين اتّقدت فيهم كألسنة نار**» (أعمال ٢/١ — ٣) ، وأحرقت منهم الأرواح النجسة وقدّستهم ونقّتهم من كلّ خطيئة ، وجعلتهم كاملين بلا وجع . ومن المؤمنين بالمسيح من يفعل له الروح القدس ذلك قبل خروج نفسه من جسده ؛ يهب له النعمة بالكمال وعدم الأوجاع ، مثل الرسل القدّيسين . ولكن ، قبل هذا الكمال ، تنال النفس من الشياطين حروباً عظيمة وقتالاً شديداً ، كما قال الكتاب إن خوفاً وسكوناً وظلمة عظيمة سقطت على ابراهيم . وقال الله له : بعلمٍ اعلم أن يكون زرعك يستغرب في أرض ليست لك ، ويَستعبدونه ويُضرّونه ويُذلّونه . وهذا قاله الله لابراهيم إشارة الى عظي الجهاد والحزن والذلّ الذي تناله النفس ، قبل كمالها من حرب الشياطين وجهادهم اياها .

قال الله : وبعد هذا أُخرج زرعك من العبودية وأدين الذين استعبدونه . هكذا يدين الشياطي إذا نظرهم يظلمون النفس ، وهي صابرة ثابتة مع ربّها ، ويُخرجها من عبودية أعدائها ، لتخدم ف الأرض المقدسة التي هي عدم الأوجاع . قال الله لابراهيم : في الجيل الرابع ، يخرج زرعُك م العبودية ، يعني الجيل الرابع ، حين كمال النفس وخروجها من الأوجاع ، لأنّ الوقت الذي لم تك تعمّدت وهي مولودة من الجسد فقط ، يُحسَب لها زماناً ؛ وحين معموديتها زماناً ثانياً ؛ وحين التوبة ب المعمودية زماناً ثالثاً ، وحين الكمال وعدم الأوجاع زماناً رابعاً . وأشار الربّ الى هذه الأزمان الأربعة بقو الجيل الرابع ، وبقوله اربعمائة سنة . وفي هذا أوضح لابراهيم أن زرعَك لا يملك أرضَ كنعان ح يستغرب أولاً في أرض مصر ، ويُستَعبَد لفرعون وينضر منه ، إشارة الى ضرّ النفس واستعبادِها الشياطين قبل حين الكمال ، والدينونةِ التي تنال الشياطين من الله عند كمال النفس وامتلائها من الر القدس التي تحلّ عليها ، ويدين الشياطين ويُحرقهم منها .

[قال الله لابراهيم : إن زرعك لا يملك أرض كنعان حتّى يتغرّب أولاً ويُضَرَّ به . وحينئذ أُخر وأدين الذين استعبدونه . وفي هذا الكلام سبق يُعلم ابراهيم بسرّ الخلاص الذي سيكون لجنس آدم عبودية الشيطان بتأنّس المسيح ، لأنه كما قال لابراهيم : إن زرعك يتغرّب في الأرض التي ليست ل ويستعبدونه ويذلّونه . كذلك كلّ جنس آدم تغرّبوا من نياح الفردوس وعدم الأوجاع الذي كان قديماً . وصاروا عبيداً للخطيئة والشيطان ، أركون العالم . وعذّبهم زماناً طويلاً في خدمته وعلى مرضا كما كان فرعون يعذّب زرع ابراهيم في خدمته . لأن فرعون كان يستخدم أولئك في الطين وعمل الط الذي فاعلُه لا يزال أبداً ناظراً الى الأرض ؛ وكذلك الشيطان أهبط عقل جنس آدم من الف السماوية ، وجعلهم أبداً ناظرين الى الأرض ، وليس لهم همّة ولا فكر الاّ فيها وفي اللذّات والشه المنسوبة اليها . فصاروا غرباء في أرض ليست لهم ، لأن الضمير السماوي هو أرضهم بالحقيقة وله خُل فأهبطهم منه الشيطان ونسّاهم ايّاه وأسكنهم في الضمير الأرضي والهموم الجسدانية ، أرض ليست ل وعبّدوهم للخطيئة وعذّبوهم بأوجاعها .

وكما أرسل الله موسى عبده فخلّص زرع ابراهيم القليل من فرعون ملك مصر ، كذلك أرسل الله ابنه متجسّداً من مريم العذراء فخلّص جنس الكثير من الشيطان ، أركون العالم . موسى ، لكونه عبداً ، خلّص على قدره خلاصاً قليلاً من عذاب فانٍ ، وورّث ميراثاً فانياً الذين خلّصهم . والمسيح ، لكونه ابن الله ، خلّص خلاصاً عظيماً من جنس آدم من عذاب لا يفنى وعبودية ليس لها انقضاء ، وورّث الذين خلّصهم ميراثاً لا يزول . وذلك ان الذين خلّصهم كانوا في الدنيا يعبدون ابليس في خدمة الخطايا . وبعد خروجهم من الدنيا وتعبّدهم للخطايا في نار جهنم الخالدة ، عتقهم المسيح من ذلك جميعه وأورثهم ملكه الذي لا يزول في السماوات ، وذلك فعله في تأنّسه وصلبه . لأن الله قال ان من الخطيئة يكون الموت ، ومن لا يخطأ لا يلزمه موت . ولذلك لزم ابليس الدينونة من صلب المسيح ، لأن المسيح لم يخطأ قط ، ولا كان مستحقّاً موتاً . فلمّا أقام الشيطان عليه الطائعين له من اليهود قتلوه ، لزمته دينونة موته فداء به لله ، وعتق جنس آدم من عبوديته . وذلك أن المقتول منه ظلماً نزل في ساعة موته الى الجحيم وخلّص المعتقلين هناك ، والأحياء الذين على الأرض ، وهب لهم معمودية موته : يغطّس الانسان في الماء ثلاث غطسات عوض قبر المسيح في ثلاثة أيام . يسكن روح المسيح في عقله ويرفع عقله الى الضمير السماوي الذي كان الشيطان أهبطه منه . فان هو أطاع روح المسيح فيما يذكّره به ويحثّه عليه من وصايا المسيح التي هي الضمير السماوي ، فانه يدوم معتوقاً من الخطيئة ، غالباً لها بالتوبة ، عمّالاً بالوصايا ما دام في الدنيا . والوصايا ، بعد خروجه من الدنيا ، هي تورثه الملك السماوي الذي هو خلاف ملك أرض كنعان . المسيح هو زرع ابراهيم ، كما يقول بولس الرسول ، (عبرانيين ٢/١٦) لأنه من زرع ابراهيم تجسّد] [1] .

وكما [2] قد قال الله إن زرع ابراهيم يتغرّب أربعمائة سنة ، كذلك لمّا وُلد المسيح بالجسد القابل الآلام لكي يتألم به فداء لنا ، أقام على الأرض أربعمائة شهراً ، عوض الاربعمائة سنة ، ثلاثاً وثلاثين سنة وثلثا . ولمّا كملت ، صُلب وقام بجسده غيرَ متألم ، وغيرَ قابل الأمراض والموت . وكما قال الله لابراهيم إنه في الجيل الرابع يرجع زرعُك الى هاهنا ، كذلك في العشر الرابع من سنيّ المسيح ، رجع الى السماوات ، وكان صعودُه في كمال العشر الرابع من الأيام بعد قيامته . « **لأنه في اليوم الأربعين بعد قيامته صعد** » (أعمال ١/١ — ٣) . حسناً قال الله لابراهيم : إنه في الجيل الرابع أُخرجُ زرعَك من أرض العبودية إلى الأرض المقدسة . زرعُ ابراهيم كان في الجحيم ؛ وفي الجيل الرابع من ابراهيم ، أخرجه الله بالمسيح الى الفردوس المقدس . ما هو الجيل الرابع من ابراهيم ؟ هو زمان المسيح ، لأن زمانَ ابراهيم وبنيه قبل الناموس يُحسب جيلاً أولاً وزمانَ الناموس جيلاً ثانياً ، وزمانَ الأنبياء بعد الناموس جيلاً ثالثاً ، وزمانَ المسيح جيلاً رابعاً . وفي هذا الجيل ، أعتق اللهُ زرعَ ابراهيم من العبودية .

---

(١) لا يُوجد هذا المقطع في هـ ، بل في م (ورقة ٩٨ ب ، عمود أ — ورقة ٩٩ ب — عمود أ) وفي ف (ورقة ٥٩ أ ، عمود أ — ورقة ٥٩ ب ، عمود ب) .

(٢) هنا يتابع نص هـ .

أُنظر يا مَن يقرأ في هذا السفر الى قول الله لابراهيم ان خطيئة الامورانيين بعد لم تكمل . أعني إنني إنه عادل ولا يمكنني أن أظلم الامورانيين وأقلعهم من أرضهم وملكهم لزرعك ، حتى تكمل خطيئتهم التي بها يَستوجبون ذلك . حقّق عندنا أنه لا يقلع قط أمة من أرضها ويملّك غيرها حتى تخطأ تلك الأمة خطيئة تستوجب ذلك . والأمّة المؤمنة اذا عصت ناموسَها المرسوم لها من الله فيَقلعها من أرضها ويملّكها لأمّة كافرة ، كما قلع أمّة اسرائيل من الأرض المقدسّة وملّكها لبختنصّر الكافر . كذلك ابليس وشياطينه المردة كانوا مُلاّكَ نفوس الناس . لم يقلعهم اللهُ من ملكهم حتى كملت أيامُ خطيئتهم بقتلهم المسيح الذي ليس له خطيئة ، ولا يستحقّ موتاً . وكذلك كل نفس هي عابدة المسيح ، اذا ما دامت في عبادة المسيح ، ولم تُطِع الشيطانَ في ما يبذر في قلبها من الأفكار النجسة ، وأقامت مدّة طويلة ، وهو دائماً يظلمها ويبذر فيها أفكاره ، وهي دائماً تعصيه وتستعين عليه باسم الرب يسوع ، فاذا نظر الربُّ كثرةَ ظلمه لها هكذا ، فقد كملت خطيئتُه عنده بعظم ظلمه لها . فان الربّ يعتقها من عبوديته بالكمال ، ويُسكن فيها روحَ قدسه بالتمام ، كما أسكنه في تلاميذه يوم العنصرة . ولذلك قال الكتاب : إنه عند مغيب الشمس ، اتّقدت نار ومصابيح في الذبائح التي اقتسمها ابراهيم . وكان دائماً يحرسها من الطيور ، إشارة الى نار الروح القدس التي تتّقد في النفس وتطهّرها بالكمال ، النفس التي بالتوبة ذبحت ذاتَها لله ، وكانت هي بالدوام محفوظةً بالتوبة من الطيور النجسة التي هي الأرواح الشيطانية ، خزاها اللهُ تعالى عنّا . أمين .

القراءة السادسة والعشرون من سفر الخليقة[1]

الكتاب :

« في ذلك اليوم بت الرب مع أبرام عهدا قائلا لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر الى النهر الكبير نهر الفرات . وسأمكنكم من القينيين والقنزيين والقدمونيين والحثيين والفرزيين والرفائيين والأموريين والكنعانيين والجرجاشيين واليبوسيين » (تك ١٥/١٨ — ٢١) .

« وأما ساراي امرأة أبرام فلم تلد له . وكانت لها أمة مصرية اسمها هاجر فقالت ساراي لأبرام هوذا قد حبسني الرب عن الولادة فادخل على أمتي لعل بيتي يبنى منها . فسمع أبرام لقول ساراي . فأخذت ساراي امرأة أبرام هاجر المصرية أمتها من بعد عشر سنين من مقام أبرام في أرض كنعان فأعطتها لأبرام رجلها لتكون له زوجة . فدخل على هاجر فحملت فلمّا رأت أنها قد حملت هانت مولاتها في عينيها . فقالت ساراي لأبرام ظلمي عليك . إني دفعت أمتي الى حجرك فلما رأت أنها قد حملت هنت في عينيها . يحكم الرب بيني وبينك . فقال أبرام لساراي هذه أمتك في يدك اصنعي بها ما يحسن في عينيك . فأذلتها ساراي فهربت من وجهها . فوجدها ملاك الرب على عين ماء في البرية على عين الماء التي في طريق شور . فقال يا هاجر أمة ساراي من أين جئت والى أين تذهبين . قالت إني هاربة من وجه ساراي مولاتي . فقال لها ملاك الرب ارجعي الى مولاتك واتضعي تحت يديها . وقال لها ملاك الرب لأكثرن نسلك تكثيرا حتى لا يحصى لكثرته . وقال لها ملاك الرب ها أنت حامل وستلدين ابنا وتسمينه إسمعيل لأن الرب قد سمع صوت شقائك ويكون رجلا وحشيا يده على الكل ويد الكل عليه وأمام جميع اخوته يسكن . فنادت باسم الرب المخاطب لها أنت الله الذي رآني لأنها قالت يقينا ههنا رأيت قفا رآءِيَّ . لذلك سميت البئر بئر لَحَيَّ الرآءِيَّ وهي بين قادش وبارد . وولدت هاجر لأبرام ابنا فسمى أبرام ابنه الذي ولدته هاجر إسمعيل . وكان أبرام ابن ست وثمانين سنة حين ولدت هاجر إسمعيل لأبرام » (تك ١٦/١ — ١٦) .

التفسير :

قال : إن الله أقام عهده مع ابراهيم أن يملك زرعهُ أرض كنعان ، من أرض مصر الى نهر الفرات ، ووصف السبع الامم السكّان في الارض ، ووعده بتمليكه عليها . ونحن نعلم أن زرع ابراهيم ، لمّا ملكوا أرض كنعان على يد يوشاع بن نون ، لم يملكوا من نهر الى نهر ، بل كان هذا القول وهذا الوعد إشارة الى زرع ابراهيم الذي آمن بالمسيح الذي يصل الى الكمال وعدم الاوجاع ويملك من النهر الى النهر ، أعني أنه يملك أوجاع النفس والجسد ، ويُهلك منه الاوجاع السبعة المقاتلة للعقل ، التي هي هذه : الزنى والشَره وحبّ الفضة والحزن والعظمة التي تولد السبح الباطل والغضب والملل . هذه السبعة بقوّة الروح القدس يملكها ويطردها من نفسه الرجلُ المؤمن بالمسيح امانة تامة .

(١) في المخطوطات هـ وف وم وفي مخطوط الشرفة ، لا ذكر ليوم تقرأ فيه هذه القراءة .

قال الكتاب : إن ساره امرأة ابراهيم سألته أن يتّخذ عبدتها هاجر المصرية له زوجةً ، ويلد منها ولداً . لكون ساره عاقراً لا ولد لها . وانه أطاعها في ذلك بعد قيامه في أرض كنعان عشر سنين . أظهر ههنا الكتابُ عظَمَ أمانة ابراهيم وثقته بمواعيد الله : وذلك أن الله غرّبه من أرضه وبلاده وأسكنه في أخبي ي أرض كنعان ووعده بكثرة الزرع . وهوذا عشر سنين قد كملت لغربته ولم يرزقه ولداً ، لا شكّ في قلبه ولا قلّت أمانته . ولا قال في نفسه إن ساره عاقر ، والله قد وعدني بكثرة الاولاد ، لعلّه يتمّم لي الوعد من غيرها من النساء . لم يفكّر بهذا ولم يفعله ، بل كان واثقاً بقوّة الله انه قادر أن يرزقه الولد من ساره ؛ حفظه سرّا لكيلا يُدخل على قلبها ألما . فلما بدت هي بذلك من نفسها وسألته فيه ، وقدّمت له عبدتها وأسلمتها له زوجة ، ظنَّ أن هذا الامر من الله وأن به يُتمّم له وعده .

وهذا لم يفعله الله جزافاً لابراهيم . بل إن الله كان مزمعاً أن يُظهر على الارض شريعتين ، شريعة التوراة وشريعة الانجيل . كما خلق الانسان من صنفين ، جسداني وروحاني ، وكما خلق له دارين ، دار الدنيا ودار الآخرة : دار الدنيا جسدانية زائلة ، ودار الآخرة روحانية باقية ؛ كذلك وضع له أيضا شريعتين . الاولى منهما ، وهي التوراة ، جسدانية زائلة ، والثانية ، وهي الانجيل ، روحانية باقية . ولذلك جعل ابراهيم يلد من زوجتين أولادا رمزاً على هاتين الشريعتين :

الزوجة الاولى التي هي هاجر العبدة ، ولدت ميلاداً جسدانياً مثل **شريعة التوراة** التي كلّها جسدانية ، ومواعيد جسدانية ، لانها تأمر بمقدس واحد على الارض لا يمكن أمم الارض الوصول اليه دائماً ، ولا يصل اليه سوى السكّان بالقرب منه ؛ وتأمر أن تُفدى الخطايا بذبائح من الحيوان لا يمكنها ابدا ان تقلع خطيئة ؛ وتأمر أن يكون الكهنوت وراثة من ظهر رجل واحد وهو هارون ؛ وأن تكون أمّة الله مقسومين في أجسادهم بختانة غلفة ذكورهم ؛ ومواعيدها أيضا كذلك جسدانية : أرض كنعان وخيراتها ، وكثرة اللبن والعسل وخصب الارض والاثمار وطول العمر . بالخوف تكمّل أوامرها ، وذلك أنها تأمر بقتل كل من أمَرَتْهُ بأمر ولم يُطع أمرَها ، لكي بخوف القتل تتمّ الاوامر ؛ ولذلك هي عبدة مثل هاجر ، تمّمت اوامرَها بالخوف .

واما **شريعة الانجيل** فأوامرها كلّها روحانية ، شبيه ساره لم تلد ولدها كالولادة الجسدانية المعروفة ، لانها لم تلد في حدّ الصبا مثل العادة ، ولا كانت حالةُ النساء تأتيها كالعادة ، وهي فمن بدايتها عاقر ولا سيما انها قد صارت في تسعين سنة ، ورجلها قد مات جسدُه ، لكونه في مائة سنة . فلم يكن ميلادها ايضا جسدانياً كالعادة . بل بوعد الله لابراهيم وقوله له إن مثل هذه الاوان يكون لساره ولد . وبهذا الوعد أخذ الرجل والامرأة قوّة أخرجت الزرع فأثمرا بقوّة الله . وكذلك الامم الذين دخلوا في شريعة الانجيل ، كانوا كل زمانهم عواقر غير مثمرين ثمرة الله البتة ، منذ آلاف السنين . أثمروا بكلمة الله وأخذوا قوّة قبول الايمان وعمل الوصايا . واثمروا بالروح كلّ اثمار الروح ، ولهم أيضا مقدِسٌ موجود في كل موضع من جميع المسكونة . المسيح ابن الله مات وأهرق دمه للجميع ولهم أعطى جسده ودمه جائزة لتعب توبتهم واكليلاً لغلبتهم . والتوبة لهم موجودة كل أيام حياتهم ، تخلّصهم من غير أن يُسفَكَ دَمُهُم ويسفكوا هم

دم نفوسهم ، لان المسيح الاله المتجسّد سفك دمه عن جميعهم وفداهم من الموت الواجب عليهم من أجل ذنوبهم ، باحتماله الموتَ عنهم .

وملكوت السماوات مع خيراته الدائمة التي لا قياس لها ، وعدهم بميراثه الروحاني ، وذلك أنه بالروح القدس الساكن فيهم يختنهم من كل معصية تبدأ فيهم ؛ ولم يجعل صلاتهم الى ناحية مدينة مسكونة في الارض ، مثل اليهود الى بيت المقدس ، بل صلاتهم الى ناحية الشرق نحو الفردوس الذي هو مقدسهم القديم ، الذي فيه كان سكناهم في بدء خلقتهم ، لكونه مقصدهم ، واليه سيعيدهم ؛ واعداؤهم الذين يحاربونهم حتى يملكوا ويرثوا موضعهم ، هم الشياطين السكّان داخلهم ، الذين يبذرون فيهم معصية الوصايا ، يقاتلونهم هم أيضاً ويستنجدون عليهم بالروح القدس الحالّ فيهم ، فينتصرون عليهم ويغلبونهم . وكلما غلبوهم استحقوا جسد الرب ودمه جائزة لحربهم ومكافأة لظفرهم . وهذه الشريعة حرّة مثل ساره لانها ليس بالخوف من القتل تُحفَظُ أوامرُها ، بل بمحبة الذي مات عنها تَحفظ كل وصاياه ، حسب قوله : « **إن كنتم تحبوني احفظوا وصاياي** » (يوحنا ١٤/١٥) .

ثم قال الكتاب إن هاجر ، لما رأت أنها حُبلى ، أهانت سيدتها عندها . فقالت ساره لابرام : ظلمي عليك ، أنا أُعطيك عبدتي ؛ وهي لما رأت انها حبلت ، هنت (كذا) عندها . يحكم الله بيني وبينك . قال لها : هوذا عبدتك في يديك ؛ إفعلي بها ما حسن عندك . فعذّبتها ساره حتى هربت من يديها ؛ فوجدها ملاك الله على عين ماءٍ في البرّيّة . فقال لها : يا هاجر عبدة ساره ، الى أين تذهبين ؟ فقالت له : أنا هاربة من يديّ سيدتي ساره . فقال لها الملاك : إرجعي الى سيدتك واخضعي لها .

ولما كان الله يُجرّب ابرام كلّ وقت بالحزن والغموم ، وكان عندما رأى احزانه قد كثرت بسبب الولد ، وهو لا يرى لذلك وجهاً البتة مذ عشرين سنة ، عزّاه بحبل هاجر منه . جرّبه بتسليط ساره عليها وأكثرت تعذيبها لها ، حتى هربت . وفي ذلك كان المؤمنُ صابراً كعادته ، متّكلاً على الله في كل أموره ؛ وباتّكاله على الله ، ولكثرة حزن ساره على هروبها ، أراد الرب عزاءَهما كليهما ، فجعل ملاكه يسترجع هاجر . وأمرها ان تخضع لسيدتها ساره وتطيع أمرها ، ودعاها عبدة ليعلمها أنه بسببها ظهر لها ؛ ولكونه أرادها ان تطيع أمره في الخضوع لساره ، بشّرها بكثرة الاولاد ، وأعلمها أن الولد الذي في بطنها ذَكر ، وعرّفها ماذا تسميه . ولكون هاجر كانت رمزاً لشريعة التوراة التي نطق بها اللهُ على يد الملائكة ، لذلك جعل الملاك يخاطب هاجر ويردّها الى العبودية التي هربت منها ، لكي تعلم ان شريعة التوراة عبدة أبداً ، وأوامرها ما تكمل الا بالخوف وليس بالحرية .

القراءة السابعة والعشرون (من سفر الكون)

ليوم الاربعاء من الجمعة الخامسة من الصوم المقدس

الكتاب :

« ولمّا كان أبرام ابن تسع وتسعين سنة تجلى له الرب وقال له أنا الله القدير اسلك أمامي وكن كاملا فأجعل عهدي بيني وبينك وأكثرك جدا جدا . فسقط أبرام على وجهه . وخاطبه الله قائلا ها أنا أجعل عهدي معك وتكون أبا جمهور أمم ولا يكون اسمك أبرام بعد بل يكون اسمك إبراهيم لأني جعلتك أبا جمهور أمم . وسأنميك جدا جداً وأجعلك أمما وملوك منك يخرجون . وأقيم عهدي بيني وبينك وبين نسلك من بعدك مدى أجيالهم عهد الدهر لأكون لك إلها ولنسلك من بعدك . وأعطيك أرض غربتك لك ولنسلك من بعدك جميع أرض كنعان ملكا مؤبدا وأكون لهم الها . وقال الله لابراهيم وأنت فاحفظ عهدي أنت ونسلك من بعدك مدى أجيالهم . هذا هو عهدي الذي تحفظونه بيني وبينكم وبين نسلك من بعدك يختتن كل ذكر منكم . فتختنون القلفة من أبدانكم ويكون ذلك علامة عهد بيني وبينكم . وابن ثمانية أيام يختتن كل ذكر منكم مدى أجيالكم المولود في منازلكم والمشترى بفضة من كل غريب ليس من نسلكم . يختتن المولود في بيتك والمشترى بفضتك فيكون عهدي في أبدانكم عهداً مؤبداً . وأيُّ أقلف من الذكور لم تختن القلفة من بدنه تقطع تلك النفس من شعبها اذ قد نقض عهدي . وقال الله لابراهيم ساراي امرأتك لا تسميها ساراي بل سمها سارة . وأنا أباركها وأعطيك منها ابنا وأباركها وتكون أمما وملوك شعوب منها يكونون . فسقط إبراهيم على وجهه وضحك وقال في نفسه ألابن مئة سنة يولد أ سارة وهي ابنة تسعين سنة تلد . فقال إبراهيم لله لو أن إسمعيل يحيا بين يديك . فقال الله بل سارة امرأتك ستلد لك ابن وتسميه إسحق وأقيم عهدي معه عهدا مؤبدا لنسله من بعده . وأما إسمعيل فقد سمعت قولك فيه وهآءنذا أباركه وأنميه وأكثر جدا جدا ويلد اثني عشر رئيسا وأجعله أمة عظيمة . غير أن عهدي أقيمه مع إسحق الذي تلده لك سارة في مثل هذ الوقت من قابل . فلما فرغ من مخاطبته ارتفع الله عن إبراهيم . فأخذ إبراهيم إسمعيل ابنه وجميع مواليد بيته وسائر المشترين بفضته كل ذكر من أهل منزله فختن القلفة من أبدانهم في ذلك اليوم عينه بحسب ما أمره الله به . وكان إبراهيم ابن تس وتسعين سنة عند ختنه لحم قلفته . وكان إسمعيل ابنه ابن ثلاث عشرة سنة حين ختنت القلفة من بدنه . في عين ذلك اليـ اختتن إبراهيم واسمعيل ابنه وكل رجال منزله مواليد بيته والمشترين بالفضة من الغرباء اختتنوا معه » (تك ١/١٧ — ٢٧)

التفسير :

ابراهيم لم يكن اسمه في الابتداء ابراهيم بل أبرام ، ونقله اللهُ الى الارض التي اسمها كنعان ، الجزيرة التي بين النهرين . وأقام بأرض كنعان الى أن صار عمرُه تسعاً وتسعين سنة ولا يسمّيه بعد ابراه وفي الوقت الذي رُزق اسماعيل ، لم يكن بعد اسمُه ابراهيم ، لانه رزق اسماعيل وعمرُه ستاً وثمانين سن بعد سكناه بأرض كنعان احدى عشرة سنة . فلما أراد الله أن يرزقه اسحاق وعمره تسع وتسعون سن أسماه ابراهيم إسماً عبرانياً تفسيره أب أمم كثيرة . قال له : يكون اسمك ابراهيم لاني أتركك اباً لامم كثي

اما مِن ظَهْرِ ابراهيم واسحق ويعقوب الذين لهم كان هذا الوعد مثل ابراهيم ، فلم يكن اب امم كثيرة ، بل أمّة واحدة وهي أمّة العبرانيين. فكيف يقول الله : أتركك أباً لامم كثيرة ؟ لم يقل له إنك تلد أمماً كثيرة من ظهرك ، بل إني أتركك أباً لهم . إن ما تمّ لابراهيم كان بالمسيح المولود من زرعه بالجسد ؛ لان الامم الكثيرة ، لما صاروا للمسيح ي هو من زرع ابراهيم ، صاروا بالحقيقة لابراهيم . وتمّ وعد الله ، فيكون ابراهيم اباهم بالامانة ، لأنهم لمّا آمنوا بيسوع المسيح الذي هو من زرع ابراهيم أنه ابن الله الآب بالحقيقة ، صاروا لابراهيم بنين .

وهذه البنوة بالمعمودية يأخذون بدءَها ، لان المعمودية هي المدخل اليها ، الذي فيه يعاهدون المسيح ابن الله على رفض الشيطان وكلّ اعماله ، وحفظ جميع الوصايا الانجيلية . وعند ذلك يعطيهم المسيح روحه القدّوس ، يُسكنه في عقولهم ليطهّرهم به ويقدّسهم من كل خطيئة لهم متقدمة ، ومن لعنة معصية آدم ، الأب الاول ، التي بها انحدر الجميع الى قعر الجحيم . الروح القدس بالمعمودية يحلّ عليهم ويطهّرهم وينقّيهم هكذا . وهذه هي الختانة الروحانية التي أمر بها ابراهيم في اليوم الذي أسماه أبَ أمم كثيرة ، وقال انها عهده وأكّد الوصية عليها وقال : إن الذي يتركها قد فسخ عهده وهو مفروز من أمّته ، لان الخطيئة هي قلفة النفس . فاذا نحن تعمّدنا ، ختن الروح القدس منا تلك القلفة التي جعل الله قلفة اللحم إشارة اليها . ولكنّ قلفة اللحم اذا خُتنت ، لا يمكن عودتها . واما هذه القلفة التي هي الخطيئة ، فاذا ختنها الروحُ القدس يوم المعمودية ، وطهّر الانسان منها ، فالشيطان بعود يقاتله بها . وينبغي له هو أن يقاتله دائماً ولا يفعلها . ومتى زلّ زلّة ، صغيرة كانت ام كبيرة ، يُسرع يختن ذاته منها عاجلاً بالتوبة كلّ حين . ولهذا أكّد اللهُ الوصيّة في حفظ عهده ، ليس من اجل المعمودية قط — لان كل المؤمنين لا بدّ لهم من المعمودية — بل كان تأكيدُ الله في الوصية وتكريرُه اسمَ العهد من اجل التوبة الدائمة المستمرة على كل زلّة تحدث بعد المعمودية ، لكي يكون المتعمد مختوناً كلّ حين ، جميع أيام حياته ، كما يقول بولس الرسول في رسالته الى أهل قورنثية : « **من قد اختُتن فلا يجد لذاته الغُلفة** » (١ كور ٧/١٨) . ليس عن غلفة اللحم يقول ، لان غلفة اللحم ، من اختتن منها ، لا يمكن أن يجدها لذاته ، بل عن الخطيئة . قال غلفة الروح التي يختنها الروح القدس منا بالامانة يوم المعمودية . أمرنا الرسول أن لا نجرّها الينا دفعة اخرى ، بل بالتوبة كل حين نتنقّى منها . ولذلك لم يكن يوحنا يُعمّد فقط ، بل يُعمّد ويُعترف له بالخطايا ، ويأمر بالتوبة ، ويؤكّد على كل الاثمار التي تليق بالتوبة . ويقول إن بهذه المعمودية وهذه التوبة تصيرّ الحجارةُ ، يعني القلوب القاسية ، بقوّة الله ، أولاداً لابراهيم .

يا مَن قد تعمّدوا ، إفهموا هذا : إنكم اذا لم تختنوا الخطيئة منكم بالتوبة كلّ حين ، مثل يوم تعميدكم ، فقد فسختم عهدَ يسوع المسيح الذي اشترطموه على نفوسكم يومَ التعميد أنكم ترفضون الشيطان وكلّ أعماله . وأنتم بهذا تُفرَزون من أُمّة المسيح . لانه هكذا قال الله لابراهيم : إن كلّ أغلف لا يختن غرلته يُمحى ويُفرَز من أمّته ، لئلا يظنّ من قد أخطأ بعد المعمودية ولم يتنقَّ ذلك بالتوبة كل حين ، ويقول إنه مسيحي ، فيُطغي نفسه وحده . بالكاهن ختننا يوم المعمودية الروحُ القدس ، وكذلك كلّ حين

يختتنا من كل زلّة تحدث لنا بعد المعمودية ، عندما نعترف له بها ونأخذ منه قانون توبة عنها . المسيح في يوم المعمودية أسكن الروح القدس في عقولنا ، حتى اذا قاتلنا الشيطان بالخطيئة وحسّنها لنا ، نستدعي المسيح أن ينجدنا ويقوّينا على حرب الشيطان أن لا نفعل الخطيئة . فللوقت يُنجدنا روحُ قدسه الساكن في عقولنا ، ويُعطينا الغلبة على الشيطان أن لا نخطأ . هذا اذا كنّا مستيقظين كلّ حين نقاتل الخطيئة من بداية حركتها فينا . واذا كنّا غير مستيقظين ، وبكثرة الغلفة نزلّ ونخطأ . فالروح القدس للوقت يُندّمنا ويُحرّكنا بالتوبة . واذا نحن أطعناه وأسرعنا بالتوبة ، فهو يختتن منّا تلك الخطيئة التي قد زللنا فيها ، ويُطهّرنا منها بنعمته وتحنّنه . وهكذا نكون أطهاراً وأنقياء كل حين . بنينَ لعهد ابراهيم ، حافظين عهد الختان الذي بيننا وبين الله .

[وذلك ان الله ، لمّا خلق الانسان ، خلقه بغير خطيئة ، جيّداً فقط ، كما قال الكتاب : ان الله نظر الى كلّ ما خلق . فاذا هو حسن جدّاً . فالانسان حسناً ، جيّداً خُلق . فلمّا أطاع العدوّ وعصى خالقه . سكن الشيطان في عقله . وصار غلفة على عقله . يمنعه من الأفعال الجيّدة التي قد خلقها (الله) فيه . وجذبه الى الأفعال الرديئة الخارجة عن طبعه . وهذه الأفعال الرديئة هي في الانسان صداء وغلفة وزوان ، بذار غريب في الطبيعة التي هي الجوهرة الجيّدة الصالحة المزروعة فيه من خالقه ، يبذر فيه الشيطان الغريب الساكن في عقله . فاذا « ما عُمِّدَ باسم المسيح » (أعمال ١٠/٤٨) ، الذي مات عن خلاص الخطيئة ، وسكب عليه الروح القدس بالصلاة ، يطرد الروح القدس الشيطان من العقل ، ويقدّسه ويسكن فيه . فينتقل الشيطان الى الجسد ويسكن فيه ويقاتل به العقل ،وذلك أنه يُميل الجسد الى لذّاته وشهواته وفرحه ، التي يعلم أنّه يستلذّ بها ، ويحسّنها له ، حتى اذا ما هو ذاقها ولذّت له ، تصل اللّذة منه الى العقل . فاذا ذاقها العقل يلذّها ، وصار الاثنان لها خادمَين ، العقل والجسد ، منحرفَين عن طاعة الله الى طاعة الشيطان . وذلك أن العقل والجسد قياس لآدم وحوّاء ، لشرف أحدهما على الآخر ، وترأسه عليه .

وكما أن الشيطان أطغى حوّاء حتى ذاقت الشجرة ، وحينئذ جعلت آدم يأكلها ، كذلك يذوق الجسد أوّلاً لذّاته ، ومن الجسد يذوق العقل تلك اللذّة . فاذا كان المؤمن بالمسيح مستيقظاً لحفظ الوصايا ، حافظاً عقله من دون لذّات الجسد ، في الوقت الذي يذيق الشيطانُ الجسدَ اللذّة . إمّا بالنظر أو بالسمع أو بالشمّ أو بالذوق أو باللمس أو بحركة عضو الشهوة ، أو بالذكر ، للوقت يحرس عقله من ذوق تلك اللذّة . ويصلّي ويستدعي الروح القدس الساكن فيه ، فينجده ويحرسه من ذوقها . وهكذا أبداً يبقى العقل طاهراً ، نقيّاً من دون لذّات الخطيئة ، مختوناً كلّ حين من الغلفة النجسة الدخيلة على العقل .

من يؤمن ويفعل هكذا هو ابن لابراهيم المؤمن وأخ المسيح الذي من زرع ابراهيم] [1] .

---

(١) لا يوجد هذا المقطع في هـ . بل في ف (ورقة ٦٤ أ ، عمود أ — ورقة ٦٤ ب ، عمود أ) .

ولذلك (١) لمّا قال لابراهيم إني أتركك أباً لأمم كثيرة ، أمره بالختانة التي فيها تصير الأمم الكثيرة بنيه . ورمز اليها بالختانة الجسدانية رمزاً فاضلاً هكذا ، وذلك أنه وعده أن يُكْثِر نسله . فأمره أن يختن العضو الذي يكون منه الزرع . والمؤمنون بالمسيح الذين هم بنو ابراهيم ، يحقّ وعده لهم أن يُكثر اثمار الروح القدس فيهم . وهذه الأثمار قد أوضحها بولس الرسول قائلاً : « **محبة ، فرح ، صلح ، طول روح ، حلاوة ، خيرية ، أمانة ، سكون ، إمساك** » (غلاطية ٥/٢٢ — ٢٣) . هذه الأثمار من العقل تولَد ، لأن الروح القدس الساكن فيها يُثمرها منه . فالعقل هو العضو الذي منه تولد أثمار الروح . أمر الله ابراهيم أن يختن عضو الولادة الجسداني من الغُلفة الناضرة عليه . ولم تكن تلك الغلفة رديئة لأن الله خلقها . وكل ما خلقه الله فهو حسن . ولا كانت تلك تُعيق العضو من الولادة ، بل جعل ذلك رمزاً على ختانة العضو العقلي الذي منه يلد الروحُ أثماره . أمر الله بختانته من غلفة اللذّات الجسدانية التي يدخل عليه الشيطان . لأن هذه الغلفة هي رديئة بالحقيقة كثيراً ومبغوضة عند الله ومُعيقة العقل عن أثمار الروح المقدّم ذكرها ، وقطعُها نافعٌ جداً ومقدّس ومُحيي ومُرضي الله جداً .

ولذلك حين أراد أن يأمر ابراهيم فيها ، ناداه قائلاً له هكذا : أنا الله . كن مرضياً لي أمامي ، وأنا أجعل عهدي بيني وبينك ، وأُكثرك جداً جداً . فقوله له : كن مرضياً لي أمامي ، يعني كن مرضياً لي في عقلك . داخل الموضع الذي لا تراه أعين البشر ، ولا يَراه غيري ؛ أرْضِني في ذلك الموضع بدوام خوفي ، وأَحبّني فيه ، وتطهيرك إياه باستغاثتك بي من كلّ اللذّات الجسدانية . فاذا طهّرته هكذا ، كثرت لك أثمار الروح جداً جداً ، ويثبت عهدي بيني وبينك . بنو اسرائيل ، بالختان كان كلّ الناس يعرفون أنهم أُمّة الله ، لانها العهد بينهم وبينه ، أعني ختانة اللحم ؛ وبنو المسيح ختان القلب من ذوق لذّات الخطيئة الجسدانية ، كل حين يُعرَفون به أنهم مسيحيون بحقّ ، لانهم تشبّهوا بالمسيح في ختانته ، لأن ناسوت المسيح بلا خطيئة بصوّر عدم هذه الغلفة النجسة ، مثل ناسوت آدم قبل المعصية . فمن ختن نفسه دائماً بالروح القدس من كل معصية تنبت فيه ، صار شبه المسيح في ختانته . ولكنّ ناسوت المسيح لم تكن المعصية فيه البتة ، لأنّ الشيطان الذي هو أصلها والمُفْرِع لها لم يكن فيه ساكناً . وأما نحن ، « **فلكونه ساكناً في أعضائنا** » (رومية ٧/٥ ، ٢٣) مثل قول الرسول بولس ، فهو يُفرع المعصية وينبتها من أجسادنا . يروم وصولَها الى عقولنا . وبالروح القدس الساكن في عقولنا نستعين ، وبسرعة نقلعها في أول بداية نباتها فينا . وكلّ ما نبتت نُسرع نقلعها دائماً هكذا لكيلا تظهر فينا بالأفعال . والذي يستحقّ منّا ، برحمة الله ، أن يشعل فيه نار الروح القدس بالكمال ويخرج الى جسده ، فهو يحرق منه ويطرد الشيطان الساكن فيه ، الذي هو أصل الخطيئة والمعصية . وحينئذ يصير كلّه مختوناً من الخطيئة ، نقياً منها بالتمام مثل ناسوت المسيح الذي هو بلا خطيئة .

وهذا فعله المسيح مع تلاميذه في يوم العنصرة ، حين أشعل فيهم روح قدسه كالنار . أحرق منهم

(١) هنا يتابع نص هـ .

مُفْرِعِي الخطيئة . ولذلك قال الله لابراهيم : أُختن الولد في اليوم الثامن ، وذلك ان يوم العنصرة الذي فيه اختتن أيضاً التلاميذ من أجل الخطيئة ، هو بدء الاسبوع الثامن من يوم القيامة الذي للمسيح ، لانه كان يومَ الخمسين بعد القيامة ، بتسعة واربعين يوماً تمام السبع أسابيع ؛ يوم الخمسين بدء الاسبوع الثامن ، لأنّ ربّنا في يوم الأحد قام ، وولد يعتَنا جديدة من الأموات ؛ وفي كمال ثماني آحاد ، يوم العنصرة ، الذي هو الأحد الثامن من أحد القيامة ، ختن طبيعتَنا الكاملة من مُنبتي الخطيئة ومُفرعيها السكّان فينا . وكذلك ان الذي يولد اليوم ، يكون اليوم الثامن بدء الأسبوع الثاني من ولادته . وكذلك الذي بالجسد ويحيا للجسد ، يكون تعميده بدءَ حياته الثانية الروحانية . ولذلك أُسميت المعمودية الميلادَ الثاني . واليها أشار الله بقوله : أُختنوا المولود في اليوم الثامن ، الذي هو بدء الأسبوع الثاني من ولادته . والمعمودية بدء الحياة الثانية التي فيها يُختَن الانسان من الخطيئة ، الغلفة النجسة ، ويصير طاهراً بغير خطيئة ، كما قد خُلق في الفردوس . فَإنْ هو ثبت هكذا طاهراً بالتوبة من كل خطيئة تحدث فيه بعد ذلك . فهو يكون كلّ حين ابنَ الله وابنَ ابراهيم وأَخَ المسيح ، لكونه بلا خطيئة مثل المسيح ، لان من شهوة الوالد يُولَد الولد ، وشهوة الروح القدس خلاص كل انسان . فالانسان الذي يكمّل الروح القدس فيه شهوته . ويعمل ما به يخلص . فهو بالحقيقة يُولد من الروح . والمولود من أوساخ وظلمة يُخرج (كذا) ، والذي يولد من الروح القدس بالمعمودية من أوساخ وظلمة الخطيئة يخرج ، لانه يَخرج من محبة اللذات وشهوات الخطيئة المظلمة الأرضية الوسخة الى محبة المسيح ووصاياه النيّرة السموحة النقيّة المقدّسة .

يقول الله : اختنوا الذكور . ولم يأمر بختانة الإناث . فماذا تقول في إناث اليهود ؟ ألم يَسْتَحِقِقْنَ عهد الرب ؟ بل لكون هذا الأمر إنما كان رمزاً الى مَن يطيع الروح القدس الساكن فيه ويختن به عقله مستمراً . فلينتفع بالموهبة التي أُعطيت له ، ويتاجر في الوزنة التي ائتمن عليها ، ويضاعفها ويقاتل الخطيئة بالسلاح الذي أُعطي له لقتالها . وهكذا فهو بغرلته ذكر وليس أُنثى . ومَن لا يكون هكذا ، فهو بالحقيقة جسداني لا روحاني ، عادم عهد الله . ولمثل هذا يقول المسيح : « اني ما أعرفكم » (متى ٢٣/٧) ، لكونه غير موسوم بخاتم الروح القدس . ولذلك ختم الربُ قوله في الختان لابراهيم ، قائلاً : كلّ ذكر لا تختن غلفة جسده ، تفرز تلك النفسُ من أُمّتها ، لأنها فسختْ عهدي . حقّق أن كلّ مسيحي لا يختن غلفتَه مستمراً من طاعة كل خطيئة ، يُفرَز من بين أُمّة المسيحيين ، لانه أُسميَ مسيحياً ، والمسيح الذي أُسمي باسمه كان من الخطيئة مختوناً ، ولا يختن نفسه من الخطيئة مثله حسب طاقته . فليس يكون مسيحياً لأنه فسخ العهد الذي بينه أيضاً وبين المسيح ، لأنه في يوم التعميد ، عاهد المسيح على رفض الشيطان وكلّ أعماله ؛ ومتى لم يفعل هكذا ، فسخ العهد ، وصار به مطلوباً . وما أحسن قول الله لابراهيم : إنك اذا حفظت عهدي كنتُ لك إلها ، ولزرعك من بعدك ، لأن الذي يحفظ العهد ويَختتن من كل معصية ، فهو بالحقيقة الذي يعرف الله ، كما يقول يوحنا الرسول في رسالته : « وبهذا نعلم أننا نعرفه اذا ما حفظنا وصاياه » (١ يوحنا ٣/٢) . قال : « ومن يقول إني أعرفه ولا يحفظ وصاياه ، فهو كذّاب » (١ يوحنا ٤/٢) . ومن لا يحفظ وصاياه فهو ميّت من فعل روح المسيح فيه . لأنّ كلّ جسداً

يفعل فيه الروح القدس ، فهو ميّت ، والميّت ليس المسيح إلهاً له ؛ هكذا يقول الانجيل المقدس : « **إن الله ليس الهَ الأموات ، بل إله الأحياء** » (متى ٢٢/٣٢) .

[فمن كان روح المسيح فاعلاً فيه ، حفظ وصاياه ؛ فهو به حيّ ؛ والمسيح له إله الأحياء . ولذلك قال لابراهيم : إني أكون لك إلهاً ولزرعك المختون متنك . وما أحسن قوله : أختنوا غلفة أجسادكم ، لأن الغلفة النجسة من الجسد تدخل على العقل ، وذلك أنَّ من حوّاء أدخل الشيطان المرض على آدم . وكذلك كل قوي ومسترخٍ وعالِمٍ وجاهل مترافقان ؛ فمن أحدهما يُدخل الشيطانُ المرضَ على الآخر ، لأنه ، اذا عرف أنَّ القويَّ والعالِمَ لا يأنسانِ اليه لمعرفتهما بشرّه وكثرة حذرهما منه ، فهو يدخل في المسترخي والجاهل رَفيقَيهما ، ويخدعهما بهما ، لكونهما يأنسانِ إليهما ولا يحذرانهما . فيجب على كل مؤمن بالمسيح أن يَحذر كلّ الحذر من خداع هكذا][1] .

وأما[2] قوله لابراهيم إن ملوكاً يخرجون منك ، فليس بالملوك الأرضيين يمتدح محبّو الله ويفتخرون ؛ ولو كان ذلك ، لكان للكفرة فكر كثير لكثرة الملوك منهم ؛ ولكن معاذ الله من فكر هكذا ! بل في الوقت الذي أمره بالختانة ، قال له إن الملوك يخرجون منك . حقّق أن الذي يختتن الختانة الروحانية المقدّم ذكرها ، عقله يكون ملكاً وحاكماً على أفكاره وعلى شهواته وعلى لذّاته وعلى كل أوجاع الخطيئة . يكون مَلِكاً لا انقضاءَ لِمُلْكِه مع المسيح ، ملكِ الملوك ورب الأرباب ، الذي هو أول ملك روحاني . هكذا خرج من ابراهيم وبعده رسله الاثنا عشر وتلاميذهم السبعون الذين صاروا ملوكاً وحكّاماً على جميع الأرض وأمَمِها ، يَخضعون لهم أجمعون ويُطيعون أوامرَهم ويَسجدون أجمعون على أقدامهم وعلى أقدام خلفائهم بعدهم الى الأبد ، الملوكُ والعامّة جميعاً .

وهؤلاء الرسل القديسون والتلاميذ الأطهار هم ملوك الأمم الذين قال الله إنهم من اسحق يخرجون ، كما قد أوضح ذلك من قول الله لابراهيم ، عندما بشّره بميلاد اسحق ، حين قال له : إن ساره امرأتك لا يُدعى اسمُها ساره بل سارايه . وأنا أُباركها وأُعطيك منها ابناً وأُباركه . وتكون أممٌ وملوك الأمم يخرجون منه . فوقع ابراهيم على وجهه وقال : مَن يكون له مائة سنة وساره تسعون سنة ان تلد ؟ وقال ابراهيم لله : هوذا اسماعيل ، فليعش أمامك . قال الله : نعم ساره امرأتك ستلد لك ابناً وتدعو اسمه اسحق وأُثبت عهدي معه ، عهدَ الدهر ولزرعه من بعده . فكما بدّل الله اسمَ ابراهيم الذي كان اسمه ابرام ، كذلك أبدل اسم امرأته وأسماها ساره التي تفسيرها الرئيسة . وكما قد صار رَجُلُها ابراهيم ابَ المؤمنين وأُسمي كذلك ، صارت هي أيضاً رئيسة المؤمنات ، وأُسميت كذلك ، واستحقت أن تُبارَك من الله وتُرزَقَ الولدَ الذي فيه يُتمّم اللهُ لابراهيم الوعد . كما قد قال له : إني أُعطيك منها ابناً وأُباركه ومنه تخرج الأمم وملوك الأمم .

---

(١) لا يوجد هذا المقطع في هـ ، بل في ف (ورقة ٦٦ أ ، عمود أ — ورقة ٦٦ أ ، عمود ب) .

(٢) هنا يتابع نص هـ .

فوقع ابراهيم على وجهه وضحك قائلاً في نفسه : كيف يمكن مَن له مائة سنة وساره تسعون سنة أن تلد ؟ هذا القول يدلّ على أن ابراهيم ، بعد ميلاد اسماعيل ، ضربه الله بنقص القوّة في شهوته ، حتى صار لا يمكنه ان يدنو من امرأته ، واعتقد بكل يقينه أن اسماعيل يتمّ الله له الوعد ، لكون ساره عنده عاقراً من البداية . ومع ذلك ، فقد هرمت وصارت عجوزاً جداً ، لا قوّة لها تقبل زرع .. ته . وهو أيضاً علم من نفسه أنه لم تبقَ له قوّة لاخراج الزرع ، فلذلك ضحك وهو متعجب من امر لا يمكن ، متعجب وليس مستهزئ . وقال : هوذا اسماعيل ، فليعش أمامك . صحّ بهذا القول أنه كان يظنّ أن باسماعيل يُتِمّ الله له الوعد . وقد كانت ساره تظنّ هذا الظن مثله . وكانت هي حزينة . لكون وعد الله قد تمّ في غيرها . وسنين كثيرة أقامت في هذا الحزن ، وابراهيم ، هو أيضاً ، لعظم مودّتها عنده ، كان حزيناً كحزنها ، والله صابراً لحزنهما ، هكذا ، ممتحناً لصبرهما سنين كثيرة . وانما فعل بهما هكذا حتى يجعلها بصبرهما وحزنهما — مُستحقَّين الوعد ، لكي يتعلّم مَن يقتدي بهما في الايمان أنه بغير صبر وحزن لا يمكنه أن ينال الوعد وينظر الى حسن صبر ساره كيف لم تلم ربّها ، قائلة : أنا قد صبرتُ مع رجلي على الغربة وعلى التشتيت والهيام من موضع الى موضع وعلى كل ما ابُتليت به طاعة لك . ولم تجعلني مستحقّة تمام وعدك فيَّ بل تممتَه في عبدتي .

هذا لم تفكر به أبداً ، ولو فكّرت فيه ، لكان الكتاب قد ذكره ، كما قد ذكر ضحك ابراهيم وضحكها هي عند وعد الله لهما بالولد . فلما ضحك ابراهيم وقال : ليت يعيش اسماعيل أمامك ، أجابه الرب : نعم ساره امرأتك تلد لك ابناً وتدعو اسمه اسحق ، وأثبت عهدي معه الى الأبد ، وزرعه من بعده . حقّق له أنّ اسماعيل ، ليس هو صاحب الوعد . ولا معه يثبت وعده ولا عهده ولا مع زرعه ، بل مع اسحق وزرعه . قال : فأمّا اسماعيل ، فبالكثرة أُكثّره من أجل أنك سألتني في ذلك ، وتخرج منه اثنتا عشرة أمّة وشعبٌ كثير . فأما عهدي ، فمع اسحق خاصة يكون ، الذي تلد لك ساره . فاذا كان قال إنه يكثّر اسماعيل جداً جداً ، فماذا هو عهده الذي قال إنه يُثبته مع اسحق دونه ، وما هي الكثرة التي وعد بها اسحق غير كثرة ذلك . فقد اتّضح أن الكثرة التي وعد بها اسحق غير التي وعد بها اسماعيل ، لأنه كما كانت ولادة اسماعيل جسدانية ، كذلك أيضاً الكثرة التي وعد بها هي كثرة جسدانية . وكما كانت ولادة اسحق روحانية ، ولادة بقوّة الله في غير حين الولادة الطبيعية ، كذلك الكثرة التي وُعد بها كثرة روحانية ، وهي الأمانة بالله والإعانة من قوّته على كل عمل وصاياه . وتمام فرائض الله . والوصول الى وراثة ملكوته بابنه ، وحيده ، ومسيحه الظاهر من زرعه متجسداً ، أعني من زرع اسحق الذي من أجل ظهوره من زرعه ومن زرع بنيه ، جعل الله علامة عهده في العضو الذي منه يخرج الزرع ، ولم يجعلها في موضع آخر من أجسادهم ، لكي يجعلهم ينتظرون ظهوره من زرعهم .

[وكما قدّمنا القول إنّ هذين الولدين ، اسمعيل واسحق ، وهاتين الامرأتين الوالدتين ، هاجر وساره ، ممثّلتان بالشريعة العتيقة والحديثة ، التوراة والانجيل ، وأوضحنا أنّ شريعة التوراة كانت جسدانية ، عبدة ، تكمّل أوامرها بالخوف ، وشريعة الانجيل روحانية ، حرّة ، تكمّل أوامرها بالمح

والاختيار. كذلك بارك الله ساره التي هي ممثّلةٌ بشريعة الانجيل ، وعظّم وعده لها ، وثبّت عهده مع ولدها الى الابد ، وانها لا تخرج من البيت وتُطرد كما قد أُخرجت هاجر وولدُها ، لان إخراج هاجر وولدها كان دليلاً على زوال فرائض التوراة لكونها كانت رمزاً وظلاً للحق ؛ وثباتُ ساره وولدها في البيت بعد إخراج هاجر وولدها دليلٌ على ثبات شريعة الانجيل بعد زوال التوراة ثباتاً الى الابد ، مثل قول الله الى اسحق : إني أُثبت عهدي معه الى الابد ، ومع زرعه من بعده : وإن الامم وملوكهم منه تخرج ، إشارة الى الامم الذين آمنوا بشريعة الانجيل وتعبّدوا للمبشّرين بها ، وملّكوهم عليهم بالطاعة له وهم تلاميذ المسيح المولودون من اسحق . ولمّا صارت الامم لهم بنين ، صاروا بنين لاسحق ، وصحّ قول الله إن الامم تخرج من اسحق .

وها هنا معنى آخر شريف روحاني لكل نفس تؤمن بالله وتتعبّد له : إن الله يفعل لها روحانياً كفعله الجسداني لابراهيم . وذلك أنه كما قد رُزق ابراهيمُ اولا من العبدة ولداً جسدانياً : كذلك يهب اللهُ اولا للمؤمن خوفه ، فيخدم الله به خدمة عبودية بالجسد ، يقهره خوفُ الله ويُضطرّه الى حفظ وصاياه . فاذا هو دام هكذا مدّة ، وهو بالكلفة والشدّة يكمّل الوصايا ، فإن الله ينظر الى صبره كما نظر الى ابراهيم وساره ، ويملأه من الروح القدس كما قد ملأ تلاميذه يوم العنصرة ، ويجعل نفسه تثمر أثمار الروح القدس التي هي المحبة والفرح . وهذا هو الولد الذي سمي اسحق] [١] .

واما [٢] اسم اسحق فاسم تفسيره الضحك ، لانه عندما ضحك ابراهيم متعجبا من قول الله له إن ساره تلد ، قال [٣] الله له : يُسمّى ولدُها الضحك ، وأراد بهذا أن يوضح للنفس التي كانت زماناً طويلاً تعمل أعمال الله بالخوف والكلفة والحزن ، غير مثمرة الفرح البتّة ، انه لا بدّ أن تسكنها قوّة الله سكناً كليّا ، وتطرد منها روح الخطيئة الذي كان يعاندها ويجعلها تعمل أعمال الله بكلفة . حينئذ تصير فيها محبة الله طبيعية ، وتلد منها الفرح والبهجة والتلذّذ بكل أعمال الله ، كما يتلذّذ أيضا الجسدانيون بلذّاتهم الجسدانية وأفضل منهم جدّا جدّا . ولكن ، كما لم يحصل لساره هذا الوعدُ حتى سبق رجلُها فاختتن ، فلما اختتن أخذ قوّة إخراج الزرع من الله ، وزوجتُه هي أيضا اخذت قوّة قبول الزرع . كذلك لا تنال النفسُ هذا الوعد حتى يسبق عقلُها فيختتن ختانة دائمة من كل لذّات الخطيئة ، لا تذوقها بالفكر البتّة ، بل تُبعدها منه بقوة الروح القدس الساكن فيه . حينئذ يأخذ القوّة هو ونفسه من الروح القدس الساكن فيهما على اخراج أثمار الروح القدس .

---

(١) لا يوجد هذا المقطع في هـ ، بل في ف (ورقة ٦٧ أ ، عمود ب — ورقة ٦٧ ب ، عمود ب) .

(٢) هنا يتابع نص هـ .

(٣) الورقة ١٧١ ب من المخطوط هـ لا تتضمّن نص التفسير . بل فقط هذه الملاحظة عن مالك هذا المخطوط :

« هذا الكتاب هو للشماس الياس ابن المحاسب . كل من يأخذه بسبب ام بيع ام طمع أم سرقة ، يكون محروماً ، مغضوباً من الله ، من القدّيسين . أنا بريء (من) هذا الحرم الحارق .

هذا الكتاب هو للشماس الياس ابن المحاسب . كل من بياخدو بسبب بيع أم طمعه أم سرقة ، يكون محروماً ، مغضوباً من الله ومن القدّيسين . أنا بريء من هذا الحرم الحارق » .

وكما أن اسماعيل ووالدته مثال لشريعة التوراة ، كذلك قال الله عنه إنه يلد اثني عشر رئيساً ، علامة الاولاد الاثني عشر . أسباط اسرائيل الذين كانت لهم شريعة التوراة ، ولهم كان وعد الكثرة والنمو . كما قد تمّ لهم ذلك . وعداً وعد الله به اسماعيل من البركة والكثرة ، كان إشارة اليهم . وكما أن إشارة شريعة الانجيل ، لما حضرت ، ذهبت شريعة التوراة لكونها كانت رمزاً وظلاً لها تهدي وترشد اليها . فلما حضر الحقّ . ذهب الظلّ الذي كان مثال الحقّ . كذلك عابدُ الاله الممتلئ من خوفه لا يزال الخوف يضطرُّه على حفظ الوصايا ، حتى يصل الى المحبة فيذهب الخوفُ بكماله ، كما يقول الرسول يوحنا : « **ان المحبة الكاملة تطرد الخوف ، لانه حينئذ تكون تُحفظ الوصايا بالمحبة وليس بالخوف** » (١ يوحنا ١٨/٤) . وبعد وعْدِ الله لابراهيم بولادة اسحق من ساره . قال الكتاب إن الله . بعد خطابه معه . ارتفع عنه ، إشارة الى ارتفاع المسيح الى السماوات تتميماً لخلاصنا الذي بسببه تجسّد .

قال : وإن ابراهيم في ذلك اليوم اختتن واسماعيل ابنه وكل ذكر في بيته . وكان عمر ابراهيم عند ختانته تسعاً وتسعين سنة . ولم يستحِ الشيخ الهرم أن يكشف نفسه لمن يختنه طاعةً لله . لكن . ونحن المتشبّهين به ، لا نستحي أن نكشف نجاسة قلوبنا ومكتومات ذنوبنا لمن نعترف له بها . فيختننا منها بالتوبة . طاعةً لامر المعلّم بالتوبة « **الذي كان يعمّدهم في نهر الاردن معترفين بخطاياهم** » (متى ٦/٣ و //) ؛ وذلك أن المعمودية هتكة جسدانية : نتعرّى بالجسد ، ونقف عراة وقتاً طويلاً كما تعرّى المسيح عنّا على خشبة الصليب . عوض عري آدم الذي ، في حين معصيته ، تعرّى في أكله من شجرة المعرفة وافتضح . نتعرّى في وقت المعمودية حتى نستحق الغسل من ذنوبنا التي قبل المعمودية . وما حدث لنا بعد ذلك ، نهتك أنفسنا فيه هتكة روحانية ، إذ نعترف ونقبل عنه القانون والآلام ، كما قد تألّم سيّدنا على خشبة الصليب . فمن أخطأ بعد المعمودية خطيئة صغيرة أوكبيرة ، وجسر على تناول القربان . جسد الهنا ودمه . قبل أن يعترف كما قد أخطأ قدّام المعلّم ، ويأخذ منه صلاة الغفران ، فهو يزيد خطيئة على خطيئته . كما قد يخطأ مَن يتناول جسد الرب ودمه قبل ما يتعمّد . لان الكهنة لهم أُعطي من المسيح بالروح القدس السلطانُ بمغفرة الخطايا . فمن تاب عن الخطيئة من ذاته وحده ، وجسر على تناول القربان من غير كاهن يعترف له بها ويأخذ منه الغفران ، فهو كالذي يعمّد نفسه وحده وجسر على تناول القربان ظنّا منه أنه تعمّد . ولهذا رُسمَ بكتاب الله : الامرأة التي تلد ، إنها لا تتقرّب بعد الولادة حتى تأخذ من الكاهن صلاة . ومتى تقرّبت بغير صلاة الكاهن ، أخطأت . فان كانت التي لم يسل منها سوى دمها الطبيعي الذي خلقه الله لها . تخطأ بهذا الفعل ؛ فالويل ثم الويل للذي تسيل منه الخطيئة . ويجسر أن يتقرّب قبل ما يعترف بها للكاهن ، ويأخذ منه صلاة الغفران ، بنعمة المسيح الذي له المجد والسجود دائماً الى الابد . أمين .

القراءة الثامنة والعشرون من سفر الخليقة

تقرأ في عيد البشارة

الكتاب :

« وتجلّى له الرب في بلوط ممرا وهو جالس بباب الخباء عند احتداد النهار . فرفع طرفه ونظر فإذا ثلاثة رجال وقوف أمامه . فلما رآهم بادر للقائهم من باب الخباء وسجد الى الأرض . وقال يا سيدي إن نلت حظوة في عينيك فلا تجز عن عبدك فيقدم لكم قليل ماء فتغسلون أرجلكم وتتكئون تحت الشجرة وأقدم كسرة خبز فتسندون بها قلوبكم ثم تمضون بعد ذلك فإنكم لذلك جزتم بعبدكم . قالوا اصنع كما قلت . فأسرع ابراهيم الى الخباء الى سارة وقال هلمي بثلاثة أصواع من دقيق سميذ فاعجنيها واصنعيها مليلا . وبادر إبراهيم الى البقر فأخذ عجلا رخصا طيبا ودفعه الى الغلام فأسرع في إصلاحه . ثم أخذ زبدا ولبنا والعجل الذي أصلحه وجعل ذلك بين أيديهم وهو واقف أمامهم تحت الشجرة فأكلوا . ثم قالوا أين سارة امرأتك . قال هي في الخباء . قال سأرجع اليك في مثل هذا الوقت من قابل ويكون لسارة امرأتك ابن . وكانت سارة تسمع عند باب الخباء وهو وراءه وكان إبراهيم وسارة شيخين طاعنين في السن وقد امتنع أن يكون لسارة كما للنساء . فضحكت سارة في نفسها قائلة أبعد فناي يكون لي تنعم وسيدي قد شاخ . فقال الرب لإبراهيم ما بال سارة قد ضحكت قائلة أيقينا ألد وقد شخت أعلى الرب أمر عسير . في مثل هذا الوقت من قابل أعود اليك ويكون لسارة ابن . فجحدت سارة قائلة لم أضحك لأنها خافت . فقال لا بل ضحكت . ثم قام الرجال من هنالك واستشرفوا جهة سدوم ومضى إبراهيم معهم ليشيعهم . فقال الرب أأكتم عن إبراهيم ما أنا صانعه وإبراهيم سيكون أمة كبيرة مقتدرة ويتبارك به جميع أمم الأرض وقد علمت أنه سيوصي بنيه وأهله من بعده بأن يحفظوا طريق الرب ليعملوا بالبرّ والعدل حتى ينجز الرب لإبراهيم ما وعده به » (تك ١٨/١ — ١٩) .

التفسير :

قال المفسر : أُنظر يا مؤمن بتعليم طريق الله الى أب المؤمنين كيف كان يستعمل المحبّة التي هي كمال الناموس ، كيف كان أبداً يرقب وينتظر من يعبر بخبائه ، فيسرع إليه بمحبة ضيافة الغرباء ، ويعزم عليه ليس عزيمة متهاونٍ ، بل بسجود على الارض ، وتسميته مولاه وسيّده ، ويسأله أن ينزل ويستريح ويغسل رجليه ويأكل خبزاً ، لان هذا الفعل الذي شهد الكتاب أنه فَعَلَهُ مع هؤلاء الثلاثة ، وليس معهم فقط فعله ، بل كان فعلُه مستمراً مع كل من عبر بخبائه . وبهذا استحقّ أن يُضيف الله وملائكته على غير علم . وفي البداية يغسل أرجل الذين يستضيفون به قبل أن يطعمهم الخبز ؛ وهذا من الفعال اللازمة لمن يضيف الغرباء ، ولا سيما المتعوبين في السفر ، ان يغسلوا أرجلهم قبل الغذاء .

أُنظروا أنه بنفسه وساره امرأته بنفسها كانا يتولّان خدمة الطارقين اليه ، لانه قال لها : أسرعي

واصنعي ثلاثة أكيال دقيق من سميذ ، واعجنيهم واعمليهم مليلاً . وأسرع هو أيضا بنفسه الى بقره ، فأحضر عجلا رخصا طيبا ، مع كونه قد كان له ثلاثة مائة وثمانية عشر غلاماً ، كما قد تقدّمت شهادة الكتاب بذلك . وكان بنفسه هو وزوجته يتولاّن الخدمة دونهم باتضاع ومحبة والتماس التوبة ، ولم يكن ، مع كثرة من بطرقه ، يهتمّ ببهمّة دنيئة ، بل بأفضل ما يقدر عليه ، كما قد ذكر الكتاب ، دقيق من سميذ وعجل طيّب ولبن وسمن . موقناً بامانة صافية بأنّ الله يعوّضه ويفتح له .

وعندما قدّم لهم الغذاء ، وهو قائم على رؤوسهم لا يجلس ، كتاب الله هذا يعلّمنا فضيلة لنقتاس به فيها . وإن فاعل هذا الفعل يستحقّ أن يحلّ الله وملائكته في منزله . لانه ، إلى حين استعمالهم الطعام ، لم يعلم من هم . فلما بشرّه بميلاد ساره ، كما قد كان بشرّه هكذا دفعة أخرى . عرفه من كلامه أنه الله . أنظروا يا معشر النساء الى أمّكم سارة وخدمتها بنفسها لمن يطرق منزلها وحسن طاعتها لرجلها ، وكونها كانت تدعوه سيّدي ، كما قالت : إن سيدي قد شاخ . وانظروا الى حسن استتارها من الرجال . وأنها من داخل الخباء كانت تكلّمهم .

هذا الظهور تراءى الله به لإبراهيم في شبه انسان . ليس أنه كان متأنساً في أزليته . بل سبق أن تراءى بالمثال البشري الذي كان مزمعاً أن يتّخذه . كما يقول **بولس الرسول الى العبرانيين** : « **انه كلّم الله اباءنا باشكال كثيرة وأنواعٍ شتّى . من جهة الانبياء** » (عبرانيين ١/١) . « **لأنه قد ظهر لإبراهيم في شكل انسان** » (تكوين ١/١٨ — ١٩) ، « **وليعقوب أيضاً كذلك** » (تكوين ١٠/٢٨ — ٢٢) ، « **وقد ظهر لموسى في شكل نار وعامود غمام** » (خروج ٢١/١٣ — ٢٢) ، « **ولالياس في شكل ريح رقيق** » (سفر الملوك الاول ١٢/١٩ — ١٣) ، « **ولدانيال في شكل شيخ أشيب** » (دانيال ٩/٧) .

وهذه كلّها وما أشبهها ليس بجسد على الحقيقة . بل بشكل وشبه أراد ان يظهر في شكل انسان ، نبوءة على تأنّسه أخيرا ، ويظهر الاكل والجلوس والقيام والاستخبار بقلّة معرفة . مثل قوله : اين ساره امرأتك ؟ ذلك جميعه فعله تقدمة نبوءة لافعال تأنّسه الحقيقي آخر الزمان . وانما بدأ يفعل ذلك في بيت ابراهيم نبوءة له أنه من بنيه يظهر متجسّداً . ولذلك كان أكله في بيته خبزاً ولحما ولبناً . إشارة الى تجسّده من العذراء مُرت مريم التي من بيت ابراهيم ، واتّخاذه له منها لحماً ودماً حقيقياً ، وميلاده منها ورضاعته لبنها . ولذلك قال لابراهيم : إني في مثل هذا الاوان من قابل . أرجع ويكون لساره ولد . الكتاب لم يذكر أنه رجع ، وانما هو قال ذلك . إشارة الى رجوعه متأنساً تأنسيا حقيقيا ، اذ صار بالحقيقة ابنا لساره بميلاده الحقيقي من مُرت مريم العذراء لان ساره — وهي عاقر — لا يمكن أن تلد . وولدت بقوّة الله ، وما قد سبق لها من وعد بشارته : « **وكذلك مريم العذراء حبلت بقوّة الله من غير زرع بشر . كما قد سبق لها وعد البشارة من الله** » (لوقا ٣٥/١ ؛ يوحنا ١ ١٣) . فالكلمة التي قالها الله لساره . قالها بعينها المُبَشِّرُ لمريم . وهو « **أن الله ليس عنده كلمة بغير قوّة** » (لوقا ٣٧/١) .

واما ما قد تظاهر الله به وملائكته من الاكل في بيت ابراهيم ، وهو لم يكن له جسد يوجب أكله ، فقد أوضح الله لنا معناه في كتاب طوبيا من كتب العتيقة . « **لان روفائيل الملاك ، لما ظهر لطوبيا**

وخدمه في خلاصه وحفظه في السفر من كل خوف الطريق ، وساعده حتى تزوّج الامرأة البتول التي كان العدو قتل لها سبعة ازواج . حفظه الملاك روفائيل من ذلك الشيطان وجعله يتزوّج الصبيّة ولم ينضرّ . ولما أقام معه الايام الكثيرة يخدمه هكذا ولم يعرف طوبيا أنه ملاك ، ولما أراد مفارقته قال له ملاك الله : وقد كنت معكم تروني آكل وأشرب . ولم أكن آكل ولا أشرب ، بل كان لي غذاء من فوق » (طوبيا من الفصل ٦ حتى ١٢) . صحَّ بهذا أن الروحانيين الذين لا أجساد لهم ، يقدرون أن يتظاهروا لنا بكل شكل يريدون من أشكالنا نحن ، من غير أن يكون له فيهم حقيقة .

وظهور الله في شبه انسان وأكله وسؤاله بقلّة معرفة وجلوسه ومشيه ، كان ذلك جميعه نبوءةً على ظهوره الحقيقي ثانية بالناسوت ، وأكله الحقيقي الذي كان بعد تأنسه من مريم العذراء ابنة ابراهيم ، ولكونه عند تأنسه كشف لنا سرَّ الثالوث المقدس . لذلك عندما ظهر في بيت ابراهيم في شبه إنسان ، أظهر علامة التثليث بتثليث الرجال وبتثليث أكيال السمين وبالعجل والسمن واللبن التي هي أيضا ثلاثة . وحسنا قدّم ابراهيم لله ثلاثة أكيال دقيق ، لكي يعلّمنا أن نُقرِّب له العقل والحسّ وتعب الجسد : وتقريب العقل له هو أن نجعل عقلنا كلَّ حين ملازماً ذكره ودارساً كلامه ووصاياه ، وحافظاً ذاتنا من كلّ فكر مضادّ ناموسه ؛ وتقريب الحسّ له ، هو أن نحفظ حواسّنا الخمسة من كل ما يُضاد ناموسه ؛ وتقريب تعب الجسد له هو أن نخدمه بجسدنا في كل ما يوافق ناموسه من الصوم والصلاة والسهر والكدّ وخدمة المحتاجين والطهارة من لذّة الشهوة النجسة . والعجل الذي ذبحه إبراهيم لله . علّمنا به أن نقطع ونُعطي هوانا لله ؛ واللبن والسمن الذي نقدّمه له : اللبن هو كلامه الذي نتكلّم به كل حين . نعلّم ونعظ ونُرضع كلّ من يروم تعليم مخافته ؛ والسمن فهو من اللبن يكون اذا مخّط وحرّك ، هو إشارة الى المعاني والتفاسير الروحانية التي من كلام الله ، عندما ندرسه ونتلوه تلاوة روحانية .

ثم قال الكتاب : إن الرجال قاموا خرجوا وابراهيم يمشي معهم ويشيّعهم . وانهم نظروا الى ناحية سدوم . حينئذ قال الله لابراهيم : لا أُخفي عن فتاي ابراهيم ما أنا صانعه . لاني أعلم انه سيكون يُعلم بنيه وزرعه من بعده أن يحفظوا طرق الله ، ويعملوا بالعدل والحكم ، لكي يُوفي الله لابراهيم بكلّما وعده . وانظر يا مؤمن ويا من يروم أن يتعلّم ما يُرضي الله به : أُنظر مدح الله لإبراهيم وقوله عنه سيعلّم بنيه وقومه بعده أن يحفظوا طرق الله ويعملوا العدل والحكم . هكذا يجب على من يُحب الله أن يكون يفعل ويحرص على هذا الامر بكل حرص . وهو فعلا يُرضي الله جدًا ويُسرّه . ومَن يتوانى عن هذا الامر . ولم يُعلّم بنيه المختصّين به أن يحفظوا وصايا الله . فهو يُسخط اللهَ جدًا . قال : أنا أعلم أنه سيعلّم بنيه وقومه بعده أن يحفظوا طريق الله . لكي يوفي الله لابراهيم ما وعده حقّق لنا أن من لا يحفظ وصاياه لا يمكنه أن يوفي له بما وعده . لان مواعيد ملكوته ليست الا لحافظي وصاياه . لانه قال : « **ان كنتم تحبوني فانتم تحفظون وصاياي . وأنا أسأل من أبي أن يعطيكم الروح القدس يثبت معكم الى الابد** » (يوحنا ١٤/١٥ — ١٦) . حقّق أن الروح القدس الذي هو الملك والنعيم الدائم واللذّة والفرح الذي لا ينطق به . لا يُعطى الا لمن أحبّه وحفظ وصاياه .

القراءة التاسعة والعشرون (من سفر الكون)

ليوم الخميس من الجمعة الخامسة لعشيّة من الصوم

الكتاب :

« فقال الرب إن صراخ سدوم وعمورة قد كثر وخطيئتهم قد عظمت جداً . أنزل وأرى هل فعلوا طبق صراخها البالغ اليَّ وإلا فأعلم . وانصرف الرجال من هناك ومضوا نحو سدوم وبقي إبراهيم واقفاً أمام الرب . فتقدم إبراهيم وقال أتهلك البار مع الأثيم . إن وجد خمسون باراً في المدينة أفتهلكها ولا تصفح عنها من أجل الخمسين باراً الذي فيها . حاش لك أن تصنع مثل هذا أن تهلك البار مع الأثيم فيكون البار كالأثيم . حاش لك . أديان كل الأرض لا يدين بالعدل . فقال الرب إن وجدت في سدوم خمسين باراً في المدينة فإني أصفح عن المكان كلّه من أجلهم . فأجاب ابراهيم وقال هآءنذا قد طفقت أتكلّم أمام سيدي وأنا تراب ورماد . إن نقص الخمسون باراً خمسة أفتهلك جميع المدينة بالخمسة . فقال لا أهلكها إن وجدت ثمَّ خمسة وأربعين . ثم عاد أيضاً وكلّمه فقال إن وجد هناك أربعون . فقال لا أفعل من أجل الأربعين . قال لا يثقل أمام سيدي أن أتكلم إن وجد ثمَّ ثلاثون . فقال لا أفعل إن وجدت ثمَّ ثلاثين . قال قد استرسلت في الكلام أمام سيدي . إن وجد ثمَّ عشرون . قال لا أهلكهم من أجل العشرين . فقال لا يثقل لدى سيدي أن أتكلم هذه المرة فقط . إن وجد ثمَّ عشرة . قال لا أهلكهم من أجل العشرة . ومضى الرب عندما فرغ من الكلام مع إبراهيم ورجع إبراهيم إلى موضعه » (تك ١٨/٢٠ — ٣٣) .

التفسير :

قال الله : إن صياح سدوم وعامورة قد كثر قدامي ، وخطيئتهم قد عظمت جدّاً . حقّق لنا أن خطيئة مضاجعة الذكور هي عنده أعظم الخطايا جدّاً . وأما قوله إني أنزل لكي أعلم إن كان نحو ما صعد إليّ من صراخهم يفعلون ، فليس أنه — جُلّت قدرتُه — تخفى عنه خافية ، ولا يحتاج الى انتقال من موضع الى موضع لكي يستكشف حالا ويعلمه ، لانه ، تبارك اسمه ، في كل موضع ، وناظر وعالم بكل شيء قبل كونه ، بل انه لما كان قد ظهر في شبه انسان ، لأنه عند خطابه لابراهيم بهذا ، كان قد ظهر له في شَبَهٍ وأوجده أنه يأكل ويشرب ويجلس ويقوم ويمشي . وكان ذلك جميعه نبوءةً على تأنسه المزمع في آخر الزمان . لذلك أيضاً أظهر تشبيه بنا في كل شيء . وكونه يتنازل الى مثالنا ويتّضع من أجلنا ويصير مثل مَن لا يعلم ، وهو عالم بكل شيء ، وفي هذا أيضاً يعلّم الحُكْمَ للحكّام ومدبّري الأمور أن يُحسنوا البحث عن الأمور التي يرومون انفاذ القضية فيها ، ويباشرونها بأنفسهم ويتحققونها قبل أن يمضوا القضية فيها .

ظهر الله لابراهيم في شبه إنسان ومعه ملاكان في هذا الشبه بعينه . فلما قال لابراهيم إن خطيئة

سدوم وعامورة قد عظمت بين يديّ . أرسل الملاكَين اللذين معه للوقت الى سدوم ، لأن الكتاب قال : إن الرجلَين مَضيا الى سدوم . وابراهيم كان قائماً بين يديّ الرب . أرسل الملاكَين الى سدوم ، وبقي هو قائماً مع ابراهيم قصداً منه أن يسأله فيهم أن لا يُهلكهم . لأن الله الحنون الرحيم قد علم أنَّ حِنَّته في ابراهيم ، وانه سيسأله فيهم ؛ لأنه لو لم تكن حِنّته فيه ، لم يكن له عنده منزلة . لأنه بالحقيقة لا يصير أحَدٌ صدّيقاً ولا يقرب من الله ، اذا لم تكن حِنّة الله فيه . لأن الله بالطبع حنون رحوم ؛ ومن تكون فيه الحِنَّةُ والرحمة ، فهو بهذا الشبه يقرب من الله ، لكونه شبه الله في هذا المعنى . وابراهيم هكذا عمل : دنا منه وتضرّع اليه باتّضاع وتذلّل وطول روح ، ثقةً منه بعظم رحمته وحِنّته ، وكونه يرغب ويشتهي مَن يشفع إليه في خلاص الخطأة . ولمّا سأله قال له : حاشا لك يا ديّان الأرض أن تُهلك البارّ مع المُجرم ، فيصير البارّ مثل المجرم . اذا كان في سدوم خمسون صدّيقاً تهلكها ، ولا تترك الموضع كلّه من أجل الخمسين صدّيقاً ؟ قال له : لا أُهلكها . حقّق عندنا بهذا الكلام أن الصدّيقين كلّ وقت يحمون الموضع الذي يكونون فيه من حلول سخط الله عليه ، وأنه لا يشفق على كل موضع ويستره من السخط الا من أجل الصدّيقين الموجودين فيه . وان الموضع متى عُدم وجودَ الصدّيقين ، أهلكه الله . وانه يجب ويلزم الصدّيقين أن يشفعوا اليه ويستعطفوه في الخطأة .

وعلّمنا كتاب الله أيضاً عِظَمَ طول روح الله على مَن يسأله في الخطأة كيف يجيبه عن ذلك ، ويقبل منه السؤال ، لأن ابراهيم سأله وبدأ له في السؤال من خمسين صدّيقاً . ولم يزل ينقص السؤال من العدّة خمسة وعشرة ، إلى أن وصل الى عشرة فقط . والله سبحانه بطول روح ورحمة يجيبه ويقبل سؤاله . وبالحقيقة لولا أن ابراهيم لكثرة تردّد سؤاله استحى ووقف ، لكان قد تنازل في السؤال أكثر . وكان الله يجيبه . ولا يظن ظانٌّ أن ابراهيم ، لسبب لوط ابن أخيه ولكونه ساكناً بسدوم ، سبق وسأل في خلاصها هكذا . لأنه لو كان قصده ابن أخيه ، لكان عند كمال سؤاله وكونه قد يئس من خلاصها ، كان ذكر ابن أخيه ؛ ولكنّه قد علم أن العادل لا يحتاج أن يذكره ولا أن يسأله في ابن أخيه . وكان لوط الصدّيق الطاهر ساكناً بين أولئك النجسين ، لأنه لا يكون عند الله نجس ولا خطيئة أعظم من مضاجعة الذكور . وان كان الزنى كلّه نجساً ومرذولاً قدّام الله : بل ان الزنى الطبيعي دون الزنى غير الطبيعي ، لأن مجامعة الإناث اللواتي خلقهنّ الله لهذا الفعل . خطيئة الزنى بهنّ عند الله ؛ أعظم منها جداً جداً خطيئة مَن تسيل منه النطفة بنوع غير هذا ؛ إما ذكر مع ذكر أو مع بهيمة أو مع أشبه ذلك من سيلان النطفة ؛ لأنّ هذا الأمر ، لكونه خلاف الطبيعة . هو عند الله عظيم جداً ومُسخِط له . ومثله أيضاً امرأة مع امرأة تخطأ بنوع آخر غير الرجل . فإنّ هذا يُسخط الله أكثر من خطيئة الامرأة مع الرجل ، كما يُسخط اللهَ رجلٌ تسيل منه الشهوة بنوع آخر غير الامرأة . لأنّ الرجل ، اذا ما سالت منه شهوته باختياره ، بأي نوعٍ كان ، فهو يزني ويتنجّس ويُسخط الله .

القراءة الثلاثون من سفر الخليقة (١)

الكتاب :

« فجاء الملاكان الى سدوم عشاء وكان لوط جالسا بباب سدوم . فلما رآهما لوط قام للقآئهما وسجد بوجهه الى الأرض وقال يا سيدي ميلا الى بيت عبدكما وبيتا واغسلا أرجلكما . ثم تبكران وتمضيان في سبيلكما . فقالا لا بل في الساحة نبيت . فألح عليهما جدا فالا إليه ودخلا منزله . فصنع لهما مأدبة وخبز فطيرا فأكلا . وقبل أن يضطجعا إذا أهل المدينة أهل سدوم قد أحاطوا بالبيت من الصبي الى الشيخ جميع القوم الى آخرهم . فنادوا لوطا وقالوا له أين الرجلان اللذان قدما إليك في هذه الليلة أخرجهما إلينا حتى نعرفهما . فخرج إليهم لوط الى الباب وأغلق الباب وراءه وقال لا تفعلوا شرّا يا إخوتي . هاءنذا لي ابنتان ما عرفتا رجلا أخرجهما اليكم فاصنعوا بهما ما حسن عندكم وأما هذان الرجلان فلا تفعلوا بهما شيئا لأنهما دخلا تحت ظل سقفي . فقالوا تنح من هنا . ثم قالوا أيأتي رجل ينزل بنا ويحكم علينا . الآن نفعل بك أسوأ مما نفعل بهما وألحوا على لوط جدا وتقدموا ليكسروا الباب . فمد الرجلان أيديهما وأدخلا لوطا إليهما الى البيت وأغلقا الباب . وأما القوم الذين على باب البيت فضرباهم بالعمى من صغيرهم الى كبيرهم فعجزوا عن أن يجدوا الباب . وقال الرجلان للوط من لك أيضا ههنا أصهارك وبنيك وبناتك وجميع من لك في المدينة أخرجهم من هذا الموضع فإنا مهلكان هذا الموضع إذ قد عظم صراخهم أمام الرب وقد بعثنا الرب لنهلك المدينة . فخرج لوط وكلّم أصهاره متخذي بناته وقال لهم قوموا واخرجوا من هذا الموضع لأن الرب مهلك المدينة . فكان كمازح من أعين أصهاره . فلمّا كان عند طلوع الفجر ألح الملاكان على لوط قائلين قم فخذ امرأتك وابنتيك الموجودتين لئلا تهلك بإثم المدينة . فتوانى لوط فأمسك الرجلان بيده وبيد امرأته وابنتيه لشفقة الرب عليه وأخرجاه وصيّراه خارج المدينة . فلما أخرجاهم الى خارج قالا له انج بنفسك لا تلتفت الى ورائك ولا تقف في البقعة كلها وتخلص الى الجبل لئلا تهلك . فقال لهما لوط لا يا سيدي إن عبدك قد نال حظوة في عينيك وعظمت رحمتك التي صنعتها اليَّ باحياء نفسي إني لا أستطيع التخلص الى الجبل فربما أدركني الشر فأموت . ها إن هذه المدينة قريبة للهرب إليها وهي صغيرة دعني أتخلص إليها إنمّا هي صغيرة فتحيا نفسي . فقال له هاءنذا قد شفعتك في هذا الأمر أيضا بأن لا أقلب المدينة التي ذكرت . أسرع بالتخلص الى هناك فاني لا أستطيع أن أصنع شيئا الى أن تصير اليها . لذلك سميت المدينة صوعر . واذ أشرقت الشمس على الأرض دخل لوط صوعر . وأمطر الرب على سدوم وعمورة كبريتا وناراً من عند الرب من السماء وقلب تلك المدن وكل البقعة وجميع سكان المدن ونبت الأرض . فالتفتت امرأته الى ورائها فصارت نصب ملح » (تك ١٩ /١ — ٢٦) .

التفسير :

قال المفسّر : إن الملاكين طلعا الى سدوم . وكان لوط جالساً عند باب المدينة وقت المساء . هذان الملاكان هما رفيقا الربّ اللذان كانا معه في بيت ابراهيم في شبه أناس . أرسلهما الربّ الى سدوم . فدخلا

(١) في المخطوطات هـ و ف و م وفي مخطوط الشرفة ، لا ذكر ليوم تقرأ فيه هذه القراءة .

اليها مساء ، ولوط جالس عند بابها . فلما نظرهما لوط ، قام تلقاهما وسجد على وجهه على الارض . وقال : يا سادتي : حَيّدا الى بيت غلامكما استريحا واغسلا أرجلكما ، وبكّرا اذهبا الى طريقكما . هذه الفضيلة تعلّمها من عمّه ابراهيم القائم للقاء الغرباء ، والعزيمة عليهما بالسجود على الارض ، وغسل أرجلهما وخدمتهما . فلما عزم عليهما امتنعا . وقالا له : ما ندخل الى البيت ، بل بالسوق نستريح . فغصبهما وأدخلهما الى بيته . وهما قد أمرهما الربّ بالدخول الى بيته ، ليخرجاه من سدوم . فلماذا لم يدخلا معه حتى أكثر العزيمة لهما وأغصبهما ؟ أرادا بذلك إيضاح كثرة محبته ، لكي يتعلّم الفضيلة من يرومها . وهي السجود للغريب والعزيمة عليه واغصابه على النزول ، لان هذه الفضيلة هي أعظم الفضائل التي بها « استحقّ هؤلاء ضيافة الملائكة على غير علم » (عبرانيين ١٣/٢) . فلما أدخلهما لوط ، صنع لهما شراباً وخبزاً فطيراً خبزاً لهما . فأكلا ما لاح لهما وما وجد السبيل اليه ، لكون الوقت قد أمسى ، صنع لهما بسرعة . وأما قول الكتاب إنهما أكلا ، فقد تقدّم القول تفسيره عند ذكر أكلهما في بيت إبراهيم أنهما يتظاهران بالأكل للناظرين ؛ على الحقيقة لا يأكلان .

وقيل إنه قبل أن ينضجعا ، أحاط الرجال أهل سدوم بالبيت ، من الشاب الى الشيخ ، والتمسوهم من لوط لكي يضاجعوهما . فخرج اليهم لوط الى خارج وردّ الباب خلفه ؛ لخوفه على ضيوفه ، أسرع بالخروج ولم يترك الباب مفتوحا لئلا يهجموا عليهما . ثم جعل يسألهم قائلا : لا يا اخوتي ! لا تصنعوا هذا الشرّ . لي ابنتان عذراوان لم يعرفا رجلاً . أنا أُخرجهما اليكم لتفعلوا بهما ما يحسن عندكم ؛ وهذان الرجلان فقط لا تظلموهما ، لكونهما دخلا تحت سقف بيتي . أُنظروا يا مؤمنون ، يا من يريدون تعليم الفضيلة . أُنظروا عظم هذه المحبة . إنه رضي أن يفدي ضيوفه بابنتيه العذراوين . ولم يقبح عليه هتكهما وموتهما بخلاص أولئك ، لانه لو أخرجهما اليهم ، لما كانوا فضحوهما بالفسق فقط ، بل لكان أولئك السفهاء يتكاثرون عليهما حتى يقتلوهما . وهو لم يُعرضهما الى أهل سدوم ، وهو يظنّ أنهم يقبلون منه ذلك ، ويرضون بهما فدية لضيوفه . فقالوا : إذهب عنّا ، جئت لتسكن عندنا أو لتحكم علينا ؟ أخرجهما لنا ، والاّ فنحن نؤذيك أكثر منهما . كلّموه بهذا الكلام القبيح المفزع ، وجازوا عليه جدّا ، ودنوا من الباب ليكسروه . فعلوا هذا لعظم ما نظروه من جهاده لهما وحرصه على منعهم منهما .

وان الملائكة جذبوا لوطاً الى داخل ، وضربوا رجال سدوم بالعمى ، من الصغير الى الكبير . فلم يبقوا يبصرون الباب . أُنظروا يا مؤمنون ، أيّة مدينة ما أشرّها كان لوط يسكنها ؛ حتى انهم إن أخرجتهما لنا ، والا نحن نفعل القبيح بك أكثر منهما . ومع هذا الشرّ العظيم الذي كان ساكناً في وسطهم ، لم يتغير هو عن صلاحه ، ولم ينقص من فضيلته ، حتى لا يحتجّ محتجّ بسكناه مع قوم شريرين ، ويقول إن سكنه معهم أفسده . فليس الامر كذلك ، بل رخاوته وقلّة تحرزه هي أفسدته . بل وقد كان لوط ، مع سلامته من فسادهم . يعظهم وينهاهم عن ذلك الفساد حسب الامكان . فلمّا دخل لوط الى البيت ، استعجل الملائكة قائلين : خطايا هذه المدينة قد صعد ضجيجها الى الله ، وقد أرسلنا نبيدها . فأسرع أخرج كلَّ شيء يخصّك من نفوس ومال . فلوقته خرج وكلّم أصهاره المتزوّجين بناته ، ولم يكونوا بعد دخلوا عليهنّ قطّ بل كانوا قد ملكوا عليهنّ فقط . أسمى الكتابُ الاملاك تزويجاً .

فلمّا كلمهم لوط وقال لهم : قوموا اخرجوا من هذه المدينة . فإنّ الله يُبيدها . فظنّوا أنه يهزأ بهم . فتوانوا عن القبول منه وهلكوا مع أهل مدينتهم . هكذا يحلّ بكلّ من يسمع الموعظة ويتوانى عن التوبة ويتهاون [illegible] يسمع ما يُنذره الله به « من النار المؤبّدة والدود الذي لا يموت » (مرقس ٩/٤٨) . والله بالقصد بعظه لعلّه يخرج عن خطاياه ويخلص . وهو يتّخذ ذلك كالهواء ويتوانى حتى يدركه ذلك بغتة . كما توانى أصهار لوط عن ما نذرهم به من خراب المدينة وتوانوا حتى أدركهم ذلك بغتة . لأن الكتاب يقول : إن الصباح لما أصبح ، كان الملاكان يستعجلان لوطاً على الخروج ويُقلقانه في ذلك قائلين : أسرع في الخروج لئلا تهلك في إثم هذه المدينة . وإنهما مسكا يده ويد زوجته وبناته وساعداه على الخروج .

ولمّا خرجوا إلى برّ المدينة قالا له : بالنجاة انجُ بنفسك إلى الجبل لئلا تدركك الشرور [illegible] مع لوط [illegible] خلاصه [illegible] ذلك [illegible]

[illegible]

[illegible] في موضع [illegible]

[illegible]

فيها . فمن كانت سيرته هكذا فقد ظفر بصغار وخلص بها . ومن فاته هذا الصغر وهذه الاهانة والاتّضاع هلك ، كما هلكت جميع المدن الشريفة العظيمة .

قال : ولما أشرقت الشمس على الارض ، دخل لوط الى صُوعر ، لان الذي يشرق نور خوف الله في قلبه ، هو يدخل الى التوبة وصغرها وهوانها وذلّها ، مُعتقداً أنه ، بَدَلَ الهوان والذلّ والشقاء ، يخلص من الهلاك الذي يُدرك المتعظّمين والمتكبّرين والمتنعّمين . ولما دخل الى صُوعَر ، قال الكتاب : أمطر الربّ من السماء ناراً وكبريتاً على سدوم وعامورة ، فهدم المدن وجميع تلك المساكن وكل شيء نابت الى فوق الارض . فنظرت امرأة لوط الى خلف ، فصارت صنم ملح . وقال : أمطر الرب من عند الرب ناراً وكبريتا . حقّق ربوبية الآب والابن ، مثل قول داود هو أيضا في مزاميره : « **قال الربّ لربي اجلس عن يميني** » (مزمور ١٠٩/١) . قال إن لوطاً دخل صغاراً ، والرب أمطر كبريتاً وناراً على كل المدن فأحرقها وأبادها . حقّق أن الذي يدخل في التوبة يخلص ، وكل من يبقى خارجاً في نعيم الدنيا وفي شرفها أو تعظّمها ، غير سالك طريق التوبة التي هي طريق الصغر والهوان ، فهو يُحرَقُ بالكبريت والنار من السماء . وهي النار المؤبّدة التي أنذرها الربّ لكل من يموت وهو خارج عن التوبة .

قال : وان امرأة لوط خالفت الوصيّة ونظرت الى خلف . صارت صنم ملح . كذلك من يدخل في التوبة ، اذا هو ندم على دخوله فيها وردّ قلبه الى الشرور التي خرج منها وأيقن العودة اليها ، فهو حينئذ يصير صنماً ، ولا يسمع من يعظه ولا يفهم كلام من يُخشّعه ولا ينظر الى من قد مات وهلك ، ويسرع بالتخشّع والتوبة دفعة اخرى . ربّنا يسوع المسيح يقول عن من يُخلّي التوبة هكذا : « **إن سبعة شياطين تسكن فيه** (متى ١٢/٤٥ ؛ لوقا ١١/٢٦) ، **حتى لا يتركوه يعود اليها** » . وقوله إنها صارت ملحاً ، يعني أن الذي يخرج من التوبة ويصير قاسياً ، هكذا صار الشيطان بسقوطه ملحاً للملائكة الذين لم يسقطوا . اذا ما قد نظروا ما ناله من الهوان والهلاك والبعد من الله ، والطبيعة الصالحة التي كانت له الى طبيعة قاسية شريرة ، وكونه لا توبة له ولا استطاعة أن يعود الى السماء دفعة اخرى ، يتحذّرون على أنفسهم ويتمسّكون بالاتضاع والخضوع الى بعضهم البعض ، الذي لما عُدِمَهُ ابليس ، سقط من السماء ، لان الكتاب يقول : إن الله جعل الملائكة قوماً أعلى من قوم ، والصغار يتعلّمون من الكبار . فلمّا أبى ابليسُ ان يتعلّم ويخضع لمن هو أكبر منه ، أسقطه اللهُ من السماء ، وصار ملحاً يملّح الملائكة من رطوبة التعظم ، لكيلا يسقطوا هم أيضا مثله . كذلك سقوط ابليس بالعظمة صار ملحا للملائكة يُنشّفهم من رطوبة التكبّر الذي بها سقط ، وليس للملائكة وحدهم بل ولكل تلميذ يعلم أن ابليس ، لما أبى أن يخضع ويتعلّم ، سقط ، لان الذي يعلم هذا هو يتملّح أو يمتنع من التعظيم هكذا ، ويعترف ويتوب .

القراءة الحادية والثلاثون من سفر الخليقة [١]

الكتاب :

فبكّر إبراهيم في الغد الى الموضع الذي وقف فيه أمام الرب وتطلّع الى جهة سدوم وعمورة وسائر أرض البقعة ونظر فإذا دخان الأرض صاعد كدخان الأتون . ولمّا دمر الله مدن البقعة ذكر الله إبراهيم فأطلق لوطاً من وسط الإنقلاب حين قلب المدن التي كان لوط مقيماً بها . وصعد لوط من صوعر وأقام في الجبل هو وابنتاه معه إذ خاف أن يقيم في صوعر فأقام في المغارة هو وابنتاه . فقالت الكبرى للصغرى إن أبانا قد شاخ وليس في الأرض رجل يدخل علينا على عادة الأرض كلها . تعالي نسقي أبانا خمراً ونضاجعه ونقيم من أبينا نسلاً . فسقتا أباهما خمراً تلك الليلة وجآءت الكبرى فضاجعت أباها ولم يعلم بنيامها ولا قيامها . فلمّا كان الغد قالت الكبرى للصغرى هآءنذا ضاجعت أمس أبي فلنسقه خمراً الليلة أيضاً وتعالي أنت فضاجعيه لنقيم من أبينا نسلاً . فسقتا أباهما خمراً تلك الليلة أيضاً وقامت الصغرى فضاجعته ولم يعلم بنيامها ولا قيامها . فحملت ابنتا لوط من أبيهما وولدت الكبرى ابناً وسمّته موآب وهو أبو الموآبيين إلى اليوم . والصغرى أيضاً ولدت ابناً وسمّته بنعمّي وهو أبو بني عمّون إلى اليوم » (تك ١٩/٢٧ — ٣٨) .

التفسير :

قال : إن ابراهيم بكّر الى الموضع الذي كان قائماً فيه مع الرب أمس ، وهو يسأله في سدوم . ونظر الى ناحية سدوم فنظر دخانها طالعاً مثل دخان الأتون . حقّق اللهُ للعالم حريقَ النار الذي قال إنه يحرق به الخطأة في جهنم ، وأظهر ذلك لهم عياناً بياناً ، بكبريت ونار من السماء ، ليس كبريتاً هيولياً . لأن السماء ليس بها كبريت هيولي ولا شيء هيولي ولا النار أيضاً هيولية . بل الله بقوّته يحرق مَن عصى وصاياه حريقاً شبه حريق النار والكبريت الهيولي ، بل الهيولية تطفأ . وهذه غير الهيولية لا تطفأ . والأجساد التي تُحرق بها بعد القيامة تكون تلهب بها . وهي لا تُحرق حريقاً يفنى ، لكن تكون باقية بحالها ، والالتهاب دائم فيها . قال : وإنَّ الله لما أحرق سدوم وعامورة ذكر ابراهيم وأخرج لوطاً من الهلاك .

حقّق أن بابراهيم كان خلاص لوط من الحريق الذي أُحرق به الخطأة ، لكي يعلّمنا أن الذي ينتهي الى صدّيق ويتتلّمذ له ، هو يخلص بذلك الصدّيق ، ويُرزَق التوبة بصلاته وتعليمه . قال : وإن لوطاً صعد من صوعر وجلس على الجبل ، هو وابنتاه فقط ، لعظم الخوف الذي وقع عليه من عظم ما نظر من شدّة الحريق . لم يؤمن أن يقيم بصوعر . بل هرب الى الجبل ، هو وابنتاه فقط . فلمّا نظرت الابنتان ذلك الحريق المفزع ، ظنّتا أن كل رجل على الأرض قد احترق وكل امرأة ، كالذين غرقوا في

(١) في المخطوطات هـ و ف و م وفي مخطوط الشرفة ، لا ذكر ليوم تقرأ فيه هذه القراءة .

زمان الطوفان . ولم يبقَ سواهم ، هما وأبوهما ، مثل نوح في زمان الطوفان ؛ ففكّرتا أن تُضاجعا أباهما لتُقيما نسلاً في العالم ؛ فأسقتا أباهما خمراً في تلك الليلة ، ودخلت الكبيرةُ فضاجعت أباها ، ولم يعلم عند انضجاعها ولا عند قيامها .

[ولمّا كان الغد ، قالت الكبيرة للصغيرة : هوذا قد ضاجعتُ أبي أمس . فلنسقه خمراً في هٰذه الليلة الأخرى ، وادخلي ضاجعيه ، ونقيم نسلاً من أبينا . فأسقتا أباهما خمراً في تلك الليلة ، ودخلت الصغيرةُ فضاجعت أباها ، ولم يكن يعلم عند انضجاعها ولا عند قيامها . فحبلت ابنتا لوط من أبيهما فولدتا] (١) .

زكّى (٢) اللهُ في كتابه لوطاً هٰكذا ، وشهد له أنه لم يعلم عند انضجاعهما ولا عند قيامهما ، لكي يُعلّمنا بهذا مضرَّة السكر والهلاك الذي يحدث منه بلا معرفة . وهٰذه ثاني دفعة يذمّ الكتاب السكر . سكر نوح أوجب خطأ حام ابنه ، وحلّت اللعنة على كنعان ، لأن نوحاً لم يمكنه أن يلعن حاماً ، لكون الله كان قد باركه مع اخوته عند خروجهم من السفينة . ولم يمكن نوح أن يلعن مَن قد باركه الله ، بل لعن ولده كنعان ، والسكر كان سبب ذٰلك . وكذٰلك سكر لوط جعله مضاجعاً ابنتَيه .

وفي هٰذا علّمنا الكتاب مضرَّة الخمر والنساء اذا ما اجتمعا في موضع . وان الراهب وساكن الجبال ، إذا حصل له النبيذ والنساء ، سقط في الخطيئة . قولٌ واحد ، عَلِمَ أو لم يعلم ، ولو تكون الامرأة أُمّه أو أخته أو ابنته التي لا يحلّ له أن يَقْرُبَها . فانه ، اذا سكر ، لا تكون له معرفة ولا خوف من الله ، ولا يتحفّظ من قرابته أو من غريبة ، لأنه يكون كالبهيم ، شهوتُه هائجة بلا عقل . من أجل هٰذا ، خطيئةٌ عظيمة هو السكر ، لأنه يُفسد صورة الله التي هي العقل ، ويجعل الانسان كالبهيمة . والسكر مثل الحَرَدَ ، لأنَّ الحَرَدَ ، اذا تمكّن ، غيّب العقل ، كما يفعل السكر ، فيجعل الانسان لا يعلم ما يقول ولا ما يفعل . ولا يقل قائل : كيف أخطأ حام ولعن ابنه كنعان . فان الله أراد أن يعلّمنا بهذا القول أن الوالدَين اذا أخطأا ، يُؤلّمهما الله بآلام يجلبها على ابنائهما قدّامهما ؛ وقوم آخرون يُؤلّمهم باخوتهم ، وآخرون بمواشيهم وهلاك شيء ممّا لهم . وهٰذا كلّه يفعله عنايةً منه بالانسان ، لكي ينال تأديباً وغفراناً .

---

(١) لا يُوجد هذا المقطع في هـ ، بل في ف (ورقة ٧٥ أ ، عمود أ) .

(٢) هنا يتابع نص هـ .

زمان الطوفان . ولم يبقَ سواهم ، هما وأبوهما ، مثل نوح في زمان الطوفان ؛ ففكَّرتا أن تُضاجعا أباهما لتُقيما نسلاً في العالم ؛ فأسقتا أباهما خمراً في تلك الليلة ، ودخلت الكبيرةُ فضاجعت أباها ، ولم يعلم عند انضجاعها ولا عند قيامها .

[ولمّا كان الغد ، قالت الكبيرة للصغيرة : هوذا قد ضاجعتُ أبي أمس . فلنسقه خمراً في هٰذه الليلة الأخرى ، وادخلي ضاجعيه ، ونقيم نسلاً من أبينا . فأسقتا أباهما خمراً في تلك الليلة ، ودخلت الصغيرةُ فضاجعت أباها ، ولم يكن يعلم عند انضجاعها ولا عند قيامها . فحبلت ابنتا لوط من أبيهما فولدتا] [١] .

زكّى [٢] اللهُ في كتابه لوطاً هٰكذا ، وشهد له أنه لم يعلم عند انضجاعهما ولا عند قيامهما ، لكي يُعلِّمنا بهذا مضرَّة السكر والهلاك الذي يحدث منه بلا معرفة . وهٰذه ثاني دفعة يذمّ الكتاب السكر . سكر نوح أوجب خطأ حام ابنه ، وحلَّت اللعنة على كنعان ، لأن نوحاً لم يمكنه أن يلعن حاماً ، لكون الله كان قد باركه مع اخوته عند خروجهم من السفينة . ولم يمكن نوح أن يلعن مَن قد باركه الله ، بل لعن ولده كنعان ، والسكر كان سبب ذٰلك . وكذٰلك سكر لوط جعله مضاجعاً ابنتَيه .

وفي هٰذا علّمنا الكتاب مضرَّة الخمر والنساء اذا ما اجتمعا في موضع . وان الراهب وساكن الجبال ، إذا حصل له النبيذ والنساء ، سقط في الخطيئة . قولٌ واحد ، عَلِمَ أو لم يعلم ، ولو تكون الامرأة أُمّه أو أخته أو ابنته التي لا يحلّ له أن يَقْرُبَها . فانه ، اذا سكر ، لا تكون له معرفة ولا خوف من الله ، ولا يتحفَّظ من قرابته أو من غريبة ، لأنه يكون كالبهيم ، شهوتُه هائجة بلا عقل . من أجل هٰذا ، خطيئةٌ عظيمة هو السكر ، لأنه يُفسد صورة الله التي هي العقل ، ويجعل الانسان كالبهيمة . والسكر مثل الحَرَد ، لأنَّ الحَرَدَ ، اذا تمكّن ، غيّب العقل ، كما يفعل السكر ، فيجعل الانسان لا يعلم ما يقول ولا ما يفعل . ولا يقل قائل : كيف أَخطأ حام ولعن ابنه كنعان . فان الله أراد أن يعلّمنا بهذا القول أن الوالدَين اذا أخطأا ، يُؤلّمهما الله بآلام يجلبها على ابنائهما قدّامهما ؛ وقوم آخرون يُؤلّمهم باخوتهم ، وآخرون بمواشيهم وهلاك شيء ممّا لهم . وهٰذا كلّه يفعله عنايةً منه بالانسان ، لكي ينال تأديباً وغفراناً .

---

(١) لا يُوجد هذا المقطع في هـ ، بل في ف (ورقة ٧٥ أ ، عمود أ) .

(٢) هنا يتابع نص هـ .

القراءة الثانية والثلاثون من سفر الخليقة (١)

الكتاب :

« وارتحل إبراهيم من هناك الى أرض الجنوب وأقام بين قادش وشور ونزل بجرار . وقال إبراهيم عن سارة امرأته هي أختي . فبعث أبيملك ملك جرار فأخذ سارة . فأتى الله أبيملك في حلم الليل وقال له إنك هالك بسبب المرأة التي أخذتها فإنها ذات بعل . ولم يكن أبيملك دنا منها . فقال يا سيدي أأُمّة بارة تقتل . أليس أنه هو قال لي هي أختي وهي أيضاً قالت هو أخي بسلامة قلبي ونقاء كفّي صنعت ذلك . فقال له الله في الحلم وأنا أيضاً قد علمت أنك بسلامة قلبك صنعت ذلك فكففتك عن أن تخطأ إليّ ولذلك لم أدعك تمسّها . والآن اردد امرأة الرجل فإنه نبي وهو يدعو لك فتحيا وإن لم تردها فاعلم أنك هالك أنت وجميع من لك . فبكّر أبيملك من الغد ودعا جميع حشمه وتكلّم بجميع ذلك الكلام على مسامعهم ففزع القوم جداً . ثم دعا أبيملك إبراهيم وقال له ماذا صنعت بنا وبماذا أذنبت إليك حتى جلبت عليّ وعلى مملكتي خطيئة عظيمة . إنك صنعت بي ما لا يُصنع . وقال أبيملك لإبراهيم ماذا بدا لك حتى فعلت هذا الأمر . فقال إبراهيم إني قلت إنه ليس في هذا الموضع خوف الله فيقتلونني بسبب امرأتي . وعلى الحقيقة هي أختي ابنة أبي غير أنها ليست ابنة أمي فصارت امرأة لي . فلمّا رحّلني الله من بيت أبي قلت لها هذا برّك الذي تصنعينه إليّ . حيثما دخلنا فقولي عني هو أخي . فأخذ أبيملك غنماً وبقراً » (تك ٢٠/١ — ١٤) .

[فأخذ أبيملك غنماً وبقراً وعبيداً وإماء وأعطى ذلك لإبراهيم وردّ عليه سارة امرأته . وقال أبيملك هذه بلادي بين يديك فحيثما طاب لك فأقم فيه . وقال لسارة قد أعطيت أخاك ألفاً من الفضة تكون لك حجاب عين عن كل من معك حيثما ذهبت واذكري أنك أُخذت . فدعا ابراهيم الى الله فعافى الله أبيملك وامرأته وإماءه فولدن لأن الرب كان قد حبس كل رحم في بيت أبيملك بسبب سارة امرأة إبراهيم » (تك ٢٠/١٤ — ١٨) .

« وافتقد الرب سارة كما قال وفعل الرب لسارة كما وعد . فحملت سارة وولدت لإبراهيم ابناً في شيخوخته في الوقت الذي ذكره الله . فسمّى إبراهيم ابنه المولود له الذي ولدته له سارة إسحق . وختن إبراهيم إسحق ابنه وهو ابن ثمانية أيام حسب ما أمره الله به . وكان إبراهيم ابن مائة سنة حين ولد له إسحق ابنه . وقالت سارة قد أنشأ الله لي فرحاً فكل من سمع يفرح لي . وقالت من كان يقول لإبراهيم إن سارة سترضع ابناً فقد ولدت ابناً في شيخوخته . وكبر الصبي وفطم وصنع إبراهيم مأدبة عظيمة في يوم فطام إسحق . ورأت سارة ابن هاجر المصرية الذي ولدته لإبراهيم ساخراً . فقالت لإبراهيم اطرد هذه الأمة وابنها فإنّ ابن هذه الأمة لا يرث مع ابني إسحق . فسآء هذا الكلام جداً في عيني إبراهيم من جهة ابنه . فقال الله لإبراهيم لا يسؤ في عينيك أمر الصبي وأمر أمتك . كل ما تقوله لك سارة فاسمع لقولها لأنه بإسحق يدعى لك نسل . وابن الأمة أيضاً اجعله أمة فإنه نسلك . فبكّر إبراهيم في الغداة وأخذ خبزاً وقربة ماء فدفعهما إلى هاجر وجعلهما على

---

(١) في المخطوطات هـ و ف و م وفي مخطوط الشرفة ، لا ذكر ليوم تقرأ فيه هذه القراءة .

منكبها وأعطاها الصبي وصرفها فمضت وتاهت في بريّة بئر سبع . ونفد الماء من القربة . فطرحت الصبي تحت بعض الشجر » (تك ١/٢١ — ١٥)] [1] .

التفسير :

[... وولدت ابنها اسحق الذي هو ابن الفرح والضحك كتفسير اسمه . وكذلك النفس ، اذا هي غلبت شيطان الغضب وحُفِظت منه بقوّة الله ، فهي تثمر ثمر الفرح والحبّ ، لأن النفس لا يُحزنها ابداً سوى شيطان الغضب ، لأنه يثمر لها الحقد والبغض والحسد والحزن . واذا هي بقوّة الله غلبته ، أثمرت الفرح والحبّ والصلح وطول الروح والخيرية والحلاوة والوداعة . فبحق إن النفس تُثمر جميع أثمار الروح اذا ما غلبت شيطان الغضب وأفلتت من يده ، كما خلصت ساره من فرعون ملك مصر واقتنت هاجر التي منها ولد ابراهيمُ اسماعيلَ ابن العبدة . كذلك عندما تخلص النفس من شيطان الشهوة الذي هو شيطانها الأول ، فهي حينئذ تثمر أثمار الخوف التي هي أثمار العبودية ، اذ تعمل وصايا المسيح بخوفٍ من عقابه . تكلّف ذاتها من أجل خوفه حتى تحفظ وصاياه . ولكن عندما تغلب شيطانَ الشهوة وتخلص من الشره والزنى وحبّ الفضّة وكلّ قنية . لأن الشهوة بها يشتهي الانسان الأطعمة ، وبها يشتهي الزنى وبها يشتهي المال وكلّ قنية ، فمن جاهد شيطانَ الشهوة ، خلص من كلّ هذه الأوجاع . وتُشْبهُ هذه الأثمارُ اسماعيلَ ابن العبدة أول بنين إبراهيم . واذا ما غلبت النفسُ شيطانَ الغضب ، وخلصت منه بقوّة الله كما خلصت ساره من ملك فلسطين . فهي حينئذ تثمر أثمار المحبة والفرح والصلح وطول الروح . فطوبى جداً جداً لمن يقاتل شيطان الغضب ، ويثمر أثمار الروح بقوّة الروح .

لما ولدت ساره إسحق الذي تفسيره الضحك ، كثر فرحها وقالت : ضحكاً صنعه معي الرب . مَن يبشّر ابراهيم أن ساره تُرضع ابناً بعد هرمها ؟ لأن بولس الرسول « **شبّهها بشريعة المسيح التي تلد أولاداً بقوّة الروح القدس من المعمودية المقدسة** » (غلاطية ٢٦/٤ — ٢٨) . ساره ، البطن البارد ، التي لا حرارة طبيعية فيها ، تقبل زرعاً . ولدت بوعدِ كلمةِ الله ولداً مباركاً . ومن الماء البارد بطبيعته ، بوعد كلمة الله وتقديس روحه ، تلد شريعةُ المسيح أولاداً مباركين كولادة اسحق من ساره . وساره أيضاً تُشبه

---

(١) لا يُوجد هذا المقطع من سفر التكوين (تك ١٤/٢٠ — ١٨ — ١/٢١ — ١٥) في هـ ، بل في ف (ورقة ٧٥ ب ، عمود ب — ورقة ٧٦ أ ، عمود أ) .

وفي ف بالذات ، ينتهي نص سفر التكوين بطريقة مفاجئة ، ونقرأ هذا القول : « ومن ها هنا ، إنْتَقِلْ الى يمينك للورقتين الصغار » ، حيث يبدأ التفسير ، مبتوراً في أوله .

اما نص سفر التكوين المتتابع حتى الآن ، فينقطع هنا ، ثم يعود للظهور في القراءة الخامسة والثلاثين من الفصل ١/٢٤ — ٤ ، مما يدلّ أن المقطع (تك ١٦/٢١ — ٢٠/٢٣) ضائع ، وبالتالي تفسيره أيضا ضائع . وهذا ما غيّب القراءتين الثالثة والثلاثين والرابعة والثلاثين من هـ وف وم ومن مخطوط الشرفة .

ومن الملاحظ أخيرا ان جزءا من نص سفر التكوين الخاص بالقراءة الثانية والثلاثين مخطوط بالعربية لا بالكرشونية ، وكذلك تفسيره .

النفسَ كما تقدَّم القول . وهي لا تزال عاقراً لا تثمر ثمرة الفرح ؛ بل كل الوصايا تصنعها بالخوف وبكلفة وبشدّة ، حتى تخلص من الملاكين المقدم ذكرهما ، الشهوة والغضب ؛ حينئذ تلد وتُثمر ثمرة الروح القدس ، أثمار الفرح ؛ وبالمحبة تكمِّل الوصايا بلذّة وشهوة بغير قهر ولا كلفة .

ولمّا كبر اسحٰق وفُطِمَ من اللبن ، قال الكتاب : إن أباه صنع فرحاً عظيماً في يوم فطامه من اللبن . هٰذا هو العَجَب العظيم : إن اللبن به يغتذي المولود ويحيا . فاذا فُطِمَ منه يكون فَرَحٌ عظيم ، لكونه ينتقل الى غذاء أفضل من ذٰلك الغذاء . كذٰلك الذي يحفظ وصايا المسيح بالخوف — لأن الخوف هو لبن المولود بالمسيح الذي به يغتذي ويحيا من حفظ وصاياه — فاذا هو وصل الى محبته ، طردت المحبةُ الخوف . وحينئذ يكون الفرح العظيم عندما يصير الانسان يحفظ الوصايا بالمحبة بغير كلفة ولا خوف . الانسان قبل التوبة يكون يغتذي بالخطيئة . فاذا فطمه منها خوف الله ، وترك غذاءَه الأول النجس ودخل في التوبة ، يكون فرحٌ عظيم في السماء من أجل خروجه من الخطيئة الى التوبة . واذا هو خرج من الخوف الى المحبة . فطمته المحبة من الخوف كما فُطم اسحٰق من اللبن . ولذٰلك إن الكتاب ، لما ذكر فطامَ اسحٰق من اللبن ، ذكر للوقت هاجر وابنَها . « **لأن هاجر وابنها هما مثال العبودية والخوف ، وساره وابنها هما مثال الحريّة والمحبّة** » (غلاطية ٢٢/٤ — ٣١) . اذا ما وصلت النفس الى الحريّة والمحبة وفُطمت من الخوف ، طردت منها للوقت العبوديّةَ وابنها الذي هو الخوف ، كما يقول يوحنا الرسول : « **ان المحبة تطرد الخوف** » (١ يوحنا ١٨/٤) .

قال الكتاب إن ساره ، لما نظرت ابن العبدة يضحك مع اسحٰق ابنها ، قالت لإبراهيم : أَخرج هذه العبدة وابنها ، لأنه لا يرث ابنُ العبدة مع اسحٰق ابني . فصعب ذٰلك على ابراهيم جدّاً من أجل اسماعيل ابنه . فقال الله له : لا يصعب الأمر عليك . اسمع من ساره في كل ما تقول لك ، لان باسحٰق يُدعى لك الزرع ؛ وابن هذه العبدة ، أنا أَجعله أُمّة كبيرة لكونه زرعك . « **هاجر ، كما قدَّمنا القول ، يقول بولس ، إنها شبيهة بشريعة التوراة ، وساره شبيهة بشريعة الانجيل** » (غلاطية ٢٤/٤ — ٢٦) . لمّا حضرت شريعةُ الانجيل ، أمر اللهُ باخراج شريعة التوراة . ولمّا صعب ذٰلك على جنس ابراهيم ، أَهْلِ شريعة التوراة ، سهّله الله عليهم . وأَمرهم به وبطاعة كلما تقوله لهم شريعة الانجيل التي هي ساره ، لأنه قال : كلما تقوله لك ساره اسمع منها ؛ وقوله إن باسحٰق يُدعى لك الزرع ، يعني الذي وعدتك بكثرته وكثرة سلطانه وملكه . لم أَعْنِ الزرعَ الجسداني مثل اسماعيل ومن يشبهه ، بل زرعاً روحانياً يولَد بقوّة الله من الماء والروح كميلاد اسحٰق من ساره ، البطنِ البارد ، التي بوعد الله وكلمته وَلدت .

وكما قد قلنا فيما تقدّم من التفسير : إن هاجر وساره تُشبهان الخوف والمحبة ، فلا يزال الخوف في النفس وهي تحفظ به الوصايا حتى تكمُل منها محبة الله بحلول الروح القدس فيها بالكمال . حينئذ تقضي المحبة على الخوف وتطرده بالكمال . كما أَمر الله ابراهيم أن يُطيع ساره ويطرد هاجر وابنها ، وانه للحين امتثل الأمرَ الرجلُ الصالح ، وبسرعة أَخرجها من منزله وأَرسلها بغير دابّة ، بغير غلام ، بغير مرشد ، وليس معها سوى ابنها وقليل من خبز وقربة ماء ، وهي تحمل ذٰلك على عنقها ، ماشية تائهة في البريّة ، لا

تعلم الى أين تمضي . عظيمةٌ جداً هي طاعة ابراهيم لله إنه قد شقّ عليه قولُ ساره : أُطرد هذه العبدة وابنها ، وصعب عليه جداً . فلمّا أمره الله بذلك ، أسرع من باكر بامتثال الأمر وأرسلها خاوية خائبة ، كما قد تقدّم القول ، طاعةً لساره التي أمره الله بطاعتها وأخرجها أردأ خروج مظلومة حزينة تائهة .

ولذلك لمّا أطاع ابراهيمُ اللهَ وفعل هكذا ، قام الله بها في البريّة ودلّها ولم يتخلَّ عنها ، بل بملاكٍ أرشدها وفتح لها ، بالماءِ أسقت ابنها الذي قد أشرف على الموت من شدّة العطش ، وحفظه حتى عاش تماماً لقوله الذي قاله لابراهيم : إني لا أفرض فيه أن يهلك ، بل سوف يكثر نسله جداً . ولكون هاجر وابنها كانا ممثَّلين بشريعة التوراة ، لذلك ، أعني بهما ، قام بهما في الطريق ، لكي يُعلم العنايةَ والهمّة التي كانت له في شريعة التوراة في زمانها .

ثم قال الكتاب : إن ابيملك ملك فلسطين ونديمه ورئيس جيشه ساروا الى ابراهيم ، وهو نازل في خبائه في بريّة أرضهم ، والتمسوا منه أن يعاهدهم عهداً لهم ولنسلهم بعدهم ولأرضهم ، وإنَّ ابراهيم فعل ذلك . أظهر اللهُ ، تبارك اسمه ، كيف كان عظم عنايته بابراهيم ، وكيف كانت عنايتُه به تشتهر لملوك الأرض التي هو فيها غريب ونزيل ، حتى أنهم ، من كثرة علمهم بذلك ، يخشونه ويتّقونه ويأتون اليه وهو نازل في خبائه ، يلتمسون منه العهد والحلف لهم ولأولادهم بعدهم ، ثقةً منهم أن الله معه ومع نسله بعده . ثم ان ابراهيم بكّت ابيملك على أبار الماء التي سدّها غلمانُه فعلة ابيملك . قال : إني لا أعلم . واعتذر له عن هذا الأمر .

عناية ابراهيم بأبار الماء هكذا لكون الغَنَم بها تعيش ؛ وهي إشارة الى معاني الكتب الالهية التي بها تتخشّع وتحيا نفوس المؤمنين ، لان خوف الله هو حياة النفوس ، وبمعاني الكتب الالهية تنال النفوسُ ذلك . ولذلك كان ابراهيم يلوم ويعتب على مَن يسدّ أبار الماء التي بها تحيا غنمه . ولذلك يلوم الربُّ ويبكّت المعلّمين الذين يُخفون عن المؤمنين جميعَ مشورة الشيطان في الكسل عن إشهار ذلك ، وتلاوته دائماً على المؤمنين .

وها هنا ، رسم الكتاب أن ابراهيم أقام سبع نعاج ، شهادةً له أنه هو الذي حفر الأبار . وهذه السبعة هي السبعة الكتب الحديثة التي ، الروحُ القدس بالقراءة منها ، يستمرّ في كل قداس . وهي الأناجيل وكتاب رسائل بولس وكتاب رسائل القتاليقون وكتاب الابركسيس . وكما قد قدّمنا القول إن أبيملك ملك فلسطين هو يُشبَّه بوجع الغضب الذي ، اذا عُتقت النفسُ منه ، أثمرت بسرعة أثمارَ الروح ، كما ولدت ساره بسرعة عقيب خلاصها من ملك فلسطين . ولما كبر ولدُها وطرد عنه ابنَ العبدة اصطلح ابراهيمُ مع ابيملك صلح العهد والحلف . كذلك اذا نالت النفسُ الحريّة وأثمرت أثمارَ الروح ، وانعتقت من الخوف والعبودية ، وصار الصلح والهدوء فيها ، والغضب والشهوة وباقي الأوجاع صارت لها عبيداً وخداماً [التي كانت لها قديماً أضداداً تصبر لها خدّاماً تخدم بها ارادةَ الله . وذلك أن الشهوة التي كانت تُضادها لشتهي الخطيئة تصبر لها خادمة] خاضعين كصلح أبيملك مع ابراهيم والمزرعة بالماء والروح مرّة واحدة واعتراف مستمرّ عن كل خطيئة تحدث بعد ذلك .

المسيح بآلامه وموته ابتاع لنا هذا القبر المضاعف ندفن فيه خطايانا ، ونحن بآلام قانون التوبة ، نبتاعه كل حين . ما هي الضيعة التي فيها هذا القبر المضاعف ؟ هي الكنيسة التي فيها المعمودية والتوبة ، كنيسة المسيح التي اقتناها لنفسه بدمه ، والشجرة التي فيها ، هي جماعة المؤمنين الذين يثمرون بعمل وصاياه . الجائع ، ما هو سبب جوعه ؟ سبب التحللّ والنقص الذي يناله في كل يوم . وكلما تحلّل ونقص ، تألّم وجاع وعطش وأكل وشرب لكي يتمّم النقص ويخلف الموضع الذي تحلل . وما دام يفعل هكذا فهو حيّ . والحياة فيه فاعلة . واذا بطل منه هذا الفعل مات . كذلك الذي يُنْقِصُ منه وصيّة من الوصايا الانجيلية بمعصيته اياها ، ويتألم ويحزن ويسرع يكمّل موضع النقص بالتوبة ، فهو يوفي المعصية بالطاعة . وهذا حيّ بالروح القدس . والحيوية فيه فاعلة . ومتى عدم هذا الفعل ، فهو بلا شكّ يموت . وكما تجتهد الناسُ بالغذاء باكراً لتعويض ما نقص في الليل . وفي العشاء مساء لتعويض ما نقص في النهار . كذلك الحيّ بالروح القدس هو حيّ من روح المسيح ، فيه فاعلة في كل يوم وكل ليلة يوفي المعصية بالطاعة . يهتمّ بنفسه هذا في الغذاء وفي العشاء . كهمّة الناس في أجسادهم . ينصبر (كذا) لنفسه باكراً انه قد عصى وصيّة في تلك الليلة . عوّض عنها بالطاعة ، بالقانون الذي يقبله بدلها . وكذلك يفعل عشيّة على كل معصية تحدث منه في النهار .

بأربع مائة مثقال ابتاع ابراهيم القبر . والسيّد المسيح ، بثلاث وثلاثين سنة وثلث . التي هي أربعمائة شهراً . انتهى الى الصليب والموت . وابتاع لنا قبرَ التوبة المضاعفة ، فدفن فيه خطايانا . ولو لم يمت المسيح الهنا عنّا . لم تكن التوبة تقدر أن تخلّصنا من خطايانا . لأن الله قال : كل معصية جزاؤها الموت . ومَن الذي . اذا عصى عدة دفعات ، يقدر أن يموت كعدد ذلك . لأن الانسان لا يقدر أن يموت سوى موتة واحدة . فلما تجسّد الاله وصار بالجسد بلا خطيئة ، فلكونه لم يخطأ لم يستوجب موتاً . فلما دفع نفسه للموت عنّي . أنا المستوجب الموت ، احتمل كل موت يلزمني أنا الذي أتوب باسمه واحتمل قوانين توبته . فصارت لي قوانين التوبة التي احتملتها أنا باسمه تبتاع لي موته . حتى أصير أنا محسوباً له في موته ، لأنه إله متجسّد مات ، وموته يمكنه أن يفدي كل مَن يتوب على اسمه من كل موتة يستوجبها . فبموت المسيح ، صارت التوبة تقدر أن تخلّصني من غير أن أموت موتات عديدة ، كعدد الخطايا التي أخطأتها . ولذلك لمّا ذكر الكتابُ ذبحَ اسحق [1] الذي هو اشارة لموت المسيح ، ذكر للوقت موت ساره [1] ، وابتياع القبر لدفنها ، إشارة للتوبة التي ابتاعها لنا المسيحُ بموته لندفن فيها خطايانا] [2] .

(١) ذَبحُ اسحق وموت سارة هما موضوعا الفصلين ٢٢ و ٢٣ من سفر التكوين ، الضائعين في مخطوطاتنا .

(٢) لا يُوجد هذا المقطع في هـ ، بل في ف (ورقة ٧٦ أ ، عمود ب — ورقة ٧٨ ب ، عمود ب) .

[القراءة الخامسة والثلاثون من سفر الكون (١)

الكتاب :

« وشاخ إبراهيم وطعن في السن وبارك الرب إبراهيم في كل شيء . وقال إبراهيم لعبده كبير بيته المولّى على جميع ما له ضع يدك تحت فخذي فأستحلفك بالرب إله السماء واله الأرض أن لا تأخذ زوجة لابني من بنات الكنعانيين الذين أنا مقيم فيما بينهم بل الى أرضي والى عشيرتي تذهب وتأخذ زوجة لابني إسحق » (تك ١/٢٤ — ٤) .

التفسير :

عقيب ذكر التوبة ودفن الخطايا فيها مستمر التي ذكرناها في القراءة المتقدمة . وكالذي امر الله به موسى في الناموس اذ خاطبه قائلاً : أنا أجوز في محلتكم . لا توسّخوا مواضعكم التي فيها أجوز . بل يكون مع كل واحد منكم وَتَدٌ ، اذا أراد أن يتبرّز يحفر ويدفنه . فمن هو عادم العقل الذي يضمر أن الله في عبوره ينظر الى البراز اذا كان مكشوفاً . وانما هو أشارة بوسخ الخطيئة ؛ وأمر أن يكون مستمّراً بدفنها في التوبة . لانه منذ تعمّدنا ، حلّ فينا بروح قدسه ، وهوكل يوم يعبر فينا بجسده ودمه . فلأجل هذا يريد منّا ان لا نكون وسخين بالخطايا التي هي عنده بالحقيقة مكروهة ومبغوضة ، وتمنعه أن يجوز فينا . وعند ذكره دفن الخطايا في التوبة برمز القبر المضاعف ، أكّد الوصية علينا قائلا : إن ابراهيم استحلف غلامه ، كبير بيته ، رئيس ماله ، أن لا يزوّج ابنه من بنات الكنعانيين . فالغلام الكبير في البيت ، رئيس كل شيء ، هو العقل . والله الآب يأمره ويعاهده أن يصون الفكر الصالح المولود من الروح الالهي . وما يجعله يلتصق ولا يتّصل بلذّة من لذّات الخطايا التي هي من بنات الكنعانيين . لان بنات الكنعانيين هنّ شبه الشياطين السكّان في الجسد الذين يقاتلون الروح العاقلة بلذّات الخطيئة . فلذّات الخطيئة منهم مولودة وهي لهم بنات ، والله يأمر العقل أن لا يدع الفكر الروحاني يقبل ولا يميل ولا ينحطّ مع واحدة من هذه اللذات ، لكي يبقى كلّ حين نقيّا روحانيا مختونا من كل لذّة . ولذلك حلّفه على موضع الختانة التي عليها عاهده ، لانه عظيم جدّا استحلاف إبراهيم بالله على هذا الموضع الشنيع . ولكنَّ سرَّ تجسد المسيح الاله من زرعه بهذا أظهره ، كما أن الله ، لمّا جعل عهده في عضو الزرع ، لم يقصد بذلك سوى تجسّد الاله من الزرع . كذلك لمّا حلف ابراهيمُ لغلامه بالله على ذلك الموضع ، هذا بعينه كان مقصوده . ولذلك قال : أحلف لي باله السماء واله الارض ، يعني أن الخارج من زرعه الهٌ متأنس ، سماوي أرضي ، لاهوت ناسوت ، أُقنوم واحد في طبيعتين ، ابن الله وابن البشر .

---

(١) في المخطوطات هـ و ف و م وفي مخطوط الشرفة ، لا ذكر ليوم تقرأ فيه هذه القراءة التي قد تكون مخصّصة ، في الأساس ، لعيد البشارة .

هذا الفصل أظهر الكتابُ فيه نبوءةً على بشارة جبرائيل لمريم العذراء بحمل المسيح . لانه كما كان غلام ابراهيم كبير بيته ، خطّيب العذراء وداعيها لاسحق بن ابراهيم ، كذلك كان جبرائيل الملاكُ العظيم مُبشّر العذراء مريم ومُهيِّئها بالامانة وخطّيبها للابن الوحيد . قال ابراهيم لغلامه : لا تزوّج اسحق ابني من القوم الذين انا بينهم ، أي ان ابن الله الوحيد لم يتجسّد من الملائكة الروحانيين الذين لم يزالوا معه مقيمين وله طائعين ، بل من جنس آدم الذي خلقه الله على صورته ومثاله . تجسّد ليجدّد الطبيعة ويعيدها الى صورته ومثاله . هكذا يقول الرسول : « **إنه ليس من الملائكة أخذ ما أخذ ، بل من زرع ابراهيم أخذ** » (عبرانيين ٢/١٦) .

الكتاب :

« فقال له العبد لعل المرأة لا ترضى أن تتبعني الى هذه الأرض فهل أرد ابنك الى الأرض التي خرجت منها . فقال له إبراهيم إياك أن ترد ابني الى هناك . الرب اله السماء الذي أخذني من بيت أبي ومن أرض مولدي والذي كلمني والذي أقسم لي قائلا لنسلك أعطي هذه الأرض هو يرسل ملاكه أمامك فتأخذ زوجة لابني من هناك . وان لم تشأ المرأة أن تتبعك فأنت بريءٌ من يميني هذه . أما ابني فلا ترجع به الى هناك » (تك ٢٤/٥ — ٨) .

التفسير :

قوله ها هنا : يُرسل ملاكَه قدّامك تأخذ لابني امرأة ، أوضح التفسيرُ ببيان عن جبرائيل الملاك .

الكتاب :

« فوضع العبد يده تحت فخذ إبراهيم مولاه وحلف له على ذلك . وأخذ العبد عشرة جمال من جمال مولاه ومضى وفي يده من كل خير مولاه » (تك ٢٤/٩ — ١٠ ب) .

التفسير :

ما هي العشرة الجِمال ؟ هي العشر معاني التي قالها جبرائيل الملاك لمريم العذراء عند بشارته . وهي هذه :

أ — « **لا تخافي يا مريم** » (لوقا ١/٣٠) .

ب — « **لانك وَجدتِ نعمة عند الله** » (لوقا ١/٣٠) .

ج — « **وهوذا أَنتِ تحبلين** » (لوقا ١/٣١) .

د — « **وتلدين ابناً** » (لوقا ١/٣١) .

هـ — « **ويُدعى اسمه يسوع** » (لوقا ١/٣١) .

و — « **وهذا يكون عظيماً** » (لوقا ١/٣٢) .

ز — « **وابن العليّ يُدعى** » (لوقا ١/٣٢) .

ح — « **ويُعطيه الربُّ الاله كرسيَّ داود أبيه** » (لوقا ١/٣٢) .

ط — « **ويملك على بيت يعقوب إلى الابد** » (لوقا ١/٣٢) .

ي — « ولا يكون لملكه انقضاء » (لوقا ١/٣٣) .

هذه المعاني العشرة حملها جبرائيلُ الملاك الى مريم العذراء ، موسقة وممتلئة من خيرات الله الآب ، اذ تُعلن أنَّ الالهَ يصيرِ انساناً ، والناسَ يصيرون آلهةً و يملكون معه في مُلكِه الذي لا يَنقضي .

الكتاب :

« وقام ومضى الى أرام النهرين الى مدينة ناحور . فأناخ الجمال خارج المدينة على بئر الماء عند العشاء وقت خروج المستقيات . وقال أيها الرب اله مولاي إبراهيم يسّر لي اليوم واصنع رحمة الى مولاي إبراهيم . هاءنذا واقف على عين الماء وبنات أهل المدينة خارجات ليستقين ماء . فليكن أن الفتاة التي أقول لها أميلي جرتك حتى أشرب فتقول اشرب وأنا أسقي جمالك أيضا تكون هي التي عينتها لعبدك إسحق وبها أعلم أنك صنعت رحمة الى مولاي » (تك ٢٤/١٠ ج — ١٤) .

التفسير :

ها هنا يعلّمنا الكتاب أن نعمل كل شيء بصلاة وأمانة .

الكتاب :

« فكان قبل فراغه من كلامه أن خرجت رفقة التي ولدت لبتوئيل ابن ملكة امرأة ناحور أخي إبراهيم وجرتها على كتفها . وكانت الفتاة حسنة المنظر جدا بكرا لم يعرفها رجل . فنزلت الى العين وملأت جرتها وصعدت » (تك ٢٤/١٥ — ١٦ أ) .

التفسير :

صفة الجمال ها هنا الى جمال مريم العذراء في طهارتها وكثرة خوفها من الله ، وانه لم يكن لها ، في ذلك الزمان ، نظير على الارض . وقوله عذراء لم يعرفها رجل ، اسم العذراء فيه عنّا ، عن قوله لم يعرفها أحد . لان من عرفها احد ليست عذراء ، ولكن لكون المعنى اشارة الى مريم أوضح طهارتها . وانها حين جاءها البشير جبرائيل ، كانت طاهرة لم يعرفها أَحد ، كما قد قالت له هي : إني لم أعرف رجلاً . وشهادة الله لها ها هنا بعظم الجمال قد أوضحها جبرائيل بقوله لها : إنك قد وجدتِ نعمة عند الله . ماذا وجدت النعمة عند الله الا بعظيم خوفها وطاعتها له ؟

الكتاب :

« فأسرع العبد للقائها وقال اسقيني قليلا من ماء جرتك » (تك ٢٤/١٧) .

التفسير :

هكذا يشهد يعقوب أخو الربّ في ميمر ميلاد السيّدة الذي كتبه : إن جبرائيل الملاك ، لمّا جاءَها بشّرها ، كانت على بئر الماء تستقي [١] .

الكتاب :

« فقالت اشرب يا سيّدي وأسرعت فأنزلت جرّتها على يدها وسقته . ولما فرغت من سقيه قالت أستقي لجمالك أيضاً حتى تفرغ من الشرب . وأسرعت وأفرغت جرّتها في المسقاة وأسرعت أيضاً الى البئر لتستقي فاستقت لجميع جماله . وبقي الرجل متأملا لها صامتا ليعلم هل أنجح الله طريقه أم لا » (تك ٢٤/١٨ — ٢١) .

التفسير :

ليس عند الله فضيلة أخرى يتشبّه الانسانُ فيه سوى حبّ البشر ، لانه بالحقيقة مُحِبّ البشر . فمن أحبّ البشر قد صار مثاله ، وعاد الى جمال حسن الصورة والمثال الذي خلقه عليها ، ولاسيّما فضيلة محبة الغرباء ليست قليلة . أُنظروا كم يصفها كتاب الله : هي فضيلة ابراهيم ، وبها استحقّ أن يُضيف اللهَ وملائكته . هي فضيلة لوط ، وبها استحقّ خلاصه وخلاص أولاده من السخط الحادث بسدوم . وهوذا الكتاب قد وصف أن بها تجمّلت رفقا واستحقّت أن تكون زوجة لاسحق ابن الموعد . أنظروا خدمة هذه العذراء لهذا الغريب وسرعتها لسقيه وسقي جماله مع كثرتها ، وهو لم يلتمس منها ذلك . خَدَمَتْهُ مثل من هي له عبدة . سبقت وكملّت الوصيّة الانجيلية القائلة : « **مَن سخّرك ميلاً إمْشِ معه ميلَين** » (متى ٥/٤١) . التمس منها شربةً واحدة ، فأسقته وأسقت جماله .

الكتاب :

« فلما فرغت الجمال من شربها (أخذ الرجل خرصا من ذهب وزنه نصف مثقال وسوارين ليديها وزنهما عشرة مثاقيل ذهب) (سألها) وقال بنت من أنت أخبريني هل في بيت أبيك موضع نبيت فيه . فقالت له أنا ابنة بتوئيل ابن ملكة الذي ولدته لناحور . وقالت له عندنا كثير من التبن والعلف وموضع للمبيت أيضا . فخر الرجل وسجد للرب وقال تبارك الرب اله مولاي ابراهيم الذي لم ينزع رحمته ووفاءه عن مولاي وهداني في طريقي الى بيت أخي مولاي » (تك ٢٤/٢٢ أ ، ٢٣ — ٢٧) .

التفسير :

ها هنا يعلّمنا الكتاب أنه ، اذا نجح لنا أمر ، نسرع ونسجد ونشكر الربّ على هذا قبل كل عمل نعمله ، ونسبق نصلّي ونلتمس العون فيه . فاذا كمل العمل ، نشكر أيضاً على هذا .

---

(١) PROTEVANGILE DE JACQUES, XI, dans F. AMIOT, *La Bible Apocryphe. Evangiles Apocryphes*, Paris, 1952, p. 55.

الكتاب :

« فلما فرغت الجمال من شربها أخذ الرجل خرصا من ذهب وزنه نصف مثقال وسوارين ليديها وزنهما عشرة مثاقيل ذهب » (**تك ٢٢/٢٤ ب**) .

التفسير :

خرصا الذهب هما الكلمتان اللتان اسمعها جبرائيل لمريم العذراء في بدء بشارته : « **إفرحي يا ممتلئة نعمة الربّ معك ، مباركة أنتِ في النساء** » (لوقا ٢٨/١) . لأنه بالفرح عُتق جنسُ آدم من الحزن الدائم الذي حُكم به على حوّاء لمعصيتها ، اذ قيل لها : بالكثرة تكثر أحزانك . زال هذا الحزن بقوله : « افرحي » ؛ وبقوله : « مباركة أنت في النساء » . عتقها من اللعنة التي لعن الله جنسنا من المعصية بعد خرصَي الذهب . ذكر السوارَين اللذين وزنهما عشرة مثاقيل ، لانه ، بعد هاتين الكلمتين ، قال لها الكلمات العشر ، التي قد قدّمنا ذكرها : « لا تخافي يا مريم » وما يتلوها][1] .

الكتاب [2] :

« فأسرعت الفتاة وأخبرت بيت أمها بهذه الأمور . وكان لرفقة أخ اسمه لابان فأسرع لابان الى الرجل الى العين خارجا . وكان أنه إذ رأى الخرص والسوارين في يدي أخته وسمع كلام رفقة أخته قائلة كذا خاطبني الرجل صار اليه فإذا هو واقف مع الجمال عند العين . فقال ادخل يا مبارك الرب لماذا تقف خارجا فإني قد هيأت البيت وموضعا للجمال . وأدخل الرجل البيت وحل عن الجمال وطرح لها تبنا وعلفا وأعطاه ماء ليغسل رجليه وأرجل القوم الذين معه . ثم وضع الطعام بين يديه ليأكل فقال لا آكل حتى أتكلم بكلامي . فقال له تكلم . قال أنا عبد إبراهيم والرب قد بارك مولاي جدا فعظم ورزقه غنما وبقرا وفضة وذهبا وعبيدا وإماء وجمالا وحميراً . وولدت سارة امرأة مولاي ابنا لمولاي بعد أن شاخت فأعطاه جميع ما له . وقد استحلفني مولاي قائلا لا تأخذ لابني امرأة من بنات الكنعانيين الذين أنا مقيم بأرضهم بل الى بيت أبي والى عشيرتي تذهب وتأخذ امرأة لابني . فقلت لمولاي لعل المرأة لا تتبعني فقال لي إن الرب الذي سلكت امامه يرسل ملاكه معك وينجح طريقك فتأخذ امرأة لابني من عشيرتي ومن بيت أبي . حينئذ تبرأ من يميني إذا صرت الى عشيرتي وان هم لم يعطوك كنت بريئا من يميني . فجئت اليوم الى العين فقلت ايها الرب اله مولاي إبراهيم ان كنت تنجح طريقي الذي أنا سائر فيه فهاءنذا واقف على عين الماء فالبكر التي تخرج لتستقي فأقول لها اسقيني قليل ماء من جرتك فتقول لي اشرب وأنا أسقي لجمالك أيضا تكون هي المرأة التي عيّنها الرب لابن مولاي . وقبل أن أفرغ من الكلام في نفسي إذا برفقة خارجة وجرّتها على كتفها فنزلت الى العين واستقت . فقلت لها اسقيني فأسرعت وأنزلت جرتها وقالت اشرب وأنا أسقي جمالك أيضا . فشربت وسقت الجمال أيضاً . فسألتها وقلت بنت من أنت . فقالت بنت بتوئيل بن ناحور الذي ولدته له ملكة . فجعلت الخرص في أنفها والسوارين في يديها . وخررت وسجدت للرب وسبحت الرب إله مولاي إبراهيم الذي هداني طريقاً قويماً لآخذ ابنة أخي مولاي لابنه . والآن إن كنتم صانعين رحمة ووفاء الى مولاي فأعلموني بذلك والا فأعلموني حتى أتجه يمنة أو يسرة . فأجابه لابان وبتوئيل وقالا إنّ الأمر صادر من عند الرب فليس لنا أن نكلّمك فيه بشرّ أو خير . هذه رفقة أمامك خذها

---

(١) لا يُوجد هذا المقطع في هـ ، بل في ف (ورقة ٧٨ ب ، عمود ب — ورقة ٨٠ ، عمود أ) .

(٢) هنا يتابع نص هـ .

وامض فتكون امرأة لابن مولاك كما قال الرب . فلما سمع عبد ابراهيم كلامهم سجد للرب الى الأرض » (تك ٢٤/٢٨ — ٥٢) .

التفسير :

هكذا ينبغي لكل مؤمن بالربّ أن يشكر ويسجد له على كل ما ينجح فيه من أعماله وينسب الفضل والاحسان له وحده ، ومثل تأديب ابراهيم لغلامه هذا وتهذيبه في خوف الله حتى صار مثله هكذا . كذلك يجب على كلّ سيّد ووالد ورجل وامرأة ورفيق ومعلّم أن يعلّم كل من يرافقه ويقرب منه ويدنو اليه يهديه في خوف الله حتى يصير مثله .

الكتاب :

« وأخرج العبد آنية فضة وآنية ذهب وثيابا فدفعها الى رفقة وطرفا أتحف بها أخاها وأمها » (تك ٢٤/٥٣) .

التفسير :

هذه الفضة والذهب والثياب التي ذكر أنه أعطاها لها هي القول الذي قاله جبرائيل لمريم العذراء بعد العشر الكلمات المتقدّمة عند قولها له : **«كيف يكون لي هذا وأنا لم أعرف رجلاً »** (لوقا ١/٣٤) . قال لها : « **الروح القدس يحلّ عليك . وقوّة العليّ تظلّلك . من أجل هذا . المولودُ منك قدّوس . وابن العليّ يُدعى** » (لوقا ١/٣٥) . ذكر لها الثالوث هكذا وحقّق لها أن المولود منها هو أحد الثالوث المقدس ، وحقّق لها ان الروح القدس يحلّ عليك اولاً . لكي تتقدّس من دمها وتحمل جسم الله الكلمة الذي هو قوّة العليّ يتّحد به ، وذلك ان النطفة وحركة الشهوة الحيوانية ممتزجة مع دم الانسان .

فلمّا حلّ الروح القدس في العذراء ، جعل يطهّر دمها ويقدّسه من كل أوساخ الخطيئة الممتزجة به . وجعل دمها نقيّا مثل دم آدم قبل ان يخطأ . وكان الروح القدس يُرسل منه الى ناسوت الله الكلمة ما به ينمي وينشأ يوماً بيوم مدّة شهور الحبل . ولمّا ولدت العذراء ، كان الروح القدس (يفعل) هذا الفعل بعينه مدة أيام الرضاع : يقدّس ويطهّر لبنها الذي تُرضعه للجسد . ومن أجل هذا . قال الثلاث مائة والثمانية عشر (أباً)(١) : إنه تجسّد من الروح القدس ومن مريم العذراء . لكون الروح القدس هو الذي يُقدّسه ويُجريه الى الابن الوحيد من دم العذراء القدّيسة . ولذلك قال لها الملاك : « **إنّ المولود منك قدّوس** » (لوقا ١/٣٥) . يعني أنه طاهر ، نقيّ من عارض الخطيئة المختلطة مع طبيعتها ، لان الله الكلمة أخذ طبيعتنا كلّها خالصة نقيّة من كل وسخ وخطيئة ، كما خلقها في الفردوس في البداية .

ولذلك يسمّيه بولس الرسول : « **آدماً ثانياً وانساناً جديداً** » (١ كور ١٥/٤٥ ؛ افسس ٢/١٥ ؛ كولسي ٣/١٠) . ولذلك سُمّيَ المسيحَ لكون جسده مُسِحَ وقُدِّس بالروح القدس ، كالفصل الذي

(١) اشارة الى مجمع نيقيا المنعقد سنة ٣٢٥ .

قرأه من فه على اليهود في مجمعهم من نبوءَة اشعيا ، قال : « **روح الربّ عليّ . من أجل هذا مَسحني وأرسلني أُبشّر المساكين وأشفي منكسري القلوب وأُنادي للمسبيين بالعتق** » (أشعيا ١/٦١ ؛ لوقا ١٨/٤ — ١٩) . يعني المسبيين آدمَ وحوّاء اللذين سُبيا من الفردوس الى الجحيم ؛ عتقهما وردّهما وجميع جنسهما ، ليس الى الفردوس فقط ، بل والى ملكوت السماوات ومشاركة اللاهوت . وهذه هي الكرامات التي قال إنه اعطاها لابيها وأُمّها ، يعني آدم وحوّاء .

الكتاب :

« وأكلوا وشربوا هو والقوم الذين معه وباتوا ، ثم نهضوا صباحا فقال اصرفوني الى مولاي . فقال أخوها وأمها تلبث الفتاة عندنا أياما ولو عشرة وبعد ذلك تمضي . فقال لهم لا تؤخروني والرب قد أنجح طريقي . اصرفوني وأمضي الى مولاي . فقالوا ندعو الفتاة ونسألها ماذا تقول . فدعوا رفقة وقالوا لها هل تذهبين مع هذا الرجل . قالت أذهب » (تك ٥٤/٢٤ — ٥٨) .

التفسير :

هكذا قالت مريم للملاك : « **هوذا أنا عبدة الرب . فليكن لي مثل قولك** » (لوقا ٣٨/١) .

الكتاب :

« فصرفوا رفقة أختهم وحاضنتها وعبد إبراهيم ورجاله وباركوا رفقة وقالوا لها أنت أختنا كوني ألوف ربوات وليرث نسلك باب أعدائه » (**تك ٥٩/٢٤ — ٦٠**) .

التفسير :

هذه البركة هي التي باركها . بارك اللهُ بها على زرع إبراهيم حين أطاعه في ذبح اسحق . نطق بها من فم هؤلاء غير المؤمنين . تفسيرها في ذلك الموضع موجود في القراءة الثالثة والثلاثين . كيف يرث زرعُك مدن مُعانديه .

الكتاب :

« وقامت رفقة وجواريها فركبن الجمال ومضين مع الرجل وأخذ العبد رفقة ومضى . وكان إسحق راجعا من طريق بئر الحي الرآءي إذ كان مقيما بأرض الجنوب وقد خرج إسحق الى الصحراء للتأمل عند إقبال المساء . فرفع طرفه ونظر فإذا جمال مقبلة . ورفعت رفقة طرفها فرأت إسحق فنزلت عن الجمل . وقالت للعبد من هذا الرجل الماشي في الصحراء للقائنا . فقال العبد هو مولاي . فأخذت النّقاب واستترت به . ثم قصّ العبد على إسحق جميع الأمور التي صنعها . فأدخلها إسحق خباء سارة أمه وأخذ رفقة فصارت له زوجة وأحبها وتعزى إسحق عن أمه » (**تك ٦١/٢٤ — ٦٧**) .

التفسير :

دخول اسحق على رفقة في خباء سارة أُمّه بعد موتها ، وتعزيته بها عوض أمّه . اشارة الى دخول الحديثة موضع العتيقة بعد زوالها ، وهي الشريعة المحبوبة من الرب ، مثل قوله : إن اسحق أحبّ رفقة .

القراءة السادسة والثلاثون من سفر الخليقة (١)

الكتاب :

« وعاد إبراهيم فأخذ زوجة اسمها قطورة . فولدت له زمران ويُقشان ومدان ومدين ويشباق وشوحاً . وولد يُقشان شبا وددان . وبنو ددان أَشوريم ولطوشيم ولؤميم . وبنو مدين عيفة وعفر وحنوك وأبيداع والداعة . كل هؤلآء بنو قطورة » (تك ١/٢٥ — ٤) .

التفسير :

الكتاب يشهد أن الله لمّا قال لابراهيم قبل ميلاد إسحق : إن ساره امرأتك تلد منك ولداً . فكّر في نفسه وقال : من أين لي قوّة لولد وعمري مائة سنة . حينئذ جدّد الله قوّته حتى حبلت منه ساره وأقامت معه بعد ذلك سبعاً وثلاثين سنة . وبعد موتها . كانت قوّته باقية وتزوّج قطورة . لكي يعلم كلّ انسان أن الزواج لا عيب فيه ، بل العيب والهلاك على كل مَن يزني . فمَن كان لا يستطيع أن يصير للنسك فليتزوّج . فان التزويج مقدّس . والزنى والاحتراق بالشهوة نجس . ومصير فاعلها للنار المؤبّدة . وهذه الامرأة المسمّاة قطورة التي تزوّجها ابراهيم في آخر عمره . كانت اشارة على الأُمّة التي تسلّطت على الناس في آخر الزمان من نسل ابراهيم . وكما لا يظهر لهذه الأمّة ملاك من الله . ولا رسالة ولا ذكر ولا عناية . بل ملك دنيوي . وتسليط أرضي . اذ به ردّ من الله على الذين تهاونوا بوصايا الشريعة المسيحية من المؤمنين الذين افترقوا واختلفوا مع بعضهم البعض بمحارنة وإقامة هوى رئيس . ظالمين . طالبين مجد أنفسهم لا غير . وكما ان قطورة ولدت ستة بنين . كذلك يقال إن هذه الأمّة يكون تسليطها على الأرض ست مائة سنة .

وكذلك يقال عن قول الله عن اسماعيل . إنه يلد اثني عشر رئيساً . الاثنا عشر إشارة الى مدّة مقام هذه الدولة متسلّطة على الأرض ، يُقال إنها اثنا عشر اسبوعاً وسطاً ، لأن الأسبوعَ الصغير سبعة ، والكبير سبعون . والوسطَ سبعة أسابيع . وهي تسعة وأربعون . والتوراة تحسب الوسط أبداً خمسين . لأنها تضيف على التسعة والأربعين واحداً تجعله خمسين . والخمسون اثنا عشر مرّة تكون ستمائة . وهذه الأمّة قد ذكرها المسيح في انجيله اذ قال : « **ان ابن البشر زَرَعَ الزرعَ الصالحَ في العالم . الذين هم أولاد الملكوت** » (متى ٣٧/١٣ — ٣٨ و//) ، « **وعند نوم الناس ، أتى عدوّه فزرع زؤاناً في وسط القمح ومضى** » (متى ٢٥/١٣) ، وقال : « **إن العدوّ هو الشيطان** » (متى ٣٩/١٣) . قال : إنه زرع بني

(١) في المخطوطات هـ و ف و م وفي مخطوط الشرفة . لا ذكر ليوم تقرأ فيه هذه القراءة .

الشرير في وسط بني الملكوت عند نوم الناس ، يعني عند غفلة المؤمنين عن وصايا المسيح المفروضة عليهم ؛ وقد قال : ان هذا الزؤان يكون مع الحنطة الى الانقضاء . فإن كان سلطانهم يزول عند تمام التسعمائة سنة ، يبقون هم مع المؤمنين بغير سلطان ، فيمكن ذلك .

الكتاب :

« وأعطى إبراهيم جميع ما له لإسحق . ولبني السّراريّ التي لإبراهيم وهب إبراهيم هبات وصرفهم عن إسحق ابنه في حياته شرقاً إلى أرض المشرق » (تك ٢٥/٥ — ٦) .

التفسير :

عادَلَ وساوى قطورة بهاجر ، ودعا الاثنتين عبدتَين . وطرد بنيهما عن اسحق . هذا فَعَلَهُ ، لأن الزمان الذي تظهر فيه الأُمّة الأخيرة التي تُشبه قطورة ، يكون شبيهاً بأُمّة اليهود التي شُبِّهت بهاجر ، وتكون هاتان الأمّتان متساويتين في البعد والتنحّي عن الميراث الحقيقي الذي للمسيح ابن اسحق ابن ابراهيم ، الوارث بوعد الله ، لأنه قال : إن اسحق أخذ جميع مال إبراهيم . هذا كلّه نالته الشريعة المسيحية الوسطى التي اسحق مثال لها . والأولى والأخيرة اللتان اسماهما عبدتين ، وطرد بنيهما عن اسحق ، ذكر أنه دفع لهما كرامات ، يعني عطايا دنيوية لا غير .

الكتاب :

« وهذه أيام سني حياة إبراهيم التي عاشها مئة سنة وخمس وسبعون سنة . ثم فاضت روح ابراهيم ومات بشيبة صالحة شيخاً قد شبع من الحياة وانضم الى قومه . فدفنه إسحق واسمعيل ابناه في مغارة المكفيلة في حقل عفرون بن صوعر الحثّي الذي تجاه ممرا في الحقل الذي اشتراه إبراهيم من بني حثّ . هناك قبر إبراهيم وامرأته سارة » (تك ٢٥/٧ — ١٠) .

التفسير :

ذكر أن ابراهيم ، عند موته ، دفنه ابناه اسحق واسمعيل اللذان هما مثل الشريعتين ، شريعة الانجيل وشريعة التوراة . وبنو قطورة لم يذكرهم ، كما قد تقدّم القول . ان الكتاب لم يعد قط يذكرهم ، ولا يصف لهم فضيلة ، الذين هم الأمّة الأخيرة .

الكتاب :

« وكان بعد موت إبراهيم أن الله بارك إسحق ابنه وأقام إسحق عند بئر الحيّ الرّآءِيّ » (تك ٢٥/١١) .

التفسير :

لمّا ذكر أن اسحق واسمعيل دفنا ابراهيم ، ذكر لوقته اسحق أنه الذي ورث البركة موضع أبيه ، وانه سكن في الموضع الذي أسكن اللهُ أباه موعوداً بالوراثة .

الكتاب :

« وهذه مواليد إسمعيل ابن إبراسيم الذي ولدته هاجر المصرية أمة سارة لإبراهيم . هذه أسماء بني إسمعيل بحسب أسمائهم ومواليدهم . نبايوت بكر إسمعيل وقيدار وأدبئيل ومبسام ومشماع ودومة ومسّا وحدار وتيما ويطور ونافيش وقدمة . هؤلآء بنو إسمعيل وهذه أسمآؤهم بحسب أحوينهم وحظائرهم اثنا عشر زعيماً لقبائلهم . وهذه سنو حياة إسمعيل مئة سنة وسبع وثلاثون سنة ثم توفي وانضم الى قومه . وكانت مساكنهم من حويلة الى شور التي تجاه مصر وأنت آت نحو أشور قبالة جميع إخوته نزل » (تلك ١٢/٢٥ — ١٨) .

التفسير :

لمّا كان اسمعيلُ ممثَّلاً بالشريعة العتيقة واسحٰق ممثَّلاً بالشريعة الحديثة ، ذكر تأليد اسمعيل قبل أن يذكر تأليد اسحٰق ، لكون الشريعة العتيقة سبقت الشريعة الحديثة . وذكر أنه ابن هاجر المصرية ، لكون بني اسرائيل أصحاب الشريعة العتيقة ، من مصر خرجوا ، على يد موسى معطي لهم الشريعة . وقوله إن عبدة ساره الحرّة ، لكون شريعة التوراة كلُ أمورها جسدية ، وبالخوف والقهر تكمل . وليس بالحبّ والحريّة مثل شريعة الانجيل . وذكر أن اسمعيل ولد اثني عشر رئيساً ، شبه الآباء الرؤساء الاثني عشر بني يعقوب اسرائيل ، أصحاب الشريعة العتيقة . وذكر هؤلآء الاثني عشر بأسمائهم الذين لاسمعيل ، دليلاً على تمام الوعد الذي وُعِدَت به أمّه : إن ابنكِ يلد اثني عشر رئيساً ، تمام الوعد .

القراءة السابعة والثلاثون من سفر الكون (١)

الكتاب :

« وهذه مواليد إسحق بن إبراهيم . إبراهيم ولد إسحق . وكان إسحق ابن أربعين سنة حين تزوج برفقة بنت بتوئيل الأرامي من فدان أرام أخت لابان الأرامي . ثم دعا إسحق الى الرب لأجل امرأته إذ كانت عاقراً فاستجابه الرب وحملت رفقة امرأته . وازدحم الولدان في جوفها فقالت إن كان الأمر هكذا فما لي والحمل ومضت لتسأل الرب . فقال لها الرب إن في جوفك أمتين ومن أحشائك يتفرع شعبان شعب يقوى على شعب وكبير يستعبد لصغير » (تك ٢٥/١٩ — ٢٣) .

التفسير :

بكل حرص يشاء الربّ أن يُوضح للمؤمنين أن التأليد الجسدي ليس هو شيئا ، وأن قوله لإبراهيم : وَلَدُكَ وارث . لم يعنِ من هو ولده بالجسد ، بل مَن هو ولده بالامانة والطاعة مثله ، وذلك أن إبراهيم ولد اولاداً كثيرين ، وقال الله له : إنه باسحق خاصة يُدعى لك الزرع . وعلم الربّ أن اليهود أيضا سيقولون إن قول الله : باسحق يُدعى لك الزرع ، أراد به من يولد من اسحق ؛ ولم يكن مراد الله هكذا ، بل أراد به من يؤمن ويطيع مثل اسحق . ولذلك جعل اسحق يلد ولدين في دفعة واحدة ، وأكبرهم سقط ولم يُحسب زرعاً ، لكونه لم يُشبه أباه في الامانة والطاعة .

وما هي طاعة اسحق التي يجب التشبّه بها ليصير الانسانُ زرع ابراهيم مثله ؟ هي هذه : إن ابراهيم . عندما رام ذبحه . كان غلاماً تامّا في القوّة ، أقوى من أبيه الشيخ الكبير . لأنّ من عمرُه ثلاثون سنة أقوى ممن عمره مائة وثلاثون سنة . فلو أراد أن يمانع أباه . لما أمكنه (ابراهيم) ذبحه (اسحق) ؛ ولكنّه صبر لذلك طاعة لله . وكذلك من يُسلم نفسه لطاعة أبيه الروحاني في الله ، ويحتمل كل الآم التوبة التي يحمّله اياها من أجل الله ، فهو يصير ، مثل اسحق ، ابناً حقيقياً لابراهيم ، وليس ابن ابراهيم فقط يصير بهذه الطاعة بل وابن الله ، لان الطاعة التي أطاعها اسحق لأبيه في الذبح ، فعلها المسيحُ ابنُ الله الوحيد ، وأطاع بها اللهَ اباه الى الموت ، وهرق الدم على الصليب من أجل خلاصنا ، ورسم لنا طاعة هكذا ، لكي بها نصير بنينَ لله وله اخوة ، وذلك أنه أمرنا ان يتلمَذ كلُّ واحد منا لأب في الله ، نطيعه في كل ما يأمر به طاعة الى الموت . وهذا قوله لتلاميذه : « **تلمذوا كل الامم ، وعلّموهم حفظ كل ما أوصيتكم به** » (متى ٢٨/١٩ — ٢٠ و//) .

---

(١) في المخطوطات هـ و ف و م وفي مخطوط الشرفة ، لا ذكر ليوم تقرأ فيه هذه القراءة .

فمن تتلمذ لكم هكذا فهو ابنٌ حقيقيّ لابراهيم ولله وأخٌ لإسحق وللمسيح . وبهذا صارت جميع الامم بنين لابراهيم ، وكثر زرعُه مثل نجوم السماء ومثل رمل البحر كالوعد الصادق . ومن تعظَّم عن هذه التلمذة من بني المعمودية ، سقط من بنوَّة ابراهيم كسقوط عيسو من بنوَّة اسحق . قالَ الله لرفقة أمِّ الولدين : في بطنكِ أمَّتان وشعبان يرفع الواحدة على الاخرى . والكبيرُ يتعبّد للصغير ؛ يعني أن الذي يرتفع من بني المعمودية الواحدة ، ولا يتّضع اتّضاعَ التلميذ ، هو ينتقص من مجده ؛ ويكون عبداً وليس ابنا . هكذا قال الربّ : « **إن الذي يرفع نفسه يتَّضع ، والذي يضع نفسه يرتفع** » (متى ١٢/٢٣ و//) . يعني انه ، باتّضاعه وتتلمذه ، يشارك المسيح في بنوَّة الله والميراث المؤبد الالهي .

الكتاب :

« **فلما كملت أيام حملها إذا في جوفها توأمان . فخرج الأول أكلف اللون كله كفروة شعر فسموه عيسو . ثم خرج أخوه ويده قابضة على عقب عيسو فدعي يعقوب** » (**تك ٢٤/٢٥ — ٢٦ أ**) .

التفسير :

وكان الولدان في بطن واحد . خرج أحدهما الى النور والآخر ماسكٌ عقبه ، وماسكُ العقبِ هو الذي اختاره الله . كذلك الله فضَّل التلميذ الذي يتعلّق بأخيه ، ويُتلمَذُ له من أجل الله . لكي يخرج الى النور معه ، ولا يدعه يخرج ويتركه ، بل يتبعه بالطاعة حتى يخرج معه . بالحقيقة هو يعقوب الذي مسك عقب أخيه واستحقَّ هذا الاسم بالتتلمذ . والانجيلُ المقدس يشهد أن المسيح ملَّكه على هذا وليس على غيره ، لانه يقول : « **إنه يملك على بيت يعقوب الى الأبد ، ولا يكون لملكه انقضاء** » (لوقا ٣٢/١ — ٣٣) . فمن لا يكون تلميذاً طائعاً لمعلّم من أجل الله كلَّ حين ، فليس هو يعقوب ولا المسيحُ له ملك ، ولا هو لمُلكِهِ وارث .

الكتاب :

« **وكان إسحق ابن ستّين سنة حين ولدا** » (**تك ٢٦/٢٥ ب**) .

التفسير :

تزوّج وهو ابنُ أربعين سنة ، وأقام عشرين سنة يصلّي ويسأل من الله عن حَبَل امرأته . والله هكذا أطال روحه عليه هذه المدّة العظيمة لكي نتعلّم نحن أن نصلّي بلا ملل ، ونطلب من الله بلا فتور ولا ضجر ، اذا هو أبطأ قضاءَ حاجتنا ، ولا نشكّ ونبطل الطلب ، بل ندوم في التضرّع والطلب بأمانة ورجاء . ساره ورفقة كانتا عاقرتين ، وبعد مدّة طويلة ، بقوّة الله اثمرتا . كذلك لا يجب أن تيأس النفس العاقرة من اثمار الروح ، بل تُديم الطلب والتضرّع ، مؤمنة ومُترجّية أنها ستثمر أثمار الروح التي هي الفرح والمحبة .

الكتاب :

« وكبر الغلامان فكان عيسو رجلا عارفاً بالصيد رجلا بريا ويعقوب رجلا سليما مقيما بالخيام . فأحب إسحق عيسو لأنه كان يأكل من صيده ورفقة أحبت يعقوب . وطبخ يعقوب طبيخا وقدم عيسو من الصحراء وهو قد أعيا فقال عيسو ليعقوب أطعمني من هذا الأحمر فإني قد أعييت . ولذلك قيل له أ، فقال يعقوب بعني اليوم بكريتك . فقال عيسو إنما أنا صائر إلى الموت فما لي والبكرية . فقال يعقوب احلف لي اليوم فحلف له وباع بكريته ليعقوب . فأعطى يعقوب لعيسو خبزاً وطبيخاً من العدس فأكل وشرب وقام ومضى واستخفّ عيسو بالبكرية » (تك ٢٧/٢٥ — ٣٤) .

التفسير :

الرسول بولس يقول : « **إن عيسو باع بكريّته من أجل أكلة واحدة وأسخط الله** » (عبرانيين ١٦/١٢) . ولذلك حين التمس البركة لم يستحقّها ، والكتاب هكذا عاقبه ، لانه قال : إنه أخذ صحفة عَدَس ، أكل وشرب وازدرى في بكريّته ، يعني أنه باعها بما لا قيمة له . يريدنا الربّ أن نكون صبورين على ألم الجوع ولا نكون[1] بسبب ألمه تعمى عقولنا ونخالف وصيّة من وصايا الله .

الكتاب :

« وكان في الأرض جوع غير الجوع الاول الذي كان في أيام إبراهيم فمضى إسحق الى أبيملك ملك فلسطين في جرار . فتجلى له الرب وقال لا تنزل الى مصر بل أقم بالأرض التي أعينها لك . أنزل هذه الأرض وأنا أكون معك وأباركك لأني لك ولنسلك سأعطي جميع هذه البلاد وأفي بالقسم الذي أقسمته لابراهيم أبيك وأكثر نسلك كنجوم السماء وأعطيهم جميع هذه البلاد ويتبارك في نسلك جميع أمم الأرض . من أجل أن إبراهيم سمع قولي وحفظ أوامري ووصاياي ورسومي وشرائعي . فأقام إسحق بجرار . وسأله أهل الموضع عن امرأته فقال هي أختي لأنه خاف أن يقول امرأتي قال لئلا يقتلني أهل المكان بسبب رفقة لأنها كانت جميلة المنظر . وكان لمّا طالت أيام مقامه أن أبيملك ملك فلسطين اطلع من طاق له ونظر فإذا إسحق يلاعب رفقة امرأته . فدعا أبيملك إسحق وقال إنما هي امرأتك فلم قلت إنها أختي . فقال إسحق لأني قلت لعلي أهلك بسببها . فقال أبيملك ماذا صنعت بنا لولا قليل لضاجع أحد قومنا امرأتك فجلبت علينا إثماً . وأمر أبيملك جميع القوم قائلا من مس هذا الرجل أو امرأته يقتل قتلاً » (تك ١/٢٦ — ١١) .

التفسير :

التجاريب التي جرت على إبراهيم من جوع البلاد وارتحاله منها بسبب الجوع وتغريبه من أجل ذلك وخوفهِ أن يُقْتَل بسبب زوجته وانكاره لها وتسميتها أُخته وكون عظم الخوف من الموت حمله على الرضى بأخذها معه ولا يقتل هو بسببها ، كل هذه التجاريب التي صبر عليها ابراهيم ، صبر اسحق ابنه على مثلها ، لكي نعلم أن من أراد أن يكون ابنا لابراهيم ، يجب عليه أن يصبر كصبره على كلّ تجربة جُرِّبَ

---

(١) هنا ينتهي . بطريقة مفاجئة . شرح سفر التكوين في هـ (ورقة ٢٠٣ ب ، عمود ب) ؛ وما تبقّى نأخذه من المخطوط الفاتيكاني ف ، ولن نضع بين هلالين نصوصاً ، باعتبار انها جميعها مأخوذة من ف ، ابتداء من الورقة ٨٤ أ ، عمود أ .

بها ، ويكون بامانة ثابتة يرجو الخلاص من ذلك ، ويتعلّم من ابراهيم واسحق أن يُخفي فضائله ولا ينسبها الى نفسه ولا يمتدح بها ، لئلا يموت بسببها ، كما قد كان ابراهيم واسحق يُنكران زوجاتهما خوفاً من الموت .

الكتاب :

« وزرع إسحق في تلك الأرض فأصاب في تلك السنة مئة ضعف . وباركه الرب وعظم شأن الرجل وكان يزيد عظمة الى أن صار عظيماً جداً وصارت له ماشية غنم وماشية بقر وعبيد كثيرون فحسده الفلسطينيون . وجميع الآبار التي حفرها عبيد أبيه في أيام إبراهيم أبيه ردمها الفلسطينيون وملؤوها تراباً » (تك ١٢/٢٦ — ١٥) .

التفسير :

إن الذي يصبر على التجاريب ويدوم في الأمانة والرجاء محتملاً الغربةَ من أجل الرب والتشتّتَ من أجل طاعته ، وهو يخفي فضائله ، ملتمساً مجد الله ومدحته وحده لا مدحة الناس ، فزرعه هذا ، وان كان قليلاً ، فانه ينمو ويكثر ويُبارَك من الله جدّاً جداً . ويُنميه الربُّ في الأعمال الصالحة ، ويُكثر فيه خوفه ومحبته ، ويملأه من مواهبه حتى يعتزَّ على الشيطان . وأما الآبار التي حُفرت في أيام ابراهيم وسدّها الفلسطينيون بحسدهم ، فهي أوامر التوراة القائلة : « **لا تقتل** » (خروج ١٣/٢٠) . « **لا تسرق** » (خروج ١٥/٢٠) . « **لا تشهد بالزور** » (خروج ١٦/٢٠) . وما أشبه هذه من ترك الشرّ ، التي قد حفظتها وأعلمت بها قوماً من الناس في الشريعة العتيقة . فان الشياطين ، لكثرة غيرتهم وحسدهم للمسيحيين ، يجعلونهم لا يحفظون ولا هذه التي قد حفظت في العتيقة . قال : إنهم سدّوا الآبار التي كانت حُفرت في أيام ابراهيم .

الكتاب :

« وقال أبيملك لإسحق اخرج من عندنا لأنك قد أصبحت أقوى منّا جداً . فمضى إسحق من هناك ونزل وادي جرار وأقام هناك . ثم عاد إسحق فحفر آبار المآء التي كانت حفرت في أيام إبراهيم أبيه وردمها الفلسطينيون بعد موت أبيه ودعاها بالأسمآء التي كان دعاها بها أبوه » (تك ١٦/٢٦ — ١٨) .

التفسير :

النفوس التي كان الله الآب خلقها كصورته ومثاله ، وتركها في الفردوس ، وأفسدتها الشياطين بالمعصية وملأتها خطيئة ، فلمّا جاء المسيح ابن الله ، نقّاها من الخطيئة ، وجدّدها بروح قدسه ، وردّها الى أحسن من تجديدها الأول ، اذ جعلها مسكناً له تنبع منها وصاياه وتعاليمه وأثمار الروح التي هي المحبة والفرح والصلح وباقي الأثمار .

الكتاب :

« وحفر عبيد إسحق في الوادي فوجدوا هناك بئر مآء معين . فاختصم رعاة جرار مع رعاة إسحق قائلين هذا المآء

لنا . فسمّي البئر النزاع لأنهم تنازعوا عليها . ثم حفروا بئراً أخرى فاختصموا عليها أيضاً فسمّاها العداوة . ثم انتقل من هناك وحفر بئراً أخرى فلم يختصموا عليها فسمّاها الرّحبة وقال الآن قد رحّب الربّ لنا وأنمانا في الأرض » (تك ١٩/٢٦ — ٢٢) .

التفسير :

البئرُ الأولى التي خاصموهم عليها وأسموها الجَوْر هي العمل الجسدي الذي يرضي الانسانُ به الله ، من صوم وسجود وخدمة المحتاجين وحفظ الحواسّ وحفظ اللسان وحفظ عضو الشهوة . هٰذه التي تخاصم الشياطين ويمنعونا من عملها ، ونحن بالجَور والكلفة والغضب ، ينجدنا المسيح ونغصب أنفسنا على عملها .

والبئر الثانية التي تحاكموا عليها وأسموها العداوة هي حفظ قلوبنا من داخل من كل الأفكار المؤذية المعادية للصلاح ، مثل الغضب والشهوة والعظمة والسبح الباطل ، والحقد والغش ومحبة الفضّة ، وما أشبه هٰذه التي ، بالحرب والجهاد وعظم اليقظة ، ننقّي قلوبنا منها ، منتصرين عليها باسم الربّ يسوع المسيح .

والبئر الثالثة التي أسموها ذات السَعة ، لكونهم لم يتخاصموا عليها ، هي ، اذا نظر المسيح الى جهادنا في حفظ الجسد والنفس من كل زلّة ، كما تقدّم القول ، اللذين هما البئران ، الجور والعداوة ، وأنعم علينا بروح قدسه بالكمال ، وطرد منّا كل الشياطين الذين يخاصموننا ويعادوننا ، وأبطل منّا كل حرب ، حينئذ نصير في سَعة ونقول إن الله قد أوسع لنا وأنمانا على الأرض . وفي ذٰلك الوقت ، تَتِمُّ نبوءة أشعيا النبيّ : « **إن الحرب والسلاح يبطلان** » (اشعيا ٢/٤) ، ونبوءة داود : « **إن كثرة السلام تكثر في أيامه** » (مزمور ٧١/٧) . ومن النفس التي هي بيتُ الله ، يخرج ماء الحياة الذي هو الروح القدس النابع منها ، يندفق تعاليمَ مخلصة وأنهارَ أقاويل محيية .

الكتاب :

« ثم شخص من هناك الى بئر سبع فتجلّى له الربّ في تلك الليلة وقال أنا إله إبراهيم أبيك لا تخف فإني معك أباركك وأكثر نسلك من أجل عبدي إبراهيم . فبنى هناك مذبحاً ودعا باسم الربّ وضرب ثم خباءه . وحفر هناك عبيد إسحق بئراً . فذهب إليه من جرار أبيملك وأحزات من أصحابه وفيكول قائد جيشه . فقال لهم إسحق ما بالكم أتيتم إليّ وأنتم أبغضتموني وصرفتموني من عندكم . فقالوا إنا قد رأينا أن الربّ معك فقلنا ليكن الآن حلف بيننا وبينك ونبتّ معك عهداً ألاّ تصنع بنا سوءاً كما لم نؤذك وكما صنعنا إليك خيراً محضاً وصرفناك بسلام . أنت الآن مبارك الربّ . فصنع لهم مأدبة فأكلوا وشربوا وبكّروا غدوة فحلف كل منهم لصاحبه وصرفهم إسحق فمضوا من عنده بسلام . وكان في ذلك اليوم أن عبيد إسحق جاءوا فأخبروه بأمر البئر التي حفروا وقالوا له قد وجدنا ماء فدعاها الشّبع ولذلك اسم المدينة بئر سبع إلى هذا اليوم » (تك ٢٣/٢٦ — ٣٣) .

التفسير :

النفس التي تمتلئ من الروح القدس هي التي تستحقّ ظهورَ الله لها وكلامَه معها ، كما كلّم اسحٰق . وحينئذ لا يبقى لها وجعٌ يعاديها ، ولا شيطانٌ يعاندها ، ولا جسدٌ يضاضدها ، بل تصطلح النفس والجسد ويكون الهدوء دائماً فيها ، لأن الروحَ القدس . بسكناه في الانسان ، يطرد منه كلَّ عداوة ، ويُصيِّر أوجاعَ الجسد المضادة للعقل مصطلحة معه ، وليس يضاضده بَعْدُ الغضبُ من الشهوة ولا السُبْحُ الباطل ، كما قد صار أبيملك ونديمُه ورئيسُ جيشه غيرَ مضاضدين لاسحٰق .

الكتاب :

« ولمّا صار عيسو ابن أربعين سنة اتّخذ يهوديت بنت بئيري الحثّي وبسمة بنت أيلون الحثّي امرأتين له فكانتا مرارة نفس لإسحق ورفقة » (تك ٢٦/٣٤ — ٣٥) .

التفسير :

كما أن الله يقصد تجربةَ اصفيائه وحزنَهم في هذا العالم ، لكيلا يُحرموا في ذلك العالم الملكوتَ ، فلذٰلك فَسَّحَ أن ينال اسحٰقُ ورفقة الحزنَ والاغتمام من زوجات عيسو . وذٰلك ان عيسو لم يتدبّر برأي والدَيه ، بل برأي نفسه ، لأنه تزوّج من الأمم الغريبة ، سكّانِ أرض كنعان ، الذين لم يَرْضَ ابراهيم أن يتزوّج اسحق منهم . فلذٰلك غلب خصوم والدَيه . وهكذا الذي يترك الأفكارَ الصالحة ، والتدبيرَ برأي روح المسيح الساكنِ فيه منذ معموديته ، ويطيع الأرواح النجسة ويقبل أفكارها ، فتلك الأفكار تكون تشاقق وتُحزن روحَ المسيح الساكن فيه . وبذٰلك يُحْرَمُ البركة والنعمة كما حُرم عيسو منها .

الاسبوع السادس
من
الصوم الكبير

القراءة الثامنة والثلاثون (من سفر التكوين)

تقرأ يوم الاثنين الجمعة السادسة من الصوم الكبير

الكتاب :

« وحدث لمّا شاخ إسحق وكلّت عيناه عن النظر أنه دعا عيسو ابنه الأكبر وقال له يا بنيّ . قال لبّيك . فقال هاءنذا قد شخت ولا أعلم يوم موتي . والآن خذ أداتك وجعبتك وقوسك واخرج الى الصحراء وصد لي صيداً وأصلحه لي ألواناً كما أحب وائتني به فآكل لكي تباركك نفسي قبل أن أموت » (تك ٢٧/١ — ٤) .

التفسير :

روح المسيح هكذا يلتمس منّا أن نأخذ سلاحنا وقوسنا التي هي وصاياه ، ونتمسّك بها ونقاتل بها أعداءه الساكنين في أجسادنا . ونصنع له طعاماً ، أعني عملاً يُرضيه ويُسرّه ، وهو حُبُّ بعضنا لبعض من أجله خاصة ومن أجل محبته . ولا يكون حبّنا من أجل فائدة أرضية ولا من أجل مجد باطل ، ولا من أجل قرابة جسمانية ، بل من أجل محبته نحبّ بعضنا بعضاً ونحسن اليهم ، ولو كانوا يبغضوننا جداً ويقسّون علينا . فإنّا ، اذا فعلنا هذا الفعل الذي هو أحبّه ، استحققنا منه البركة .

الكتاب :

« وكانت رفقة سامعة حين كلّم إسحق عيسو ابنه . فمضى عيسو الى الصحراء ليصيد صيداً ويأتي به . فكلّمت رفقة يعقوب ابنها قائلة إني قد سمعت أباك يُكلّم عيسو أخاك قائلاً ائتني بصيد وأصلح لي ألواناً فآكل منها وأباركك أمام الربّ قبل موتي . والآن يا بني اسمع لقولي في ما آمرك به . امض الى الغنم وخذ لي من ثم جديين من المعز جيّدين فأصلحهما ألواناً لأبيك كما يحب . فتحضرها إلى أبيك ويأكل لكي يباركك قبل موته » (تك ٢٧/٥ — ١٠) .

التفسير :

الاثنان وَلَدا بطنها ، بأي نوع كانت تشتهي الخير والبركة لأحدهما دون الآخر ، وذلك من أجل ما نالها من الأحزان من النساء الغريبات اللواتي تزوّجهنّ عيسو . كذلك مَن يُحزن روحَ المسيح الساكن فيه بالأفكار التي تضادّه ، يكون غيرَ محبوب من روح المسيح . كما قال المسيح : « **إن الذي يحبّني ويحفظ وصاياي ، أبي يحبّه وأنا أحبّه** » (يوحنا ١٤/٢١) . فهو يحبّ من يحبّه ، كما كانت رفقة تحبّ يعقوب محبّة ، لكونه لم يغضبها وليس لها مَن يحزنها . ومَن كان هكذا ، لا يُغضب اللهَ ولا يُحزن روح المسيح ، فهو يهديه ويعلّمه الأعمال التي بها يأخذ البركة من المسيح .

الكتاب :

« فقال يعقوب لرفقة أمّه إن عيسو أخي رجل أشعر وأنا رجل أملس فلعل أبي يجسني فأكون عنده كالساخر منه وأجلب على نفسي لعنة لا بركة . قالت أمه عليَّ لعنتك يا بني إنّما اسمع لقولي وامض وخذ لي ذلك » (تك ١١/٢٧ — ١٣) [1] .

التفسير :

من كثرة محبة والدته له ، لكونه لم يُغضب قلبها مثل أخيه ، رضيت أن تحتمل لعنة ذلك عليها . وإنها نشّطته بكل وجه ليأخذ البركة . هكذا روح المسيح ، والدة المتعمدين ، تحبّ حبًّا هكذا من لا يُغضبها ولا يُحزنها بقبوله فكراً يضادّها . وتسبّب له كلَّ شيء يأخذ به البركة ، وتحرّكه وتنشّطه الى ذلك . عيسو أحزن والدته بامرأتين غريبتين ؛ والمُغضب يُحزن روحَ المسيح بفكر العظمة والبغضة ، لأن هذين الفكرَين يضادان جدّاً روحَ المسيح ، بينما الاتضاع والمحبة يوافقان جدّاً روح المسيح .

ولذلك قال الكتاب : إن رفقة كانت تحبّ ابنها الصغير ؛ وفي زمن حَبَلها ، قال الله لها : في بطنك اثنان . والكبير يكون عبداً للصغير . حقّقوا لنا بهذا أن الذي يُولَد بالماء والروح ميلاداً واحداً ، ويكون أحدُهما برأي نفسه صغيراً . والآخر برأي نفسه كبيراً . فذلك الصغير يجعله الربّ سيّداً لذلك الكبير في ملكوته ؛ لأنه قال في انجيله المقدس : « **الصغير فيكم والخادم لكم هذا هو الكبير في ملكوتي** » (متى ٤/١٨) ؛ يعني الذي نفسُه عنده صغيرة ، وبهدوء الفكر يتتلمذ لغيره ويخدم غيره ، ويتبارك من غيره ويستفهم من غيره ، ويرى أبداً انه محتاج لفهم غيره ، لكون فهمه عنده ناقص ، ورأيه عنده غير فهيم ؛ هذا الى أبد الأبدين أخْيَرُ من غيره ، لكونه يتّضع وابداً لا يبغض مَن يقسو عليه ، بل يغفر له ويحبّه . ويرى ذلك فريضة ينال بها الغفران هو أيضاً مِن الذي قال : « **إن غفرتم غَفرتُ لكم ، واذا لم تغفروا لا أغفرُ لكم** » (متى ١٤/١٦ — ١٥) .

الكتاب :

« فدخل على أبيه وقال : يا أبت » (تك ١٨/٢٧ أ) .

التفسير :

جَـدْيَين التمست الوالدةُ من ولدها ، تعمل منهما اللون الطيّب الطعم ، كما كان يحبّ أبوه . وكذلك روح المسيح تلتمس منا المحبّة والاتّضاع نُرضي بهما المسيح الهنا ، لأن الاتضاع به يرفعنا روح المسيح الى القوّة على كل عمل صالح مثل قوله : « **من اتّضع ارتفع** » (متى ١٢/٢٣ و//) ، والمحبّة بها يحفظنا بعد ارتفاعنا أن لا نعود نسقط ، لأنه قال [2] : « **ان المحبة لا تسقط أبداً** » (١ كور ٨/١٣) . وتلاميذ

(١) ناقص تك ١٤/٢٧ — ١٧ .

(٢) ان هذا القول لبولس لا للسيد المسيح .

المسيح الذين كانوا أميين وغير كهنة في بني اسرائيل ، باتّضاعهم وطاعتهم للمسيح ، ألبستهم نعمةُ المسيح لباسَ الكهنوت الذي لم يكن لهم بل لبني هارون فقط . أُخذتْ لباس بني هارون وأُلبستهم اياه ؛ والبركةَ التي للكهنوت أُعطتهم ونعمةَ النبوءة ، وبها سترتهم . وبنو هارون الذين لهم كان ذٰلك ، انتُزع منهم من أجل عظمتهم وبغضتهم . لأنهم تعظّموا على المسيح وعلى تلاميذه وبغضوهم .

وبهاتين الزلّتين كرهتهم روح المسيح . والبركة التي لهم انتزعتها منهم ، وأعطتها لتلاميذ المسيح ، وصيّرتهم كهنة ورؤساء كهنة في كنيسة المسيح . ويعقوب لبس خلعةَ عيسو وجلداً ليس هو جلده ، وتشكّل فيه بشكلٍ ليس هو شكله ، حتى أُخذ بركة عيسو . والمسيح ، لمّا اراد أن يأخذ جنس آدم من يد الشيطان . تجسّد وصار انساناً ، ولبس ناسوتاً لم يكن له ، وظهر في اتّضاع غريب من عظمته . والتدبير الذي فعله عدوّنا حتى يُهلكنا ، فعله هو حتى خلّصنا . ذاك في الحيّة استتر عن أبينا وأمّنا حتى قتلنا ، والله الكلمةُ استتر عنّا في ناسوتنا حتى قلعنا منه وأحيانا .

الكتاب :

« قال هاءنذا من أنت يا بني . فقال يعقوب لأبيه أنا عيسو بكرك قد صنعت كما أمرتني . قُم فاجلس وكُل من صيدي لكي تباركني نفسك . فقال إسحق لابنه ما أسرع ما أصبت يا بني . قال إن الرب إلهك قد يسّر لي . فقال إسحق ليعقوب تقدّم حتى أجسّك يا بني ها أنت ابني عيسو أم لا . فتقدّم يعقوب إلى إسحق أبيه فجسه وقال الصوت صوت يعقوب ولكن اليدين يدا عيسو ولم يثبته لأن يديه كانتا مشعرتين كيدي عيسو » (تك ١٨/٢٧ ب — ٢٣ أ) .

التفسير :

الله الذي يؤدّب أحباءَه (أمثال ٢٤/١٣) ويُحزنهم في هٰذا العالم لكيلا يحزنوا في ذلك العالم ، أبلى إسحق بالعَمى وأَحزنه بذٰلك سنين طويلة ، ولذٰلك لم يعرف يعقوب ؛ لكن جلد المعز جعل يديه شعراويتين : قال : الصوت صوت يعقوب واليدان يدا عيسو . هٰكذا إلٰهنا المسيح ، لمّا تجسّد وظهر لخلاصنا . كان جسمُه جسم إنسان حقيقي وقوّته قوّةَ إلٰه حقيقي .

الكتاب :

« فباركه . وقال هل أنت ابني عيسو قال أنا هو . فقال قدّم لي حتى آكل من صيد ابني لكي تباركك نفسي » (تك ٢٣/٢٧ ب — ٢٥ أ) .

التفسير :

حقّق الكتاب ها هنا أن الذي يطعم واحداً من خاصّة المسيح . كاهناً أو ناسكاً أو مسكيناً ، يسقيه وينيّحه بأيّ نياح كان ، حتى يدعو له ذٰلك ، فان دعوته في تلك الساعة تقبل فيه . وهٰذا قاله الكتاب لكي يعلّمنا ان نلتمس الدعاء الصالح هٰكذا ، ونقدّم نياحاً لمن نلتمس ذٰلك منه . وبهذا الفعل ، نربح البركة كل حين ، لأن هٰذا الفعل هو أمانة ومحبة .

الكتاب :

« فقدّم له فأكل وأتاه بخمر فشرب . ثم قال له إسحق أبوه تقدّم قبّلني يا بني . فتقدّم وقبّله فاشتم رائحة ثيابه وباركه وقال . ها هي ذه رائحة ابني كرائحة حقل قد باركه الرب . يعطيك الله من ندى السمآء ومن دسم الأرض يُكثر لك الحنطة والخمر . وتخدمك الأمم وتسجد لك القبائل . سيداً تكون لإخوتك ولك بنو أُمك يسجدون . لاعنك ملعون ومباركك مبارك » (تك ٢٧/٢٥ ب — ٢٩) .

التفسير :

الخلعة التي شمَّ أبوه رائحتها واستطيبها وباركه بسببها . ليست خلعته بل خلعة عيسو أخيه ؛ والجسم الذي به أرضى المسيحُ اللهَ أباه وأطاعه الى الموت وفدى به خلقه . ليس هو جسمه قديماً ، بل من جنس آدم أخذه ، وجنس آدم لم يكن له . بل الشيطانُ كان مالكَه . كما أخذ يعقوبُ لباس عيسو حتى أخذ به ما لعيسو . لذلك أخذ المسيح شبه الجسد الذي كان الشيطان مالكاً عليه بسبب خطيئة آدم . أخذ من الشيطان ما هو مالكه من الأجساد الآدمية .

قولي « شبه الجسد » الذي كان الشيطان ملكه . أعني به أنه لم يأخذ جسداً فيه خطيئة ، بل جسداً بلا خطيئة . كما يقول بولس الرسول : « **إن الله أرسل ابنه في شبه جسد الخطيئة وخصم الخطيئة بالجسد** » (رومية ٨/٣) . لأن الشيطان . لمّا نظر ان المسيح له جسد مثلنا . ظنَّ أنه له مثل كل الأجسام ، أعني الأجساد . أقام عليه مَن قتله ، وخصمه المسيح بهذا الفعل ، وأوجب عليه ديّة قتله ، أعني صلبه . وأخذ منه جميع الذين في ملكه من الآدميين في ديّته . قال إسحق وهو يبارك يعقوب ، قال : تتعبّد لك الأمم ويسجد لك الرؤساء .

متى تعبّدت الأمم ليعقوب وسجد له الرؤساء أو لواحد من نسله ؟ لأنه لم يملك ملك من دم يعقوب ، إلاّ على أُمّة يعقوب فقط ، ولم تتعبّد له الأمم . ولا سجدوا لواحد من أولاده ، بل كان هذا القول ليعقوب نبوءة على المسيح الظاهر من زرعه . وفيه بالحقيقة كمل . لأنه إله متجسّد وله تعبّدت جميع الأمم وسجدت له سجودَ المخلوقين لخالقهم والعبيد لربّهم . ولذلك قال إسحق في أول بركته : رائحة لباسك مثل الحقل الذي باركه الله . يعطيك الرب من ندى السماء ومن دسم الأرض . أراد بالسماء والأرض اتّحادَ لاهوته بناسوته ، السماويّ في الأرضيّ . اتحاداً . اقنوماً واحداً . ووجهاً واحداً ؛ له تتعبّد وتسجد جميع الأمم والرؤساء ، للاهوته مع ناسوته ، تعبّداً واحداً وسجوداً واحداً ؛ لا يَرون أن التعبّد والسجود للاهوته دون ناسوته . بل هو واحد بلاهوته وناسوته . ربٌ واحد . إله واحد . له سجودٌ واحد . عبادة واحدة .

وقوله : كثرة القمح والخمر . أراد به جسدَه ودمه اللذين جعلهما غذاءً وحياة مؤبّدة وخلاصاً من كل خطيئة لمن يستعدّ لتناولهما باستحقاق . أعني بالاعتراف وترك الخطيئة كلَّ حين من جميع المؤمنين بالمسيح . لأنه أمر المؤمنين به أن يتوبوا كلَّ حين عن كل خطيئة تحدث منهم . لكي يستحقوا الأكل والشرب من هذا الجسد والدم كلَّ زمان حياتهم . وانما أراد بقوله كثرة القمح والخمر . أي لا يملّو

حين من الاستغفار على يد المعلّمين ، والاستعداد لتناوله ، كما لا يملّ الجسد من تناول الغذاء الجسدي كلّما احتاج اليه .

الكتاب :

« فلمّا فرغ إسحق من بركته ليعقوب وخرج يعقوب من بين يدي إسحق أبيه إذا عيسو أخوه قد أقبل من صيده . فصنع هو أيضاً ألواناً وأتى بها أباه وقال لأبيه ليقم أبي ويأكل من صيد ابنه لكي تباركني نفسك . فقال له إسحق أبوه من أنت . قال أنا ابنك بكرك عيسو . فارتعش إسحق ارتعاشاً شديداً جداً وقال فمن ذاك الذي صاد صيداً فأتاني به وأكلت منه قبل أن تجيء وباركته . نعم ومباركاً يكون . فلمّا سمع عيسو كلام أبيه صرخ صرخة عظيمة ومرّة جداً وقال لأبيه باركني أنا أيضاً يا أبت . فقال قد جاء أخوك بمكر وأخذ بركتك . فقال ألأنّه سمّي يعقوب قد تعقبني مرتين » (تك ٢٧/٣٠ — ٣٦ أ) .

التفسير :

لم يأخذ يعقوب ما ليس كان أهلاً له . بل لكونه كان له بالبركة همّة . لأنه لقدرها عارف وعليها متجاسر واليها راغب . فلذلك ، لمّا ظفر بعيسو في شدّة الجوع والخواء ، لم يلتمس منه سوى بيعها . وذلك انه ، لمّا لم يكن له بها همّة ولا يعرف لها قدراً ، أسرع باعها . وعن مثله قال النبي داود : « **اذا كان رجل في كرامة ولم يعرفها ، تشبّه بالبهائم التي لا معرفة لها وماثلها** » (مز ٤٨/٢١) . وعن مثله أيضاً قال الرب في الانجيل المقدس : « **مَن كان له يُعطى ويُزاد ، ومن ليس له يؤخذ منه الذي معه** » (متى ١٣/١٢ ؛ ٢٥/٢٩) . يعني كانت له معرفة بقدر ع . . . له[1] له والاحتفاظ بها ، وشكر له عليها (؟) والعمل بواجبها ، زاده الله منها كثيراً . ومن لا معرفة له بقدرها ، ولا احتفاظ ولا شكر ، ولا عمل بواجبها ، تُنتَزَعُ منه ويُعاقَب .

فلمّا استهان عيسو ببكريته وبسرعة باعها ، عاد يطلب البركة فلم يوصله اللهُ اليها ، وبالدموع التمسها ولم يمكنه أخذها . ويعقوب لِهِمَّتِهِ ومعرفته قَدْرَها ، سبّب الله له والدته فأخذتها له . فلم يأخذ ما ليس له ، بل بتدبيره دبّره على الذي له ، حتى أخذه ممن أراد أن يغتصبه اياه . وكذلك ربّنا يسوع المسيح ، لمّا تجسّد وصُلب ، قَلَعنا من يد عدوّنا الشيطان ، ولم يأخذ ما ليس له لأننا له وخلقته ، بل بتدبيرٍ دبّره حتى أخذ الذي له من يد المغتصب .

الكتاب :

« أخذ بكريّتي وها هوذا الآن قد أخذ بركتي . ثم قال أما أبقيت لي بركة . فأجاب إسحق وقال لعيسو هآءنذا قد جعلته سيّداً لك ودفعت إليه جميع إخوته عبيداً وبالحنطة والخمر أمددته فماذا أصنع لك يا بني » (تك ٢٧/٣٦ ب — ٣٧) .

---

(١) كلمة ممحوّة .

التفسير :

حقّق الكتاب أن القمح والخمر يقوّيان الجسد ، لأن النفس التي ، بالتوبة الدائمة والاستعداد كل حين ، تتناول جسد ودم الرب ينمي فيها خوف الله ، وتقوى على عمل وصاياه . والنفس التي لا تفعل هكذا ، ينقص منها خوف الله . ولا يكون لها قوّة على عمل الوصايا ، كما لا يكون للجسد قوّة على الأعمال الدنيوية ، اذا هو عَدِمَ الأكل والشرب .

الكتاب :

« فقال عيسو لأبيه أبركة واحدة لك يا أبت باركني أنا أيضاً يا أبت . ورفع عيسو صوته وبكى . فأجابه إسحق أبوه وقال له بمعزل عن دسم الأرض يكون مسكنك وعن طلّ السمآء من العلو . بسيفك تعيش وأخاك تخدم ويكون أنك إذا قويت تكسر نيره عن عنقك » (تك ٢٧/٣٨ — ٤٠) .

التفسير :

لمّا كانت همّة يعقوب سماوية روحانية ، بدأه أبوه في بركته بالسماء قبل الأرض . لأنه قال له : يعطيك الرب من ندى السماء ، ومن دسم الأرض . وعيسو ، لمّا كانت همّته أرضية جسدية ، بدأه بالأرض قبل السماء ، قائلاً : من دسم الأرض يكون مسكنك ، ومن ندى السماء من فوق . أراد أن لا يخليه من ذكر السماء ، لعلّه يرفع همّته الى فوق عن الأرضيات الفانيات . فالانسان الذي له همّة بالسماويات ، يعطيه الربُّ السماويات بسبب همّته بها ، والأرضيات التي لا همّة له بها ، لا يعدمه ما يحتاج منها ، بما لا يمكنه أن يعيش الآ به . فهو ينال السماويات والأرضيات ، مثل قول ربّنا المسيح : « **أطلبوا أولاً ملكوت الله وبرّه ، وكلما تحتاجونه من حاجات الجسد تزدادونه** » (متى ٦/٣٣) . يعني أن الملكوت الذي تطلبون يُعطى لكم وتزدادونه على ذلك الجسد . والذي كلمتُه أرضيّة فقط ، بكل فكر وتعب وظلم ، ينال ما ينال من ذلك . والسماويات لا ينال منها شيئاً . فان هو رفع فكره الى فوق ملتمساً السماويات ، وحارب الشيطان الذي يمنعه منها ، وهو يعيش بسَيفه ، أي أنه بجهاده وحربه يحيا ويغلب الشيطان ، وتمام خلاصه أن يتعبّد لأخيه الذي يخدمه من أجل خلاص نفسه وغفران خطاياه .

وقول إسحق لعيسو : إنك تتعبّد لأخيك ، متى كان ذلك ؟ متى تعبّد عيسو قط ليعقوب ؟ أو متى تعبّد بنو عيسو ليعقوب ؟ بل ملك عيسو وملك بنوه ممالك كثيرة ، قبل أن يكون في يعقوب ملك ، كما شهد كتاب الله هذا بذلك . وقد كان يعقوب يفزع منه ويرتجف ، وعلى الأرض سبع سجدات سجد له ، وكلّ أولاده ونسوته . وهدايا كثيرة حمل له ودعاه سيّداً له ، كما يشهد هذا الكتاب بكل ذلك . فان اسحق قال في بركته : إن يعقوب يكون سيّداً لعيسو : وعيسو له تعبّد . ونحن نرى أن الأمور قد جرت على خلاف ذلك . ولكنّ كلّ هذا تمّ بالمسيح ، لأن المسيح الظاهر في يعقوب إلهٌ وربٌّ لكل الخلائق . والجميع له متعبّدون طَوعاً وكرهاً .

بل كما قدّمنا القول في التفسير : إن معنى قول الله عن يعقوب وعيسو وهما في البطن : إن الكبير

يكون عبداً للصغير ، أن الذي يرى نفسَه كبيراً من بني المعموديّة ، يجعله الربّ في الملكوت عبداً للمسيح وصغيراً ، والذي يرى نفسه صغيراً ، يكون لذلك سيّداً مثل قول الربّ : « **يكون الأولون آخِرين والآخِرون أولين** » (مرقس ٣١/١٠) . والذي من أجل الرب يسلّم نفسه للتلمذة والطاعة ، يتعبّد لمن على يديه ... ص بالتوبة من كلّ زلّة تحدث له . ويدوم كذلك بحرص وجهاد وصلاة مستمرّة في العمل من داخل ، حتى ينظر الربّ في جهاده ، ويملأه من روح قدسه ، ويطرد منه أرواح الشيطان السكّان في جسده ، الذين كانوا بالزلّات يحاربون نفسه .

فانه اذا وصل الى هذا الحدّ ، لا يحتاج بعد الى مؤدِب ولا يتلمّذ من انسان ، لأن الروح القدس الساكن فيه والفاعل فيه بالكمال قد صار له معلّماً . ومَن قد عُوفي بالتمام عافيةً ، لا يعود يمرض بعدها ابداً ، فلا يحتاج بعد الى طبيب ؛ وهذا هو الذي قال اسحق عنه في بركته لعيسو : إنك تعيش بسيفك وتتعبّد لأخيك . فاذا استولت ، فككت نيره من عنقك ، أعني انك ، بحربك الشيطان ، تغلبه وتعيش بلا خطيئة ، وتتعبّد لأخيك الذي تتلمذ له ، من أجل المعونة على الخطيئة والخلاص من زلقاتها . فاذا وصلت الى الكمال ، وامتلأت من الروح القدس ، استولت ، ففككت النير عن عنقك ، لأنك حينئذٍ لا تحتاج أن تتلمذ لانسان كما كنت قديماً .

الكتاب :

« وحقد عيسو على يعقوب بسبب البركة التي باركه أبوه بها وقال عيسو في نفسه قد قربت أيام حزن أبي فأقتل يعقوب أخي » (تك ٤١/٢٧) .

التفسير :

الطوبى ثم الطوبى ، وقدّيس هو جداً ووارث مع المسيح ، الذي بكل حرص يحرص وينقّي قلبه من وجع الحسد ، لأن هذا الوجع الملعون يغلب البغضة ، والبغضة تغلب القتل . هذا الوجع جعل قايين يقتل أخاه هابيل وجعل عيسو يهمّ ليقتل أخاه يعقوب . لماذا يا قايين حسدتَ أخاك هابيل ، وأنت الذي جعلتَ الله لا يقبل قربانك ، لكونك لم ترفعه بهمّةٍ وحرصٍ مثل أخيك هابيل الذي رفع أسمن غنمه وبكرها ؟ ولماذا يا عيسو تحسد أخاك ، وأنت الذي ، بارادتك ، بعت بكريتك وحرمت نفسك بَرَكَتَهَا ؟ وكل حاسد أمرُه هكذا هو الذي يكون سبب منع نفسه العطيّة ، ويحسد مَن تُعطى له ، ويبغضه ويتمنى موته ، حتى يضيف الى شرّ الحسد شرَّ البغضة والقتل .

من أجل هذا ، أراد ربّنا المسيح شفاءَنا من هذا الأذى المهلك هكذا ، فحذّرنا من الحقد ، وأمرنا أن نسرع جدّاً سريعاً بتنقية قلوبنا من سمّه ، لأن البذر اليسير منه ، اذا ثبت ، فعل في النفس ما يفعله سحر الحيّات ، ونَبَتَ في الجسد . وأمرنا أن نصلّي باستمرار سبع دفعات في كل يوم وليلة . وفي كل صلاة نقول : « **اغفر لنا يا ربّ ما أسأنا ، كما نغفر نحن لمن أساء الينا** » (متى ١٢/٦) ، حتى نكون في كل ساعة من جهة الصلاة ، نذكر وننقّي قلبنا من الحقد . وبفعلنا هذا ، لا نبغض ولا نقتل أبداً .

ومَن لا ينقّي قلبه من الحقد في كل ساعة هكذا بالصلاة ، فلا يخلو قلبه من حقد وبغضة وقتل ، لأنه ، إذا لم يقتل بيده بالفعل ، فهو يقتل بالفكر ، ويشتهي موتَ الذي يبغضه ، بالفعل هو يقتل .

القراءة التاسعة والثلاثون من سفر الخليقة[1]

الكتاب :

« وحقد عيسو على يعقوب بسبب البركة التي باركه أبوه بها وقال عيسو في نفسه قد قربت ايام حزن أبي فأقتل يعقوب أخي . فأخبرت رفقة بكلام عيسو ابنها الأكبر فبعثت واستدعت يعقوب ابنها الأصغر وقالت له هوذا عيسو أخوك متوعد لك بالقتل . والآن يا بنيّ اسمع لقولي قم فاهرب الى لابان أخي في حاران وأقم عنده أياما قلائل حتى يزول غيظ أخيك . فإذا كفّ غضب أخيك عنك ونسي ما فعلت به أبعث أنا فآخذك من هناك لئلا أثكلكما في يوم واحد » (تك ٤١/٢٧ — ٤٥) .

التفسير :

مفرزة فاخرة كانت رفقة ، وذات تمييز شريف ، صنعت ليعقوب التدبير الذي به أخذ البركة ، ثم صنعت تدبيراً في سلامته وسلامة أخيه . وعلّمتنا ، نحن أيضاً ، أن الشرَّ اذا نُسِيَ ، ذهب الحقدُ من القلب . منْ جاهد ليمحو ذكر الشرّ من قلبه كل حين ، صار أبداً بلا حقد ؛ وكل مؤمن بالمسيح يمكّن قلبه من ذكر شرٍ من قد أساء اليه ، فهو يلعن نفسه في صلاته ، لانه ، كلّما صلّى ، حصلت له خطيئة . وعن مثله يقول داود النبي في المزمور : « **تكون صلاته خطيئة** » (مز ٧/١٠٨) ، لأنه ، اذا صلّى ، يقول : « **إغفر لي كما غفرت لمن أساء إليّ** » (متى ١٢/٦) ، وهو لم يغفر له ، بل في قلبه متذكّر شرّه وحاقد عليه وباغِضٌ فيه ومُشتهٍ مضرّة تناله . فهو يكذب في صلاته ، والكذّاب هو خاطئ ، ولا سيما من يكذب بالله ، فصلاته أبداً زائدة خطيئة ؛ والذي يصدق في قوله : « **إغفر لي كما غفرت** » (متى ١٢/٦) ، ولو كان الذنبُ الذي غفره أصغرَ الذنوب ، فبالحقيقة إنَّ الربَّ يغفر له جميع ذنوبه ، ولو كانت أعظم الذنوب ، لانه قد قال ولا يمكنه أن يكذب في قوله : إنكم اذا قلتم إغفر لنا كما غفرنا نحن ، وتكونون قد غفرتم ، غفرتُ أنا أيضاً لكم . ومن قالها منكم ولا يغفر ، ولا انا أغفر له .

فمن لا ينقّي قلبه من الحقد باستمرار ، فلا يُتعب نفسه في طلب غفران ، فلا يمكن الربّ أن يغفر له ، لانه لا يمكنه أن يكذب . ومن نقّى قلبه من الحقد باستمرار ، فلا يشكّ في نفسه ، بل يبقن بكل ثقته أن الربّ قد غفر له ، لانه لا يمكنه أن يكذب . وكل تائب ، لاجل غفران ذنوبه ، يستعمل هذه الخصال في توبته ، فقد حصل له الغفران الذي من أجله تاب ومن لا يستعمل هذه الخصلة في توبته ، فبطّالة وضائعة توبته .

---

(١) في المخطوطات ، لا ذكر ليوم تقرأ فيه هذه القراءة .

الكتاب :

« وقالت رفقة لاسحق قد سئمت حياتي من أجل ابنتي حث فإن تزوج يعقوب بامرأة من بنات حث مثل هاتين أو من بنات سائر أهل هذه الأرض فما لي والحياة » (تك ٤٦/٢٧) .

التفسير :

صاحبة التدبير لم تَرَ أن تُعلمَ اسحق بما هو به عيسو من قتل يعقوب ، لكي لا تحزنه عليه وتُشغل قلبه . بل قالت له : قل : علمت أن به يرسله من أرض الكنعانيين ويبعد عن وجه أخيه . قالت : أنت تعلم كيف حياتي مُرَّةٌ بمقاساة بنات حثّ اللواتي تزوّجهنّ عيسو . فان تزوّج يعقوب هو أيضا منهنّ . فلا حاجة لي بالحياة .

الكتاب :

« فدعا إسحق يعقوب وباركه وأوصاه فقال له لا تأخذ امرأة من بنات كنعان . قم فامض الى فدّان أرام الى بيت بتوئيل أبي أمك وتزوّج بامرأة من ثم من بنات لابان خالك . والله القدير يباركك وينميك ويكثرك وتكون جمهور شعوب . ويعطيك بركة إبراهيم لك ولنسلك من بعدك لترث أرض غربتك التي وهبها اللهُ لابراهيم » (تك ١/٢٨ — ٤) .

التفسير :

المبارك من الله كل وقت يزداد بركة ، ومن يباركه يتبارك ، لانه هكذا قال اسحق ليعقوب عندما باركه : إن مَن يباركك يكون مباركا ، ومن يلعنك يكون ملعونا . واذا كان هذا القول هو على الحقيقة عن المسيح ، فمن أراد أن يصير مثالا ، فليبارك المسيح كل حين ؛ فانه هكذا يصير مباركا ، وكذلك من يبارك مسيحياً وجميع المسيحيين ، أي يدعو دعوة صالحة محبّة بالمسيح ، فان تلك الدعوة بعينها تكون لذلك الذي دعاها . وكذلك من يدعو على مسيحيٍّ من جميع المسيحيين دعوة . فان تلك الدعوة بعينها تكون على ذلك الذي دعاها . لانه قال : إنّ لاعنك يكون ملعوناً ؛ وقوله : إنك ترث أرض التجائك ؛ الارض التي نحن فيها ملتجئون هي جسدنا ، لان نفسنا في جسدنا ملتجئة وليست مالكته ، لانه لعقلها ضدّ ، من أجل الشيطان الساكن فيه الذي يضاد العقل .

حينئذ يرث العقلُ الجسد الذي هو أرض التجائه ، ويصير له مالكاً وغير مقهور منه ، كما كان قديماً . وفي يوم القيامة ، يرثه بلا وجع جسدي البتة ، لانه في الدنيا ، يوم كماله ، يرثه بلا وجع خطيئة . وفي القيامة ، يرثه بلا وجعة طبيعة . لانه حينئذ لا يتوجّع من جوع ولا من عطش ولا من عري ولا من شيء آخر البتة ؛ بل يكون مثل جسد المسيح بعد قيامته .

الكتاب :

« فلما رأى عيسو أن إسحق قد بارك يعقوب وأرسله الى فدّان أرام ليتخذ له من هناك امرأة إذ باركه وأوصاه وقال له لا تتخذ لك امرأة من بنات كنعان وانّ يعقوب أطاع أباه وأمه ومضى الى فدّان أرام . رأى عيسو أن بنات كنعان ...

في عيني إسحق أبيه . فمضى عيسو الى إسمعيل فتزوج محلة بنت إسمعيل بن إبراهيم أخت نبايوت لتكون له زوجة مع نسائه » (تك ٢٨/٦ — ٩) .

التفسير :

لكثرة غيظ عيسو ، التمس أمراً يُغضب به أباه جدًا . فلمّا علم أن زواج ابنة اسمعيل يغضبه ، مضى وفعل ذلك . وهذا الامر يأتي الى الآن : إن الذي يريد أن يُغضب المسيح ويسخطه جدًا ، هو يلاصق بني اسمعيل .

الكتاب :

« وخرج يعقوب من بئر سبع ومضى الى حاران . فصادف موضعا بات فيه إذ غابت الشمس . فأخذ بعض حجارة الموضع فوضعه تحت رأسه ونام في ذلك المكان . فرأى حلما كأن سلما منتصبة على الأرض ورأسها الى السماء وملائكة الله تصعد وتنزل عليها . واذا الرب واقف على السلم فقال أنا الرب إله إبراهيم أبيك وإله إسحق . الارض التي أنت نائم عليها لك أعطيها ولنسلك ويكون نسلك كتراب الأرض وتنمو غرباً وشرقاً وشمالاً وجنوباً ويتبارك بك جميع قبائل الأرض وبنسلك . وها أنا معك أحفظك حيثما اتجهت وسأردك الى هذه الأرض فإني لا أهملك حتى أفي لك بكل ما وعدتك . فاستيقظ يعقوب من نومه وقال إن الرب لفي هذا الموضع وأنا لم أعلم . فخاف وقال ما أهول هذا الموضع ما هذا إلاّ بيت الله وهذا باب السماء . ثم بكر يعقوب في الغداة وأخذ الحجر الذي وضعه تحت رأسه وأقامه نصبا وصب على رأسه دهنا . وسمى ذلك الموضع بيت إيل وكان اسم المدينة أولاً لوز . ونذر يعقوب نذرا قائلا إن كان الله معي وحفظني في هذا الطريق الذي أنا سالكه ورزقني خبزاً آكله وثوبا ألبسه ورجعت سالما الى بيت أبي يكون الرب لي إلها وهذا الحجر الذي جعلته نصبا يكون بيت الله وجميع ما ترزقنيه فإني أعشره لك تعشيراً » (تك ٢٨/١٠ — ٢٢) .

التفسير :

ها هنا كشف اللهُ ليعقوب سرّ كنيسته ، أعني جماعة المؤمنين به على كل الارض . نظرها يعقوب في شبه سلّم منصوبٍ على الارض ورأسه في السماء ، وذلك أن هذه الجماعة هي جسدُ المسيح ، والمسيح هو رأسها . فهذه الجماعةُ هي على الارض ، والمسيح الذي هو رأسها في السماء . ولذلك قال : إن الربّ على السلّم ثابت ، لان الرب المسيح هو رأس البيعة ، أعني الجماعة . وكما أن للجسد أعضاء كثيرة ، وروحا واحداً يفعل في كل الاعضاء ، ويجعل كل الاعضاء تخدم بعضها بعضاً وتشفق على بعضها البعض ، ويتألم البعض للبعض . كذلك بالمعمودية الواحدة التي تعتمد بها كلّ هذه الجماعة ، تأخذ الجماعة كلّها من المسيح روحاً واحداً . وهذا الروح الواحد يجمع كل هذه الجماعة في أمانة المسيح ومحبته ، فتكون كل هذه الجماعة ، مع اختلاف أجناسها وبلدانها ، تؤمن باله واحد وربّ واحد ، ولها بأسرها رجاء واحد ، والجميع وصايا انجيلٍ واحد حافظون ، وقرباناً واحداً متناولون ، وملكوتاً واحداً منتظرون . والجميع بمحبة المسيح الواحدة ، كاعضاء الجسد ، يخدم بعضهم بعضاً ، ويشفق بعضهم على بعض ، ويتألّم بعضهم لبعض ، والجميع معلّقون بالمسيح الذي هو رأسهم بالامانة فيه والمحبة ، كتعلّق الجسد بالرأس .

وكما أن اعضاء الجسد ، لكل عضو فعل يخصّه ، وهو بذلك الفعل يخدم كل الجسد ، كذلك

لكل واحد من الجماعة موهبة قد أُعطيت له من المسيح ، لكي يخدم بها كل الجماعة ، وبها يظهر أنه عضو في جسد المسيح ، لكونه يخدم الجماعة بما أعطي له كعضو يخدم الجسد . وهذه الجماعة ، ملائكة الله بها طالعون ونازلون ، كما كشف ذلك ليعقوب ؛ لانه قبل ميلاد المسيح ، كان الملائكة ساخطين ومتعاديين مع كل جنس آدم ، لما يَروه من كثرة إسخاطهم لخالقهم .

فلمّا تأنس الاله ووُلد من مريم العذراء ، عجب الملائكة من عظم هذه الإنعام ، وأكثروا التمجيد لله في الاعالي ، ونزلوا الى الارض ، وبشَّروا بني البشر بصلحهم معهم قائلين : « **المجد لله في الاعالي وعلى الارض المصالحة وفي الناس المسرّة** » (لوقا ١٤/٢) . قالوا : نحن في الاعالي نمجّد الله على تنازله لخلاصكم يا بني آدم ؛ وعلى الارض صارت لنا معكم مصالحة ؛ وفيكم ، ايها الناس ، من المسرّة ورجاء الخلاص . وفي ذلك اليوم ، صار الملائكة مستمرّين في الطلوع والنزول من السماء الى الارض . كل من يتعمّد ، يصير معه ملاكه من يوم تعميده الى يوم يوقفه قدّام المسيح بعد موته . وبهذا السبب ، صارت السماءُ أرضاً والأرضُ سماء ؛ لان الانسان الذي من الارض طلع ، سكن في السماء . والملائكة الذين في السماء ، صاروا مع سكّان الارض .

ولمّا كانت هذه الجماعة المسيحية تسمَّى بهذا الاسم ، أُسميت لما مُسحت بالزيت يوم تعميدها ؛ فمن أجل هذا ، لما رآها يعقوب في شبه سلّم من الارض الى السماء ، أقام حجراً وسكب عليه زيتا ، لكي يوضح الجماعة الممسوحة بالزيت . وسمّى الحجر وذلك الموضع بيت ايل ، الله ، وباب السماء ، لكي يوضح لنا أن هذه الجماعة فيها يسكن اللهُ بروح قدسه من يوم تعميدها . وهي باب السماء ، لأن من لا يدخل فيها ويصير بحقٍّ واحداً منها ، لا يقدر أن يصعد الى السماء .

هذه الجماعة هي بيتُ الله الذي بناه ابن داود ، كما قال الله لداود : « **إنَّ ابنك هو الذي يبني لي البيت** » (سفر الملوك الثالث ١٩/٨) ؛ « **وأنا أكون له أباً وهو يكون لي ابنا** » (سفر الملوك الثاني ١٤/٧) . ابن داود الذي هو ابن الله ، بنى هذه الجماعة بيتاً واحداً لله في كل الارض ، بيتاً واحداً لله موجوداً على كل الارض ؛ لانه من مشرق الشمس الى مغاربها ، أساسُه على الارض ورأسه في السماء ، كما نظره يعقوب . هذا هو البيت الواحد الذي فيه تُرفع ذبائح الله وقرابينه ، ومنه يُرفع له البخور وله يكون فيه السجود ، ولا في بيت غيره يُوجد شيء من ذلك ، لان الله قد لعن من يقول إن شيئاً من ذلك موجود له في بيت غيره .

وناموس هذه الجماعة قد أوضحه يعقوب في نذره ، وهو أن يكون مقصدُ الانسان منها من أمور الدنيا خبزاً يؤكل وثوباً يُلبَس ، لا أكثر من ذلك . كما يقول الرسول لنا : « **طعام وملبوس هذا فليكفنا** » (١ تيموتاوس ٨/٦) . ومن أُعطي له في هذه الدنيا زائد عن الطعام والملبوس ، فيجب عليه أن يوفر عشر ما يُعطى له ، كما قد رسم يعقوب ؛ ومن لا يُعطي لله عشر ما يُعطى له زائداً عن الطعام والملبوس ، فهو يخالف هذا الناموس .

القراءة الاربعون من سفر الخليقة (١)

الكتاب :

« ثم نهض يعقوب ومضى الى أرض بني المشرق . ونظر فإذا بئر في الصحراء وثلاثة قطعان من الغنم رابضة عندها لأنهم من تلك البئركانوا يسقون القطعان والحجر الذي على فم البئركان عظيماً . وكان إذا جمعت القطعان يدحرج الحجر عن فم البئر فتسقى الغنم ثم يرد الحجر على البئر الى موضعه . فقال لهم يعقوب من أين أنتم أيها الإخوان . قالوا من حاران فقال لهم أتعرفون لابان بن ناحور . فقالوا نعرفه . فقال لهم أسالم هو . قالوا هو سالم وهذه راحيل ابنته آتية مع الغنم . فقال لهم هوذا النهار طويل بعد وليس الآن وقت ضم المواشي فاسقوا الغنم وامضوا بها فارعوها . قالوا لا نقدر حتى تجتمع القطعان كلها ويدحرج الحجر عن فم البئر فنسقي الغنم . وبينما هو يخاطبهم إذ أقبلت راحيل مع غنم أبيها لأنها كانت راعية . فلمّا رأى يعقوب راحيل بنت لابان خاله وغنم لابان خاله تقدّم ودحرج الحجر عن البئر وسقى غنم لابان خاله . وقبّل يعقوب راحيل ورفع صوته وبكى . وأخبر يعقوب راحيل أنه أخو أبيها وابن رفقة فأسرعت وأخبرت أباها . فلما سمع لابان خبر يعقوب بن أخته بادر للقائه وعانقه وقبله وأتى به الى منزله . وأخبر يعقوب لابان بجميع تلك الأمور . فقال له لابان إنك أنت عظمي ولحمي ومكث عنده شهراً » (تك ١/٢٩ — ١٤) .

التفسير :

اظهر الكتاب لنا قوّة الله المساعدة الابرار ، وذلك ان الحجر الذي يجتمع كثير من الرعاة حتى يدحرجوه ، دحرجه يعقوب بقوّة الله الكائنة معه . ومن يصحب اللهَ هكذا ، فان قوّة الله تسكنه . والحجر الشيطاني الذي يمنع عقله من الوصول الى ماء الحياة — الذي هو نظر لاهوت المسيح — تدحرجه قوّة الله ، وتجعل عقله ينظر الى لاهوت المسيح ويتنعّم بنظره ، خلاف نعيم يعقوب بنظر راحيل ، ويشرب ويُروى من روح المسيح الذي هو ماء الحياة المؤبدة ، ويسقي كلَّ من يلتمس شرب ذلك من جهته ممن يتتلمذ له . كما قال المسيح للسامرية على بئر الماء : « **ان الذي يشرب من الماء الذي أُعطيه أنا له لا يعطش الى الابد ، بل يكون ذلك الماء فيه ينبوع منه ماء حياة مؤبدة** » (يوحنا ١٣/٤ — ١٤) . اعني الذي يُروى من روحه القدوس ومنه يُروى ومنه ينبع كلامُ الحياة المؤبدة ، الذي كل من يشرب منه يُروى ويصير هو أيضاً ينبوعاً ينبع منه للحياة المؤبدة .

وحسناً قال : ان الرعاة باجتماع جميعهم تكون دحرجة الحجر من عن فم البئر ، لكي يمكن الغنم الشرب منها . لانه هكذا أمر الروحُ القدس أَن تكون جميع رعاة الكنيسة يجتمعون الى موضع في كل امر يعسر تفسيرُه . واذا اجتمعوا ، فهو كوعده الصادق ، يحضر بينهم ، وينطق فيهم بتفسير ذلك المعنى العسر

(١) في المخطوطات ، لا ذكر ليوم تقرأ فيه هذه القراءة .

الذي قد أُشكل عليهم . » وهذا فعله الرسل القديسون لما اختلف المؤمنون المختونون اللحم مع المؤمنين الغير المختونين في معنى الختان ، اجتمع الرسل الى موضع واحد ، وتكلّموا بالروح القدس وقالوا : ان الختان لا يُلزم المسيحي ، بل قطع الخطيئة من النفس » (اعمال ١٥/١ — ٣٥) . هذا هو ختان المسيحيين . ولما ظهر سوء الاعتقاد من اريوس ومقدونيوس ونسطوريوس وافتيشيوس وغيرهم ممن أحدث اعتقادا غريباً في الكنيسة ، اجتمعت رعاة الكنيسة الى موضع واحد وازالوا سوء الاعتقاد من الكنيسة .

الكتاب :

« ثم قال لابان ليعقوب إذا كنت أخي أفتخدمني مجانا أخبرني ما أجرتك . وكان للابان ابنتان اسم الكبرى ليئة واسم الصغرى راحيل . وكانت ليئة مسترخية العينين وكانت راحيل حسنة الهيئة جميلة المنظر . فأحب يعقوب راحيل وقال أخدمك سبع سنين براحيل ابنتك الصغرى . فقال لابان لأن تأخذها أنت خير من أن أعطيها لرجل آخر فأقم عندي » (تك ١٥/٢٩ — ١٩) .

التفسير :

كما كانت هاجر وابنها وساره وابنها رمزاً على الشريعتين العتيقة والحديثة ، وعيسو ويعقوب رمزاً عليها أيضاً ، وكذلك هما هاتان الاختان بنات لابان هما رمز على الشريعتين ، وكما ان الشريعة الثانية أفضل جدّا من الاولى ، كذلك ساره واسحق ابنها افضل جدا من هاجر وابنها الذي هو الابن الاول . ويعقوب الابن الثاني افضل جدّا من عيسو الابن الاول . وكذلك راحيل الابنة الصغيرة الثانية وُصفت بالحسن والجمال وفُضّلت جدا على اختها . وان يعقوب من اجل راحيل ومحبتها رضي ان يتعبد لابيها من أجلها سبع سنين .

الكتاب :

« فخدمه يعقوب براحيل سبع سنين وكانت عنده كأيام يسيرة من محبته لها » (تك ٢٠/٢٩) .

التفسير :

علّمنا الكتاب بهذا الكلام أن من أحبّ شيئا يصير التعب الذي يتعبه من أجله سهلا عليه . ولذلك يجب علينا ابدا ابدا ان نُكثر محبةَ الله في قلوبنا . فما دامت موجودة فينا ، فهي تجعل تعب وصاياه سهلاً عندنا . وبماذا نستطيع ان نُكثر محبة الله فينا ؟ بثلاث أعمال نستطيع ذلك : احد الثلاث مداومة قراءة كتب الله ، لكونه بها يتخشّع القلب دائما ويخاف الله ويعرف وصاياه . والثاني من الثلاث أن يعمل بوصاياه ويحتفظ بجميعها . والثالث من الثلاث ان ننقّي قلوبنا بصلاة دائمة مستمرّة بلا فتور من كل فكر يضاد خوفه ومحبته .

متى ما لازمنا هذه الثلاث الخصال . تمّت فينا محبة الله مستمرّة ، وسهل علينا تعبُ وصاياه . لان محبته تجعل التعب علينا سهلاً ، كما ان محبة راحيل جعلت التعب على يعقوب سهلاً ، وكما ان في

الكلام عن ابراهيم علّمنا ان هاجر وابنها يُشبهان خوفَ الله الذي في البداية يناله الانسان ، وبه يحفظ الوصايا بكلفة وقهر ، يقهر نفسه على ذلك . وساره وابنها يشبهان محبة الله التي ، اذا وصل اليها الانسان بامتلائه من الروح القدس ، لا يعمل الوصايا حينئذ بكلفة ولا يقهر ، بل بكل ارادة ونعيم ، من كثرة محبة الله في قلبه ، يستلذّ بعمل وصايا . ويذوق الحلاوة في عمله ، كما يلتذّ الجسدُ ويذوق حلاوة لذّاته الجسدانية هذه الفانية . بساره وابنها مثال لها . كذلك راحيل مثال أيضا لها . لان ليّا مثال الخوف مثل هاجر . ولذلك قال : انها ليست جميلة لِمَا في الخوف من الكلفة . وراحيل مثال المحبة . ولذلك وُصفت بكثرة الحسن وكثرة الحب لها من يعقوب ، وسهّلت عليه الخدمة من أجلها .

كذلك من ابتدأ العبادةَ لله ، وانكشفت له من كتاب الله معرفةُ محبة الله ، وان الذي يصل اليها ، يمتلىء من لاهوت المسيح ، ويتلذذ ويتنعم بنظره لذة ونعيما «**لم تره عين ولم تسمع به اذن ولا يخطر على قلب بشري**» (١ كور ٢/٩) ؛ من انكشفت له من كتاب الله معرفةُ هذه المحبة هكذا ، وأَحبّها واشتاق اليها ، وعشقها بكل قلبه ، وخدم الوصايا من أجل الوصول اليها ، فان محبته فيها تجعل الوصايا عليه سهلة ، كما تقدّم القولُ عن يعقوب .

الكتاب :

« وقال يعقوب للابان أعطيني امرأتي فأدخل بها إذ قد كملت أيامي . فجمع لابان جميع أهل الموضع وصنع لهم وليمة وعند العشاء أخذ ليئة ابنته فزفها اليه فدخل بها . ووهب لابان زلفة أمته أمة لليئة ابنته . فلما كان الصباح اذا هي ليئة فقال للابان ماذا صنعت بي أليس أني براحيل خدمتك فلم خدعتني . فقال لابان لا يصنع كذا في بلادنا أن تعطى الصغرى قبل الكبرى . أكمل أسبوع هذه فنعطيك تلك أيضا بالخدمة التي تخدمها عندي سبع سنين أخر » (تك **٢١/٢٩ — ٢٧**) .

التفسير :

من أجل راحيل الجميلة المنظر ، خدم مُحبَّه سبع سنين ولم تُعط له بل اختُها التي دونها في الجمال أعطيت له . كذلك من يخدم الوصايا من اجل الوصول الى المحبة ، الى الله ، المقدّم ذكرها في الاول ، يُعطى له خوف الله الذي به يكمل كلّ الوصايا تكميلا حسناً ، ولكنه بكلفة ، لانه يقاتل الخطيئة الساكنة فيه التي تحارب الوصايا وتجاهد مع عون الله ، يقهرها بخوف الله ، وهو مع ذلك في خوف ورعب وَرجف يخشى من الغلبة والسقوط . ولذلك قيل ان ليّا ليست جميلة مثل اختها ، من اجل هذا الفزع هكذا . فاذا هو بخوف الله ثبت في عمل الوصايا ، منتظراً محبة الله ، وعمل من أجلها ، فهو بنعمة الله يصل اليها . وكما ان يعقوب عمل اسابيع عمل ، كذلك يجب على من يعمل لمحبة الله ان يكون مستمراً كل يوم جميع ايام الاسبوع ، ولا يبطل العمل في يوم من أيام الزمان جميعه حتى يصل الى مطلوبه .

سبع سنين خدم يعقوبُ فأُعطيت له ليّا ، وسبع سنين اخرى أخذ بها راحيل . السبع سنين هي تركُ الشرّ والبعدُ عن كل خطيئة . العمل الذي به يصل الانسان الى كمال خوف الله هو ان لا يخطأ الانسان

خطيئة كبيرة ولا صغيرة من اصغر الخطايا التي لا تكون خطيئة أصغر منها ، الا ويسرع بالتوبة عنها . من خاف الله هكذا ولم يخطأ أصغر خطيئة ، فقد حصلت ليّا التي هي خوف الله ، والسبع سنين الثانية هي عملُ الخير . وكمال كل البرّ الذي به يحصل الانسان بالحقيقة على محبة الله هو راحيل . وكما لم يصل يعقوبُ الى راحيل حتى كمّل هذين الاسبوعين ، كذلك لا يصل الانسان الى محبة الله وعدم الاوجاع واللذة بنظر اللاهوت حتى يترك كلّ شرّ بالكمال . ويعمل كلّ برّ بالكمال . ويعمل كلّ برّ بالتمام . وحينئذ بنعمة الروح القدس ، يصل الى المحبة المقدّم ذكرها .

الكتاب :

« فصنع يعقوب كذلك وأكمل أسبوع هذه فأعطاه راحيل ابنته امرأة له وأعطى لابان لراحيل ابنته بلهة أمته أمة لها . فدخل براحيل أيضا وأحبها أكثر من ليئة . وعاد فخدمه سبع سنين أخر . ورأى الربُ أن ليئة مكروهة ففتح رحمها وأما راحيل فكانت عاقراً » (تك ٢٨/٢٩ — ٣١) .

التفسير :

الزوجة الاولى بسرعة وَلدت كما ولدت هاجر . والزوجة الثانية كانت عاقراً . فأخّرت ولادتها كما قد كانت ساره ورفقا . وكذلك الشريعة الحديثة تأخّر فعلُها وتقدّمت العتيقة قبلها . وكذلك يتأخّر فعل المحبة التي تلد الفرح واللذة في عمل الوصايا . ويتقدّم فعل الخوف الذي بالكلفة بحفظ الوصايا مثل سرعة ولادة ليّا .

القراءة الحادية والاربعون من سفر الخليقة (١)

الكتاب :

« فحملت ليئة وولدت ابنا وسمته رأوبين لأنها قالت قد نظر الرب الى مذلتي إنه الآن يحبني بعلي . وحملت أيضاً وولدت ابنا وقالت قد سمع الرب دعائي لأني مكروهة فرزقني أيضاً هذا وسمته شمعون . وحملت أيضاً وولدت ابنا وقالت هذه المرة ينعطف إليّ زوجي لأني قد ولدت له ثلاثة بنين وسمته لاوي . وحملت أيضا وولدت ابناً وقالت هذه المرة أحمد الرب ولذلك سمته يهوذا . ثم توقفت عن الولادة » (تك ٢٩/٣٢ — ٣٥) .

التفسير :

ليّا التي هي شبه الخوف اسرعت بالولادة ، لانه بخوف الله يسرع الانسانُ بحفظ جسده من فعل الخطيئة : اول كل شيء يحفظ نظره ان لا ينظر الى الخطيئة ، ويحفظ سمعه ان لا يسمع ما يحرّكه الى الخطيئة ، ويحفظ منخريه ان لا يستنشق ما يحرّكه الى الخطيئة ، ويحفظ فمه ان لا يذوق ما لا يحلّ ذوقه مما يقوّي عليه الخطيئة . هذه الاربعة : النظر والسمع والشم والذواق تشبه الاربعة بنين الذكور لليّا . ولذلك وضعهم الكتاب : الاول الذي يشبه المنظر ، عندما ولدته ، أسمته « نظراً » باللغة العبرانية قائلة : إن الرب نظر الى تواضعي . والثاني الذي يشبه السمع أسمته كذلك قائلة : ان الرب سمع اني مبغوضة . وعن الشم قالت : يتعطّف اليّ رجُلي . وعن الذوق الذي بالفم يكون قالت : اعترف للرب ، وأسمته كذلك ، لكون الاعتراف والشكر بالفم يكون .

الكتاب :

« ثم توقفت عن الولادة . ولما رأت راحيل أنها لم تلد ليعقوب غارت من أختها وقالت ليعقوب هب لي ولداً وإلا فإني أموت » (تك ٢٩/٣٥ ب + ٣٠/١) .

التفسير :

قالت : أعطني ولداً ، وإلاّ فانا أقتل نفسي بشدّة عظيمة . هكذا وقع بيعقوب فيها ، اذ يرى المحبوبة منه جدّا تريد أن تقتل نفسها التي قد تعبّدت بسببها اربع عشرة سنة .

---

(١) في المخطوطات . لا ذكر ليوم تقرأ فيه هذه القراءة .

الكتاب :

« فاغتاظ يعقوب على راحيل غضباً وقال ألعلّي أنا مكان الله الذي منعك ثمرة البطن . قالت هذه أمتي بلهة ادخل بها تلد على ركبتيّ ويبنى بيتي أنا أيضاً منها . فأعطته أمتها بلهة امرأة فدخل بها يعقوب فحملت بلهة وولدت ليعقوب ابنا . فقالت راحيل قد حكم الله لي وسمع لصوتي فرزقني ابنا وسمته دانا . وحملت أيضاً بلهة أمة راحيل وولدت ابنا آخر ليعقوب . فقالت راحيل قد صارعت أختي مصارعات الله وغلبت وسمته نفتالي » (تك ٣٠/٢ — ٨) .

التفسير :

لمّا ذكر الكتاب الذَوقَ الذي بالفم ، يكون اراد ان يذكر بقية الفضائل التي بالفم تكمل وهي : الصلاة والهذيذ بكلام الله ودوام الذكر له . ولمّا كان ذكر كلام الله ليس جسدانيا ، لكونه بالعقل يكمل ، لان منطق (؟) النطق من خاصة العقل الناطق ، فلذلك يُشَبَّهُ الى راحيل . وقال : ان عبدة راحيل ولدت ليعقوب . وراحيل هي الهذيذ بكلام الله . لان الهذيذ بكلام الله هو بالحقيقة خدمة المحبة ، كما يقول الرب المسيح : « **ان كنتم تحبوني فانتم تحفظون وصاياي** » (يوحنا ١٤/١٥) .

ولما كان الهذيذ وكلام الله نوعين . صلاة وقراءة ، لذلك قال ان عبدة راحيل ولدت ولدين ، والاول منهما أسمته باسم الصلاة ، لانها قالت ان الله دان لي وسمع صوتي . لان النفس ، اذا لم يتركها الشيطان تحفظ الوصايا التي بها محبة المسيح تكمل ، فهي تحزن وتصلّي دائماً أن تُعان على حفظها . والمسيح يسوع يستجيب صلاتها ويدين الشيطان المانع لها . ويُعينها على غلبته وحفظ الوصايا ؛ ولكون القراءة تعطي القوّة من الله على حفظ الوصايا وترشد الى معرفتها ، لذلك قالت عبدة ولادة الولد الثاني إن الله قد قبلني وقد قويت .

الكتاب :

« ورأت ليئة أنها قد توقفت عن الولادة فأخذت زلفة أمتها وأعطتها ليعقوب امرأة . فولدت زلفة أمة ليئة ليعقوب ابنا . فقالت ليئة بجدّي وسمته جاداً وولدت زلفة أمة ليئة ابنا آخر ليعقوب . فقالت ليئة بغبطتي لأنها تغبطني النساء وسمته أشير » (تك ٣٠/٩ — ١٣) .

التفسير :

ليا هي شبيهة بخوف الله . وعبدتها هي التوبة ، لان بالتوبة يُخدَمُ خوفُ الله وينمو ؛ ولما كانت التوبة بنوعين تصحّ : الاعتراف بكل خطيئة وأخذ القانون عنها ، لذلك قال إنها ولدت ولدين ودعت أسماءهما جاداً وأشير ، لان الذي يجدّ بالاعتراف كل حين وأخذ القانون عن كلّ ذلّة له ، وهو يستعين بخوف الله ، يكون طوبانيا وموصوفاً وممدوحاً على فعله هذا . ولما كان الاعتراف بالزلّات بالفم يكون ، لذلك أضافته الى ما يخصّ الفمّ .

الكتاب :

« ومضى رأوبين في أيام حصاد الحنطة فوجد لفاحا في الصحراء فأتى به أمه ليئة . فقالت لها راحيل أعطيني من لفاح ابنك . فقالت لها أما كفاك أن أخذت زوجي حتى تأخذي لفاح ابني أيضاً . قالت راحيل إذن ينام عندك الليلة بدل لفاح ابنك . وجاء يعقوب من الصحراء عشاء فخرجت ليئة للقائه وقالت بت عندي لأني استأجرتك بلفاح ابني . فنام عندها تلك الليلة . فسمع الله دعاء ليئة فحملت وولدت ليعقوب ابنا خامسا . فقالت ليئة قد أعطاني الله أجري لأني أعطيت أمتي لرجلي وسمته يساكر . وعادت ليئة فحملت وولدت ابنا سادسا ليعقوب . فقالت ليئة قد أمهرني الله مهراً حسناً فالآن يساكنني بعلي إذ قد ولدت له ستة بنين وسمته زبولون . ثم ولدت ابنة فسمتها دينة » (تك ٣٠/١٤ — ٢١) .

التفسير :

كتاب الله يصف جميع الفضائل التي يمكن الانسان أن يكمّلها بجميع اعضائه ، عضوا عضوا ، ابتداء من فوق الى أسفل ، وذلك انه أمر بحفظ الحواس الأربع : النظر والسمع والذوق والشمّ . فلما وصل الى الفم الذي يخصّه الذوق ، وذكر الصلاة والقراءة والاعتراف بكل خطيئة تكون بالفم ، حينئذ انتقل الى اليدين وذكر ما يختص بهما ، وهو اللمس والكدّ بهما في الخدمة الى الضعفاء .

هاذان هما الولدان الذكران اللذان ولدتهما ليّا . وحسناً قالت : الولد السادس الذي هو كدّ اليدين في خدمة الضعفاء ، انه كرامة من الله أُعطيت لها ، وان رجلها يُحبّها . لانه بفعل الرحمة وخدمة الضعفاء يصير الانسان محبوباً ومكروماً من المسيح . والابنة الكبيرة التي ولدتها اخيرا إشارة الى حفظ عضو الزنى الذي هو اسفل الاعضاء . وصفاً هكذا وصف الله كلّ الاعضاء بترتيب ، من فوق الى أسفل ، وما يخصّها من الفضائل .

الكتاب :

« وذكر الله راحيل وسمع دعاءها وفتح رحمها فحملت وولدت ابنا وقالت قد كشف الله عني العار وسمته يوسف قائلة يزيدني الرب ابناً آخر » (تك ٣٠/٢٢ — ٢٤) .

التفسير :

قال إن الله ذكرها وسمع لها وفتح رحمها فحبلت وولدت . هكذا يذكر اللهُ النفسَ المتعوبة مع الشياطين المانعين لها من حفظ وصايا المسيح ، وهي بالحرص والجهاد تحاربهم وتُدمنُ في التضرّع الى الله تستنجد به عليهم . فهو ، لكثرة رحمته ، يستجيب لها ويفتح قلبها الذي أغلقه الشياطين وأعموه عن نظر الله ، يفتحه لنظر الله فتتنعّم بمعاينة لاهوته . وحينئذ تثمر ثمرة الروح العادمة العيب ، ويرتفع الانسانُ عن كل عار الشيطان ، ويصير في مأمن من خوفه ، ويصير بذلك ابنَ الله واخ المسيح . لكونه قد صار يُحبّ المسيح حبّا حقيقياً ، ليس بكلفة وقتال الخطيئة كما كان اولا ، بل يحبّه حبّا طبيعياً ، كحبّ الابن لابيه ، حبّا لا تغيّره بعد شدّة ولا لذّة . وقبل وصوله الى هذا الحدّ ، قد كان يحبّ الله ، ولكنّه كان بسرعة يقدر الشيطانُ أن يغيّر حبه ، إما بشدّةٍ يبتليه بها فيترك حبَّ الله من اجلها ، أو بلذة يلذّذه بها فيترك الحُبَّ من

أجلها . فاذا هو وصل الى عدم الأوجاع ، صار يحبّ اللهَ حبًا حقيقيا لا يمكن تغييره أبدا ، لا بشدّة ولا بلذّة . وذلك ان الشيطان الذي كان يغيّر حبّ الله من القلب ، قد انتُزع منه بالكلية بقوة الروح القدس الذي ، بحلوله فيه ، طرد ذلك الشرير منه .

أُنظر وافهم أصول العتيقة وأصول الحديثة : ابراهيم واسحق ويعقوب ، هؤلاء الثلاثة هم اصول العتيقة . وهم مخلوقون . والحديثة لها ثلاثة أُصول . ولكن ليست مخلوقة ، اعني الآب والابن والروح القدس . يعقوب رأس الآباء ولد اثني عشر ابناً وهم اصول العتيقة . والمسيح اثني عشر رسولاً ولدهم بالتلمذة ، وهم اصول الحديثة . الشريعة العتيقة أربع أمّهات زوجات يعقوب ، والشريعة الحديثة أربعة اناجيل . الاربع أُمهات زوجات يعقوب فيها سيدتان ، ليّا وراحيل ، وعبدتان ، بلهاء وزلفاء . وكذلك في الاربعة اناجيل عظمان في الرسل كالسيدتين : متى ويوحنّا . وتلميذا الرسل مرقس ولوقا ، لانهما من تلاميذ التلاميذ . آخر من وَلد في الاربع أمهات راحيل المحبوبة من رجلها . وآخر من كتب في الاربعة اناجيل يوحنا حبيب المسيح . السيدتان ولدت إحداهُما اولا والأُخرى اخيرا . والعبدتان ولدتا في الوسط بين السيدتين . وكذلك العظمان في الرسل : متّى أحدهما كتب أولا ، ويوحنا هو أيضا كتب اخيرا . والتلميذان الصغيران ، مرقس ولوقا ، كتبا في الوسط بين الرسولين الكبيرين . عبدة راحيل ولدت ثانيا ومرقس كتب ثانياً ، الذي انجيله في اللفظ يُشبه انجيل يوحنا الذي هو شبه راحيل ، وهو من المعمودية يدلّ مثل يوحنا . وعبدة ليّا ولدت ثالثا ولوقا كتب ثالثا الذي انجيلُه في البيعة يُشْبِه سَعَةَ انجيل متى الذي هو شبه ليّا . وبميلاد المسيح بشّر مثله . فحسناً كانت العتيقة كلُّها جسدانية والحديثةُ كلّها روحانيّة .

أُصول العتيقة ثلاثة : ابراهيم واسحق ويعقوب . وثلاثة الحديثة : الآب والابن والروح القدس . اثنا عشر العتيقة بنو يعقوب ، واثنا عشر الحديثة تلاميذُ المسيح . أُمهات العتيقة أربع زوجات ليعقوب : ليّا وراحيل وبلهاء وزلفاء ، وامهات الحديثة رسولان كبيران : متى ويوحنا ، وتلميذا الرسل : مرقس ولوقا . وليس العجب أن الربّ المسيح رَمَزَ أُصول شريعته في التوراة هكذا ، بل في ابراج الفلك وفي أُصول السنة اثنا عشر شهرا . ولها أربعة فصول : الربيع والصيف والخريف والشتاء ، ولكل فصل منها ثلاث شهور . وموسى ، حين عدا بنو اسرائيل البحر الاحمر ، أتاهم الى موضع اثني عشر من ماء ، وسبعون نخلة تشرب من تلك العيون ، اشارة بالاثنتي عشرة عين ماء الى الاثني عشر رسولاً . والسبعين نخلة الى السبعين تلميذاً المنقادين بالرسل . وهارون كان في خلعة كهنوته اثنا عشر جرساً تنادي . والمسيح رئيس الكهنة في خلعة كهنوته اثنا عشر رسولاً ينادون ببشارته في المسكونة .

القراءة الثانية والاربعون من سفر الخليقة [1]

الكتاب :

« فلمّا ولدت راحيل يوسف قال يعقوب للابان اصرفني فأمضي الى موضعي وأرضي . أعطني بنيّ ونسوتي اللواتي خدمتك بهنّ فأنصرف فإنك تعلم خدمتي التي خدمتك » (تك ٣٠/٢٥ — ٢٦) .

التفسير :

قال الكتاب : ان راحيل لمّا وَلدت يوسف ، طلب يعقوبُ أرضه وبلاده والعودة الى بيت أبيه . وكذلك النفس ، اذا فتح الله عيني عقلها وذاقت لذّة نور اللاهوتية ، حينئذ يطلب العقلُ العلاء ويشتاق بكل شوقه بمحبة لا تتغيّر الى أبيه السماوي الذي قد ذاق حلاوةَ لاهوته ذوقاً حقّانياً ، ونظر الى مجده نظراً صحيحاً لا شكّ فيه . ولعظم الشوق يشتاق الى الرحيل من الجسد ويشتهي النقلة عنه ، لكي يبقى متلذذاً بالنظر اللاهوتي دائماً ؛ لأنه ما دام في الجسد ، لا يمكن ظهوره له دائماً ، بل وقتاً بعد وقت ، يتلذذ بنور اللاهوتية نحو ساعة زمانية أو أكثر . فلعظم حلاوة تلك اللذة ، يكون أبداً مشتاقاً الى الخروج من الجسد ، لكي يبقى متلذذاً بها دائماً .

الكتاب :

« فقال له لابان لو أنّي نلت حظوة عندك فقد صدقت فِراستي وباركني الربّ بسببك . وقال عيّن لي أجرتك فأُعطيك . فقال له أنت تعلم كيف خدمتك وكيف كانت مواشيك معي فإنها كانت قليلة قبل مجيئي وقد نمت كثيراً وباركك الربّ بعد مجيئي . والآن فمتى أحترث أنا أيضاً لبيتي . قال ماذا أُعطيك فقال يعقوب لا تُعطني شيئاً لكن إذا صنعت لي هذا الأمر فأنا أرجع الى رعي غنمك وأحفظها . أمرّ اليوم في غنمك كلها وتعزل منها كل أرقط وأبلق وأدهس من الضأن وكل أبلق وأرقط من المعز فيكون ذلك أجرتي . ويشهد لي نُصحي قدّامك غداً إذا حضرت لأمر أُجرتي فكل ما ليس بأبلق أو أرقط من المعز وأدهس أيضاً من الضأن فهو مسروق عندي . قال لابان أجل فليكن كما قلت . وعزل في ذلك اليوم التيوس المخطّطة والبلقآء وكل عنز رقطآء وبلقآء كل ما فيه بياض وكل أدهس من الضأن فدفع ذلك الى أيدي بنيه . وجعل مسيرة ثلاثة أيام بينهم وبين يعقوب ورعى يعقوب غنم لابان الباقية . وأخذ يعقوب عِصيّ لُبنى رطبة ولوز ودُلب وقشّر فيها خطوطاً بيضآء كاشطاً عن البياض الذي على العصي وجعل العصيّ التي قشّرها تجاه الغنم في الحياض في مساقي المآء حيث كانت ترد الغنم لكي توحم عليها إذا جآءت لتشرب . فكانت توحم الضأن على العصي فتلد بهاماً مخططة ورقطآء وبلقآء . وفرز يعقوب الضأن فجعل في مقدمة الغنم من مواشي لابان كل مخطط وأدهس وجعلها له قطعاناً على حدة ولم يجعلها مع غنم لابان .

---

(١) في المخطوطات ، لا ذكر ليوم تقرأ فيه هذه القراءة .

وكان يعقوب كلما وحمت الغنم الربعية يضع العصيّ تجاهها في الحياض لتوحم عليها . وإذا كانت الغنم في الخريف لا يضعها فتصير الخرفية للابان والربعية ليعقوب . فأيسر الرجل جداً جداً وصارت له غنم كثيرة وإماء وعبيد وجمال وحمير » (تك ٣٠/٢٧ — ٤٣) .

التفسير :

أربع عشرة سنة رعى يعقوبُ الغنم للابان خاله من أجل ابنتَيه ، وسنين أخرى ، رعى غنمه ولم يُعْطِه فيها أجرة . ونظره يعقوبُ يروم أن لا يعطيه أجرته كواجبها . دبّر هذا التدبير لكي يأخذ حقّه بغير خصام . قال له : أفْرِقْ من الغنم كل مُغَيَّر اللون من المعز والضأن ، وخَلِّ بيدي ما لا تغيُّر فيه . فما ولدت ممّا هو مغيّر اللون بقسمي ورزقي فيكون لي . ففرح لابان وظنّ أن ليس يحصل ليعقوب شيء طائل ، ولم يفهم التدبير الذي قد دبّره يعقوب . فلما قشر يعقوب بعض العصيّ الخضر وصيّرها ملوّنة وتركها في مساقي الغنم . توحّمت عليها وحبلت وولدت ملوّنة .

وهذا لم يفعله يعقوبُ لكي يأخذ ما ليس هو له بحقّ ، بل بهذا التدبير أخذ حقّه من الذي أراد اغتصابه إياه . « **وتدبير كهذا فعلته رفقا حين جعلت يعقوب يتزيّا بزيّ عيسو ، حتى أخذ البركة المحقوقة له التي قد باعها له عيسو** » (تكوين ١٥/٢٧ — ٢٩) . « **وتدبير كهذا فعله الربُ المبارك بالاسرائيليين ، حين أخرجهم من مصر اذ أمرهم ان يستعيروا من المصريين أوانيَ ذهب وفضة ، جعلهم بهذا التدبير يحصلون على ما يستحقون الآن أجرة خدمتهم في عمل الطوب والطين** » (خروج ١٢/٣٥ — ٣٦) . وهذا كلّه كان إشارة ورمزاً على التدبير الذي فعله المسيح الهنا في تأنسه في جسده ، واخفائه لاهوته في الجسد عن الشيطان ، حتى نزع خلقه من يده .

وكما أن الغنم احتاجت الى نظر العصيّ المقشّرة حتى تنظرها وتتوحم عليها وتحبل وتلد مثلها ، كذلك تحتاج خراف المسيح الناطقة الى رعاة حافظين الوصايا وعمّالين بها قدّامهم ، لكي يروا أعمالهم الصالحة ويشتاقوا ويتشبّهوا بهم فيها . ومتى عُدِمَت خراف المسيح رعاة هكذا ، لا يثمرون ثمرة صالحة أبداً ولا يصلون الى الغنى المؤبد .

الكتاب :

« فسمع كلام بني لابان قائلين قد أخذ يعقوب جميع ما لأبينا وممّا لأبينا أنشأ جميع هذه الثروة . ورأى يعقوب وجه لابان فإذا به ليس معه كما كان أمس فما قبل » (تك ١/٣١ — ٢) .

التفسير :

لما نظر لابان والرجال بنوه ما قد حصل ليعقوب من الغنى الذي أعانه اللهُ على حصوله له ، حسدوه وعبّسوا في وجهه . ولكن اله يعقوب أعانه عليهم وأنقذه من أياديهم ، وأمره بسرعة أن يرحل من أرضهم ومضى راجعاً الى أبيه . وهكذا يغيّر الشيطانُ جدّاً وجهه وكل أجناده ، ويحسدون الانسانَ البارّ اذا

ما رأوه حصلت له مواهب الله وقد كثرت لِيَـدَيه . فانهم يرومون إهلاكَهُ وَنَزْعَ ذلك منه ، ولكن قوّة الله تحفظه منهم وتنشله من بينهم كما فعلت بيعقوب .

القراءة الثالثة والاربعون (من سفر الكون)

ليوم الثلاثاء من الجمعة السادسة من الصوم المقدس

الكتاب :

« فقال الرب ليعقوب ارجع الى أرض آبآئك وعشيرتك وأنا أكون معك . فبعث يعقوب ودعا راحيل وليئة الى الصحراء حيث كانت غنمه وقال لهما أرى وجه أبيكما ليس كما كان أمس فما قبل ولكن إله أبي لم يزل معي . وأنتما تعلمان أني خدمت أباكما بجميع طاقتي وأبوكما غدر بي وغيّر معي في أُجرتي عشر مرات ولم يدعه الله يسيء إليّ . إن قال هكذا الرقط تكون أُجرتك ولدت جميع الغنم رقطاً . وإن قال هكذا المخططة تكون أُجرتك ولدت جميع الغنم مخططة . فأخذ الله مال أبيكما وأعطانيه . ولما كان وقت وحام الغنم رفعت عينيّ ورأيت في المنام فإذا التيوس النازية على الغنم مخططة ورقطآء وغبرآء . فقال لي ملاك الله في الحلم يا يعقوب قلت لبيّك . قال ارفع عينيك وانظر . جميع التيوس النازية على الغنم مخططة ورقطآء وغبرآء فإني قد رأيت جميع ما يصنعه لابان بك . أنا إله بيت إيل حيث مسحت النصب ونذرت لي نذراً . والآن قم فاخرج من هذه الأرض وارجع الى أرض مولدك » (تك ٣١/٣ — ١٣) .

التفسير :

قد أوضح الكتاب أن الابن كان قد ظلم يعقوب في منح حقه ، ووجع قلب يعقوب جداً . ولما نظر الله عظم وجع قلبه . فطّنه الى ذلك التدبير الذي لم يفهمه لابان . ولكثرة وجع قلبه وحزنه ، عزّاه في المنام واحلمه ان الغنم ستلد لمرادك وان ذلك من فعلي . لأني أنا الذي فطّنتك الى الفعل والتدبير . وقوله ان ملاك الله كلّمني وقال لي : أنا الله الذي ظهرت لك في بيت الله . حقّق ان المُخاطب له هو الابن . ولذلك أسماه ملاكاً وإلهاً ، كما أنه في آخر الزمان ظهر انساناً وهو إله .

ولذلك قال : أنا الله الذي ظهرت لك في بيت الله ، يعني في بيت أبي الذي هو اله حق . وأنا اله حقّ ، مولودٌ منه . ولأن ذلك البيت الذي ظهر له فيه على السلّم كان سرّ الجماعة المسيحية ، كما قد ذكرنا في موضعه ، فلذلك ذكر المسيحيّةَ وقال : حيث مسحت لي نصبه هناك . وأمره بالعودة الى أرضه التي بها وعده . قال اني أحضرتك الى هذه الأرض لكي تأخذ منها غنى . وتعود الى أرضك وغناك معك . وهكذا يريد الله منّا في هذا العالم أن نأخذ لنا غنى بالأعمال الصالحة . وحينئذ نمضي الى أرضنا الحقيقية السماوية ، ونحن لغنانا حاملون .

الكتاب :

« فأجابت راحيل وليئة وقالتا له هل بقي لنا نصيب وميراث في بيت أبينا ألسنا عنده بمنزلة غربآء وقد باعنا وأكل

ثمننا فكلّ الغنى الذي أخذه الله من أبينا هو لنا ولبنينا . والآن فجميع ما قال الله لك فافعله » (تك ١٤/٣١ — ١٦) .

التفسير :

يعقوب ها هنا يشبه العقلَ وراحيل وليّا تشبهان النفس والجسد . ولابان يشبه الشيطان أركونَ العالم الذي النفس والجسد تحت سلطانه . ما دام يزرع فيهما الخطيئة فهما له كالبنات . فاذا ما جاهد العقل وقاتل الشيطان واستغنى من جهة قتاله بعناية الروح القدس وامتلأ من النعمة ، حينئذ تصير نفسُه وجسده له خاضعَين وطائعَين وموافقَين على الفرار من يد الشيطان والهروبِ من أرضه ، الذي معناه أن تصير نفسُه فارّةً وكارهة ومبغضة لكل لذّات الخطيئة ، وراغبةً الى الله بصلاة وتضرّع لا ينقطع ، أن يُعِينها على الفرار من ذلك والخلاصِ بالكلية .

القراءة الرابعة والاربعون من سفر الخليقة (١)

الكتاب :

« فقام يعقوب وحمل بنيه ونسآءه على الجمال وساق جميع ماشيته وجميع ماله وكل مقتناه الذي امتلكه في فدان أرام منصرفاً الى إسحق أبيه إلى أرض كنعان » (تك ١٧/٣١ — ١٨) .

التفسير :

هكذا تأخذ النفس كل الغنى الذي تناله في هذه الدنيا من الروح القدس بالأعمال الصالحة . وتمضي الى السماء . الى الآب الذي هناك .

الكتاب :

« وكان لابان قد مضى ليجزّ غنمه فسرقت راحيل أصنام أبيها » (تك ١٩/٣١) .

التفسير :

حقّق الكتاب أن جميع الناس كانوا يعبدون الأصنام ، حتى أهل ابراهيم وأقاربه الخاصّين به ، الذين منهم خرج .

الكتاب :

« وخاتل يعقوب لابان الأرامي ولم يخبره بفراره وهرب بجميع ما له وقام فعبر النهر واستقبل جبل جلعاد . فأُخبر لابان في اليوم الثالث أن يعقوب قد فرّ فأخذ إخوته معه ومضى يتعقّبه مسيرة سبعة أيام فأدركه في جبل جلعاد . فوافى الله لابان الأراميّ في الحلم ليلاً وقال له إيّاك أن تكلّم يعقوب بخير أو شرّ » (تك ٢٠/٣١ — ٢٤) .

التفسير :

هكذا يسرع الشيطان بجنوده في طلب النفس الصالحة التي تخلص من يده وتصعد من جسدها . يسرع ويلحقها في الهواء ويروم القبض عليها ومنعها من الصعود الى السماء . كما يفعل بكل نفس تحت سلطته من النفوس التي ليس لله فيها مسكناً . ولكن هذه النفس الصالحة عندما يجري خلفها ، يمنعه الله مثلما منع لابان من مضايقة يعقوب .

---

(١) [illegible]

الكتاب :

« وأدرك لابان يعقوب وكان يعقوب قد ضرب خيمته في الجبل فخيّم لابان وإخوته في جبل جلعاد . فقال لابان ليعقوب ماذا صنعت قد خاتلتني وسُقت بنتيّ كالمسبيّتين بالسيف . لِمَ هربت خفية وخاتلتني ولم تُخبرني فأشيّعك بفرح وأغاني ودُفّ وكنّارة ولم تدعني أقبّل بنيّ وبناتي فإنك بغباوة فعلت . إن في طاقة يدي أن أصنع بكم سوءاً لولا أن إله أبيكم قد كلّمني البارحة قائلاً إيّاك أن تكلّم يعقوب بخير أو شرّ . والآن إنمّا انصرفت لأنّك اشتقت إلى بيت أبيك فلم سرقت آلهتي . فأجاب يعقوب وقال للابان لأنّي تخوّفت وقلت لعلّك تغتصب بنتيك مني وأمّا آلهتك فمن وجدت معه فلا يحيا . أثبت ما هو لك معي أمام إخوتنا وخذه . ولم يكن يعقوب يعلم أن راحيل قد سرقتها . فدخل لابان خبآء يعقوب وخبآء لية وخبآء الأمتين فلم يجد شيئاً . وخرج من خبآء لية ودخل خبآء راحيل . وكانت راحيل قد أخذت الأصنام وجعلتها في رحل الجمل وجلست فوقها . فبحث لابان في جميع الخبآء فلم يجد شيئاً . فقالت لأبيها لا يشقّ على سيدي إني لا أستطيع أن أقوم أمامك إذ قد عرض لي سبيل النسآء . ففتّش فلم يجد الأصنام . فاشتدّ ذلك على يعقوب وخاصم لابان وأجاب يعقوب وقال للابان ما جرمي وما خطيئتي حتى ثُرت في عَقبي . وقد بحثت في جميع أثاثي فماذا وجدت من جميع أثاث بيتك ضعه ههنا أمام إخوتي وإخوتك وليُنصفوا بيننا كلينا . لي عشرون سنة معك ونعاجك وعنازك لم تسقط ومن كباش غنمك لم آكل . فريسة لم أُحضر إليك وإنّما كنت أنا أغرمها ومن يدي كنت تطلبها مخطوفة النهار ومخطوفة الليل . وكان يلذعني الحرُّ في النهار والقرس في الليل ونفر نومي من عيني . وهآءنذا لي عشرون سنة في بيتك خدمتك أربع عشرة سنة ببنتيك وست سنين بغنمك وغيّرت معي في أُجرتي عشر مرات . ولولا أن إله أبي إبراهيم ومهابة إسحق معي لكنت الآن قد صرفتني فارغاً وقد نظر الرب إلى مشقّتي وتعب يديّ ووبّخك البارحة » (تك ٣١/٢٥ — ٤٢) .

التفسير :

كما أن لابان حين لحق يعقوبَ وفتّش كلّ شيء له ولم يترك له شيئاً ، لم يفتّشه كذلك الشيطانُ اذا هو لحق النفسَ في الهواء يحاسبها عن كل شيء فعلته من معاصي الله التي أطاعته فيها وأغضبت خالقها . فطوبى للنفس التي لا يجد له فيها شيئاً ، بل كل معصية يذكرها لها ، يجدها قد صنعت توبة عوضها واستوفت بها عنها . والويل ثم الويل للنفس التي يجد له فيها شيئاً . راحيل حين كان للابان معها شيء من نجاسته ، استوجبت الموت بلعنة يعقوب لها ، لأنه قال للابان : من وجدت الهتك معه لا يحيا . وكذلك كان : ماتت راحيل ولم تستحق الوصول مع يعقوب الى إسحق أبيه في أرض الميعاد ؛ وكذلك النفس التي يكون للشيطان فيها شيء من نجاسته ، تُحْرَم الحياةَ المؤبدة وتنال الموتَ الدهري الذي هو العذاب الغير الفاني .

قال الانجيل : **« ان الزواني المرذولات اذا تبن واعترفن يسبقنكم للملكوت »** (متى ٢١/٣١) ، والذي يثق بنفسه ببرّه ويتعظم يموت ، والنفس الغالبة التي لا يجد الشيطان له فيها شيئاً تتسلّط عليه وتنتهره وتوبّخه وتفضحه كالذي فعل يعقوب بلابان ، لمّا لم يجد له معه شيئاً . وربّنا يسوع المسيح هكذا فعل بالشيطان لما جاءَه على الصليب في ساعة موته ، لم يجد له فيه شيئاً ، فضحه ربُّنا ووبّخه ونهب كلّ شيء له في دِيَة موته .

الكتاب :

« فأجاب لابان وقال ليعقوب البنات بناتي والبنون بنيَّ والغنم غنمي وجميع ما تراه هو لي فماذا تُراني اليوم أفعل بناتي وبالبنين الذين ولدنهم . والآن فهلمّ نقطع عهداً أنا وأنت ويكون هو شاهداً بيني وبينك . فأخذ يعقوب حجراً وأقامه نصباً وقال يعقوب لإخوته اجمعوا حجارة . فجمعوا حجارة وجعلوها كومة وأكلوا طعاماً فوق الكومة . وسمّاها لابان يجر سهدوتا وسمّاها يعقوب جلعاد . وقال لابان هذه الكومة تكون شاهداً بيني وبينك اليوم . ولذلك سُمّيت جلعاد . والمصفاة لأنه قال ينظر الرب بيني وبينك حيث يتوارى كل واحد منّا عن صاحبه إن كنت تعني بنيّ أو تتخذ عليهما نسآء فليس بيننا أحد . ولكن انظر . الله شاهد بيني وبينك وقال لابان ليعقوب هذه هي الكومة وهذا هو النصب الذي وضعت بيني وبينك . هذه الكومة شاهد والنصب شاهد أني لا أتخطّى هذه الكومة إليك وأنك لا تتخطّى هذه الكومة وهذا النصب إليَّ لِشرّ . إله إبراهيم وإله ناحور وإله أبيهما يحكم بيننا . وحلف يعقوب بمهابة أبيه إسحق . وذبح يعقوب ذبيحة في الجبل ودعا إخوته ليأكلوا طعاماً فأكلوا وباتوا في الجبل وبكّر لابان بالغداة فقبّل بنيه وبناته وباركهم وانصرف لابان راجعاً الى مكانه » (تك ٣١/٤٣ — ٥٥) .

التفسير :

حقّق الكتاب أن الانسانَ محتاج الى تذكار مُشَخَّص قدّام عينيه ، كما قد أقام يعقوبُ ولابان تلك التلّ من الحجارة وأسموها شاهدة . ومتى عَدِمَ الانسانُ التذكارَ هكذا ، ضَعُفَ منه الذكرُ المحبي . ومن أجل هذا . وضع لنا ربُّنا جسدَه ودمه في كنائسه كلّها وقال : إن بهذا تذكرون موتي الى حين مجيئي . لأنّا نراه في الصينية ملفوفاً بالخِرَق ، كما كان في القبر ملفوفاً بالأكفان ، ميْتاً عنّا . لأن في قبره كان جسدُه متحداً بلاهوته بغير نفس . لأن نفسَه كانت قد فارقت جسدَه بارادته على الصليب وانحدرت الى الجحيم متّحدةً أيضاً بلاهوته لخلاص مَنْ هناك . وبقي جسدُه في القبر بلا نفس واللاهوتُ متّحد به .

ولذلك هو في الصينية الخبزُ الذي هو جسده متّحدٌ بلاهوته ، لأن الخبزَ لم يصر جسدَه الا باتحاد لاهوته ، كما ان اللحم والدم المأخوذ من مريم باتحاد لاهوته به صار لحمَهُ ودمَه . فهو في الصينية ميّت عنّا ودمُه مهروق في الكأس ، كما قد هرقه في الحربة على الصليب . وهو ميّت من أجلنا ، لكي هكذا نراه ونتذكر عظم انعامه علينا وعظم محبته لنا هكذا ، وكيف مات وأهرقَ دمه عنا هكذا ، ونحبّه ونحفظ وصاياه ، كما حبّنا ، لأنه هكذا قال : « **ان كنتم تحبوني فأنتم تحفظون وصاياي** » (يوحنا ١٤/١٥) ، لأنه لم يدفع لنا صورةَ موته هكذا الا لكي نذكره ونحبّه ونحفظ وصاياه . فمن لا يذكره ذكراً هكذا ، ويحبّه ويحفظ وصاياه . فلم ينتفع بالجسد والدم الكريمَين ، بل يُدانُ من أجلها جدّاً ويُعاقَب .

الكتاب :

« ومضى يعقوب في طريقه فوافته ملائكة الله فقال يعقوب لمّا رآهم هذا جُند الله وسمّى ذلك الموضع محنائيم » (تك ٣٢/١ — ٢) .

التفسير :

لمّا تخلّص يعقوب من لابان ، ومضى الى طريقه ، قال : إن ملائكة الله تلقّوه . كذلك النفس إذا ما غلبت الشيطانَ وجندَه في الجو ، ولم يكن لهم سبيلٌ أن يقبضوها بمعصية واحدة ، الا واعترفت وتابت عنها ، حينئذ يرجعون مخزيين . وتصعد هي الى السمّاء وتتلقّاها ملائكة الله للوقت بالبهجة والسرور ، مثل مَن قد قاتلت وغلبت اعداءَ سيدهم . ولذلك قال : ان يعقوب اسمى ذلك الموضعَ ذات العسكر ، يعني بالموضع الجوَّ الذي فيه تجتمع النفس عسكريَن : الشياطين والملائكة . فاذا حاسبها الشياطين ولم يجدوا لهم فيها شيئاً ، أخذتها الملائكة .

القراءة الخامسة والاربعون من سفر الكون[1]

الكتاب :

« ووجه يعقوب رسلا قدامه الى عيسو أخيه الى أرض سعير حقل أدوم وأوصاهم قائلا هكذا قولوا لسيدي عيسو . كذا قال عبدك يعقوب . إني نزلت بلابان فلبثت الى الآن وقد صار لي بقر وحمير وغنم وعبيد واماء وبعثت من يخبر سيدي لأنال حظوة في عينيك . فرجع الرسل الى يعقوب قائلين قد صرنا الى أخيك عيسو فاذا هو قادم لملتقاك ومعه أربع مئة رجل . فخاف يعقوب جداً وضاق به الأمر فقسم القوم الذين معه والغنم والبقر والجمال الى فرقتين وقال ان صادف عيسو إحدى الفرقتين فأهلكها نجت الفرقة الأخرى . ثم قال يعقوب يا إله أبي إبراهيم وإله أبي إسحق الرب الذي قال لي ارجع الى أرضك والى عشيرتك وأنا أُحسن اليك . أنا دون أن أستحق جميع ما صنعت الى عبدك من المراحم والوفاء لأني بعصاي عبرت هذا الأردن والآن قد صار لي فرقتان . فأنقذني من يد أخي من يد عيسو فإني أخاف منه أن يأتي فيقتلنا الأمهات مع البنين . وأنت قد قلت إني أحسن إليك وأجعل نسلك كرمل البحر الذي لا يحصى لكثرته . وبات هناك تلك الليلة وفرز مما جاء به معه هدية لعيسو أخيه مئتي عنز وعشرين تيساً ومئتي نعجة وعشرين كبشا وثلاثين ناقة مرضعا مع أولادها وأربعين بقرة وعشرة ثيران وعشرين أتانا وعشرة جحاش . ودفعها الى أيدي عبيده قطيعا كلا على حدة . وقال لعبيده تقدموا أمامي وأبقوا مسافة بين قطيع وقطيع . وأوصى الأول قائلا إن صادفك عيسو أخي وسألك فقال لمن أنت والى أين تمضي ولمن هذا الذي بين يديك . فقل لعبدك يعقوب هو هدية مرسلة الى سيدي عيسو وها هوذا أيضا وراءنا . وأوصى الثاني بمثل ذلك وأيضا الثالث وهكذا سائر الماضين وراء القطعان قائلا كذا تقولون لعيسو إذا لقيكم . وقولوا أيضا هوذا عبدك يعقوب أيضاً وراءنا لأنه قال أستعطفه أولا بالهدية المتقدمة أمامي وبعد ذلك أنظر وجهه لعله يرضى عني » (تك ٣/٣٢ — ٢٠) .

التفسير :

هذا الخوف الذي خافه يعقوب من لقاء عيسو أخيه بعد لقاء الملائكة ، اشارة الى خوف النفس من لقاء المسيح بعد خلاصها من الشيطان ، ولقاء الملائكة لها وارتفاعها الى السماء ، تخاف وترتعد جدّا من لقاء المسيح ومن السجود بين يديه ، وتذكر ما أرضته به من الاعمال الصالحة والهدايا التي قد أَرْسَلَتْها اليه قدّامها ، التي بها يقوى قلبُها وتتلقاه برجاء . وبهذا الكلام علّمنا ربّنا ان من لا تكون له هدية تسبق قدامّه ، لا أمنَ لخوفه ولا سلامة له في لقاء المسيح ربّه . وقد أوضح الكتاب ما الهدية التي يجب ان نرسلها قدّامنا الى ربّنا لكي نُرضيه بها ، وفيها ننظر الى وجهه ويقبلنا ، لانه قال إن يعقوب أرسل الى أخيه هدية ، خمس قطعان من المواشي ، من المعز ومن الضأن ومن النوق ومن البقر ومن الحمير . وهذه الخمسة مضعّفة ذكوراً واناثا ، يريد بها ان نطهّر حواسّنا العشرة : الخمسة التي للجسد والخمسة التي

[1] في المخطوطات ، لا ذكر ليوم تقرأ فيه هذه القراءة .

للنفس . لان الذكور أراد بها حواسّ النفس والاناثَ حواسَّ الجسد .

فاذا نحن أرسلنا قدّامنا الى ربّنا هديةً هكذا بتنقية أنفسنا من كل أوساخ خطيئة الجسد والروح ، أرضيناه علينا واستحققنا النظر الى وجهه لانه قال : « **طوبى الطاهرة قلوبهم فانهم يرون الله** » (متى ٨/٥ و //) . والقديس بولس يقول : « **اسعوا الى الصلح مع كل احد والى الطهارة التي بغيرها لا يرى احد الله** » (عبرانيين ١٤/١٢) . والنبي داود يقول : « **من يصعد الى جبل الرب . أو من يقف على موضعه المقدس الا الطاهر في يديه ، النقيّ في قلبه** » (مز ٣/٢٣ — ٤) ، وبغير هذه الطهارة هكذا ، لا يرى أحد الله ولا يتنيّح بمشاهدته ؛ لانه طهارة مُضَعَّفة ، كطهارة الجسد من كل نظر وسمع وشمّ وذوق ولمس ، وطهارة القلب من كل فكر مسخط .

هاتان الطهارتان ، عنهما قال يعقوب بقلبه : اجعل ما لي عسكرَين ، حتى اذا جاء العدو يهلك الواحد ويسلم الآخر . ومعنى هذا أن يكون خوفُ الله وعملُ وصاياه داخلاً في القلب وخارجاً في الجسم . والشيطان له استطاعة ان يُلقي دنسه في العمل الخارج في الجسم ؛ لانه اذا كان الانسان يصوم بالجسد ويسجد بالجسد أو يقف بالصلاة بالجسد أو يخدم بالجسد ، فان العدو له استطاعة ان يضرّه في هذه الاعمال الظاهرة . هكذا من يجعله يمدحه ويمدح عمله الصالح . هذا يقصد أن يضيّع عليه هذا العمل بمدح الناس . فان كان له عمل الله داخل قلبه ، فانه في ذلك الوقت لا يفرح بمديح الناس . ولا يقبله ولا يتلذذ به ولا يتعظّم في فكره . فيبقى له عمل سالم . وان خايل له العدوُ بمنظر نجس أو بسماع نجس لكي ينجّس به جسدَه ، وكان قلبُه مع الله ، فانه في ذلك الوقت يمنع نظرَه وسمعه عن ذلك النجس ؛ وان غفل عن نفسه دفعة حتى ينظر ويستلذّ أو يسمع أو يشمّ أو يذوق أو يلمس ، فانه يسرع بما في قلبه من خوف الله احدُ العسكرين الذي هو سالم له ، فيصنع توبة عن ما قد جرى له من الشيطان وأخطأ فيه من خارج . وكذلك اذا ما ضربه الشيطان بمرض في جسمه أو بشغل ضروريّ أو عائقة ضرورية يشغله بها عن العمل الصالح الذي يُعمل من خارج ، يبقى له عمله الذي من داخل دائما سالما بغير بطلان .

« **فهذا هو الزيت الذي قال ربّنا إن العذارى الحكيمات أَخذْنَهُ معهنّ في أوعيتهنّ مضافاً الى الزيت الذي في سرجهنّ** » (متى ٤/٢٥) . هو العمل البراني . والزيت الذي في أوعيتهنّ هو عملهنّ الجواني . كلّما نقص عملهنّ البرانيّ بسبب من الاسباب المقدّم ذكرها ، زدنه وجددّنه من العمل الجواني ، كما يزاد زيتُ السراج من الزيت الذي في الوعاء . ومن ليس له عمل جوانيّ ، سماهنّ عذارى جاهلات ، لكون الشيطان قادر أن يوسّخ عليهنّ عملهنّ البرانيّ ويعيبه بمديح الناس أو يبطلهنّ منه البتة ببعض الاسباب المقدّم ذكرها . أو يجعل الجسد يخطأ بمعنى من المعاني . فاذا لم يكن خوف الله وعمله داخل القلب ، لم يصنع توبة عن تلك الخطيئة . وربما لذّت له وثبت فيها ، فيكون من العذارى الجاهلات ، ويُحترم الدخول الى العرس والتلذّذ باتحاده بالعرس الذي هو له عروسه .

الكتاب :

« فتقدمته الهدية وبات هو تلك الليلة في المحلة . وقام في تلك الليلة فأخذ امرأتيه وأمتيه وبنيه الأحد عشر فعبر مخاضة يبوق أخذهم وعبرهم الوادي وعبر ما كان له . وبقي يعقوب وحده فصارعه رجل الى مطلع الفجر . ورأى أنه لا يقدر عليه فلمس حق وركه فانخلع حق ورك يعقوب في مصارعته له . وقال أطلقني لأنه قد طلع الفجر . فقال لا أطلقك أو تباركني . فقال له ما اسمك . قال يعقوب . قال لا يكون اسمك يعقوب فيما بعد بل إسرائيل لأنك إذ رؤست عند الله فعلى الناس أيضا تستظهر . وسأله يعقوب وقال عرفني اسمك . فقال لم سؤالك عن اسمي وباركه هناك . وسمّى يعقوب الموضع فنوئيل قائلا إني رأيت الله وجها الى وجه ونجت نفسي » (تك ٣٢/٢١ — ٣٠) .

التفسير :

أوضح الكتاب صعود النفس من وادي العالم وعبورَها الى السماء ونظرها اللهَ وجهاً لوجه وفرحها بخلاصها . هكذا هدايا تكون للنفس التي قد سبقتها هداياها الى الله بطهارة نفسها وجسدها ، وتخلّصت من مطالبة ابليس ، خزاه الله ، في الجوّ . وفرحت الملائكةُ بظفرها . فهي حينئذ تَعبُرُ الى السماء . والمسيح يفرح بلقائها . كما خرج عيسو للقاء يعقوب ، وهي الى وجهه الالهي تنظر ومعه تتنعّم . واسرائيل بحقّ تسمّى لنظرها لاهوته . لان تفسير اسرائيل « عقل ناظر الله » ؛ وفي هذا الموضع ، أظهر الكتابُ تأنّس المسيح الاله ببيان لولاه لم نقدر على نظر الله ، لانه قال : ان الاله في صورة انسان صارعَ يعقوب . يعني بمصارعته اتصال لاهوته بناسوت من زرعه ، لان الله الكلمة تأنّس وصار جسداً من زرع يعقوب . ولذلك ضُرِبَ يعقوب في حقّ وركه وسُلَّ منه عرق .

أوضح ببيان عن الناسوت الذي سيأخذه من زرعه ، لان الورك هو موضع الزرع ، ومن هناك كان الاله مزمعاً أن يظهر متجسداً ، ومن أجل هذا ، كان ابراهيم واسحق ويعقوب ، اذا ارادوا أن يستحلفوا انسانا بالله ، يجعلونه يضع يده على ذلك الموضع ويحلف بالله ، اشارةً الى ظهور المسيح الاله المتجسّد من الزرع . وقوله انه لم يقوَ بيعقوب عندما صارعه ، اشارة الى الضعف الذي احتمله باختياره على الصليب من بني يعقوب ، واطلاقه عند الصباح اشارة الى قيامته من الاموات التي ظهرت سحر يوم الأحد . وقوله انك قويت مع الله ولك قوة في الناس ، يعني ان الاله المتجسّد من زرع يعقوب كامل القوّة في لاهوته وناسوته . فان قلنا الهاً فهو انسان ، وان قلنا انسانا فهو بعينه الاله . وقال انه اسمى ذلك الموضع وجه الله . يحقّق ان اللاهوت والناسوت وجه واحد واقنوم واحد . وان الناظر الى ذلك الناسوت نظر الاله وجهاً لوجه ، وتخلّصت نفسه . وهذا فعله الرب مع يعقوب لكثرة ما كان فيه من الخوف من عيسو . أراه الرب هذا المنظر تلك الليلة لكي يقوى قلبُه بالرب وتؤمن نفسُه .

الكتاب :

« وأشرقت له الشمس عند عبوره فنوئيل » (تك ٣٢/٣١ أ) .

التفسير :

يعني انه عند اشراق الشمس ، سار من الموضع الذي أسماه وجه الله ، وفي هذا القول أوضح ان الذي يصل الى الاله المتجسّد ويجوز بوجهه ، فان شمس البرّ تشرق له . فهذا يكون كلٌّ من يراه متجسداً في الكنيسة كل حين ، ويحفظ عمل وصاياه ، ويسعى اليه ، فان نور خوفه ومحبته تشرق له بقوّة .

الكتاب :

« وهو يظلع من وركه ولذلك لا يأكل بنو إسرائيل عرق النسا الذي مع حق الورك الى هذا اليوم لأنه لمس حق ورك يعقوب على عرق النسا » (**تك ٣١/٣٢ ب — ٣٢**) .

التفسير :

حقّق الكتاب أنه لم يكن منظرٌ بحلم حُلم في المنام ، بل ورك يعقوب من حُقٍّ أعرج . وصار بنو اسرائيل لا يأكلون العرق لكي يتذكروا العرق الذي أخذه من يعقوب . حتى اذا هو فعل ذلك بالحقيقة . وأخذ الجسد من يعقوب وظهر متجسداً ، لا ينكرونه .

الكتاب :

« ثم رفع يعقوب طرفه ونظر فاذا عيسو مقبل ومعه أربع مئة رجل ففرق أولاده على ليئة وراحيل والأمتين . وجعل الأمتين وأولادهما أولا ثم ليئة وأولادها ثمّ راحيل ويوسف أخيراً وهو يقدمهم وسجد الى الأرض سبع مرات حتى دنا من أخيه . فبادر عيسو وتلقاه وعانقه وألقى بنفسه على عنقه وقبله وبكيا » (**تك ١/٣٣ — ٤**) .

التفسير :

هذه صورة لقاء النفس لله عند طلوعها اليه بسجود هكذا وبترحيب منه لها وبشاشة واكرام . وفي هذا أيضا يعلمنا « **ان الراعي الصالح يجب أن يبذل نفسه عن خرافه** » (يوحنا ١١/١٠) ، لان يعقوب قدم نفسه قدّام الكلّ . وكلّما كان عنده عزيز كريم ، أبعده جدا من موضع الخوف . وكذلك يجب على النفس ان تصون أثمارها الروحانية . وتحفظها من كلما تخشى عليها فيه من الأذى ، أكثر من صيانتها الامور الجسدانية . وها هنا يعلّمنا الكتاب أيضا ان الانسان اذا هو أغضب الله ، ثم عاد استرضاه بالهدايا التي يرسلها اليه قدّامه بتطهير حواسّه ، فانه يرضى عنه ويلقاه بفرح .

وقد يجب ان نعلم أن المسيح يقوم للقاء النفس المرضية له ويخرج اليها مسروراً بها ، كالذي فعله عيسو مع يعقوب أخيه ، ولو كانت قديما قد أغضبته . وكذلك « **ذكر الانجيل عن الابن الاصغر حين تاب ورجع الى الأب ، قبلّه الأب على رقبته وجعل يبكي على ابطائه في الغربة** » (لوقا ٢٠/١٥) . « **وفرح فيه أكثر من القدّيسين الذين لم يخالفوا وصاياه . وكذلك تُسرّ جند السماء ، أعني الملائكة ، بالذي يتوب** » (لوقا ٧/١٥) ويعترف بخطاياه لمعلّم التوبة ، كما فرح الاب في ابنه الاصغر عند عودته ، وطربت له أجناد السماء لما رأوه من فرح ربّهم به . والواجب علينا كل حين الاتضاع وفضوح

النفس بالقرار قدّام غيرها ، وحملُ التعب مما يفرضه علينا ، ولو كان شيئا يسيراً وقليلاً .

الكتاب :

« ورفع عينيه فنظر النساء والأولاد فقال ما هؤلاء منك . قال البنون الذين رزقهم الله عبدك . فتقدمت الأمتان وأولادهما وسجدوا . ثم تقدمت ليئة أيضا وأولادها وسجدوا . وأخيرا تقدّم يوسف وراحيل وسجدا . فقال ما أردت من جميع الثروة التي صادفتها . قال أن أنال حظوة في عيني سيدي . قال عيسو إن عندي كثيراً فما لك يبقى لك يا أخي . قال يعقوب لا إن نلت حظوة في عينيك فاقبل هديتي من يدي فإني رأيت وجهك كما يرى وجه الله ورضيت عني . فاقبل بركتي التي جئت بها اليك فان الله قد أنعم علي وعندي من كل شيء وألح عليه فقبل » (تك ٣٣/٥ — ١١) .

التفسير :

اسحق حين بارك على يعقوب قائلا : يسجد لك اولاد أبيك ، وهوذا يعقوب قد سجد لعيسو أخيه ودعاه سيدا له . ولم يسجد عيسو ليعقوب قطّ ولا بنو عيسو لبني يعقوب . ولكنّ هذه البركة تمّت ليعقوب بالمسيح الذي ظهر من زرعه . هو الذي تعبّدت له الامم ، وله يسجد بنو أبيه ، يعني الذين به صاروا اولاد الله بالمعمودية المقدسة .

الكتاب :

« ثم قال له نرحل ونمضي وأسير معك . فقال له سيدي يعلم أن الاولاد رخصة والغنم والبقر التي عندي مرضعات فان جهدتها يوما واحداً هلكت الغنم كلها . فليتقدم سيدي عبده وأنا أستاق رويداً في أثر الماشية التي أمامي وفي أثر الأولاد حتى آتي سيدي في سعير . فقال عيسو أخلف عندك من القوم الذين معي . قال لماذا حسبي أني أصبت حظوة في عيني سيدي . فرجع عيسو في ذلك اليوم في طريقه الى سعير ورحل يعقوب الى سكوت فبنى له بيتاً وصنع لماشيته مظلات ولذلك سمي الموضع سكوت » (تك ٣٣/١٢ — ١٧) .

التفسير :

بعد لقاءِ النفس بالمسيح وسجودها له ، تمضي الى موضع راحتها تستظلّ فيه وتستريح الى الأبد ، وترث منازل وبيوتاً مثل قول الرب : « **ان في بيت أبي منازل كثيرة** » (يوحنا ١٤/٢) ؛ ومثل قوله أيضاً : « **اصنعوا لكم اصدقاء من مال الظلم ، حتى اذا تقدمتم يقبلونكم في مظالاتهم الدهرية** » (لوقا ١٦/٩) . حقّق الله سبحانه ان للصدّيقين عنده مظالاً دهرية . وقوله انه يصنع لمواشيه مظلات ، يعني ان الصدّيق ، اذا صار عند المسيح ، يكون هناك يشفع للذين يتقرّبون الى الله ، تبارك اسمه على يده . وكذلك ينشفعون الى الرب به .

القراءة السادسة والاربعون من سفر الخليقة [١]

الكتاب :

« ثم أتى يعقوب شليم مدينة أهل شكيم التي بأرض كنعان حين جاء من فدان أرام فنزل قبالة المدينة وابتاع قطعة الحقل التي ضرب فيها خباءه من بني حمور أبي شكيم بمئة نعجة . وأقام هناك مذبحاً ودعاه باسم القدير إله إسرائيل » (تك ١٨/٣٣ — ٢٠) .

التفسير :

لمّا وصل يعقوب الى أرض كنعان التي هي أرضهم الموعودين بها ، بنى لربّه مذبحا ، ودعا اسمه عليه . وابتاع ملكا من مزرعة بمائة نعجة . وفي جميع الزمان الذي تغرّب فيه ابراهيم واسحق ويعقوب بارض كنعان ، لم يرثوا فيها سوى الضيعة التي ابتاعها ابراهيم ، دفن فيها زوجته ساره جزاء من الضيعة التي ابتاعها . وقد كنا فهمنا ان تلك الضيعة هي الكنيسة التي ابتاعها سيدنا المسيح بدمه ، والقبرَ الذي فيها ، الذي هو مغارة مضعّفة ، هو المعمودية والتوبة اللتين فيهما نَدْفُن خطايانا . وهذا الجزء من الضيعة الذي ابتاعه يعقوب ، يُفهمُ أنه الرهبنةُ التي جعلها المسيح بآلامه ، وحمل صليبه خلاصاً لمن يحمل نيرها ويكمّل واجبها ، فانه يقطع ويذبح نفسه لله بالاتضاع ذبيحة حقيقية مثل قول داود النبي : « **ان ذبيحة الله قلبٌ منسحق متواضع** » (مزمور ١٩/٥٠) . فبهذا يتمّ الراهب ، ويصل اليه اذا كان يدعو اسم الرب في قلبه وفمه بلا فتور ، ويقرّ عليه باسم الرب من كل فكر يروم أن يوسّخ قلبه .

الكتاب :

« وخرجت دينة بنت ليئة التي ولدتها ليعقوب لتنظر بنات البلد ، فرآها شكيم بن حمور الحوي رئيس البلد فأخذها وضاجعها وأذلها . وتعلقت نفسه بدينة بنت يعقوب وأحب الفتاة ولاطفها » (تك ١/٣٤ — ٣) .

التفسير :

لو لم تخرج الصبيّة وتتفرج وتنظر ما لا تحتاج اليه ، لم تفسد بتوليتها . هكذا الراهب ، اذا هو مدّ نظره ما قد عاهد المسيح انه لا ينظر اليه بعد ، أو مكّن قلبه من الفكر فيه البتة ، فان العدوّ الشرير يفسق بنفسه ، وينجّسها ويفسد طهارتها وينقص خوفَ الله منها ومحبتَه ، ويكون ذلك حزناً وعاراً لروح المسيح ، كالذي حلّ بيعقوب من أجل ما نال ابنته .

---

(١) في المخطوطات . لا ذكر ليوم تقرأ فيه هذه القراءة .

الكتاب :

« وكلّم شكيم حمور أباه قائلاً خذ لي هذه زوجة . وسمع يعقوب أنه قد دنّس دينة ابنته وكان بنوه مع ماشيته في الصحراء فسكت يعقوب حتى جاءوا . فخرج حمور أبو شكيم إلى يعقوب ليخاطبه . وجاء بنو يعقوب من الصحراء حين سمعوا فحنق القوم وشقّ عليهم جداً لأنه قد صنع فاحشة في إسرائيل إذ ضاجع ابنة يعقوب ومثل ذلك لا يُصنع . فتكلم حمور معهم قائلاً إن شكيم ابني قد علقت نفسه بابنتكم فأعطوها له زوجة وصاهرونا أعطونا بناتكم وخذوا بناتنا . وأقيموا معنا وهذه الأرض بين أيديكم أقيموا بها واتجروا وتملّكوا . وقال شكيم لأبيها وإخوتها هبوني حظوةً في عيونكم وما تقترحوه عليّ أؤدّه لكم . أكثروا عليّ المهر والعطايا جداً فأعطيكم كما ترسمون لي وأعطوني الفتاة زوجة » (تك ٣٤/٤ — ١٢) .

التفسير :

اذا ميّل الراهب عقله الى فكر من كل افكار العالم التي قد رفضها ، يبتهج الشيطان به جدًا ، ويروم التقبض عليه تحت طاعته باقي حياته . وبخداع كثير يخدع عقله (...) [1] بربطه معه دائما لمحبته اللذة .

الكتاب :

« فأجاب بنو يعقوب شكيم وحمور أباه بكيد ومكروا بهما لأنه دنس دينة أختهم . وقالوا لهما لا نستطيع أن نصنع هذا أن نعطي أختنا لرجل أقلف لأنه عار عندنا . لكننا بهذا نوافقكم تصيرون مثلنا بأن يختتن كل ذكر منكم فنعطيكم بناتنا ونتخذ بناتكم ونقيم عندكم ونصير شعباً واحداً . وان لم تقبلوا منا أن تختتنوا نأخذ ابنتنا ونمضي . فحسن كلامهم عند حمور وشكيم ابنه ولم يلبث الفتى أن صنع ذلك لأنه كان قد شغف بابنة يعقوب . وكان هو أوجه جميع أهل بيت أبيه . فلما دخل حمور وشكيم ابنه باب مدينتهما خاطبا أهلها قائلين إن هؤلاء القوم مسالمون لنا فيقيمون بالبلد ويتجرون فيه والأرض واسعة الأطراف أمامهم فنتخذ بناتهم أزواجا ونعطيهم بناتنا . لكن بهذا يوافقنا القوم على أن يقيموا معنا ونصير شعبا واحدا يختتن كل رجل منا كما هم مختتنون . أفلا تصير مواشيهم ومقتنياتهم وجميع بهائمهم لنا . فلنواطئهم على هذا فيقيموا معنا . فسمع لحمور وشكيم ابنه كل من خرج من باب مدينته واختتن كل ذكر منهم كل الخارجين من باب المدينة . وكان في اليوم الثالث وهم متألمون أن ابني يعقوب شمعون ولاوي أخوي دينة أخذا كل واحد سيفه ودخلا المدينة آمنين فقتلا كل ذكر وحمور وشكيم ابنه قتلاهما بحد السيف وأخذا دينة من بيت شكيم وخرجا . ثم دخل بنو يعقوب على القتلى وغنموا ما في المدينة من أجل تدنيس أختهم وأخذوا غنمهم وبقرهم وحميرهم وكل ما في المدينة وما في الصحراء وسبوا وغنموا جميع ثروتهم وكل أطفالهم ونسائهم وسائر ما في البيوت » (تك ٣٤/١٣ — ٢٩) .

التفسير :

اذا ما العدوّ الشيطان ملك عقلَ الراهب بفكر من الافكار التي هي شهوة الزنى ، لانه قد فصل نفسه منها وعاهد الله على رفضها ، فيجب عليه أن يُتعب جسدَه بالجوع والعطش والسهر والكدّ والخدمة والصلاة والقراءة ، ويكثر من ذلك فكرةً تميت منه بها كلّ شهوات اللذّة ، كما أمات بنو يعقوب كلَّ الرجال السكّان بالمدينة التي فيها نُجّست أُختهم . فهذا لا يصحّ له حتى يختتن من قلبه اولا فكرَ الشهوة

---

(١) الكلمة ممحوّة .

كمثل الشهوة التي قد زرعها فيه العدوُّ ، خزاه الله ؛ لانه ما دام راضياً بذلك الفكر ، وعازماً على تكميل الشهوة ، فخوف الله يبعد عنه وابليس يتسلّط عليه . فاذا هو ختن هذا الفكر من قلبه ، وأيقن ان لا يوافقه على اتمام هذا الفرض النجس ، فهو هكذا يُخْرِجُ الشيطانَ ، ويُوجعه وتضعف قوّتهُ عنه ، كما ضعفت قوّة المُـجَرَّحين بالختانة من سكّان المدينة . وحينئذ . . دام هذا الفكرُ الصالح في قلبه ، وأتعب هو جسدَه ، كما قد تقدّم القول ، غلب وأهلك الذين راموا ان ينّجسوا فكرهَ ويأخذوه منه .

الكتاب :

« فقال يعقوب لشمعون ولاوي قد أشقيتماني وأخبثتما ريحي عند أهل الأرض والكنعانيين والفرزيين وأنا في نفر معدود فيجتمعون عليّ ويقتلونني فأهلك أنا وبيتي . فقالا أكزانية يتخذ أختنا » (تك ٣٤/٣٠ — ٣١) .

التفسير :

اوضح يعقوب ابونا بملامته لاولاده الذين فعلوا الشرّ أن فِعْلَ هذه الغيرة مرذول عند الله ، لان من تفسق له ابنة أو زوجة أو أخت ، وبالغيرة يقتلها ويقتل الذي فسق بها ، فقد صنع غيرة نجسة مرذولة أحدرته الى الجحيم ، وصنع خطيئةً أعظم من خطيئة الفسق ، كما هو معروف أن القتل أعظم من الفسق . حتى ان يعقوب ابانا ، لم يقنع بملامته لولديه هذين في هذا الوقت ، بل وافي الوقتُ الذي حضرت وفاته ، فذكر لهما ذلك وذمّهما عليه جدّا ، ولعن فعلهما ذاك ودعا عليهما ، لكي يحقّق عندنا عظم مضرّة هذه الغيرة الملعونة وحذّرنا منها ، بل أرادنا نَغِيرُ غيرة حقٍ وننتقم بحقّ . فيجب ان ننتقم من الشيطان الذي هو بالحقيقة كان سببَ الفسق . لانّا اذا ما وعظنا الخطأة وذكّرناهم بالتوبة حتى يتوبوا ، فنحن ننتقم منه جدّا ، ونأخذ حظّا وافراً من المسيح ، له المجد . آمين .

القراءة السابعة والاربعون من سفر الخليقة (١)

الكتاب :

« ثم قال الله ليعقوب قُم فاصعد الى بيت إيل وأقم هناك واصنع هناك مذبحاً لله الذي ظهر لك عند هربك من وجه عيسو أخيك » (تك ٣٥/١) .

التفسير :

لمّا كان يعقوب غير مسرور وغير راضٍ بفعل ولدَيه . ونظره الربّ حزيناً خائفاً . عزّاه وأزال الخوفَ عنه ، وأمره أن يصعد ويوفي نذره ، ويبني مذبحاً في الموضع الذي كان نَذَرَ أن يبنيه فيه . وهو هارب من وجه أخيه . وها هنا أظهر الكتاب لاهوتية الابن ولاهوتية الآب ، لأنه قال بذكره اثنين وسماهما الله ، اذ قال ليعقوب : امضِ الى بيت إيل ، واصنع مذبحاً لله الذي ظهر لك . قال الله : اصنع مذبحاً لله . ولم يقل : اصنع لي ، لكي يبيّن أنّ اقنومَ الآب غيرُ اقنوم الابن . فان كانت طبيعتهما واحدة . وليست اثنتين قط ، ذَكَرَهما هنا ثلاثاً . ذِكراً مكرراً اسم الالوهية ثلاثة دفوع . لأن بيت إيل تفسيرها من اللغة العبرانية : بيت الله . فيكون القولُ هكذا : قال الله ليعقوب إمْضِ الى بيت الله واصنع مذبحاً لله . فقد ذكر اسم الله مكرراً ثلاثة دفوع . وها هنا حثّنا وحرّضنا على وفاء ما نلفظ به قدّام الله من نذر أو عهد .

الكتاب :

« فقال يعقوب لأهله وسائر من معه أزيلوا الآلهة الغريبة التي بينكم وتطهّروا وأبدلوا ثيابكم وهلموا نصعد الى بيت إيل وأصنع هناك مذبحاً لله الذي أجابني في يوم شدّتي وكان معي في الطريق الذي سلكته . فدفعوا الى يعقوب جميع الآلهة الغريبة التي عندهم والشُنوف التي في آذانهم فدفنها يعقوب تحت البطمة التي عند شكيم » (تك ٣٥/٢ — ٤) .

التفسير :

حقّق الكتاب كيف كان العدوّ ابليس ، خزاه الله ، قد غمر بضلالته جميع جنس آدم . حتى الذين في بيت يعقوب . ويعقوب لهم مدبّر . والعجب أنهم كانوا يؤلّهون الصيغة التي بها يتجمّلون فيعبدونها . وكذلك علّمنا أن الذي يروم الذهاب الى بيت الله ، يجب أن ينزع من قلبه كل فكر غريب من وصايا الله . ويطهّر نفسه بالتوبة من كل خطيئة . ويبدّل أعماله الرديئة بأعمال صالحة . لأن الثياب التي

(١) في المخطوطات ، لا ذكر ليوم تقرأ فيه هذه القراءة .

أَمَرَنا أن نبدّلها هي نيّاتنا وأعمالنا الرديئة . فاذا نحن صنعنا هكذا ، استحققنا الدخول الى بيت الله الذي على الأرض وفي السماء . ولكن ، يجب ، قبل كلّ شيء ، أن نُبيد منّا الأعمال الرديئة ، ونغطّيها وندفنها بأفعال التوبة حتى لا تظهر أبداً .

الكتاب :

« ثم ارتحلوا فحلّ رعب الله على أهل المدن التي حواليهم فلم يسعوا وراء بني يعقوب . وجاء يعقوب الى لُوزَ التي في أرض كنعان وهي بيت إيل هو وجميع القوم الذين معه وبنى ثم مذبحاً ودعا الموضع إله بيت إيل لأنه هناك تجلّى له الله حين هرب من وجه أخيه . وماتت دبورة حاضنة رفقة فدفنت أسفل بيت إيل تحت البلوطة فسمّى المكان بلوطة البكاء » (تك ٣٥/٥ — ٨) .

التفسير :

أبرار الله ، لمحبته فيهم ، يريد أن يكونوا في هذه الدنيا لا يعدمون تعباً أو خوفاً أو حزناً ، حتى يكون ذلك سبباً لاتضاعهم ؛ فبالاتضاع يستحقون الرفعة في السماء ، لأنهم كلّما واضعتهم الأحزان والخوف ، تعلّقوا بربهم ، ملتمسين العون منه . فلولا ألم الأحزان ، لم يتعلّقوا به ولم يلتمسوا منه الراحة . فالاحزان تُلْصِقُهم بالله ، وهي نافعة لهم كانتفاع الزرع بالشمس ، وذلك أن الشمس ، اذا هي أحمت الزرع ، التمس الماءَ يُرَطِّبُه من حموها ، فتجذب الرطوبة لذاته من بطن الأرض ، وبها يغتذي وينمي . فلولا حمو الشمس ، لم تجتذب رطوبة ، ولم ينْمِ .

وكذلك هؤلاء ، لولا التعب والخوف والأحزان ، لم يكن يتعلّق الانسان بالله ولما كان يلتمس منه عوناً . من أجل هذا ، لم يدع محبّيه يُعْدَمون ذلك . لأن في أرض العراق ، كان يتعب يعقوب في حرّ النهار وبرد الليل في رعاية الغنم ؛ وفي سفره من هناك ، خرج هارباً خائفاً وبالخوف التحقه لابان . ولمّا أفلت من خوف لابان ، لقيه خوفُ عيسو أخيه . ولمّا فارق ذلك ، لقيه خوفُ هموم القوم الذين قتلهم أولادُه . ولمّا أَمِن منهم وخلص ، لحقه الحزنُ بموت دايةِ والدته رفقا . لأن هذه سألته أن يأخذها معه لتربّي والدته ، لأنها لم ترها منذ خطَبَها غلامُ ابراهيم جدّه . وأخذها ومضى . فلما سألت الدايةُ يعقوبَ أن يسيّرها معه الى والدته وفرح بذلك وفَعَلَه ، ماتت منه في الطريق ، ولم يكمّل غرضه .

الكتاب :

« وظهر الله ليعقوب أيضاً بعد ما رجع من فدّان أرام فباركه وقال له الله اسمك يعقوب لا يكون بعد اسمك يعقوب بل إسرائيل يكون اسمك . فسمّاه إسرائيل . وقال له الله أنا الله القدير انم واكثر . أُمة وجماعة أُمم تكون منك وملوك من صُلبك يخرجون والأرض التي جعلتها لإبراهيم وإسحق لك أجعلها ولنسلك من بعدك أجعل الأرض . ثم ارتفع الله عنه في الموضع الذي خاطبه فيه . فنصب يعقوب في الموضع الذي خاطبه فيه نصباً من حجر وسكب يعقوب عليه سكيباً وصبّ عليه دهناً . وسمّى يعقوب ذلك الموضع الذي كلّمه الله فيه بيت إيل » (تك ٣٥/٩ — ١٥) .

التفسير :

اسرائيل تفسيره : عقل يرى الله . وهذا الاسم قد أسماه به دفعة أخرى . ولكنه كرّره لكي يعلّمه ويعلّمنا عظم فضيلته . عقل يرى الله ، هذا يطلبه الله من كل من يحبّه ، أن يكون عقله ابداً ناظراً اليه بصلاة دائمة . لا يفتر ولا يشتغل عقله عن ذلك بالفكر في شيء آخر البتة ، بل تكون . تعملان فيما يحتاج اليه من حاجة الجسد . ورجلاه تمشيان في مثل ذلك . وعقله لا يفتر عن ذكر الله ، إما بالصلاة أو بالقراءة أو بذكر كلام الله أو بالهمّة . يعمل عملاً يرضي الله ، حتى يكون العقل كل حين يعمل عملَ الله . هذا هو بالحقيقة اسرائيل الذي يستحقّ أن يظهر اللهُ له .

وأما قول الله ليعقوب : إن الأمم تخرج منك ، فيعقوب أُمَةٌ واحدة عبرانية . كيف يمكن أن تخرج منه أُمَم ؟ ولكن . لما خرج المسيحُ الاله منه متجسداً . وصارت الأمم الكثيرة للمسيح ، لأنهم صاروا مسيحيين ، صاروا بأجمعهم ليعقوب . ثم وعد الله له ولآبائه . فالملوك الذين خرجوا من حقويهم هم رسلُ المسيح الذين . بتعليم الأمانة وتلمذة المسيحية ، صارت جميعُ الأمم تحت طاعتهم . وتحت الخضوع هم خضوعاً يُشبه خضوعَ البريّة لباريها . أفضل أكثر من خضوع العامّة للملوك الأرضيين . فلوكاً لكل الأمم صاروا . مثل قول الربّ لهم : « **امضوا تلمذوا كلّ الأمم وعلّموهم حفظَ كلّما أوصيتكم به** » (متى ١٩/٢٨ — ٢٠) . فهؤلاء من يعقوب خرجوا مثل وعد الله ، والأرض التي وُعد بها يعقوب كوعده لابراهيم واسحق هي جسدهم .

وَعَدَهُم ، إذا هم حفظوا وصاياه وعملوا أوامره . أن يعطيَهم جسدهم بغير وجع ، لا من خطيئة ولا من طبيعة . أما الذي يصل الى الكمال في هذه الدنيا ، فيصير بلا وجع من خطيئة ؛ وفي القيامة يصير بلا وجع من الطبيعة ، كما قد فسّرنا هذا ببيان في هذا السفر قبل هذا الموضع . والموضع الذي أقام فيه النصبة وأسماه بيتَ الله مراراً كثيرة ، قد كرّر الكتاب هذا القول ، وقد أوضحنا تفسيرَه في ذكر السلّم الذي ظهر ليعقوب . ان هذا البيت هو جماعة المسيحيين التي الله فيها ساكن بروح قدسه من يوم التعميد . والمزاج الذي رشّه عليها هو دمه الذي أهرقه من أجلها ، الذي أعطاه لها من مزاج الخمر والماء . والزيت الذي مسحها به هو الدهن المقدس بالروح القدس الذي مسحها به يوم التعميد ، وجعلها تُسَمّى مسيحية .

الكتاب :

« ثم رحلوا من بيت إيل وبينما هم على نحو ميل من أفراتة ولدت راحيل وعسُر ولادُها . فلمّا عسُر ولادُها قالت لها القابلة لا تخافي فإن هذا أيضاً ابن لك . وكان قبل أن تفيض نفسها عند موتها أنها سمّته ابن ألمي وأمّا أبوه فسمّاه بنيامين. وماتت راحيل ودفنت في طريق أفراتة وهي بيت لحم . ونصب يعقوب نصباً على قبرها وهو نصب قبر راحيل الى اليوم » (تك ١٦/٣٥ — ٢٠) .

التفسير :

حزناً عظيماً هكذا أحزن اللهُ به الصدّيق ، كما أنه هكذا يريد محبّيه أن يكونوا حزانى حتى يتّضعوا ويلتمسوا منه العزاء كل حين بحرص . وهذا الولد الثاني عشر الذي وُلد ليعقوب . وكما قد قلنا في التفسير المتقدّم ذكره ان الاثني عشر ولداً الذين ليعقوب كانوا رمزاً على رسل ربنا المسيح الاثني عشر . فلذلك ، الولدُ الثاني عشر سُمّيَ ابنَ الحزن . وفي ولادته ماتت أمّه ، لأن يهوذا الاسخريوطي الذي هو الثاني عشر في الرسل ، هو بالحقيقة ابنُ الحزن ، لأنه سلّم معلّمه للموت وجلب على اخوته الرسل الحزنَ بموت معلّمهم . فأما الرسل ، فبقيامة معلّمهم زال حزنهم . وأما يهوذا ، فلأنه ابن الحزن ، خنق نفسَه وبقي في الحزن الى الأبد ، كما أن ربّنا في الانجيل سمّاه « **ابنَ الهلاك** » (يوحنا ١٢/١٧) ، لأنه استحقّ الهلاك .

القراءة الثامنة والاربعون من سفر الخليقة (١)

الكتاب :

« ثم رحل إسرائيل وضرب خباءه وراء برج القطيع . وحدث إذ كان إسرائيل ساكنا في تلك الأرض أن رأوبين ذهب فضاجع بلهة سرية أبيه . فسمع بذلك إسرائيل . وكان بنو يعقوب اثني عشر » (تك ٢١/٣٥ — ٢٢) .

التفسير :

ولما كان الله مزمعاً ان يتخذ له شريعتين : احداهما جسدانية وعملها جسداني تزول كزوال الدنيا ، والاخرى روحانية وعملها سماوي تبقى كبقاء الآخرة . فلما كانت الشريعة الاولى مزمعة بالزوال اشارة الى زوالها وسقوطها في هذا الكتاب مدمن (كذا) . لذلك انه جعل بكر الاولاد ساقطاً ، كما نرى قايين ابن آدم واسماعيل ابن ابراهيم وعيسو ابن اسحق وروبيل هذا ابن يعقوب ؛ لان هؤلاء كلّهم ابكارُ ابائهم سقطوا من النبوة ولم يستحقّوا الميراث كشريعة العتيقة ، والثاني بعدهم استحق النبوة والميراث كشريعة الحديثة . ومثل ذلك أيضا منسّى بكر يوسف . بورك افرام اخوه وَقُدِّمَ عليه . وابنا هارون اللذان هما أبكاره . أُحرِقا بالنار على سوء فعلهما .

الكتاب :

« وكان بنو يعقوب اثني عشر . بنو ليئة رأوبين بكر يعقوب وشمعون ولاوي ويهوذا ويساكر وزبولون . وبنو راحيل يوسف وبنيامين . وبنو بلهة أمة راحيل دان ونفتالي . وبنو زلفة أمة ليئة جاد وأشير . هؤلاء بنو يعقوب الذين ولدوا له في فدان أرام » (تك ٢٢/٣٥ ج — ٢٦) .

التفسير :

لمّا ذكر خطيئة روبيل ، اراد أن يذكر للوقت أنه البكر ، لكي يوضح سقوط الابكار ، كما تقدّم القول . فاسمى بني يعقوب الاثني عشر وابتدأ بروبيل وقال : انه البكر ، وعلى ما تقدّم من تفسيرنا . أن بني يعقوب اشارة الى الفضائل التي بها تصل النفسُ الى الله ، وذكر الفضائل واحدة واحدة ، الى ميلاد يوسف من راحيل . فقلنا ان ذلك يشبه كمال النفس ، عندما تثمر ثمرة الروح القدس بالكمال ، وترتفع عنها الاوجاع . ونقول عن بنيامين الذي جاءها بعد هذا وأسمته ابن الحزن ، لان النفس بعد كمالها باثمار

(١) في المخطوطات . لا ذكر ليوم تقرأ فيه هذه القراءة .

الروح القدس ، ينالها حزنٌ كثير من أجل النفوس التي تراها لا تجاهد لتصل الى النعيم الذي وصلت اليه . فمن كثرة محبتها تحزن عليها جداً .

الكتاب :

« وقدم يعقوب على إسحق أبيه في ممرا قرية أربع وهي حبرون حيث نزل إبراهيم وإسحق وكان عمر إسحق مئة وثمانين سنة . وفاضت روح إسحق ومات وانضم الى قومه شيخا قد شبع من الحياة ودفنه عيسو ويعقوب ابناه » (تك ٢٧/٣٥ — ٢٩) .

التفسير :

كما قدمنا القول إن الصدّيق كثيرة أحزانه . عوقب اسحق بالعمى ، ثم تألم قلبُه من زوجات عيسو ومن فرقة يعقوب السنينَ الطويلة . فلما عاد يعقوب تُوفي اسحق . ويعقوب هو أيضا ناله حزنٌ موت راحيل وحزنُ الفعل القبيح الذي فعله بكرُهُ اذ نجّس فراش أبيه ، ثم حزنُه بموت اسحق أبيه .

الكتاب :

« وهذه مواليد عيسو وهو أدوم . اتخذ عيسو نساءه من بنات كنعان عادة بنت أيلون الحثي وأهليبامة بنت عانة بنت صبعون الحوي وبسمة بنت إسمعيل أخت نبايوت . فولدت عادة لعيسو أليفاز . وبسمة ولدت رعوئيل . وأهليبامة ولدت يعوش ويعلام وقورح . هؤلاء بنو عيسو الذين ولدوا له في أرض كنعان . وأخذ عيسو نساءه وبنيه وبناته وكل نفس في بيته وماشيته وكل بهائمه وسائر مقتناه الذي اقتنى في ارض كنعان وانتقل الى أرض أخرى من وجه يعقوب أخيه لأن مالها كان أكثر من أن يقيما معا ولم تكن أرض غربتهما تسعهما لكثرة مواشيهما . وأقام عيسو بجبل سعير وعيسو هو أدوم . وهذه مواليد عيسو أبي الأدوميين في جبل سعير . هذه أسماء بني عيسو . أليفاز ابن عادة امرأة عيسو ورعوئيل ابن بسمة امرأته . وبنو أليفاز تيمان وأومار وصفو وجعتام وقناز . وكانت تمناع سرية لأليفاز بن عيسو فولدت لأليفاز عماليق . هؤلاء بنو عادة امرأة عيسو . وهؤلاء بنو رعوئيل . نحث وزارح وشمة ومزة . هؤلاء بنو بسمة امرأة عيسو . وهؤلاء بنو أهليبامة بنت عانة بنت صبعون امرأة عيسو . ولدت لعيسو يعوش ويعلام وقورح . وهؤلاء زعماء بني عيسو . بنو أليفاز بكر عيسو الزعيم تيمان والزعيم أومار والزعيم صفو والزعيم قناز والزعيم قورح والزعيم جعتام والزعيم عماليق هؤلاء زعماء أليفاز في أرض أدوم . هؤلاء بنو عادة . وهؤلاء بنو رعوئيل ابن عيسو الزعيم نحث والزعيم زارح والزعيم شمة والزعيم مزة . هؤلاء زعماء رعوئيل في أرض أدوم . هؤلاء بنو بسمة امرأة عيسو . وهؤلاء بنو أهليبامة امرأة عيسو الزعيم يعوش والزعيم يعلام والزعيم قورح . هؤلاء زعماء أهليبامة بنت عانة امرأة عيسو . هؤلاء بنو عيسو وهو أدوم وهؤلاء زعماؤهم . هؤلاء بنو سعير الحوري سكان الأرض لوطان وشوبال وصبعون وعانة وديشون وإيصر وديشان . هؤلاء زعماء الحوريين بني سعير في أرض أدوم . وبنو لوطان حوري وهيمام . وأخت لوطان تمناع . وهؤلاء بنو شوبال علوان ومنحت وعيبال وشفو وأونام . وهذان ابنا صبعون أية وعانة . وعانة هذا هو الذي وجد المياه الحميمة في القفر حين كان يرعى حمير صبعون أبيه . وهذا ابن عانة ديشون . وبنت عانة أهليبامة . وهؤلاء بنو ديشان حمدان وأشبان وكران ويتران . وهؤلاء بنو إيصر بلهان وزعوان وعقان . وهذان ابنا ديشان عوص وأران . وهؤلاء زعماء الحوريين الزعيم لوطان والزعيم شوبال والزعيم صبعون والزعيم عانة والزعيم ديشون والزعيم إيصر والزعيم ديشان . هؤلاء زعماء الحوريين في أرض سعير . وهؤلاء الملوك الذين ملكوا في أرض أدوم قبل أن يملك ملك في بني إسرائيل . ملك في أدوم بالع ابن بعور واسم مدينته دنهابة . ومات بالع فملك بعده يوباب بن زارح من بصرة . ومات يوباب فملك بعده حوشام من

أرض التيمانيين. ومات حوشام فملك بعده هدد بن بدد الذي كسر مدين في بلاد موآب واسم مدينته عويت. ومات هدد فملك بعده سملة من مسريقة. ومات سملة فملك بعده شاول من رحبة النهر. ومات شاول فملك بعده بعل حانان بن عكبور. ومات بعل حانان بن عكبور فملك بعده هدر واسم مدينته فاعو. واسم امرأته مهيطبئيل بنت مطرد بنت ميزهب. وهذه أسماء زعماء عيسو بقبائلهم ومواضعهم بأسمائهم الزعيم تمناع والزعيم علوة والزعيم يتيت والزعيم أهليبامة والزعيم إيلة والزعيم فينون والزعيم قناز والزعيم تيمان والزعيم مبصار والزعيم مجديئيل والزعيم عيرام. هؤلاء زعماء أدوم في مساكنهم في أرض ملكهم وهذا هو عيسو أبو الأدوميين» (تك ٣٦/١ — ٤٣).

التفسير :

اذا كان هذا المُلْكُ وهذا السلطان العظيم قد دُفِعَ لعيسو، وشهد الكتاب أن ملوكا وعظماء ورؤساء وولاة كثيرين صاروا فيه هكذا قبل ان يملك ملوك في بني اسرائيل، فماذا نقص عيسو؟ لِمَ لَمْ يباركه أبوه، وماذا ربح يعقوب أكثر منه؟ ولكنّ نعمة البركة والثمرة التي كانت تُرجى منهم هي ظهور المسيح الاله من زرع الذي يقبلها. وفي إلهنا وسيّدنا المسيح، كمل كل ما قاله اسحق في البركة.

القراءة التاسعة والاربعون من سفر الخليقة (١)

الكتاب :

« وسكن يعقوب في أرض غربة أبيه في أرض كنعان . وهذه مواليد يعقوب . لمّا كان يوسف ابن سبع عشرة سنة وكان يرعى الغنم مع إخوته وهو غلام من بني بلهة وبني زِلفة امرأتي أبيه أخبر يوسف أباهم عنهم بريبة شنيعة . وكان إسرائيل يحب يوسف على جميع بنيه لأنه ابن شيخوخته فصنع له قميصاً موشّى . ورأى إخوته أن أباه يحبّه على جميع إخوته فأبغضوه ولم يستطيعوا أن يكلّموه بسلام » (تك ٣٧/١ — ٤) .

التفسير :

ملعون هو الحَسَد : ما أشرّه من وجع ، لأنه يجعل الأخَ يبغض أخاه : جعل قايينَ يقتل هابيلَ أخاه ، وجعل عيسو رام أن يقتل يعقوب ، ويجعل إخوَةَ يوسف يُبغضونه هكذا حتى صاروا لا يكلّمونه كلمة هادئة . بل بعربسة وخصام كلُّ كلامهم له ، لأن الكلام هكذا هو علامة البغضة ، وكلام الهدوء والسلام هو علامة المحبة . الحسد هو وجع ملعون خَطِرٌ جداً ، يقهر القديسين الروحانيين الكبار ، اذا كانوا لم يجعلوا بالَهم منه واحترزوا جيداً . والحسد يلد البغضة التي هي بالحقيقة تلد القتل : يعقوب لمّا حبّ يوسف حبّاً ظاهراً بما جمّله به دون إخوته ، جعل إخوته يحسدونه .

فيجب على كل والد أو معلّم أو سيّد يُحِبّ ابناً أو تلميذاً أو عبداً ألاّ يدع حبّه له يظهر لبقية رفقته ولا يوضحه لهم ابداً ، لئلا يجعلهم يحسدونه ويبغضونه . يعقوب لمّا حبّ يوسف جمّله دون إخوته . وكذلك النفس التي يحبّها المسيح الهنا هو يجمّلها بخوفه ومحبته . هذا هو بالحقيقة جمالُ سيدنا المسيح الذي به يجمّل كل نفس تحبّه . وطوباه لمن يجمّله المسيح ربّنا بهذا الجمال . طوباه ثم طوباه . كذلك الشياطين ، لهذا يحسدونه كثيراً ويبغضونه ويسألون من الله قتله ولا يمكّنهم منه .

الكتاب :

« ورأى يوسف حلماً فأخبر إخوته به فازدادوا كراهية له . قال لهم اسمعوا هذا الحلم الذي رأيته . رأيت كأنّا نحزم حُزماً في الصحراء فإذا حُزمتي وقفت ثم انتصبت فأحاطت حُزمكم وسجدت لحُزمتي . فقال له إخوته ألعلّك تملك علينا أو تتسلّط علينا . وازدادوا أيضاً حنقاً عليه لأجل أحلامه وكلامه » (تك ٣٧/٥ — ٨) .

(١) في المخطوطات ، لا ذكر ليوم تقرأ فيه هذه القراءة .

التفسير :

كانوا يحسدونه لحبّ أبيه له . فلمّا سمعوا أحلامه ، زاد حَسَدُهم وعظم . فيجب على من يعلم أن انساناً يحسده أن لا يُظهر له شرفاً أوكرامة طائرة اليه ، بل يخفي عنه ذلك بكل حال ؛ وإلا فهو يضطره أن يبغضه .

الكتاب :

« ورأى أيضاً حلماً آخر فقصّه على إخوته وقال رأيت حلماً أيضاً كأن الشمس والقمر وأحد عشر كوكباً ساجدة لي . وإذ قصّه على أبيه وإخوته زجره أبوه وقال له ما هذا الحلم الذي رأيته أترانا نجيء أنا وأُمّك وإخوتك فنسجد لك الى الأرض . فحسده إخوته وكان أبوه يحفظ هذا الكلام » (تك ٩/٣٧ — ١١) .

التفسير :

قال إن أباه وأُمّه وإخوته يسجدون له ؛ ومعلوم أن أمّه قد ماتت . فمن اين كملت هذه الرؤيا وكيف يمكن بطلانها ؟ وما كتبه الله لا يُبْطَل . ولكن لكون الرجل رأس المرأة ، فحين سجد يعقوب ليوسف ، حسب أمه أيضاً ساجدة له بِرَجُلِها الذي هو رأسها . وكذلك لمّا كان المسيح هو رأسنا ، ونحن له جسد ، حُسِبَت قيامته من الأموات لنا . وكذلك صعوده الى السماوات وجلوسه عن يمين الآب ، كما يقول الرسول : « إن الله أقامنا مع المسيح وأجلسنا معه في السماوات » (أفسس ٦/٢) ، « لأنه هو عربون قيامتنا وجلوسنا أجمعين » (أفسس ١٤/١) .

الكتاب :

« ومضى إخوته ليرعوا غنم أبيهم عند شكيم . فقال إسرائيل ليوسف هوذا إخوتك يرعون عند شكيم هلم أبعثك اليهم . قال هاءنذا . فقال له امضِ فافتقد سلامة إخوتك وسلامة الغنم وائتني بالخبر . وأرسله من وادي حبرون فأتى شكيم . فصادفه رجل وهو تائه في الصحراء فسأله الرجل قائلاً ما تطلب . قال أطلب إخوتي أخبرني أين يرعون . فقال الرجل قد رحلوا من ههنا وقد سمعتهم يقولون نمضي إلى دوثائين . فمضى يوسف في إثر إخوته فوجدهم في دوثائين . فلمّا رأوه عن بعد قبل أن يقرب منهم ائتمروا عليه ليقتلوه . فقال بعضهم لبعض ها هوذا صاحب الأحلام مقبل والآن تعالوا نقتله ونطرحه في بعض الآبار ونقول إن وحشاً ضارياً افترسه ونرى ما يكون من أحلامه . فسمع رأوبين فخلّصه من أيديهم وقال لا نقتله . وقال لهم رأوبين لا تسفكوا دماً اطرحوه في هذه البئر التي في البرية ولا تلقوا أيديكم عليه لكي يخلّصه من أيديهم ويرده الى أبيه » (تك ١٢/٣٧ — ٢٢) .

التفسير :

لماذا روبيل عظّم بغضتهم ليوسف وعلم انه إن منعهم من قتله منعاً ظاهراً غلبوه على رأيه ؟ دبّر هذا التدبير وساس هذه السياسة وقال : لا تقتلوه بأيادينا ، ولا نهرق له دماً ، بل لِنُلْقِهِ في جبّ ناشف يبقى فيه حتى يموت .

الكتاب :

« فلمّا جآء يوسف إخوته نزعوا عنه قميصه القميص الموشّى الذي عليه وأخذوه وطرحوه في البئر وكانت البئر فارغة لا مآء بها . ثم جلسوا يأكلون ورفعوا عيونهم ونظروا فإذا بقافلة من الإسمعيليّين مقبلة من جلعاد وجمالهم محمّلة نكعة وبلساناً ولاذناً وهم سائرون لينزلوا الى مصر . فقال يهوذا لإخوته ما الفائدة من ان نقتل أخانا ونُخفي دمه تعالوا نبيعه للإسمعيليين ولا تكن أيدينا عليه لأنه أخونا ولحمنا فسمع له إخوته . فمرّ قوم مديَنيّون تجار فجذبوا يوسف وأصعدوه من البئر وباعوه للإسمعيليّين بعشرين من الفضة فأتوا بيوسف إلى مصر . ورجع رأوبين الى البئر فإذا يوسف ليس في البئر فمزّق ثيابه ورجع الى إخوته وقال الولد ليس موجوداً وأنا إلى أين أمضي . فأخذوا قميص يوسف وذبحوا تيساً من المعز وغمسوا القميص في الدم . وبعثوا بالقميص الموشّى فأنفذوه الى أبيهم وقالوا وجدنا هذا أثبته أقميص ابنك هو أم لا . فأثبته وقال قميص ابني . وحش ضار أكله افترس يوسف افتراساً . ومزّق يعقوب ثيابه وشدّ مسحاً على حقويه وناح على ابنه أياماً كثيرة . وقام جميع بنيه وبناته يعزّونه فأبى أن يتعزّى وقال إني أنزل الى ابني نائحاً الى الجحيم وبكى عليه أبوه . وباعه المديَنيّون في مصر لفوطيفار خصيّ فرعون رئيس الشرط » (تك ٣٧/٢٣ — ٣٦) .

التفسير :

هكذا يشاء الله أنّ يُحزنَ أبراره ، ويعزّيهم لعدم أولادهم ، أو بألم ما يرى قلبهم محبّاً له . حين علم أن يعقوب يحبّ يوسف الحبَّ العظيم ، آلمه جداً بعدم يوسف . ولم يؤلمه بذلك يوماً ولا يومين ولا سنة ولا سنتين بل سنينَ كثيرة ، دام الصدّيقُ حزيناً نائحاً نادباً ، ولم يُعَزِّه قط ، ولا أعلمه أنه حيّ ، لا بوحيٍ ولا في منام . ذلك جميعه لكي يكون حزنه في هذه الدنيا موجباً الفرح الدائم في تلك الدار ، لكي يَعلم كلُّ من يروم أن يرث فرحهم معهم انه اذ لم يُبْتَلَ من الله بالاحزان مثلهم ابتلاً بلا عزاء ، فليس ينال الفرحَ معهم . وها هنا شهد يعقوب عن نفسه إنه قال بأن ينزل الى الجحيم وأنا نائح . حقّق ان كل الصدّيقين كانوا قبل مجيء المسيح ينزلون الى الجحيم . وفي بيع يوسف من إخوته نبوّة واشارة ظاهرة الى تألّم الحنا يسوع المسيح ، تبارك اسمه ، عن خلاصنا من الجحيم عند ذكر ألم يوسف .

أُنظروا يا مؤمنون كيف ان ما جرى ليوسف مثال لما جرى للمسيح سيّدنا : يوسف أرسله أبوه لافتقاد إخوته في الغربة ، والمسيح ابن الله الحبيب أرسله اللهُ أبوه ، فتأنّس لافتقاد جنس آدم الذين قد صاروا له إخوة بالتأنّس . وأخوة يوسف بنو اسرائيل عزموا على قتله حسداً له ؛ واخوة المسيح الكَهَنَةُ بنو اسرائيل حسدوه وعزموا على قتله . إخوة يوسف لمّا همّوا على قتله ، أَلْقَوْهُ في الجُبّ . والذين قتلوا المسيحَ أَلْقَوه في القبر . يوسف كان في الجبّ كالميت عند إخوته ، وهو حيٌّ بالحقيقة ؛ وكذلك المسيح في قبره ميت وحيّ بالحقيقة ، ميت بجسده وحيّ بلاهوته . يهوذا هو شبيه جميع إخوة يوسف : كان سبب بيع يوسف بالفضة للإسماعيليين التجّار . والمسيح باعه يهوذا الاسخريوطي بالفضة . لطّخ بنو اسرائيل ثياب يوسف الحسنة بالدم ، وكذبوا وقالوا إن سبعاً أكله . وكهنة اليهود بنو اسرائيل كذبوا على قيامة المسيح وقالوا انه لم يقم ، وأحزنوا الآب السماويّ بهلاكهم .

روبيل واحد من إخوة يوسف الكبير لم تكن له شركة في قتله . وتلاميذ المسيح ، القليل من بني اسرائيل الكثير ، لم تكن لهم شركة في قتله ، بل أحزنهم ذلك كما أحزن روبيلَ قتلُ يوسف . بَيْعُ يوسف

كان سبب الحياة لإخوته الذين سجدوا له وخلاصهم من الجوع والموت . وكذلك صَلْبُ المسيح وموته كان سبب خلاص وحياة دائمة لكل من يسجد له ويؤمن به من إخوته بني آدم . يشبعهم في الجوع ويقيهم في الجلأ . ويخلّصهم من الموت المؤبد . بَيْعُ يوسف كان سبباً لملكه وملك إخوته الذين سجدوا له معه . وصُلب المسيح بعده وصعد الى السماوات الذي مُلكه لا يزول . وملك معه كلّ من يؤمن به ويسجد له من إخوته بني آدم الى الأبد .

الكتاب :

« وكان في ذلك الوقت أن يهوذا انفرد عن إخوته فنزل برجل عُدلامي يقال له حيرة . ورأى يهوذا هناك بنت رجل كنعاني اسمه شوع فتزوّجها ودخل بها فحملت وولدت ابناً فسمّاه عيراً . ثم حملت أيضاً وولدت ابناً فسمّته أونان . وعاودت أيضاً فولدت ابناً وسمّته شيلة . وكان في كازيب حين ولدته . واتّخذ يهوذا زوجة لعير بكره اسمها ثامار . وكان عير بكر يهوذا شريراً في عيني الرب فأماته الرب » (تك ٣٨/١ — ٧) .

التفسير :

قال انه حيث كان رديئاً قدام الرب . قتله الله بلا ثمرة . يعني أن الذي يكون رديئاً في قلبه ، الربّ يميته بلا ثمرةِ توبة . لأن الرديء في قلبه هو رديء قدّام الرب . لأن الرديء من خارج ، ليس رديئاً قدّام الرب فقط وقدّام الناس لأنهم يروا رداءَته . والذي في قلبه غشّ هو الرديء قدّام الرب الذي لا يرى رداءَته غيره . الرديء في قلبه هو المتعظّم في قلبه أو الحسود والمبغض في انسان ، أو الحاقد على انسان ، أو الراغب في مجد الناس ، أو ما أَشبه ذلك من الخطايا التي يكون بها القلب رديئاً .

الكتاب :

« فقال يهوذا لأونان ادخل بامرأة أخيك فتزوّجها وأقم نسلاً لأخيك . وعلم أونان أن النسل لا يكون له فكان إذا دخل على امرأة أخيه أفسد على الأرض لئلا يجعل نسلاً لأخيه . فقبُح ما فعله في عيني الربّ فأماته أيضاً » (تك ٣٨/٨ — ١٠) .

التفسير :

فِعْلَين رديئَين أظهرهما الكتاب بهذا الكلام ، وذكر أنهما رديئان قدّام الله : أحدهما الحسد ، لأن أونان حسد أخاه أن يكون الزرع له من عنده ، والآخر ، الذي هو رديء قدّام الله جدّاً جدّاً وفاعله ملعون وخاطئ نجس ، مَن يسكب زرعه على الأرض . يا كُلَّ مَن يقرأ هذا الكتاب ، كتاب الله ، من المتزوجين والعازبين ، اعرفوا عظم هذه الخطيئة . وانها تغضب الله جدّاً : من يسكب زرعه على الأرض — لأن الزرع منه يكون الانسانُ الذي خلقه الله على صورته — فمن يسكبه على الأرض أو في دابّة أو في ذَكَر أو في غير موضع الانثى التي هي امرأة الحلال ، الذي قد خلقه اللهُ أرضاً لهذا الزرع ، فخطيئة هؤلآء جميعهم عظيمة جداً جداً قدّام الله .

فلنفهم ونحذر من هذه الخطيئة وهي عظيمة جداً جداً ، لأنه ، كما ان الفرّوج موجود بالقوة في البيضة التي فيها زريّعة الديك ، كذلك الانسان موجود بالقوّة في زرع الرجل . فكل انسان يسكب زرعه على الأرض . أو في موضع آخر غير الموضع الذي خلقه اللهُ لذلك الزرع . فليست خطيئته صغيرة هي بل عظيمة جدّاً جدّاً . فليفهم وليتحذّر كل مَن يقرأ .

الكتاب :

« فقال يهوذا لثامار كنّته أقيمي أرملة في بيت أبيك حتى يكبر شيلة ابني لأنه قال لعلّه يموت هو أيضاً كأخويه » (تك ١١/٣٨ أ) .

التفسير :

هذا الفكر رديء ، لأن احداً لا يموت بسبب امرأة ولا بسبب رفيق ولا بسبب شيء البتة . سواء فعلته خاصته التي بها يستحق الموت .

الكتاب :

« فمضت ثامار وأقامت في بيت أبيها . ولمّا طالت المدة ماتت ابنة شوع امرأة يهوذا وسلا يهوذا بعدها وصعد الى جُزّاز غنمه في تمنة هو وحيرة صاحبه العُدلامي وأخبرت ثامار وقيل لها هوذا حموك صاعد الى تمنة ليجزّ غنمه . فخلعت ثياب إرمالها وتغطت بالخمار وتنقّبت وجلست في مأتى العينين على طريق تمنة إذ رأت أن شيلة قد كبر ولم يتزوّج به . فرآها يهوذا فحسبها بغياً لأنها كانت مغطية وجهها فمال إليها الى الطريق وقال هلم أدخل عليك لأنه لم يعلم أنها كنّته . فقالت ماذا تعطيني حتى تدخُل عليّ . قال أبعث بجدي معزٍ من الماشية . قالت أعطني رهناً إلى أن تبعث . قال ما الرّهن الذي أعطيكه . قالت خاتمك وعمامتك وعصاك التي بيدك . فأعطاها ودخل عليها فعلقت منه . ثم قامت فمضت ونزعت خمارها ولبست ثياب إرمالها . وبعث يهوذا بجدي معز مع صاحبه العدلامي ليفتكّ الرّهن من يد المرأة فلم يجدها . فسأل أهل موضعها وقال أين البغيُ التي كانت عند العينين على الطريق . قالوا ما كانت ههنا قط بغيٍ . فرجع الى يهوذا وقال لم أجدها وأهل الموضع أيضاً قالوا ما كانت ههنا قط بغيٌ . فقال يهوذا لتذهب بما عندها لئلاّ يلحقنا خِزي فإني قد أرسلت الجدي وأنت لم تجدها . وبعد مضيٍّ نحو ثلاثة أشهر أُخبر يهوذا وقيل له قد باغت ثامار كنّتك وها هي حامل من البغآء . فقال يهوذا أخرجوها فتحرق . فبينما هي مخرجة بعثت إلى حميها فقالت مِنَ الرجل الذي هذه الأشياء له أنا حامل . وقالت أثبت لِمَنْ هذا الخاتم والعمامة والعصا . فأثبتها يهوذا وقال هي أبرُّ منّي لم أُزوّجها لشيلة ابني ولم يعد أيضاً يعرفها . ولمّا كان وقت ولادتها إذا بتوأمين في جوفها ولمّا ولدت أخرج أحدهما يده فأخذت القابلة قرمزاً فعقدته عليها وقالت هذا خرج أولاً . فلمّا ردّ يده خرج أخوه فقالت لماذا انقطع لأجلك السياج فسمّي فارص . وبعد ذلك خرج أخوه الذي على يده القرمز فسمّي زارح » (تك ١١/٣٨ ب — ٣٠) .

التفسير :

قال إن يهوذا لما ماتت زوجتُه ، نظر امرأة وظن أنها زانية جاء اليها . صحّ أن القوم في ذلك الزمان ، مع كونهم لم يكن اللهُ أعطاهم ناموساً ولا شريعة في كتاب ، لم يكن المتزوّج منهم يستحلّ الزنى البتة ، بل ولا الامرأةُ المخطوبة لم يكن الزنى مطلقاً لها ، كما رأينا ان ثامر ، حين كانت مخطوبة لابن

يهوذا ، ونظروا أنها قد زنت ، أخرجوها لِتُحْرَق . هذا كانوا يفعلونه من ناموس الطبيعة من غير كتاب رسمه اللهُ لهم . ولكن لمّا أنزل اللهُ الناموسَ على يد موسى ، منع كل زنى المتزوّج وغير المتزوج ، وأوجب القتل لكل من يزني ، متزوجاً كان أو غير متزوج . والعجب العجب أن من هذا الحَبَل المنكور وعد اللهُ بظهور مسيحه ، لأن داود النبي هو من بني فارص من ثامار هذه التي ولدته هو وأخاه توأمين ؛ وداود النبي . اللهُ وعده بظهور المسيح من زرعه .

ظهر الإله متجسداً من وسط سيآتنا هكذا ، ولم يَسْتَحِ من قباحتنا ، لأنه ، بعبوره فيها ، قادرٌ أن يطهّرنا منها . وهو هو : لا يتوسّخ بها ، كالشمس التي ، بعبورها على الرطوبات والأوساخ ، تنشّفها وتنظّفها وتنقّيها . وهي هي لا تتوسّخ بها ، كما أنه لم يكن العجب من موت الإله بالجسد عَنّا ، بل كان العجب أنه مات مصلوباً أشنع الميتات . كذلك ليس عجباً أنه تجسّد من طبيعتنا ، بل العجب العجب تجسّدُه من ثامار هذه التي كان لها هذا الفعل مع حميّها وممّن أشبهها ، حتى يكون تفضّله في تجسّده من هؤلآء الشنيع ذكرهم . مثل تفضّله في موته مصلوباً .

ثامر تزوجت أخَين ولم تثمر منهما ، أُخذت أخ الأخين فأثمرت . ثامار تشبه طبيعتَنا الآدمية التي أتاها الناموس والأنبياء فلم تثمر منهم ؛ فلمّا أتاها ربّ الناموس والأنبياء ، أثمرت ونمت . ثامار أعطاها يهوذا رهن خاتمه وعمامته وعصاته التي بيده . والمسيح أُعطى لطبيعتنا عربون ملكوته التي هي روح قدسه بالمعمودية المقدسة ، وأطعمها لحمه وسقاها دمه . أعطاها روح قدسه كالخاتم ، ساكناً في قلبها . يذكّرها بالزلآت ويدينها عليها ، ويحرق قلبها بالنار حتى تسرع تتوب عنها وتأخذ قانون توبة عن كل واحدة منها . وهذا القانون هو الذي أشار اليه بعصا يهوذا التي أعطاها لثامار ، لأن العصا بها يكون الأدب والقانون . وأما العمامة ، فلكونها رباط الرأس ، أراد الربّ أن تكون النفس مربوطة بالتوبة هكذا كل حين ، تندم على كل زلّة بسرعة وتسرع تأخذ عنها أدباً .

ولدَين ولدت ثامار : أحدهما أخرج يدَه وعلّمته القابلة ثم أدخل يده وغاب . ولمّا خرج أُخوه ، عاد هو أيضاً وخرج . فهذان الولدان هما اشارة الى الأمانة والناموس ؛ لأن الأمانة ظهرت على يد ابراهيم ، وجعل اللهُ الختانَ علامة ورسماً لها . فلما ظهر الناموس وانقضى زمانه ، حينئذٍ ظهرت الأمانة بالكليّة بظهور المسيح الإله المتجسّد . وصار الناس بها بني ابراهيم . لما وُلد فارص الذي من نسله ظهر المسيح ، تنبأت القابلة وقالت انه من أجلك انقطع الحاجز . لأنه بالمسيح انقطعت الخطيئة التي كانت تحجز بيننا وبين الله . لأن المسيح أعطانا توبة مستمرّة تقطع منا كلّ خطيئة ، لكيلا يبقى حاجز بيننا وبينه .

الولد الذي أخرج يده بخيط ارجوان أحمر علّمته القابلة ، والأمانة بهرق دم الختان عُلمت ؛ لأن ابراهيم أطاع الله وعمره تِسعٌ وتسعون سنة ، وبلا حشمة هتك نفسه لمن ختنه . هذا الدم الأحمر كان علامة الأمانة . وهي ، ذلك الوقت ، لم تظهر بالكليّة ، بل بالمسيح ظهرت وأُعلنت . لأن المؤمن الحقّ بالمسيح لا يستحي أن [illegible] نفسه ويعترف بخطاياه الفسحة للكاهن الذي يطهّره منها بالتوبة .

هذه هي بالحقيقة الأمانةُ التي علّمها ابراهيم بختانته بخيط أحمر ، ولم تظهر في ذلك الزمان بل غابت حتى ظهر المسيحُ وأظهرها بالكليّة ، حين بدأ بها يوحنا المعمداني ، « **لأنه كان يعمّدهم في نهر الأردن معترفين بخطاياهم** » (متى ٦/٣) . كل مؤمن بالمسيح لا يعترف بكل زلاّته مستمراً هكذا ، رئيسَ كهنة كان أو علمانياً أو راهباً أو متزوّجاً ، فهو معتدٍ على ناموس المسيح ، لأن المسيح أمر تلاميذه قائلاً : « **أمضوا تلمذوا كلّ الأمم** » (متى ١٩/٢٨) . فكل مسيحي لا يكون تلميذاً ، فقد عصا ناموسَ المسيح . لأن المسيح هو أيضاً جعل نفسَه كالتلميذ ليوحنا المعمداني . فمن تهاون بهذا الناموس ، شاء به ابليسُ غاية ما يكون من الفرح لأجل عظمته ، وسقط من ديوان ملك الله مثل سقوط الشيطان الملعون من السماء .

القراءة الخمسون من سفر الخليقة (١)

الكتاب :

« وأما يوسف فأنزل الى مصر فاشتراه فوطيفار خصيٌّ فرعون رئيس الشرط رجل مصري من أيدي الإسمعيليين الذين نزلوا به الى هناك . وكان الرب مع يوسف فكان رجلا ناجحا وأقام ببيت مولاه المصري . ورأى مولاه أن الرب معه وأن جميع ما يعمله ينجحه الرب في يده » (تك ٣٩/١ — ٣) .

التفسير :

من اجل محبة يوسف في الطهارة وميله اليها وحرصه عليها . مع كونه كان حدثاً وجميل المنظر وعادمٍ الوعظ وفي أرض غريبة وسط خطأة ، وهو مع ذلك حافظ الطهارة بجهاد . من أجل هذا ، كان الربُّ معه وموافقه في كل اعماله .

الكتاب :

« فنال يوسف حظوة في عينيه وخدمه . فأقامه على بيته وجميع ما كان له جعله في يده . وكان منذ أقامه على بيته وجميع ما هو له أن الرب بارك بيت المصري بسبب يوسف وكانت بركة الرب على جميع ما هو له في البيت وفي الحقل » (تك ٣٩/٤ — ٥) .

التفسير :

من جاهد على الطهارة . حلّت بركة الربّ على الموضع الذي يكون فيه ، وشملته النعمة داخلاً وخارجاً ، لان جهاد الطهارة عند الله عظيم وكريم جدًا .

الكتاب :

« فترك جميع ما كان له في يد يوسف ولم يكن يعرف معه شيئاً إلاّ الخبز الذي كان يأكله . وكان يوسف حسن الهيئة وجميل المنظر . وكان بعد هذه الأمور أن امرأة مولاه طمحت عينها الى يوسف وقالت ضاجعني . فأبى وقال لامرأة مولاه هوذا مولاي لا يعرف معي شيئا مما في البيت وجميع ما هو له قد جعله في يدي وليس في هذا البيت شيء فوق يدي ولم يمسك عني شيئا غيرك لأنك زوجته . فكيف أصنع هذه السيئة العظيمة وأخطأ الى الله . وكلمته يوما بعد آخر فلم يقبل منها أن ينام بجانبها ليكون معها » (تك ٣٩/٦ — ١٠) .

---

(١) في المخطوطات . لا ذكر ليوم تقرأ فيه هذه القراءة .

التفسير :

جهاد عظيم أوضحه كتاب الله عن الحدث اذ قال إنها كانت تفعل هذا الفعل مُستمرّاً ، وتعرض نفسها عليه وتجاهده يوماً بعد يوم . لئلا يظنُ ظانٌ ان جهاده كان ليوم واحد . أوضح الكتابُ أنه جاهد هكذا : اياما كثيرة تعرضُ نفسها عليه وهو يمتنع ويقول : لا أفعل هذا لئلا أخطأ قدام الله . هذا هو خوف الله الذي خلقه في طبيعة الانسان . به قيل إن الانسانَ صورةُ الله . هذا هو الخوف ، اذا حرّكه الانسانُ فيه ، علّمه الطهارةَ وجعله يحفظها فيه من كل شهوة وغضب ، طاهراً مثل الله الذي خلقه على صورته .

الكتاب :

« فاتفق في بعض الأيام أنه دخل البيت ليتعاطى أمره ولم يكن في البيت أحد من أهله . فأمسكت بثوبه قائلة ضاجعني » (تك ٣٩/١١ — ١٢ أ) .

التفسير :

تعلّقها في ثيابه وتعريته منها دليلٌ على أنها قد جاهدته زماناً طويلاً . ولم يطاوعها كشهادة الكتاب . فلما خَلِيَتْ به علّمها الشيطانُ أن تُعَرِّيَهُ بسرعة لكي تتحرّك فيه الشهوة بقوّة . فيسرع ويخطأ . واما هو المجاهد المتعلّم الحرب من الله ، فلم يتهاون ولم يتوانَ ، بل بسرعة كسرعة لهيب النار ، خرج من البيت عرياناً .

الكتاب :

« فترك رداءه بيدها وفرّ هاربا الى خارج . فلما رأت أنه قد ترك رداءه بيدها وهرب خارجا صاحت بأهل بيتها وقالت لهم انظروا كيف جاءنا برجل عبراني ليتلاعب بنا . أتاني ليضاجعني فصرخت بصوت عال فلما سمعني قد رفعت صوتي وصرخت ترك رداءه بجانبي وفر هارباً الى خارج . ووضعت رداءه بجانبها حتى قدم مولاه الى بيته فكلمته بمثل هذا الكلام وقالت أتاني العبد العبراني الذي جئتنا به ليتلاعب بي . وكان عندما رفعت صوتي وصرخت أنه ترك رداءه بجانبي وهرب خارجاً . فلما سمع مولاه كلام امرأته الذي أخبرته به قائلة كذا صنع بي عبدك استشاط عليه غضباً . فأخذ يوسف مولاه وأودعه الحصن حيث كان سجناء الملك مقيدين فكان هناك في الحصن. وكان الرب مع يوسف وأمال إليه رحمته ورزقه حظوة في عيني رئيس الحصن . فجعل رئيس الحصن في يد يوسف جميع السجناء الذين في الحصن وجميع ما كانوا يصنعونه هناك كان هو مدبره . ولم يكن رئيس الحصن ينظر الى شيء ممّا تحت يده لأن الرب كان معه ومهما صنع كان الرب ينجحه » (تك ٣٩/١٢ ب — ٢٣) .

التفسير :

لما جاهد الشيطان وغلبه ، ملأ الشيطانُ المرأة حنقاً وغضباً حتى أحنقت رجلها عليه . ثم ألقاه في السجن . قال الشيطان : عساه يندم على مخالفته لها ، وبندمه يخطأ ويضيّع ثوابه . فأزال الربُّ عنه سببَ الندم إذ جعله في السجن سيّدا ، وأمر ونهى ، ومدبراً مثل بوّاب السجن فخزي العدوُّ في امله ولم يبلغ في الصدّيق عرضه . لان الرب كان معه . المجد والسجود لك يا سيدي يسوع المسيح .

القراءة الحادية والخمسون من سفر الخليقة (١)

الكتاب :

« وكان بعد هذه الأمور أن ساقي ملك مصر والخباز أجرما الى سيّدهما ملك مصر فسخط فرعون على كلا خصييه رئيس السقاة ورئيس الخبازين وجعلهما في حبس بيت رئيس الشرط في الحصن حيث كان يوسف مسجوناً . فوكل رئيس الشرط بهما يوسف فاهتم بهما وأقاما مدة في السجن . فرأيا كلاهما حلما في ليلة واحدة كل واحد حلمه لحلم كل تعبير بحسبه ساقي ملك مصر وخبازه المسجونان في الحصن . فدخل عليهما يوسف بالغداة فإذا هما قلقان . فسأل خصيي فرعون اللذين معه في سجن بيت مولاه وقال ما بال وجوهكما مكتئبة اليوم . فقالا له رأينا حلما وليس لنا من يعبّره . فقال لهما يوسف أليس أن لله التعابير قصا عليَّ . فقص رئيس السقاة حلمه على يوسف وقال له رأيت كأن جفنة كرم بين يدي وفي الجفنة ثلاثة قضبان وكأني بها أفرعت وأفعلت ونضجت عناقيدها وصارت عنباً . وكانت كأس فرعون في يدي فأخذت العنب وعصرته في كأس فرعون وناولت الكأس لفرعون » (تك ١/٤٠ — ١١) .

التفسير :

ليس في كتاب الله مثل ولا خبر ولا قول الا وهو تعليم للنفس لتعرف العمل الذي يكون به خلاص . وهذه الكرمة التي لها ثلاثة قضبان هي كانت اشارةً الى الثالوث المقدّس الذي هو طبيعة واحدة بثلاثة اقانيم كاملة . وتوريقُ هذه الكرمة واخراج عناقيدها ونضج عنبها هو ظهورُ امانة الثالوث في كل العالم ، وقبولُها من جميع الامم على يد تلاميذ المسيح ، وعلّموهم بوصاياها واتّباعَهم لاوامرها التي بها يثمرون ثمرةَ الفرحَ المؤبد وخمرَ السرور الدهري . والساقي الذي عصرها ، أعني العنب في الكأس ، ودفعه الى يد فرعون : هو المؤمن الذي يعمل الوصايا والاوامر الانجيلية من محبة الملك المسيح خاصة . لان قوله إنه يدفع الكأس الى يد الملك ، أعني ان يكون عاملاً الوصايا ، لا يعملها من أجل مجد باطل ولا من أجل فائدة بشرية ، بل من اجل خوف الله ومحبته فقط . فان الذي يفعل هكذا ، ينعتق من حبس الخطيئة ويحضر مع المسيح ملك الملوك في وليمته ، كما قد فسّر يوسفُ الحلمَ للساقي .

الكتاب :

« فقال له يوسف هذا تعبيره . الثلاثة القضبان هي ثلاثة أيام . بعد ثلاثة أيام يرفع فرعون رأسك ويردك الى منزلتك وتناول فرعون كأسه كالعادة الأولى حين كنت ساقيه . انما اذا جاد أمرك فاذكرني في نفسك واصطنع اليّ رحمة

(١) في المخطوطات ، لا ذكر ليوم تقرأ فيه هذه القراءة .

وأجر ذكري لدى فرعون وأخرجني من هذا البيت لأني قد خطفت من أرض العبرانيين وههنا أيضا طرحوني في هذا الجب من غير أن أفعل شيئاً » (تك ٤٠/١٢ — ١٥) .

التفسير :

هذه المنامات عناية بيوسف ، أطلع اللهُ عليها الساقي والخبّاز ، وأطلع يوسفَ على تأويلها بصحة ، لكي يكونَ ذلك سبب خلاصه وتشريفه وملكه .

الكتاب :

« ولما رأى رئيس الخبازين أنه قد عبر له بخير قال ليوسف رأيت أنا أيضا في حلم كأن ثلاث سلال حوارى على رأسي وفي السلة العليا من جميع طعام فرعون مما يصنعه الخباز والطير تأكله من السلة من فوق رأسي » (تك ٤٠/١٦ — ١٧) .

التفسير :

الثلاثة أطباق اشارة أيضا الى ظهور الامانة بالثالوث . والخبّاز المذكور اشارة الى الذي يعمل الوصايا من اجل مجد بشري وفائدة دنيوية . وذلك انه لم يُغطَّ طبقَ الخبز الفوقاني ولم يستره من الطيور . فلذلك أكلوه . ولذلك الذي لا يستر قلبَه من محبة مجد باطل ، الذي هو مديح الناس ، فيما يعمله من الوصايا ، ويحفظ فكره من الرغبة في الفوائد الدنيوية عن ذلك العمل الذي يعمله ، فان ذلك العمل تأخذه منه الشياطين ، ويصير محسوباً لهم دون المسيح . لان كل من يعلم بكلام الله ويعمل لطلب مجد الناس أو فائدة منهم ، فعمله ذلك وتعليمه محسوب للشيطان وليس له اجر عند المسيح الهنا .

هكذا قال في الانجيل : « **أنظروا لئلا تصنعوا بِرّكم قدّام الناس لكي يروكم . فليس لكم اجر عند ابيكم السماوي** » (متى ٦/١) ويقول أيضاً : « **من يقبل نبياً باسم نبي أو صدّيقاً باسم صدّيق ، فأجر نبيٍّ وصدّيقٍ يأخذ** » (متى ١٠/٤١ و//) . يعني من يعمل الخير مع النبيّ والصدّيق ، لا من اجل فائدة دنيوية ولا بسبب ارضي ، بل من أجل محبة إلههم الذي يخدمونه ، قال إذاً من يفعل هكذا هو يأخذ الأجر مثل نبيّ وصدّيق . وكذلك من يُخصِّصُ الى مسيحيٍّ من أجل اسم المسيح فقط الذي قد سُمّيَ عليه ، فإحسانه واصِلٌ الى المسيح . لانه هكذا قال : « **ان الذي تفعلونه باحد هؤلاء المنسوبين إليّ ، فِيَّ تفعلونه** » (متى ٢٥/٤٠ و//) . فاما الذي يفعل الاحسان من أجل مجد الناس أو فائدة بشرية ، فليس ان اجره يضيع ، بل ويُعاقب ، كما قد فسّر يوسفُ الحلمَ للخبّاز بغير حشمة .

الكتاب :

« فأجاب يوسف وقال هذا تعبيره . الثلاث السلال هي ثلاثة أيام . بعد ثلاثة أيام ينزع فرعون رأسك عن بدنك ويعلقك على خشبة فتأكل الطير لحمك . فكان في اليوم الثالث يوم مولد فرعون أنه صنع مأدبة لكل عبيده فرفع رأس رئيس السقاة ورأس رئيس الخبازين بين عبيده . فرد رئيس السقاة الى سقايته فناول فرعون الكأس . وأما رئيس الخبازين

فعلّقه على حسب تعبير يوسف لهما . ونسي رئيس السقاة يوسف ولم يذكره » (تك ٤٠/١٨ — ٢٣) .

التفسير :

من اجل كون يوسف قال له : اذكرني ، ونسي أن الله لا يخرجه الى ذكر ذلك ، فلذلك جعله ينساه سنتين . لكي يعلم مَن هو بالله واثق ، أن لا يتّكل على مخلوق .

الكتاب :

« وكان بعد مضيّ سنتين من الزمان أن فرعون رأى حلماً كأنه واقف على شاطئ النهر . فاذا بسبع بقرات صاعدة منه وهي حسان المنظر وسمان الأبدان فارتعت في المرج . وكأن سبع بقرات أخر صاعدة وراءها عن النهر وهي قباح المنظر وعجاف الأبدان فوقفت بجانب تلك على شاطئ النهر . فأكلت البقرات القباح المنظر العجاف الأبدان السبع البقرات الحسان المنظر السمان . واستيقظ فرعون . ثم نام فحلم ثانية فرأى كأن سبع سنابل قد نبتت في ساق واحدة وهي سمان جياد . وكأن سبع سنابل دقاق قد لفحتها الريح الشرقية نبتت وراءها . فابتلعت السنابل الدقاق السبع السنابل السمينة الممتلئة . واستيقظ فرعون فإذا هو حلم . فلما كانت الغداة انزعجت نفسه فبعث ودعا جميع سحرة مصر وجميع حكمائها فقصّ فرعون عليهم حلمه فلم يكن من يعبره لفرعون . فكلم رئيس السقاة فرعون وقال إني لأذكر اليوم خطاءي . ان فرعون كان قد سخط على عبديه فجعلني في حبس بيت رئيس الشرط أنا ورئيس الخبازين . فرأينا كلانا حلما في ليلة واحدة لحلم كل تعبير بحسبه . وكان معنا هناك غلام عبراني عبد لرئيس الشرط فقصصنا عليه فعبر لنا حلمينا عبر لكل واحد منا بحسب حلمه . وكما عبر لنا كان فردني الملك الى رتبتي وذاك علقه . فبعث فرعون ودعا يوسف فأسرعوا به من السجن فاحتلق وأبدل ثيابه ودخل على فرعون » (تك ٤١/١ — ١٤) .

التفسير :

قال : أخرجوه من الحبس وحلقوا رأسه وغيَّروا خلعته . وحينئذ أمكن دخوله الى الملك . وكذلك من هو مربوط في حبس الخطيئة ، مأسور في شهوات الدنيا ، بعيد من الله ، لا يمكنه ان يصل اليه . حتى يخرج من ذلك الحبس النجس ، أعني يترك فعل الخطيئة ويحلق فضولات شعر رأسه التي هي أفكارُ عقله المُحِبَّة في الخطيئة ، ويغيّر خلعته التي هي أعماله الرديئة ويبدّلها بأعمال صالحة . فمن نقّى قلبه من الافكار الرديئة هكذا ، وأبدل أعماله الخاطئة بأعمال بارّة ، فهو الذي يستحقّ الدخول الى المسيح . ملك الملوك ، والتناول من جسده ودمه الكريم . وكل من لا ينقّي افكاره اذن وأعماله تنقية كاملة ، لا يستحقّ تناول جسد المسيح .

الكتاب :

« فقال فرعون ليوسف قد رأيت حلما ولم يكن من يعبره وقد سمعت عنك أنك إذا سمعت حلما تعبره . فأجاب يوسف فرعون وقال لا بعلمي بل الله يجيب فرعون بالسلام . فقال فرعون ليوسف رأيت كأني واقف على شاطئ النهر وكأن قد صعد منه سبع بقرات سمان الأبدان حسان الصور فارتعت في المرج . وإذا سبع بقرات أخر قد صعدت وراءها عجافا قباح الهيئات جدا رقاق الأبدان لم أر مثلها في جميع أرض مصر في القبح . فأكلت البقرات العجاف القباح السبع البقرات

الأول السمان فدخلت في بطونها ولم يتبين أنها قد دخلت فيها وبقي منظرها قبيحا كما كان أولا واستيقظت . ثم رأيت في حلمي كأن سبع سنابل قد نبتت في ساق واحدة ممتلئة حسانا . وكأن سبع سنابل جافة دقاقا قد لفحتها الريح الشرقية نبتت وراءها . فابتلعت السنابل الدقاق السبع السنابل الحسان . فأخبرت بذلك السحرة فلم يكن من ينبئني . فقال يوسف لفرعون حلم فرعون واحد الذي سيصنعه الله أخبر به فرعون . السبع البقرات الجياد هي سبع سنين . والسبع السنابل الحسان هي سبع سنين . هو حلم واحد . والسبع البقرات الدقاق القباح الصاعدة ورا ها هي سبع سنين . والسبع السنابل الفارغة التي لفحتها الريح الشرقية تكون سبع سني جوع . هو الأمر الذي ذكرته لفرعون أن الله مكاشف فرعون بما هو صانعه . ستأتيكم سبع سنين فيها شبع عظيم في جميع أرض مصر . وتأتيكم من بعدها سبع سني جوع فينسى جميع الشبع الذي كان في أرض مصر ويتلف الجوع الأرض ولا يتبين أثر ذلك الشبع في الأرض من قبل الجوع الآتي عقبه لأنه شديد جدا . وأما تكرار الحلم على فرعون مرتين فلأن الأمر مقرر من لدن الله وسيصنعه عاجلاً . والآن لينظر فرعون رجلاً فهما حكيما يقيمه على أرض مصر . وليشرع فرعون ويوكل وكلاء على الأرض ويأخذ خمس غلّة أرض مصر في سبع سني الشبع . وليجمعوا كل طعام سني الخير الآتية ويخزنوا برها تحت يد فرعون طعاما في المدن ويحفظوه . فيكون الطعام ذخيرة لها لسبع سني الجوع التي ستكون في أرض مصر فلا ينقرض أهل الأرض بالمجاعة ، (تك ٤١/١٥ ــ ٣٦) .

التفسير :

سبق كتابُ الله أخبر بحال الكنيسة وبجميع ما قد جرى عليها . ورأى فيها علانية ، وذلك أن زمانها الاول مذ أسسها التلاميذُ رسلُ المسيح وصاعداً ، كان زمانَ رخاء ونعمة . ومعلّمين روحانيين ، ناطقين باللاهوت . كلام الحق الذي كان ينبع منهم كالنهر الجاري . وقدّيسين إلهيين في البراري والاديرة . عديمي الاوجاع . كاملين مثل الرسل القدّيسين . هذا زمان الرخاء الشبع الذي كان في الكنيسة .

وبعد هذا الزمان ، الذي هو زمانُ جوع وقحط وغلاء في المعلّمين وفي الرهبان ، المعلّمين رعاة الكنيسة في جميع الارض ، لا يوجد فيهم من قَصْدُه حفظُ الشعب من الخطيئة والحثُّ لهم على حفظ الوصايا الانجيلية كالمعلّمين الأَولين ، بل انما قصدُهم رئاسة على الشعب ونفاذ أمر ونهي وتجويز (؟) مؤقت في الدنيا . والرهبان هم أيضا لا يعرفون البتة سيرةَ عدم الأوجاع . ولا يدرون ما هي ، بل قد نسِيَ علمها ودثر . كما قد قال الكتاب : ان في سنين الجوع يُنْسى الشبع الذي كان في سنين الرخاء . وكما جمع يوسفُ الاثمارَ الكثيرة في سنيّ الرخاء ، اقتاتت بها الارض في سنيّ الغلاء ، كذلك في زمان رخاء الكنيسة . جمع لها الروحُ القدس ميامر وتعليم وتفاسير روحانية واقاويل الهية ، كثرت بها كالرمل الذي للبحور ، وخزنها لها مكتوبة لتجدها تقتات بها في زمان الغلاء ، عند انعدام الآباء والمعلّمين الناطقين بمثل ذلك . ومع هذا المخزن الكثير العظيم ، أولادُ الكنيسة يُوجَدُون جياعاً من ذلك في زمان الغلاء . هذا إتمام لقول الكتاب ان البقرات الضعاف تبلع البقرات السمان ، وتبقى في ضعفها كما هي ، لم يظهر لها اثر . وذلك ان المعلّمين والرهبان قد يدرسون تلك الاقاويل الالهية والتعاليم الروحانية ، ولكونهم لا يقرأونها بشوق روحاني . ولا يتحرّكون للعلم والعمل بما يقرأونه ، ولا ينهضون لحفظ الاوامر التي يدرسونها ، فهم يبقون في جوعهم كما هم .

فطوبى للمعلّم الذي يقرأ كلام الله بفهم وشوق روحاني ، ويعمل بما يقرأ ، ويحثّ تلاميذه وشعبه على التشبّه به في ذلك. فأجره عظيم عظيم جدًا ، وكرامة لا يُنطقُ بها له من المسيح الهنا ، لانه استيقظ في وسط هذا النوم العظيم الثقيل الذي يعادل الموت . وانه استفاق في وسط هذا السكر الشديد القاتل . وعنه قال الرب في الانجيل : « ان ربّ البيت اذا جاء يجده مستيقظاً في الهجعة الثانية والثالثة من الليل ، فهو يُجلسه ويشدّ وسطه ويقف يخدمه » (لوقا ١٢/٣٧ — ٣٨) ، لانه ، تبارك اسمه ، وعده بعظم هذا الوعد الذي يفوق العقل لموضع انه وجده مستيقظاً في عظم ثقل النوم الذي جميعُ الناس فيه نيام ، في الهجعة الثانية والثالثة ، لان الليل أربع هجعات ، كما يشهد الانجيل المقدس ، الاولى منه والرابعة يكون النوم فيها خفيفاً والمستيقظون كثيرين . لان الأولى منه تكون الناس لم تنم بعد . والرابعة أيضا كذلك تكون الناس قد شبعوا نوما واستيقظوا . والثانية والثالثة هي حين ثقل النوم ؛ وكل من وُجد فيها مستيقظاً دون الناس ، له من الرب ذلك الوعد العظيم .

المستيقظ دون الناس . اذا هو رذل النيام وافتخر قلبُه عليهم ، ولم يشكر بكل قلبه للذي أنعم عليه باليقظة دونهم ، صار في الخطيئة مثلهم وكسر تعب يقظته ، وكذلك يكسر أيضاً إن هو لم يجتهد في يقظة من يمكنه أن يوقظه منهم برفق وحبّ وعدم تجبّر ومرار وغيظ ، لانه اذا أيقظهم هكذا ، وكان غير متعظّم القلب وغير مستحقر بالذي لا يستيقظ منهم ، فهو يستحقّ من الرب ذلك الوعدَ الجليل .

الكتاب :

« فحسن الكلام عند فرعون وعند عبيده أجمع فقال فرعون لعبيده هل نجد مثل هذا رجلا فيه روح الله . وقال فرعون ليوسف بعد ما عرفك الله هذا كله فليس فهيم حكيم مثلك . أنت تكون على بيتي والى كلمتك ينقاد كل شعبي ولا أكون أعظم منك إلا بالعرش . وقال فرعون ليوسف انظر قد أقمتك على جميع أرض مصر . ونزع فرعون خاتمه من يده وجعله في يد يوسف وألبسه ثياب بزٍّ وجعل طوقا من ذهب في عنقه وأركبه مركبته الثانية ونادوا أمامه اركعوا وأقامه على جميع أرض مصر . وقال فرعون ليوسف أنا فرعون بدونك لا يرفع أحد يده ولا رجله في جميع أرض مصر . وسمّى فرعون يوسف مخلص العالم وزوجه أسنات بنت فوطيفارع كاهن أون » (تك ٤١/٣٧ — ٤٥ أ) .

التفسير :

تفسير هذا الاسم : مُطلع الخفايا .

الكتاب :

« وطاف يوسف في جميع أرض مصر . وكان يوسف ابن ثلاثين سنة حين مثل بين يدي فرعون ملك مصر » (تك ٤١/٤٥ ب — ٤٦ أ) .

التفسير :

« في مثل هذا السنّ ، ابتدأ ربّنا يسوع بالتعليم » (لوقا ٣/٢٣) .

الكتاب :

« وخرج يوسف من بين يديه وجال في جميع أرض مصر. ثم أخرجت الأرض في سبع سني الشبع أكداسا أكداساً . فجمع كل غلال السبع السنين التي كانت في أرض مصر وجعلها طعاماً في المدن جعل في كل مدينة غلال ما حولها من الحقول » (تك ٤١/٤٦ ب — ٤٨) .

التفسير :

كان يخزن القمح لكي يكون محفوظا من السوس .

الكتاب :

« فخزن يوسف من البرّ ما يعادل رمل البحر كثيرة حتى ترك إحصاءه لأنه لم يكن يحصى » (تك ٤١/٤٩) .

التفسير :

هكذا جمع الروح القدس تعاليم وميامر وتفاسير روحانية ، وخزنها في الكنيسة مكتوبة ، كما كان يوسف يخزن القمح بسنبله . تعاليم لا إحصاء لها ولا عدد ، خزنها الروح القدس .

الكتاب :

« وولد ليوسف ابنان قبل أن تدخل سنة الجوع وهما اللذان ولدتهما أسنات بنت فوطيفارع كاهن أون . فسمى يوسف البكر منسى قائلا إن الله قد أنساني جميع شقائي وكل بيت أبي وسمى الثاني أفرائيم قائلاً إن الله قد أنماني في أرض مذلتي . وكملت سبع سني الشبع الذي كان في أرض مصر وبدأت سبع سني الجوع تأتي كما قال يوسف فكان جوع في جميع البلدان وأما جميع أرض مصر فكان فيها طعام . فلما جاع جميع أهل مصر صرخ الشعب الى فرعون لأجل الخبز . فقال فرعون لكل المصريين انطلقوا الى يوسف لما يقله لكم فاصنعوه . وشمل الجوع جميع وجه الأرض ففتح يوسف جميع ما فيه طعام فباع للمصريين » (تك ٤١/٥٠ — ٥٦ أ) .

التفسير :

هذا التكرير الذي يكرر كتابُ الله في معاني الجوع على الارض المصرية كلّها اشارة الى الجوع الذي صار في الكنيسة في جميع الارض والدنيا ، وكون الدنيا بأسرها لا تحفظ وصايا المسيح ، لان الجوع من تعليم الحياة وعدم الرعاة الصالحين والمعلّمين الروحانيين صار في جميع الارض .

الكتاب :

« واشتد الجوع في أرض مصر . وقدم أهل الأرض بأسرها الى مصر على يوسف ليمتاروا لأن الجوع كان شديدا في الأرض كلّها . فلما علم يعقوب أن القوت موجود في مصر قال لبنيه ما بالكم تنظرون بعضكم الى بعض . وقال إني قد سمعت أن القوت موجود في مصر فاهبطوا الى هناك وامتاروا لنا فنحيا ولا نموت » (تك ٤١/٥٦ ب — ٥٧ + ٤٢/١ — ٢) .

التفسير :

قول يعقوب لبنيه : لماذا تجزعون ؟ قد سمعتُ ان القمح يُبتاع بمصر ، دليلٌ على جزعهم ويأسهم من وجود القمح . وكما عُدم يعقوب وبنوه الذين هم رؤوس الآباء القمحَ هكذا ، كذلك لا نعجب نحن اذا رأينا رؤوس الآباء في الكنيسة ، معرفة لهم ولا علم ولا خوف الله في هذا الزمان الذي للغلاء . وليس لذلك سبب الا كونهم يُقيمون لرئاسة الكهنوت من ليس فيه خوف الله . يقيمون لرئاسة البحر من لم يركب قطّ البحر . فلذلك كمل على الشعب قول الربّ : « **أعمى يقود أعمى يقعان كلاهما في حفرة** » (متى ١٥/١٤) . والرب عالم الغيوب لعلمه بهذا انه سبحانه تقدّم فأكّد الوصية على كل واحد منا قائلا : « **إحذر ان يكون النور الذي فيك ظلاما** » (لوقا ١١/٣٥) . الكاهن هو نورك . لانه المرشد اياك الى خوف الله . فاذا كان ذلك لا يعرف خوفَ الله . أليس هو ظلمة وانت تظنّ انه نور لجهلك بالنور؟ فاحذر . قال الرب . ان تتخذ لك كاهناً هكذا . الويل ثم الويل لمن يتبع مُعلّماً ليس خوف الله فيه . لانه وهو يقعان في الحفرة حسب قول الرب .

الكتاب :

« **فهبط عشرة من إخوة يوسف ليبتاعوا براً من مصر** » (**تك ٤٢/٣**) .

التفسير :

سفَرُ رؤوس الآباء الى مصر في طلب القمح دليل على كون المعرفة الالهية وخوف الله يوجدان بعيداً من رؤوس الآباء في زمان الغلاء في الكنيسة ، لان في ذلك الزمان يتمّ عليهم قول الرب : « **يغلقون ملكوت السماوات قدّام الناس . لا هم يدخلون ولا يخلّون من يدخل** » (متى ٢٣/١٣) . هم ، لقلّة معرفتهم وخوفهم من الله ، لا يعلمون . ولحسدهم يتركون الشعبَ بلا تعليم وبلا تخشع .

الكتاب :

« **وأما بنيامين أخو يوسف فلم يبعثه يعقوب مع اخوته لأنه قال لعله يلحقه سوء . وأتى بنو إسرائيل في من أتى يمتاروا إذ كان الجوع في أرض كنعان . وكان يوسف هو المسلط على الأرض والممير لجميع شعب الأرض** » (**تك ٤٢/٤ — ٦ أ**) .

التفسير :

عجب عظيم هو هذا أن يوسف اقام مالكاً مصر هذه السنين الكثيرة ، ولم يُرسل الى أبيه يعزّيه ويهنئه بحياته . وذلك لمّا يريد الله تجربة الصدّيقين وتطويل زمان الحزن عليهم بغير عزاء .

الكتاب :

« **فجآء إخوته وسجدوا له بوجوههم إلى الأرض . ولمّا رأى يوسف إخوته عرفهم فتنكّر لهم وكلّمهم بجفآء وقال لهم من أين قدمتم . قالوا من أرض كنعان لنبتاع طعاماً . وعرف يوسف إخوته وأمّا هم فلم يعرفوه . فتذكّر يوسف الأحلام التي**

حلمها بهم . فقال لهم أنتم جواسيس إنّما جئتم لتجسّوا ثغور الأرض . فقالوا له لا يا سيّدي إنّما جآء عبيدك ليبتاعوا طعاماً نحن كلّنا بنو رجل واحد إنّما نحن سليمو القلوب ليس عبيدك بجواسيس . فقال لهم كلاّ بل إنّما جئتم لتجسّوا ثغور الأرض . قالوا عبيدك اثنا عشر أخاً نحن بنو رجل واحد في أرض كنعان هوذا الصغير اليوم عند أبينا والواحد مفقود . فقال لهم يوسف بل الأمر كما قلت لكم أنتم جواسيس . وبهذا تمتحنون . وحياة فرعون لا خرجتم من ههنا أو يجيء أخوكم الأصغر الى ههنا . ابعثوا واحداً منكم يأتي بأخيكم وأنتم تقيدون حتى نمتحن كلامكم هل أنتم صادقون وإلا فوحياة فرعون إنكم لجواسيس . فجعلهم في الحبس ثلاثة أيام وفي اليوم الثالث قال لهم يوسف اصنعوا هذا فتحيوا إني أتّقي الله . إن كنتم سليمي القلوب فواحد منكم يقيّد في بيت حبسكم وأنتم فانطلقوا وخذوا ميرة لمجاعة بيوتكم وأتوا بأخيكم الصغير إليّ ليتحقّق كلامكم ولا تهلكوا . فصنعوا كذلك . وقال بعضهم لبعض إنّا لآثمون في أخينا إذ رأينا نفسه في شدّة وقد استرحمنا فلم نسمع له لذلك نالتنا هذه الشدّة . فأجابهم رأوبين قائلاً ألم أقل لكم لا تأثموا في الولد وأنتم لم تسمعوا لذلك نحن مطالبون بدمه . ولم يكونوا يعلمون أن يوسف يفهم ذلك لأنه جعل ترجماناً بينه وبينهم . فتحوّل عنهم وبكى ثم عاد إليهم وخاطبهم وأخذ من بينهم شمعون فقيّده بمشهدهم . وأمر يوسف أن تملأ أوعيتهم براً وتردّ فضة كل واحد في جوالقه وأن يعطوا زاداً للطريق فصنع لهم كذلك وحملوا ميرتهم على حميرهم وساروا من هناك . وفتح أحدهم جوالقه ليطرح علفاً في المبيت لحماره فرأى فإذا فضته في فم جوالقه فقال لإخوته قد رُدّت فضتي وها هي في جوالقي . فاستطارت قلوبهم وبهتوا بعضهم الى بعض قائلين ما فعل الله بنا . وجآءوا يعقوب أباهم في أرض كنعان فقصوا عليه جميع ما نالهم وقالوا قد خاطبنا الرجل سيّد الأرض بجفآء واتّهمنا بتجسّس الأرض . فقلنا له نحن سليمو القلوب لسنا بجواسيس . نحن اثنا عشر أخاً بنو أبينا أحدنا مفقود والصغير اليوم عند أبينا في أرض كنعان . فقال لنا الرجل سيد الأرض بهذا أعلم أنكم سليمو القلوب دعوا عندي أخاً منكم وامتاروا لمجاعة بيوتكم وانصرفوا وأتوني بأخيكم الصغير فأعلم أنكم لستم بجواسيس وأنكم سليمو القلوب فأعطيكم أخاكم وتتجرون في الأرض . وبينما هم يفرغون أوعيتهم إذا بصرّة فضة كل واحد في جوالقه . فلمّا رأوا صُرر فضتهم هم وأبوهم خافوا فقال لهم يعقوب أبوهم قد أثكلتموني . يوسف مفقود وشمعون مفقود وبنيامين تأخذونه عليّ نزلت هذه كلها . فكلّم رأوبين أباه قائلاً إن لم أعُد به إليك فاقتل ولديّ . سلّمه الى يدي وأنا أردّه عليك . قال لا ينحدر ابني معكم لأن أخاه قد مات وهو وحده بقي فإن صادفه سوء في الطريق الذي تذهبون فيه أنزلتم شيبتي بحسرة الى الجحيم » (تك ٤٢/٦ ب — ٣٨) .

التفسير :

وها هنا أيضاً ، شهد يعقوب رئيس الآباء انه ينزل الى الجحيم .

الكتاب :

« وكان الجوع شديداً في الأرض . فلمّا فرغوا من أكل الميرة التي أتوا بها من مصر قال لهم أبوهم ارجعوا فابتاعوا لنا قليلاً من الطعام . فكلّمه يهوذا قائلاً إن الرجل أشهد علينا وقال لا ترون وجهي إلا وأخوكم معكم . فإن بعثت أخانا معنا انحدرنا وابتعنا لك طعاماً وإن لم تبعثه لا ننحدر لأن الرجل قال لنا لا ترون وجهي إلا وأخوكم معكم . فقال إسرائيل ولم أسأتم إليّ وأخبرتم الرجل أن لكم أخاً أيضاً . قالوا إن الرجل سأل عنا وعن عشيرتنا وقال هل أبوكم باق بعد وهل لكم أخ فأخبرناه بحسب هذا الكلام . هل كنا نعلم أنه سيقول أحضروا أخاكم . وقال يهوذا لإسرائيل أبيه ابعث الغلام معي حتى نقوم ونمضي ونحيا ولا نموت نحن وأنت وأطفالنا جميعاً . أنا أضمنه من يدي تطلبه . إن لم أعد به إليك وأقمه بين يديك فأنا مذنب إليك طول الزمان . إنه لولا أنّا تلبّثنا لكنا الآن قد رجعنا مرتين . فقال لهم إسرائيل أبوهم إن كان ذلك فاصنعوا هذا . خذوا من أطيب فاكهة الأرض في أوعيتكم واستصحبوا هدية الى الرجل شيئاً من البلسان وشيئاً من الدبس ونكعة

ولاذناً وفستقاً ولوزاً . وخذوا معكم فضة أخرى في أيديكم والفضة المردودة في أفواه أوعيتكم ردُّوها معكم لعل ذلك كان سهواً . وخذوا أخاكم وقوموا فارجعوا الى الرجل والله القدير يهبكم رحمة أمام الرجل فيطلق لكم أخاكم الآخر وبنيامين وان ثكلتهم أكون ثكلتهم . فأخذ القوم هذه الهدية » (تك ٤٣/١ — ١٥ أ) .

التفسير :

لكون الصدّيق يعقوب كان حزنُ يوسف قد نقص منه لطول الزمان ، أراد الربُّ تجديدَ الحزن عليه لشدّة الغلاء ، واعتقال سمعان بمصر ، وذهاب بنيامين ابنه الصغير عنه ، مع خوفه عليه بعظم الخوف أن يناله ما نال أخوه يوسف ، وخوفه أيضاً على باقي أولاده أن يستعبدوهم بسبب الوزن الذي وجدوه في جرائرهم . حزن هكذا يريد الله يجرِّب به الصدّيقين في هذا العالم ، لكي ، بحزنهم الدائم ها هنا ، يفرحوا دائماً هناك . لأن ها هنا كلّه زائل ، حزناً أم فرحاً ، وهناك وكل ما فيه دائم حزناً كان أم فرحاً .

الكتاب :

« وأخذوا فضة أخرى في أيديهم وبنيامين وقاموا وانحدروا الى مصر ووقفوا بين يدي يوسف . فلمّا رأى يوسف بنيامين معهم قال لقيّم بيته أدخل القوم البيت واذبح ذبيحة وهيئها فإن القوم يأكلون معي عند الظهر . فصنع الرجل كما أمره يوسف وأدخل القوم بيت يوسف » (تك ٤٣/١٥ ب — ١٧) .

التفسير :

لمّا نظر يوسف أخاه حبيبه معه ، أمر بدخول الجميع الى بيته والاهتمام بهم وكرامتهم . وهكذا الذين يرافقون حبيب الرب ، فالرب ، من أجله ، يدخلهم الى ملكوته ، لكونه يشركهم في الكرامة معهم .

التفسير :

« فخافوا إذ دخلوا بيت يوسف وقالوا إنما نحن مُدخلون بسبب الفضة التي رُدّت في جواليقنا أولاً لينسبب علينا ويقع بنا ويأخذنا عبيداً ويأخذ حميرنا . فتقدّموا الى قيّم البيت وكلّموه عند باب البيت وقالوا استمع يا سيدي إنّا انحدرنا أولاً لنبتاع طعاماً . وكان لمّا صرنا الى المبيت وفتحنا جواليقنا أنّا وجدنا فضة كل واحد في فم جوالقه فضتنا بوزنها فرددناها معنا وأتينا بفضة أخرى معنا لنبتاع طعاماً لا نعلم من الذي جعل فضتنا في جواليقنا . فقال سلام لكم لا تخافوا إن إلهكم وإله أبيكم رزقكم كنزاً في جواليقكم وأما فضتكم فقد صارت عندي . ثم أخرج إليهم شمعون . وأدخل الرجل القوم بيت يوسف وأعطاهم ماء فغسلوا أرجلهم وطرح علفاً لحميرهم . وهيّأوا الهدية حتى يجيء يوسف عند الظهر لأنهم سمعوا بأنهم هناك سيأكلون طعاماً . ولمّا قدم يوسف الى البيت أدخلوا له الهدية التي في أيديهم الى البيت » (تك ٤٣/١٨ — ٢٦ أ) .

التفسير :

كتاب الله يذكر غسل أقدام الضيوف ذكراً متواتراً لكي يعلّمنا أنها فضيلة واجبة . وأما خازن يوسف الذي كلّم إخوة يوسف بمثل هذا الكلام ، فهو بلا شكّ قد كان أطلعه يوسفُ على سرّه ، ليعبد

الهه معه ، وأعلمه أن القوم يختصّون به . فلذلك قال لهم : إن الله إله آبائكم هو الذي فتح لكم بالفضّة في أوعيتكم . وأما فضّتكم التي ابتعتم بها القمح ، فقد قبضتها منكم . هكذا يجب على كلّ انسان أن يعلّم أهْلَ بيته وأولاده وغلمانه وكلّ من يختص به عبادةَ الله مثله ، والا فهو يُطالَب بهم ويُدان بسببهم ، ويضيع عليه تعب العبادة الذي يعتمده هو وحده .

القراءة الثانية والخمسون (من سفر الكون)

ليوم الأربعاء من الجمعة السادسة من الصوم

الكتاب :

« ولما قدم يوسف الى البيت أدخلوا له الهدية التي في أيديهم الى البيت وسجدوا له الى الأرض . فسأل عن سلامتهم » (تك ٤٣/٢٦ — ٢٧) .

التفسير :

وجودُ اخوة يوسف له حيًا بعد بيعه وعدمه ، اشارة الى قيامة المسيح ووجود التلاميذ له حيًا بعد صلبه وموته . ومن أجل مجد يوسف وملكه ، لم يعرفه اخوته حين رأوه حتى كشفَ لهم ذاته . ومن أجل مجد ضياء لاهوت المسيح المشرق على ناسوته ، « **لم يعرفه تلاميذه حين رأوه بعد قيامته . بل ظنّوا أنهم يرون روحا ، حتى كشف لهم ذاته وجعلهم يجسّون يديه ورجليه وجنبه . حينئذ عرفوه** » (لوقا ٢٤/٣٦ — ٤٠) . سجد إخوةُ يوسف له على الارض اشارة الى « **سجود تلاميذ المسيح له بعد قيامته** » (متى ٢٨/١٧) . كشهادة الانجيل . اخوة يوسف عشرة منهم فقط في الدفعة الاولى وجدوه . لان بنيامين لم يكن معهم . وفي الدفعة الثانية وجده الأحد عشر وسجدوا له . « **وكذلك** عشرة من تلاميذ **المسيح فقط في الدفعة الاولى ظهر لهم عشيّة النهار الذي فيه قام المسيح ، لان توماس** لم يكن معهم » (يوحنا ٢٠/١٩ — ٢٤) . « **وفي اليوم الثامن من قيامة المسيح ، ظهر** لهم . وهم الأحد عشر **في العلّية مجتمعين** » (يوحنا ٢٠/٢٦) ، كما ظهر يوسف لاخوته الاحد عشر داخل البيت .

كان ظهور يوسف لاخوته في البيت ، وكذلك المسيح داخل الغرفة تراءى للحواريين ، لان يوسف كان في كل شيء اشارة الى سرّ المسيح . وذلك ان اخوته بني اسرائيل همّوا بقتله ، كما فعل بنو اسرائيل بالمسيح الذي هو أخوهم بتأنّسه منهم . ودفعوه الى أُمم غريبة — هم الرومان — عذّبوه وهزأوا به وصلبوه ، كما دفع يوسف اخوتُه الى أمم غريبة ؛ وبيع بالثمن كما بيع المسيحُ من يوضاص ؛ وعُري من ثيابه على خشبة الصليب ، كما عُرّي يوسف من جبّته ؛ وأهرق دمُه وتلطّخ جسدَه ، كما لَطّخت إخوةُ يوسفَ جبّتَه بالدم . ونزل في القبر كما نزل يوسف في الجبّ الناشف ليموت . وكان فعل الكهنة بني اسرائيل به ذلك حسدا لفضله ، كما فعل إخوة يوسف ذلك حسدا لفضله وَحُبٍّ ابيه له . فلذلك كان وجود يوسف حيًا وملكاً ممجّدا كوجود المسيح بعد صلبه حيًا وممجّداً بمالك لاهوته وضيائه . وكذب اخوةُ يوسف عليه ان

وحشاً أكله ، كما كذبت كهنة اسرائيل على المسيح وعرف كذبهم . وكذلك ظهر يوسف حيّا وعرف كذب اخوته .

الكتاب :

« ثم قال هل أبوكم الشيخ الذي ذكرتموه في سلام أحي هو بعد . قالوا عبدك أبونا في سلام ولا يزال حيّا وخروا وسجدوا » (تك ٢٧/٤٣ ب — ٢٨) .

التفسير :

اخوة يوسف الذين سجدوا له بعد وجوده حيّا في ملكه ، عاشوا معه في ملكه ، وكان بيعه سبب حياتهم وعزّهم . والذين سجدوا للمسيح من بني اسرائيل ومن جميع الامم بعد قيامته ، عاشوا معه في ملكه وسجدوا له ، وكان صلبه وموته سبب حياتهم وعزّهم .

الكتاب :

« ورفع طرفه ونظر بنيامين أخاه ابن أمه فقال أهذا أخوكم الصغير الذي ذكرتموه لي . وقال يرأف الله بك يا بني » (تك ٢٩/٤٣) .

التفسير :

كلام يوسف الخاص لبنيامين اخيه الذي لم يحضر مع اخوته العشرة في الدفعة الاولى مثل كلام المسيح الخاص لتوما تلميذه الذي لم يكن حاضرا مع التلاميذ العشرة اخوته في الدفعة الاولى . وقوله له : « **هات اصبعك الى ها هنا وانظر الى يديّ ، وهات يدك ألقها في جنبي ولا تكن غير مؤمن بل مؤمناً** » (يوحنا ٢٠/٢٧) . هذا القول بالحقيقة هو رحمة من الله لتوماس ، قد كملت بالفعل وليس لتوماس وحده ، بل ولكل من لم يرَ ويؤمن أن ذلك المجروح الجنب واليدين هو ربه والهه ، لانه هكذا قال في ذلك الوقت : « **طوبى للذي لا يراني ويؤمن بي** » (يوحنا ٢٠/٢٩) .

الكتاب :

« ثم أسرع يوسف وقد تحرك فؤاده نحو أخيه وأراد أن يبكي فدخل المخدع وبكى هناك . ثم غسل وجهه وخرج وتجلد وقال قدموا الطعام . فقدموا له وحده ولهم وحدهم وللمصريين الآكلين عنده وحدهم لأن المصريين لا يجوز لهم أن يأكلوا مع العبرانيين لأنه رجس عند المصريين » (تك ٣٠/٤٣ — ٣٢) .

التفسير :

هذا الأكل اشارة الى « **أكل المسيح بعد قيامته بحضرة تلاميذه ، كشهادة الانجيل المقدس** » (لوقا ٢٤/٤٣) . وقوله ان يوسف أكل ناحية واخوته ناحية ، والمصريين الذين يتغذّون معه على مائدة ناحية ، اشارة بالمصريين ها هنا الى الملائكة الذين لم يزالوا يصحبون المسيح قبل تجسّده وبعده ، ويتغذون معه على

مائدته . معنى « مائدته » هو ان الملائكة يغتذون بالروح القدس كل حين الذي هو غذاء المسيح من أبيه . قال إن أكلَ المسيح بعد قيامته ليس هو روحانيا كغذائه اللاهوتي الذي به يتغذّى الملائكة كل حين ، ولا هو أكل مثل المحتاج اليه كحاجة تلاميذه إليه طبيعياً : بل أكل بغير جوع وبغير حاجة طبيعية . أكل وشرب بالقصد لتثبيت جسده عند تلاميذه ، انه قد قام من الاموات . لان قبل صلبه كان جسدُه يقبل التألم والجوع والعطش بارادته القادرة التي شاءت أن يقبل ذلك عنا ليفدينا من آلامنا . فلمّا قام من الاموات ، صار غيرَ قابل الآلام وغير قابل الجوع . ولكنه أكل وشرب لاثبات جسده فقط .

الكتاب :

« وأجلسوا بين يديه البكر في مرتبته والصغير في مرتبته . فبهت القوم بعضهم إلى بعض . ثم رفع حصصاً من بين يديه إليهم فكانت حصّة بنيامين أكثر من حصة الواحد منهم خمسة أضعاف » (تك ٤٣/٣٣ ـــ ٣٤ أ) .

التفسير :

هذه الفضيلة المختصّة الى بنيامين دون إخوته اختصاص توما بإدخال يده في جنب المسيح الذي به صارت حيّة الى اليوم دون كل جسده ، تُرى في أرض الهند ويُمجَّد بها الإله المجروح بجسده هنا ونعرف عظم قوّته .

الكتاب :

« وشربوا معه حتى سكروا ثم أمر قيم بيته وقال له املأ جوالق القوم طعاماً قدر ما يُطيقون حمله واجعل فضة كل واحد في فم جوالقه . واجعل جامي جام الفضة في فم جوالق الصغير مع فضة ميرته » (تك ٤٣/٣٤ ب + ١/٤٤ ـــ ٢ أ) .

التفسير :

قوله حمّلهم طعاماً ما وسعته أوعيتُهم ، يعني أن كلّ انسان من المؤمنين بالمسيح ، على قدر ما يحمل من مجد اللاهوت ، يُعطى له . ومعنى هذا الكلام أن الذي يتعوّد الاتضاع وهو في هذه الدنيا ، وان يكون لا يتعظّم بمواهب الله ، فعلى قدر ذلك الاتضاع الذي حصل له وهو في الدنيا ، يُعطيه الله عطيّة في دار الآخرة . لأن الله لا يبخل بعطية لاهوته بأسرها لكلّ الناطقين ، لكنه يعلم أن المخلوق يتعظّم بذلك ، فيهلك ويسقط كالذي حلّ بآدم والشيطان .

فلذلك مَن يُعَوِّدُ نفسَه الاتضاعَ وعدمَ التعظّم في مواهب الله ، قدر ذلك يُعطى له مجدُ اللاهوت في دار الآخِرَة . وقوله إن فضّة كلّ واحد تُرَدُّ اليه حتى تصير الغَلّةُ التي يأخذه بلا شيء ، يعني أن التعب الذي يتعبه الانسان في حفظ الوصايا لا يساوي ذلك المجدَ الذي يُعطى له من اللاهوت ، لأن قوّة اللاهوت التي أخذها في المعمودية هي التي كانت تقوّيه على التعب . فالفضل كلّه لها . وهي بالرحمة أخذها . فهو مجاناً يأخذ ما يأخذ . وقوله إنه عمل الصاج في وعاء الصغير ، يعني أن مَن يكون عند نفسه

صغيراً وخادماً الجماعة هو الذي يكون مختصّاً وحبيباً . لأنه قال في انجيله المقدس : « **ان الصغير فيكم هو الكبير في الملكوت السماوي** » (متى ١٨/٤) يعني من يرى نفسه حقيراً باتضاع قلبه الذي به يستحقّ مجد اللاهوت .

الكتاب :

« فصنع بحسب كلام يوسف الذي أمره به » (تك ٤٤/٢ ب) .

التفسير :

مَن هو الخازن ليوسف الذي يُعطي خيراته لاخوته هكذا ؟ هو الروح القدس خازن خيرات الله الآب الذي منه يغذّي الابن وينعم ويُسجَد ويكرّم كلّ محبيه من الناس والملائكة أجمعين ؛ هو أُرسِل من الآب ، بعد صعوده ، الى تلاميذه فملأهم مواهبه ونعمته التي لا يُنطق به .

الكتاب :

« فلمّا أضاء الصبح انصرف القوم بحميرهم . فبعد أن خرجوا من المدينة ولم يبعدوا قال يوسف لقيّم بيته قم فاسع في أثر القوم فإذا أدركتهم فقل لهم لِمَ كافأتم الخير بالشر . أليس هذا هو الذي يشرب به مولاي ويتفاءل به . قد أسأتم في ما صنعتم . فلحقهم وقال لهم ذلك الكلام . فقالوا له لماذا يتكلّم سيدي بمثل هذا الكلام حاش لعبيدك أن يصنعوا مثل هذا الأمر . فإن الفضة التي وجدناها في أفواه جوالقنا رددناها عليك من أرض كنعان فكيف نسرق من بيت مولاك فضة أو ذهباً . من وُجِدَ معه من عبيدك فليقتل ونحن أيضاً نكون لسيدي عبيداً . قال نعم وبحسب قولكم فليكن من وُجِدَ معه يكون لي عبداً وأنتم تكونون أبرياء » (تك ٤٤/٣ — ١٠) .

التفسير :

هكذا مَن يتعبّد لله بحقّ ، يحزنه الروحُ القدس الساكن فيه ويقنعه أنه ناقص في الفضائل ، ومقصّر في حفظ الوصايا ، ومتهاون فيما يجب عليه لله . هذا يفعله معه الروح القدس ليُكثر اجتهاده ، فيكون متّضعاً كل حين ، لأنه يقدر أيضاً باتضاعه أن ينال المجد اللاهوتي .

الكتاب :

« فبادروا وحطّ كل واحد جوالقه على الأرض وفتح كل واحد جوالقه . ففتّشهم مبتدئاً بالأكبر حتى انتهى الى الأصغر » (تك ٤٤/١١ — ١٢ أ) .

التفسير :

على الصاج المختص بيوسف كان التفتيش في جرّارة كل واحد من اخوته . والدينونة هي المختصة بالمسيح ، لأنه كذلك قال : « **ان الدينونة كلّها أعطيت للابن** » (يوحنا ٥/٢٢) . والروح القدس هكذا فتّش فعل الانسان كل حين ؛ فمن وجد فيه دينونة لأخيه ، استحق هو أيضاً الدينونة ، لأنه كذلك

قال : « لا تدينوا لئلا تُدانوا » (متى ١/٧) . فهو يريد من المتعبّد له أن لا يدين انساناً حتى ونفسه هو أيضاً لا يدينها ، بل يأخذ لها الدينونة من غيره ، حتى لا يتعدّى على الدينونة المختصّة بالمسيح . ومن يتعدّى على الدينونة لنفسه أو لغيره ، فهو يأكل من شجرة معرفة الخير والشر ، ويلتمس اللاهوتية لنفسه ، لأن الله وحده هو الديّان . ويجب على المؤمن الحقيقي أن لا يدين أحداً انه جيّد أو رديء ، فيبغض واحداً ويحبّ آخر ، بل يحبّ الكل بالسوية ، من أجل محبته للمسيح ديّانهم وخالقهم ، ونفسه هو أيضاً لا يدينها انها جيدة أو رديئة ، لئلا يتعظّم وييأس ، بل مهما حكم له به معلّمه الذي يدبّره في وصايا الله ، يُصَدِّق ويُؤمن انه حكم الله ، ان قال له إنك جيد أو رديء .

الكتاب :

« فإذا الجام في جوالق بنيامين » (تك ١٢/٤٤ ب) .

التفسير :

قوله ان الصاج وجده في جرارّة الصغير . لأن الكبير قد جعل له نيابة المسيح في دينونة تلاميذه خاصة ، يدينهم بحكم المسيح الذي هو خليفته فيه ، بل الدينونة والعيب يلزمان الصغير الذي لم يجعل له دينونة غيره وتعدّى على ما هو خاصّ بالمسيح . وكذلك المعلّم الذي يدين مَن ليس هو له تلميذ . لأن هذا الفعل يختصّ بالمسيح وحده أن يدين كلّ أحد . وأما المعلّمون البشريون ، فليس يجب عليهم أن يدينوا إلا من قد جعلهم المسيح يدينونهم فقط نيابة عنه . فمن يتعدّى ويدين ، فهو يجعل نفسه صغيراً في ملكوت السماوات ، لأنه قال إن الصاج المختصّ بالسيّد ، في جرارّة الصغير وُجِد ، وليس بهذا القول ينبغي أن نترك تذكار بعضنا البعض ووعظهم ، بل نذكر قول الرب : **« حبّ قريبك مثل نفسك »** (متى ١٩/١٩) . فمن نفسي أتعلّم كيف أذكر رفيقي ، وذلك اني اذا رأيت شرّاً في نفسي ، لا أُبغضها ولا أُخلقها ولا أدينها أنا ، بل بهدوء وسكوت وخلوة ، أُلتمس لها الدينونة مِمَن قد جعله المسيح يدينها . كذلك اذا رأيت مَن قد أساء ، أفعل معه كالذي أفعل مع نفسي : لا أُبغضه ولا أخلقه ولا أُشَهِّرُهُ ، بل إن كان له مَن يدينه ، تُحَدِّثُ معلّمه عنه في خلوة وتذكّره بأمره ليعطيه وعداً له . وان كان ليس له من يدينه ، أتكلّم قدّامه من كتاب الله بكلام يوقظه من غفلته ، ويبكّته في زلّته ، بحيث لا يعلم الحاضرون ولا هو أنك عامد قصده .

الكتاب :

« فمزّقوا ثيابهم » (تك ١٣/٤٤ أ) .

التفسير :

هكذا يصعب على الملائكة القديسين ، اذا نظروا مؤمناً يدين ويتعدّى على ما هو خاص بالمسيح ، لكونه جدّاً يخطأ .

الكتاب :

« وحمّل كل واحد حماره ورجعوا الى المدينة . ودخل يهوذا وإخوته بيت يوسف وهو لم يزل هناك ووقعوا بين يديه على الأرض » (تك ١٣/٤٤ ب — ١٤) .

التفسير :

يهوذا اسم بالعبرانية ، تفسيره الاعتراف . قال : يجب على مَن أخطأ ورام أن يعترف ويسجد على وجهه على الأرض ملتمساً الغفران ، هو والذي يعترف على يديه ، ويسأل له الغفران .

الكتاب :

« فقال لهم يوسف : ما هذا الصنيع الذي صنعتم أما علمتم أن رجلاً مثلي يتفأل » (تك ١٥/٤٤) .

التفسير :

أي اني بالفأل عرفت انكم سرقتموه . هذا القول قاله على رأي المصريين الكفرة الذين كانوا يقولون بالفأل وبالتنجيم اللذين مَن يقول بهما يُحتسب عابد وثن . فلكون يوسف كان اخوته يظنونه واحداً من المصريين ، كلّمهم مثلهم .

الكتاب :

« فقال يهوذا ما نقول لسيدي . بماذا نتكلم وبماذا نتبرأ قد كشف الله ذنب عبيدك . ها نحن عبيد لسيدي نحن ومن وُجد الجام في يده » (تك ١٦/٤٤)

التفسير :

اتضاع هكذا بالقلب واللسان يراد من المعترف مع مساعدة غيره له هكذا . ولذلك قيل إن يهوذا الذي نطق بهذا الخطاب دون اخوته جميعهم ، وتفسير اسمه الاعتراف .

الكتاب :

« قال حاش لي أن أصنع هذا بل الرجل الذي وُجد الجام في يده هو يكون لي عبداً وأنتم تصعدون بسلام الى أبيكم . فتقدّم اليه يهوذا وقال يا سيدي أتوسل أن يتكلّم عبدك كلمة على مسمع سيدي ولا يشتد غضبك على عبدك فإنك مثل فرعون . كان سيدي سأل عبيده قائلاً هل لكم أب أو أخ . فقلنا لسيدي لنا أب شيخ وابن شيخوخة صغير وأخوه قد مات وبقي هو وحده لأمه وأبوه يحبه . فقلت لعبيدك انزلوا به اليَّ أجعل نظري عليه . فقلنا لسيدي لا يقدر الغلام أن يترك أباه وإن تركه يموت أبوه . فقلت لعبيدك إن لم ينحدر أخوكم الصغير معكم فلا تعاودوا تنظرون وجهي . فكان لمّا صعدنا الى عبدك أبي أنا أخبرناه بكلام سيدي . وقال أبونا ارجعوا فاشتروا لنا قليلاً من الطعام . فقلنا لا نقدر أن ننحدر وإنّما إن كان أخونا الصغير معنا ننحدر لأنّا لا نقدر أن ننظر وجه الرجل ما لم يكن أخونا الصغير معنا . فقال لنا عبدك أبي أنتم تعلمون أن امرأتي ولدت لي ابنين فخرج أحدهما من عندي وقلت إنه قد افترس وإلى الآن لم أره . فإن أخذتم هذا أيضاً من أمامي

فأصابه سوء أنزلتم شيبتي بالشقاء الى الجحيم . والآن إذا بلغت الى عبدك أبي والغلام ليس معنا ونفسه متعلّقة بنفسه فيكون أنه عندما يرى أن الغلام مفقود يموت ويحدر عبيدك شيبة عبدك أبينا بحسرة الى الجحيم . لأن عبدك قد ضمن الغلام لأبي قائلاً إن لم أعد به اليك فأكون مذنباً الى أبي طول الزمان . فليبق عبدك الآن مكان الغلام عبداً لسيدي ويصعد الغلام مع إخوته فإني كيف أصعد الى أبي والغلام ليس معي فأشاهد البلآء الذي يحلّ به » (تك ١٧/٤٤ — ٣٤) .

التفسير :

يهوذا الذي هو الاعتراف ، هو الذي ضمن الصبيّ من أبيه ، وهو الذي تولّى السؤال والتضرّع والطلب من أجل جرمه باتضاع ، حتى أنه بذل نفسه عنه للعبوديّة ، وسأل في عتقه . وهذه هي صورة المعلّم الذي يقبل اعتراف الخاطئ ، وفيه يتمّ قول الرب : « **إن الراعي الصالح يبذل نفسه عن خرافه** » (يوحنا ١١/١٠) .

الكتاب :

« فلم يستطع يوسف أن يضبط نفسه لدى جميع الواقفين عنده فنادى أخرجوا كل أحد من بين يديّ . فلم يقف عنده أحد حين تعرّف الى إخوته . فأطلق صوته بالبكآء فسمعه المصريون وسمعه آل فرعون . وقال يوسف لإخوته أنا يوسف أحَيٌّ أبي بعد . فلم يستطع إخوته أن يجيبوه لأنهم ارتاعوا قدامه . فقال يوسف لإخوته تقدّموا إليَّ . فتقدموا . فقال أنا يوسف أخوكم الذي بعتموه الى مصر . والآن لا تأسفوا ولا يشقّ عليكم أنكم بعتموني الى ههنا فإن الله قد بعثني أمامكم لأحييكم . وقد مضت سنتا جوع في الأرض وبقي خمس سنين ليس فيها حرث ولا حصاد . فبعثني الله قدامكم ليجعل لكم بقيّة في الأرض وليستبقيكم لنجاة عظيمة . فالآن لا أنتم بعثتموني الى ههنا بل الله وهو قد صيّرني أباً لفرعون وسيّداً لجميع أهله ومتسلّطاً على جميع أرض مصر . فبادروا واشخصوا الى أبي وقولوا له كذا قال ابنك يوسف . قد جعلني الله سيّداً لجميع المصريين هلمَّ إليَّ ولا تقف فتقيم في أرض جاسان وتكون قريباً مني أنت وبنوك وبنو بنيك وغنمك وبقرك وجميع ما هو لك وأعولك ههنا إذ قد بقي خمس سنين جوعاً لئلا تفنى أنت وأهلك وجميع ما لك . وهذه عيونكم ناظرة وعينا أخي بنيامين أن فمي الذي يخاطبكم فأخبروا أبي بجميع مجدي بمصر وجميع ما رأيتموه وبادروا فاهبطوا بأبي الى ههنا . ثم ألقى بنفسه على عنق بنيامين أخيه فبكى وبكى بنيامين على عنقه وقبّل سائر إخوته وبكى معهم وبعد ذلك كلّموه . ونما الخبر الى بيت فرعون وقيل قد جآء إخوة يوسف فحَسُن ذلك في عيني فرعون وعيون عبيده » (تك ١/٤٥ — ١٦) .

التفسير :

كما دهش اخوة يوسف وبُهتوا عند ظهوره لهم ، كذلك حلّ بالتلاميذ عند ظهور الربّ لهم بعد قيامته . ولم يزالوا كذلك ، حتى كلّمهم الربّ وعزّاهم وطمّنهم ، كما فعل يوسف بإخوته لمّا عرّفهم بنفسه .

القراءة الثالثة والخمسون من سفر الخليقة [١]

الكتاب :

« فقال فرعون ليوسف قل لإخوتك اصنعوا هذا حمّلوا دوابكم وانطلقوا وادخلوا أرض كنعان وخذوا أباكم وبيوتكم وتعالوا اليّ فأعطيكم خير أرض مصر وتأكلوا دسم الأرض . وأنت مأمور أن تقول لهم اصنعوا هذا خذوا لكم من أرض مصر عجلات لأطفالكم ونسائكم واحملوا أباكم وتعالوا . ولا تحزن عيونكم على أثاثكم إن خير جميع أرض مصر هو لكم . فصنع كذلك بنو إسرائيل وأعطاهم يوسف عجلات بأمر فرعون وأعطاهم زاداً للطريق . وأعطى كل واحد منهم حلل ثياب وأعطى بنيامين ثلاث مئة من الفضة وخمس حلل ثياب وبعث الى أبيه بمثل ذلك . وبعث إليه أيضا بعشرة حمير محملة من خير مصر وعشر أتن محملة براً وخبزاً وزاداً لأبيه للطريق . ثم صرف إخوته فمضوا وقال لهم لا تتخاصموا في الطريق » (تك ٤٥/١٧ — ٢٤) .

التفسير :

كما أرسل يوسفُ اخوته الاحد عشر بعد أن أعلمهم سلطانه وعزّه ليُحضروا اليه جميع قبيلته ليعيشوا في عزّه ، كذلك الاحد عشر تلميذاً ، لمّا ظهر لهم الربُّ بعد قيامته ، فعل معهم هكذا : أعلمهم بسلطانه وعزّه قائلا : « **أُعطيتُ كلّ سلطان في السماء وعلى الأرض** » (متى ٢٨/١٨) ، وحينئذ أرسلهم ليدعوا الى عزّه وملكه جميع جنس آدم الذين قد صاروا قبيلته بالجسد قائلا لهم : « **إذهبوا الآن وتلمذوا كلّ الامم وعمّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس ، وعلّموهم حفظَ كلما أوصيتكم به . وهوذا انا معكم جميع الايام الى انقضاء الادهار** » (متى ٢٨/١٩ — ٢٠) .

ثم أعطاهم قوّة الروح القدس ليقووا بها على كل الشياطين المعاندين للبشر والتجارب والاحزان التي يجرّبهم بها ، ويجعل تلك القوة الالهية زاداً لهم في الطريق يعيشون به ويستقوون ، حتى يصلوا الى ملك المسيح ملكهم والههم الذي ، بحفظ وصاياه ، يمكنهم الوصول الى ملكه ، لانه ، تبارك اسمه ، تلمذ تلاميذ وصار لهم معلّماً ، وأمرهم أن يتلمذوا كلّ الامم ، كما تلمذهم هو . يُعلّمونهم حفظ جميع ما أوصاهم به ، لان وصاياه هي العجلات الذي عليها يحملون القوم من أرض الدنيا الخاطئة ويأتون بهم الى ملكه . وبتلاوة كلامه عليهم باستمرار يزوّدهم ، اذ يخشّعهم فيحركون خوفه فيهم حتى يقوون على تعب المشي في وصاياه وتطهير حواسّهم الخمس من كل شيء يضاد وصاياه .

---

(١) في المخطوطات ، لا ذكر ليوم تقرأ فيه هذه القراءة .

الكتاب .

« **فشخصوا من مصر وصاروا الى أرض كنعان الى يعقوب أبيهم وأخبروه وقالوا إن يوسف لا يزال باقيا وهو أيضا مسلط على جميع أرض مصر . فجمد قلبه لأنه لم يصدقهم . ثم كلموه بجميع كلام يوسف الذي كلمهم به ورأى العجلات التي بعث بها يوسف لتحمله فعاشت روح يعقوب أبيهم** » (**تك ٤٥/٢٥ — ٢٧**) .

التفسير :

هذه البشارة المذكورة باسم يعقوب خاصة ، هي اشارة الى آدم أب كل الجنس ، البشارة والخلاص لكل بنيه . وقولهم ليعقوب ان ابنك حيٌّ وهو المالك لكل أرض مصر . وبُهت ولم يُصَدِّق . كذلك كانت بشارة التلاميذ لجنس آدم أن الناسوت الآدمي الذي منكم هو بالاقنوم إلهٌ حقيقيٌ ومُحيي . جالس عن يمين الآب . له كل سلطان في السماء وعلى الارض . وجنس آدم . لمّا سمعوا هذه البشارة . بُهتوا ولم يُصَدِّقوا حتى كلَّمهم التلاميذ بكل كلام المسيح سيدنا . وأروهم الآيات العظيمة والعجائب التي أعطاها لهم المسيح . يُعَلِّمونها قدّام جنس آدم . لكي بها يؤمنوا بتحقيق البشارة التي بشَّروهم بها . وتُجَدِّدُ حياةُ أرواحهم بالمعمودية المقدسة ، كما تجدّدت حياةُ روح يعقوب . وأعطوا لكل واحد من الكل كسوتين : المعمودية والاعتراف المستمرّ بعد المعمودية ؛ والخاصّ منهم أُعطوا الامانة والرجاء والمحبة . كالثلاثمائة من الذهب التي أعطاها يوسف لاخيه الخاص به مع الخمس خلاع المختارة . إشارة لتطهير الخمس الحواس .

الكتاب :

« **وقال إسرائيل حسبي أن يوسف ابني لا يزال باقيا أمضي وأراه قبل أن أموت** » (**تك ٤٥/٢٨**) .

التفسير :

لم يقل يعقوب بل إسرائيل . تفسير اسرائيل : عقل يرى الله . يعني عقلا يكون خوف الله دائما فيه ، وهو كل حين ناظر الى الله بالمحبة له . انه الذي يُسرع الى نظره وحفظ وصاياه دائماً كسرعة يعقوب اسرائيل لنظر يوسف . وعظم شوقه اليه . وعظم محبته فيه .

القراءة الرابعة والخمسون (من سفر الكون)

تقرأ يوم الخميس في الجمعة السادسة من الصوم المقدس

الكتاب :

« فارتحل إسرائيل بجميع ما له حتى جاء بئر سبع فذبح ذبائح لاله أبيه إسحق » (تك ٤٦/١) .

التفسير :

التفسير عن اسرائيل انه عقل يرى الله . قال إن العقل الذي يرى الله هو الممتلئ من خوفه ، الذاكر له كل حين ، الشاكر له على كل انعامه شكرا حقّانيا . ولذلك ، لما بلغ يعقوب أن يوسف ابنه حيّ بمصر ، ارتحل الى بئر الحلف يقرّب لله قربانا شكرا له على انعامه . قال : يقرّب لاله أبيه اسحق . يعلّمنا انه يجب ان يكون لكل واحد منا أب روحاني مؤمن بالله .

فهذه هي طريق الخلاص ، وينبغي للمؤمنين بالمسيح ان يحفظوا الوصية التي أوصى بها يوسف لاخوته عند مسيرهم الى أرض كنعان . قال : لا تُغضبوا بعضكم بعضاً في الطريق . هذه الوصية ، بحفظها كمالُ الخلاص . لان بها الوداعة التي أمرنا بها ربنا الوديع أن نتعلّمها منه قائلا : « **تعلّموا مني اني وديع ومتّضع في قلبي . وتجدوا راحة لانفسكم** » (متى ١١/٢٩) . حقّق أن من يجاهد ويُعوّد نفسه الوداعة واتضاع القلب ، تكون نفسه دائماً في راحة من كل تعب وحزن ؛ ومن يحفظ عقله هكذا ، فعقله يكون اسرائيل بحق ، ناظراً الله كل حين .

الكتاب :

« فكلّم الله إسرائيل ليلا في الحلم وقال يعقوب يعقوب قال هاءنذا . قال أنا الله إله أبيك لا تخف أن تهبط مصر فاني سأجعلك ثم أمة عظيمة . أنا أهبط معك الى مصر وأنا أصعدك ويوسف هو يغمض عينيك » (تك ٤٦/٢ — ٤) .

التفسير :

قال له : أنا انزل معك الى مصر . ولهذا السبب كمل قوله عند تجسده ، ونزل الى مصر . وليس الى مصر نزل ، بل والى الجحيم الذي كان يعقوب واباؤه فيه محبوسين من اجل معصية آدم . ونزل الى هناك اليهم عند موته . وأصعدهم من هناك . وعن ذلك النزول والصعود ، قال ليعقوب : اني انزل معك وأُصعدك من هناك . لان يعقوب لم يُصعده الله من مصر ، لانه فيها مات ، بل من الجحيم . صُلب عنه

الاله المتجسد بالحقيقة ، [illegible] واسجدوا من هناك .

الكتاب :

« فقام يعقوب من بئر سبع وحمل بنو اسرائيل يعقوب أباهم وأطفالهم ونساءهم على العجل التي بعث بها فرعون لتحمله » (تك ٤٦/٥) .

التفسير :

يوسف أرسل العجلات تحمل قومه ومحبّيه الى ملكه . والمسيح أعطانا جسده ودمه اللذين بهما رفع خطايانا ، وأمرنا ان نتوب من أجل محبتهما عن كل خطيئة كل حين . واذا نحن بالتوبة المستمرّة تناولناهما كل حين ، فهما يكونان لخطايانا نازعين ، والى ملكوت السماء لنا موصلين .

الكتاب :

« وأخذوا ماشيتهم وسرجهم الذي اقتنوه في أرض كنعان وقدموا الى مصر يعقوب وجميع نسله معه . بنوه وبنو بنيه وبناته وبنات بنيه وسائر نسله جاء بهم معه الى مصر » (تك ٤٦/٦ — ٧) .

التفسير :

عند حاجتهم الى النزول الى مصر ، سبّب لهم إلههم القوّة والمعونة والسلطنة التي ليوسف ؛ وعند خروجهم من مصر ، أخرجهم بقوّة عظيمة أعظم من تلك القوة التي بها قهر السلاطين والملوك وأبادهم . يعلّمنا بهذا القول أن قوّته ابدا معينة لكل من يطلبه ، حتى لا يمكن ان يحتاجوا شيئا مما يحتاجون اليه . فانه ربّ القدرة .

القراءة الخامسة والخمسون من سفر الخليقة (١)

الكتاب :

« وهذه أسماء بني اسرائيل الذين دخلوا مصر . يعقوب وبنوه . بكر يعقوب رأوبين . وبنو رأوبين حنوك وفلو وحصرون وكرمي . وبنو شمعون يموئيل ويامين وأوهد وياكين وصوحر وشاول ابن الكنعانية . وبنو لاوي جرشون وقهات ومراري . وبنو يهوذا عير وأونان وشيلة وفارص وزارح . ومات عير وأونان في أرض كنعان . وابنا فارص حصرون وحامول . وبنو يساكر تولاع وفوة ويوب وشمرون . وبنو زبولون سارد وايلون وبحلئيل . هؤلاء بنو ليئة الذين ولدتهم ليعقوب في فدان أرام مع دينة ابنته . جميع نفوس بنيه وبناته ثلاثة وثلاثون . وبنو جاد صفيون وحجي وشوني وأصبون وعيري وأرودي وأرئيل . وبنو أشير يمنة ويشوة ويشوي وبريعة وسارح أختهم . وابنا بريعة حابر وملكيئيل . هؤلاء بنو زلفة التي أعطاها لابان لليئة ابنته جميع ما ولدت ليعقوب ستة عشر نفساً . وابنا راحيل امرأة يعقوب يوسف وبنيامين . وولد ليوسف في أرض مصر ممن ولدت له أسنات بنت فوطيفارع كاهن أون منسى وأفرائيم . وبنو بنيامين بالع وباكر وأشبيل وجيرا ونعمان وإيحي وروش ومفيم وحفيم وأرد . هؤلاء بنو راحيل الذين ولدوا ليعقوب جميعهم أربعة عشر نفسا . وابن دان حوشيم . وبنو نفتالي يحصيئيل وجوني ويصر وشليم . هؤلاء بنو بلهة التي أعطاها لابان لراحيل ابنته جميع من ولدته ليعقوب سبعة أنفس . فجميع النفوس القادمة من آل يعقوب الى مصر من خرج من صلبه وذلك سوى نسوة بنيه ستة وستون نفسا . وابنا يوسف اللذان ولدا له بمصر نفسان فجملة النفوس التي دخلت مصر من آل يعقوب سبعون نفساً . فبعث يهوذا قدامه الى يوسف ليدله على أرض جاسان ثم جاءوا أرض جاسان » (تك ٤٦/٨ — ٢٨) .

التفسير :

في (...) سبعين نفساً ، انحدر بنو اسرائيل الى مصر . بارك الرب فيهم وأكثرهم وأنماهم حتى انهم خرجوا من مصر وعدتهم ست مائة ألف رجل جيد قوي ، الشيوخ والصبيان والنسوان . وهذه الكثرة العظيمة صارت فيهم في مدة يسيرة نحو مائتين وأربعين سنة ، مع ما كان فيهم من قتل الذكور خاصة .

الكتاب :

« فشد يوسف على مركبته وصعد ليلاقي اسرائيل أباه في جاسان . فلمّا ظهر له ألقى بنفسه على عنقه وبكى على عنقه طويلا . فقال اسرائيل ليوسف دعني أموت الآن بعد ما رأيت وجهك لأنك بعد باق . ثم قال يوسف لإخوته ولآل أبيه أنا صاعد الى فرعون لأخبره وأقول له ان اخوتي وآل أبي الذين كانوا في أرض كنعان قد قدموا علي والقوم رعاة غنم لأنهم كانوا أصحاب ماشية وقد أتوا بغنمهم وبقرهم وحميرهم وجميع ما هو لهم . فإذا استدعاكم فرعون وقال لكم ما

---

(١) في المخطوطات ، لا ذكر ليوم تقرأ فيه هذه القراءة .

حرفتكم فقولوا كنّا[1] ذوي ماشية منذ صغرنا الى الآن نحن وآباؤنا جميعا لكي تقيموا بأرض جاسان لأن كل راعي غنم هو عند المصريين رجس » (تك ٤٦/٢٩ — ٣٤) .

التفسير :

أراد يوسف بحكمة هذا الاتضاع ان لا تنفر نفوس أمراء القبط من أهله ويخشونهم ويظنون أنهم يتعرّضون الى مراتبهم . اتضع الحكيم وأثبت عند القوم انهم محقورون رعاة غنم . ولم يلتمس الشرف والمجد الدنيوي لعلمه أنه سيكون سبب هلاكهم . وهاهنا يعلّمنا الكتاب أن نكون بحكمة نتضع ونحقر نفوسنا هكذا ، ونخفي شرفنا وكرامتنا وقوّتنا ، مخافةً من الهلاك الكائن من إظهار ذلك ، ولا نستحي في إظهار أنفسنا مهانين ، لما لنا في ذلك من السلامة . والهنا يسوع المسيح علّمنا هذه الطريق بالفعل ، وذلك انه أخفى شرفه ومجده وقوّته الالهية ،وأظهر عند ذلك ضعفاً وهوانا ومسكنة . وبهذا الفعل ، غلب ابليس وجنوده ، وكسَّر قوتهم . وأبطل حكمتهم وعلّمنا ان نفعل هكذا حتى نغلبهم .

الكتاب :

« فدخل يوسف على فرعون وأخبره وقال إن أبي واخوتي قد قدموا من أرض كنعان بغنمهم وبقرهم وجميع ما هو لهم وها هم في أرض جاسان . وأخذ خمسة رجال من اخوته فمثلهم بين يدي فرعون . فقال فرعون لإخوة يوسف ما حرفتكم . فقالوا لفرعون عبيدك رعاة غنم نحن وآباؤنا جميعا . وقالوا له جئنا لننزل بأرضك إذ ليس لغنم عبيدك مرعى من اشتداد الجوع في أرض كنعان فليقم عبيدك بأرض جاسان . فقال فرعون ليوسف أبوك واخوتك قد قدموا عليك . فهذه أرض مصر بين يديك أنزلهم بأجودها ليقيموا بأرض جاسان وان كنت تعلم ان فيهم ذوي حذق فأقمهم وكلاء على ماشيتي . وأدخل يوسف يعقوب أباه فمثله بين يدي فرعون فبارك يعقوب فرعون فقال له فرعون كم أيام سني حياتك . فقال له يعقوب أيام سني غربتي مئة وثلاثون سنة . قليلة ورديئة كانت أيام سني حياتي ولم تبلغ أيام سني حياة آبائي أيام غربتهم وبارك يعقوب فرعون وخرج من بين يديه » (تك ٤٧/١ — ١٠) .

التفسير :

يعقوب يشكو أيام حياته ويصف أنها رديئة ، لما ناله من الخوف من أخيه عيسو والفرار الى حرّان والتشتيت والغربة ، والتعب في القيظ في رعاية الغنم عشرين سنة ، وخروجه من حرّان هارباً فزعاً من خاله لابان . وعظم الشدّة التي نالته في خوفه من لقاء أخيه ، وما ناله من الحزن والعار في هتكة ابنته ، والخوف الذي ناله من قتل بنيه الذين هتكوها ، وما ناله من الحزن لفقد راحيل التي كان يودّها ، وعظم وجع القلب الذي بتعدّي ابنه بكره روبيل على سريته ، والحزن الذي لا يشاكله حزن من مصيبة يوسف .

قال : إن ايام حياته رديئة ، وذكر انها خلاف أيام ابآئه ، مع كون أبيه ، ما ناله من ضرّ ألم العمى وشدّة الخصام والنقار الذي كان يناله هو وزوجته من نساء عيسو ابنهم ، وعظم رجفهم وخوفهم

---

(١) نقرأ . في آخر الورقة ١١٥ أ ، ما يلي : « قرأ في هذا الكتاب المبارك العبد الحقير المسكين الخاطئ باسم خوري من قرية حصرون من أعمال طرابلس المحروسة » .

على يعقوب أن يقتله عيسو ، وعظم وحشتهم من يعقوب وغربته ، وحزنهم على ابطائه في بلد آرام ، اعني السريان ، ناله اسحق هو أيضاً من هذه الأحزان ما فيه كفاية . وأحزان ابراهيم ، فقد كانت كثيرة جداً قد تقدّم وصفها .

هذا يفعله الله بأصفيائه ، لكي يحزنهم في الدنيا ، فيكونون ابداً فرحين في الآخرة . ومن لا يُحزنه الله في الدنيا هكذا ، فهو ، بلا شك ، مُخَبَّأ الى حزن الآخرة .

الكتاب :

« وأسكن يوسف أباه واخوته وأعطاهم ملكا في أرض مصر في أجود موضع منها وهو أرض رعمسيس كما أمر فرعون . وأجرى يوسف لأبيه واخوته وسائر أهله طعاما على حسب عيالهم . ولم يكن خبز في جميع الأرض لأن الجوع اشتد جدا حتى جهد أهل مصر وأرض كنعان من الجوع » (تك ٤٧/١١ — ١٣) .

التفسير :

خبز الجسد من القمح وخبز النفس من كلام الله ، كما يقول الله في التوراة والانجيل : « **ان ليس بالخبز وحده يحيا الانسان ، بل بكل كلمة تخرج من فم الله** » (تثنية الاشتراع ٨/٣ ؛ متى ٤/٤ و//) . وكما أن الله لم يعدم يعقوب وبنيه الخبز عند عظم عدمه ، الذي لم يكن عدم مثله ، بل سبّب لهم رئاسة يوسف حتى أحياهم بالخبز ، كذلك ، اذا عُدِمَ تعليم كلام الله وعُدِم المعلّمون الذين هم الغلاء الشديد المهلك خلاف غلاء القمح ، فمن كان طالباً حقيقياً للمسيح ، وكان راغباً ومحبّاً في حفظ وصاياه ، فلا يعدمه المسيح وجود التعليم ، بل يسبّب له سبب وجوده ، ويفتح له به ، كما فتح ليعقوب بالقمح . ومن لا يفتح له بذلك ، فليعلم انه ليس بكل قلبه طالباً ذلك ولا راغباً اليه . فلذلك لا يفتح له به .

الكتاب :

« وجمع يوسف جميع الفضة التي في أرض مصر وفي أرض كنعان بالميرة التي كانوا يبتاعونها وأدخلها بيت فرعون » (تك ٤٧/١٤) .

التفسير :

قول الله إن يوسف جمع جميع الفضّة الى بيت فرعون ، شهد بثقته وأمانته ، وانه لم يسرق له شيئاً ، مع ما كان له من الاستطاعة على ذلك ، لكي يعلم أن هكذا يجب أن يكون المؤمن ، لا يستحلّ لاحد شيئاً ، لا لكافر ولا لمؤمن .

الكتاب :

« فلمّا نفدت الفضة من أرض مصر ومن أرض كنعان أقبل المصريون الى يوسف قائلين أعطنا طعاماً لئلا نموت

أمامك فإن الفضة قد نفدت . فقال لهم يوسف إذا كانت فضتكم قد نفدت فهاتوا ماشيتكم أبعكم بماشيتكم . فجاءوا يوسف بماشيتهم فأعطاهم طعاماً بالخيل وبالماشية من الغنم والبقر والحمير أعطاهم طعاماً بكل ماشيتهم في تلك السنة . فلمّا خلت تلك السنة جاءوا في السنة الثانية وقالوا له لا نخفي على سيدنا أن الفضة قد نفدت ومقتنانا من البهائم هو عند سيّدنا ولم يبق بين يديه إلاّ أبداننا وأراضينا . فلماذا نتلف بحضرتك نحن وأراضينا اشترنا نحن وأراضينا بالخبز فنصير بأراضينا عبيداً لفرعون . وأعطنا بذراً فنحيا ولا نموت ولا تصير أراضينا قفراً . فاشترى يوسف جميع أراضي المصريين لفرعون لأنهم باعوا كل واحد منهم حقله لأن الجوع اشتدّ عليهم فصارت الأرض لفرعون . وأمّا الشعب فنقلهم في المدن من أقصى حدود مصر الى أقصاها . إلاّ أن أراضي كهنتهم لم يشترها لأنها كانت للكهنة وظائف من قبل فرعون فكانوا يأكلون وظائفهم التي أجراها لهم فرعون ولذلك لم يبيعوا أراضيهم » (تك ١٥/٤٧ — ٢٢) .

التفسير :

الخبز الروحاني الذي لا يمكن أخذه الا بالثمن هو جسد المسيح الذي أعطاه لنا للحياة المؤبدة . هذا لا يمكن أخذه ابداً إلا بالتوبة ، لأن التوبة هي الثمن الذي يبتاع به هذا الغذاء الالهي المُحيي . ومن أخذه بغير توبة ، سرقةً أخذه . ولذلك يُعَاقَبُ على أخذه ، وينال الدينونة ، لأنه لم يأخُذْه بالثمن الذي يجب أخذه به . ألذهب والفضّة اللذان بهما يؤخذ هذا الخبز الالهي هما العقل والحسّ ، كالذهب والفضّة ، لكونه دون العقل ، كيف يبتاع جسدُ المسيح بعقلنا ؟ نبتاعه به ، عندما نحفظ عقلنا بالصلاة الدائمة من كل غضب وحقد ودجل وغشّ وشهوة زنى وشهوة متاع ومن كل عظمة وحسد وبغضة ومحبة مجد فارغ .

اذا ما نقّينا عقلنا دائماً من هذه الأوجاع ، ابتعنا لنا جسدَ المسيح ، الخبزَ المُحيي . وكيف نبتاعه بحسّنا ؟ نبتاعه به عندما نحفظ حواسّنا الخمسة ، أعني النظر والسمع والشمّ والذوق واللمس ، نحفظها من كل ما يضاد وصايا المسيح ، فنبتاع لنا جسدَ المسيح ، وكذلك نخدم الضعفاء المحتاجين بمالنا وبجسدنا ، فنبتاع لنا بذلك جسدَ المسيح . يوسف ابتاع لفرعون كلّ الاجساد وأراضيَها وأموالها ابتاعها له بالخبز . والمسيح ، بجسده ودمه المُحيي ، ابتاع لله أبيه ، ملك الملوك وربّ الأرباب ، كلَّ النفوس والأجساد الآدمية ، وجعلها هي وأموالها ومنازلها له ملكاً بالتوبة ، لأن مَن هو كل حين ليس ملازماً التوبة ، لا يبتاع جسدَ ودمَ المسيح . فهو وكل ماله ومنزله ملك لله الآب ، شبعان من خيراته السماوية الغير الفانية .

قال : ان القوم ابتاعوا القمح بفضّتهم ، فلمّا فرغت الفضّة ، ابتاعوه بمواشيهم . فلما فرغت المواشي ، ابتاعوه بأجسادهم وبأراضيهم . لم يشرح الكتاب هذا هكذا سُدى ، بل لكون يوسف كان قياساً للمسيح في كل شيء ، كما قد قدّمنا ايضاح ذلك . فأراد الكتاب أن يوضح أن المسيح بجسده المُحيي يبتاع لأبيه جميعَ الادميّة وكلّ أموالهم ، وأوضح كيف ابتاع هذا الجسد المحيي ، وأنه يؤخذ مجّاناً ابداً . بل لا بدّ من شيء يؤخذ به على قدر قوّة الانسان .

يوسف أدخل يعقوب أباه وإخوته الى فرعون . والمسيح أدخل آدم وبنيه الى الله أبيه ، لأن آدم هو

أبو المسيح بالجسد ، وبنيه اخوة المسيح . كذلك يعقوب ، لمّا دخل الى فرعون ، بارك فرعون . وآدم بارك الله الآب وشكره واعترف له على كونه افتداه بابنه وحيده . خمسة من اخوة يوسف فقط أدخلهم الى فرعون . علّمنا المسيحُ بهذا أن لا يدخل إلى اللهِ الآب من بني آدم إخوته إلاّ مَن كان حفظ حواسّه الخمس من كل ما يضاد وصايا المسيح . هذا هو أخ حقيقيّ للمسيح ، لكونه ، بجهاده وحرصه ، قد طهّر نفسَه من كل خطيئة مثل المسيح . فصار بالطهارة أخاً له ، مُجَمَّلاً وبهيّاً يستحقّ الدخولَ الى الله الآب . لأن يوسف لم يُدخِل الى فرعون من إخوته الا مَن هو مُجَمَّل وبهيّ فيهم .

يعقوب ، لمّا أراد المجيء الى يوسف ، أرسل يهوذا قدّامه اليه ، فخرج للقائه ولقاء أولاده . ويهوذا ، كما قدّمنا القول ، تفسيره الاعتراف . فمن أرسله قدّامه الى المسيح ، خرج المسيح للقائه وأدخله الى بيته . هذا هو الاعتراف الذي ، بغيره ، لا يستحقّ بشريٌّ تناولَ جسدِ ودم المسيح . مَن لا يعترف بكل خطيئته ، ويأخذ عنها قانوناً من الكاهن ، لا يستحقّ جسدَ المسيح . ولذلك قال إن الكهنة كانوا مكرومين من فرعون ، ولذلك لم يَبتع أرضهم .

الكهنة لهم هذه الكرامة العظيمة من الله أب المسيح ، لكونهم ، بالاعتراف والتوبة والوعظ الدائم ، يحفظون له المسيحيين من كلّ خطيئة . وكلّ كاهن لا يحفظ المسيحيين من كلّ خطيئة هكذا ، ليس هو راعياً ، قال الرب ، بل أجيراً . ليس هو ، بمحبة المسيح يرعى خراف المسيح ويحفظهم من الذيب الذي هو الشيطان طالب هلاك الأنفس ، ويتعب الكاهن معهم حتى يخلّصهم منه ، بل انما مقصوده فائدة ومجد دنيوي ، وعن حفظهم من الخطيئة لا يسأل ولا يهتمّ ، لأن غير ذلك هو قصده . فهو أجير وليس راعياً .

الكتاب :

« وقال يوسف للشعب إني قد اشتريتكم اليوم أنتم وأراضيكم لفرعون فخذوا لكم بذراً تزرعونه في الأرض . فإذا خرجت الغلال تعطون منها الخمس لفرعون والأربعة الأخماس تكون لكم بذراً للحقول وميرة لكم ولأهل منازلكم وأطفالكم » (تك ٤٧/٢٣ ــ ٢٤) .

التفسير :

ذكر ها هنا الخمس ، إشارة الى الفم الذي هو أحد الحواسّ الخمس . ومنه الكلام الذي هو زرع النفس ، كما يقول الانجيل المقدس : **« ان الزرع هو كلام الله »** (لوقا ٨/١١) . أمرنا الكتاب أن نعطي لله هذا الخِمس ، إذ ، بحفظنا لهذا الواحد ، نصير بجملتنا لله . لأن الفم به نعترف بكل زلّة ونأخذ عنها توبة ، فنصير كل حين أطهاراً من كل خطيئة ، ونستحقّ تناولَ جسد ودم المسيح سيّدنا ، لأن الفم الذي به نعترف ، نستحقّ جسد ودم المسيح يدخل اليه ، وفمٌ لا يعترف ويأخذ توبة عن كل زلّة ، بالقول كانت أو بالفعل أو بالفكر ، فذلك الفم نجس ولا يستحقّ دخولَ جسد ودم المسيح اليه . فهذه الفضيلة الواحدة ، اذا ما حفظناها ، كمّلنا التوبة وكمّلنا كلّ وصايا المسيح . وبالفم أيضاً نصلّي ونسبّح للذي

فدانا بنفسه ، وبه نعظ بعضنا بعضاً ، ونخشّعهم بكلام الله ليخافوا ويتوبوا اليه كل حين . فطوبى لمن يدفع لله هذا الخُمس كل حين . فهو به يكمّل جميع وصاياه .

الكتاب :

« قالوا قد أحييتنا فلنصب حظوة في عيني سيدنا ونكون عبيداً لفرعون . فجعله يوسف رسماً على أرض مصر الى هذا اليوم أن يؤدوا الخُمس لفرعون ممّا سوى أراضي الكهنة فقط فإنها لم تصر لفرعون » (تك ٢٥/٤٧ — ٢٦) .

التفسير :

يا مؤمنون بالمسيح ! إعترفوا وتوبوا كل حين ، ولا تعجبوا اذا ما رأيتم الكهنة لا يفعلون ذلك . فقد تنبّأ عنهم الكتاب بهذا وقال : إن أرض كلّ الشعب صارت للملك . وهم يُعطون له خمس زرعها ، إلاّ أرض الكهنة فقط فلم يملك الملك مالهم . وهذا انما قاله الكتاب تعزيةً لشعب المؤمنين حتى لا يشكُّون اذا ما نظروا كهنة غير طائعين لوصايا المسيح ربّنا .

الكتاب :

« وأقام إسرائيل في أرض مصر بجاسان فتملّكوا فيها ونموا وكثروا جداً . وعاش يعقوب في أرض مصر سبع عشرة سنة فصار جميع عمره مئة وسبعاً وأربعين سنة . ولمّا دنا أجلُ إسرائيل دعا ابنه يوسف وقال له إن أصبت حظوة في عينيك فضع يدك تحت فخذي واصنع إليَّ رحمة ووفآء . لا تدفنّي بمصر بل إذا اضجعت مع آبآئي فاحملني من مصر وادفنّي في مقبرتهم . قال سأفعل كما قلت . فقال له احلف لي فحلف له يوسف . فسجد إسرائيل على رأس السرير » (تك ٢٧/٤٧ — ٣١) .

التفسير :

يعقوب وابراهيم على وركهما كانا يعاهدان ويستحلفان بالله ، لعلمهما أن الله من هناك يظهر متجسّداً من زرعهما . وهذا علماه من الوقت الذي أمرهما بالختان . وجعلهما له عهداً . أوضح لهما أن مِن هناك يظهر متجسّداً . سؤال يعقوب أن تكون عظامه مع عظام أبآئه إشارة الى قيامة الأحياء ، لأنها لو لم تكن تقوم ، لم يكن للاب بها هِمّة ويأمر بحملها الى حيث عظامُ آبآئه ؛ حين أجابه يوسف الى هذا السؤال ، سجد على رأس عصاته .

يوسف هو إشارة وقياس المسيح ، وعصاته إشارة الى خشبة صليب المسيح التي ، بحقّ ، يجب لها السجود . لأن بها خلّصنا من خطايانا وعتقنا من الموت والجحيم . وبها حُطِّمَت قوّةُ إبليس . ولكون يعقوب علم أن بها تستحق عظامه القيامة من الأموات ، لذلك سجد لها عند ذكر نقلة عظامه ، لأنه بموت المسيح وقيامته ، صارت القيامة لكل جنس آدم .

القراءة السادسة والخمسون من سفر الخليقة [١]

الكتاب :

« وكان بعد هذه الأمور أن قيل ليوسف ان أباك مريض فأخذ معه ابنيه منسى وأفرائيم . وأخبر يعقوب وقيل له هوذا ابنك يوسف قادم عليك . فانتعش اسرائيل وجلس على السرير . وقال يعقوب ليوسف ان الله القدير تجلى لي في لوز في أرض كنعان وباركني وقال لي ها أنا أنميك وأكثرك وأجعلك جمهور شعوب وأعطي نسلك هذه الأرض من بعدك ملكا أبديا . والآن فابناك اللذان ولدا لك في أرض مصر قبل قدومي عليك الى أرض مصر هما لي أفرائيم ومنسى مثل رأوبين وشمعون يكونان لي . ومن يولد لك بعدهما من البنين فإنه يكون لك ويسمى باسم أخويه في ميراثه . وأما أنا ففي مجيىء من فدان ماتت عني راحيل في أرض كنعان في الطريق على نحو ميل من أفراتا فدفنتها هناك في طريق أفراتا وهي بيت لحم .

ورأى اسرائيل ابني يوسف فقال من هذان . فقال يوسف لأبيه هما ابناي اللذان رزقنيهما الله ههنا . قال أدنهما مني لأباركهما . وكانت عينا إسرائيل قد ثقلتا من الشيخوخة ولم يكن يقدر أن يبصر . فأدناهما منه فقبلهما واحتضنهما . وقال إسرائيل ليوسف لم أكن أظن أني أرى وجهك وهوذا قد أراني الله نسلك أيضاً . ثم أخرجهما يوسف من بين ركبتيه وسجد تلقاء وجهه الى الأرض . وأخذ يوسف الاثنين أفرائيم بيمينه الى يسار إسرائيل ومنسى بيساره الى يمين إسرائيل وأدناهما منه . فمد إسرائيل يمينه فجعلها على رأس أفرائيم وهو الأصغر ويساره جعلها على رأس منسى . خالف بين يديه مع أن منسى كان هو البكر . وبارك يوسف وقال : الله الذي سلك أبواي أمامه ابراهيم وإسحق . الله الذي رعاني منذ كنت الى هذا اليوم . الملاك الذي خلصني من كل سوء يبارك الغلامين وليدعيا باسمي وباسم أبوي ابراهيم واسحق ولينميا كثيراً في الأرض .

ورأى يوسف أن أباه جعل يده اليمنى على رأس أفرائيم فساءه ذلك فأمسك بيد أبيه لينقلها عن رأس أفرائيم الى رأس منسى وقال يوسف لأبيه لا هكذا يا أبت لأن هذا هو البكر فاجعل يمينك على رأسه . فأبى أبوه وقال قد عرفت يا بني قد عرفت . إن هذا أيضاً يكون شعبا وهو أيضاً يعظم ولكن أخاه الأصغر يعظم أكثر منه ويكون نسله جمهور أمم . وباركهما في ذلك اليوم وقال بك يبارك إسرائيل ويقولون يجعلك الله مثل أفرائيم ومثل منسى . فقدّم أفرائيم على منسى » (تك ١/٤٨ — ٢٠) .

التفسير :

لمّا كان يوسفُ قياس المسيح ، لذلك ، لما علم بقدومه اليه ، شدّ نفسه وهو في شدّة المرض ، وجلس على السرير وأظهر سرَّ الصليب في بركته على ابنيه ، لانه صلب يديه وبارك عليهما . وكان البكر عن يمينه والأصغر عن شماله . جعل يمينه على رأس الاكبر . وأوضح أن شريعة الانجيل التي هي الثانية أفضل وأعظم من شريعة التوراة التي هي الأولى . ولكون يوسف قياس المسيح ، أوضح له ولدَين . لان

(١) في المخطوطات ، لا ذكر ليوم تقرأ فيه هذه القراءة .

المسيحيين هم هكذا اذن منهم تلاميذ لمعلمين : لانه تلمذ تلاميذه وقال لهم : « **إذهبوا تلمذوا كلّ الامم** » (متى ١٩/٢٨) . فليس مسيحي الا وهو تلميذ . ومن لا يكون تلميذاً لمعلم يؤدّبه بخوف المسيح ويعلّمه حفظَ وصاياه ، فليس هو مسيحياً .

فلكون المسيحيين كلّهم تلاميذ ومعلّمين ، لذلك عدّهم بنين ، وشرَّف التلمذةَ وعظّمها من أجل فضيلة الاتضاع . وقال إن الاصغر أفضلُ من الاكبر ، يعني أن الذي يرى نفسه أنه صغير وآخر ، فهو أفضل ممن يرى نفسه أنه كبيرٌ وأول . لان كذلك قال الرب : « **إن الذي يرفع نفسه يتواضع والذي يوضع نفسه يرتفع** » (متى ١٢/٢٣ و //) . « **والاولون يكونون آخرين ، والاخرون يكونون أولين** » (مرقس ٣١/١٠) . وهذا قاله لكيلا يكون في المؤمنين واحد الا وهو تلميذ . حتى والذي هو معلّم ورئيس وأب وعظيم كهنة ، أعلمه ان التلميذ أفضل من المعلّم ، يجعل نفسه هو أيضاً تلميذاً لواحد من تلاميذه . ولو كان لا يجد أفضل منه يتلمذ هو له ، يتتلمذ لمن هو دونه ، متشبّها بالهه ومعلّمه الذي اتضع وتعمّد من يد يوحنا عبده وخلقة يده .

وحين أراد يوسف أن يبارك أباه على ولديه ، جعلهما يسجدان له لكي يعلّمنا ان هكذا يجب ان نتّضع ونسجد لآبائنا ومعلّمينا ، نلتمس منهم البركة . ولمّا بارك يعقوب على وَلدي يوسف ، باركهما باسم الاله المتجسّد ، لانه دعاه إلهاً وملاكاً في مرّة واحدة .

الكتاب :

« **وقال إسرائيل ليوسف هاهذا مائت وسيكون الله معكم ويردكم الى أرض آبائكم** » (**تك ٢١/٤٨**) .

التفسير :

أرض آبائنا التي يدعو لنا بالعودة اليها هي الفردوس وعدم الأوجاع ، الذي كان لأبوينا آدم وحواء قبل المعصية ، لأنهما خلِقا بلا وجع وبلا خطيئة . وهذه الفضيلة يدعونا الآباء أن نعود اليها ، ونحن نقدر أن نكون فيها بالتوبة المستمرّة ، ولكن ذلك بكلفة وجهاد . فاذا ملأنا الربّ من روح قدسه ، مثل أبائنا الرسل في يوم العنصرة ، صرنا مثلهم بغير خطيئة وبلا وجع خطيئة البتة من غير كلفة . ابراهيم واسحق ويعقوب وُعدوا بميراث أرض كنعان ، ولم يرثوها ذلك الوقت ، بل كانوا سكّانا خارجاً عنها . وبنوهم ، فيما بعد ، ورثوها . وكذلك الذي يتنقّى من الخطيئة بالتوبة المستمرّة هو ساكن خارجاً ، أعني أرض كنعان ، مثل ابراهيم واسحق ويعقوب ، ولا بدّ له بنعمة المسيح أن يرثها بالكلّية ويصل الى عدم الأوجاع .

الكتاب :

« **وأنا قد أعطيتك سهما علاوة على اخوتك وهو الذي أخذته من يد الأموريين بسيفي وقوسي** » (**تك ٢٢/٤٨**) .

التفسير :

يعني الحقل الذي كان ابتاعه بمدينة شاكيم المدينة التي فيها قتل ابناه القومَ الذين نجّسوا اختهما . « **هذا الحقل وهبه يعقوب ليوسف ابنه ، وفيه جلس الرب المسيح وكلّم السامريّة على بئر الماء** » (يوحنا ٥/٤) . وقد تقدّم تفسيره في موضعه ، وأوضحنا أن تلك القرية التي ابتاعها يعقوب هي كانت اشارة الى التوبة ، لان فيها قَتَل البنين الذين نجّسوا أُختهم . وكذلك تُقتل الخطيئة التي تنجس النفس . ولذلك قال يعقوب : اني اقتنيت بسيفي وقوسي ، يعني ان التائب بجهاد وحرب مع الأرواح النجسة يقتني الطهارة من الخطيئة بالتوبة المستمرّة .

الكتاب :

« ثم دعا يعقوب بنيه وقال اجتمعوا لأنبئكم بما يكون لكم في آخر الأيام » (تك ١/٤٩) .

التفسير :

قوله لهم « آخر الأيام » أوضح ان الذي يقوله ليس للشخص الذي يخاطبهم يكون ، بل لزرعهم في آخر الزمان .

الكتاب :

« اجتمعوا وأصغوا يا بني يعقوب واستمعوا لإسرائيل أبيكم . رأوبين أنت بكري قوتي وأول قدرتي فاضل في الشرف فاضل في العزّ . فرت كالماء لا تفضل لأنك علوت مضجع أبيك . حينئذ دنسته . على فراشي صعد » (تك ٢/٤٩ — ٤) .

التفسير :

ابتدأ بذم بكره ، مورداً له نبوءة على زوال الشريعة الاولى وإبطالها في آخر الزمان ، كما قد تمّ وكان . لان كتاب الله هكذا لم يزل يذمّ الأبكار ويسقطهم من بكر آدم الى الآن ، ويمجّد الثواني ويشكرهم في كل جيل وزمان ، اشارة الى الشريعتين ، وابطال الأولى منهما واقامة الثانية .

الكتاب :

« شمعون ولاوي أخوان سيوفهما آلات جور . مجلسهما لا تدخله نفسي وفي مجمعهما لا تتحد ذاتي لأنهما في سخطهما قتلا إنسانا وفي رضاهما عرقبا ثوراً . ملعون سخطهما فإنه شديد وغضبهما فإنه قاس . أقسمهما في يعقوب وأبددهما في إسرائيل » (تك ٥/٤٩ — ٧) .

التفسير :

لاوي هذا المذكور مع شمعون ، منه كهنة بني اسرائيل . لان هارون من لاوي هذا . والله أمر أن لا تكون الكهنة الا من هارون . فالآن يعقوب قد سبق أن يقول إن خطأ به هذا ، وهو من زرعهم في آخر

الايام ، فقدمته هذه رلحته عن حنان وقيفا رؤوس كهنة بني اسرائيل الذين ، بتهاونهم في تعليم شعبهم ، استحقوا الملامة واللعنة من الاله المتجسّد ، وغاظهم ذلك وحسدوه وبغضوه وكفروا به ، وبغيظهم قتلوه ، وبغيظهم أُعموا عن الحقّ واجتمعوا على موته . ولذلك لعن غيظهم وغضبهم ودعاه شديداً قاسياً لكونه اعماهم عن معرفة المسيح الحق . ودعا عليهم بالقسمة والتفريق ، كما قد تمّ عليهم ذلك وكان .

فصل يقرأ ليلة الزيتونية[1] المقدسة

الكتاب :

« يهوذا إيّاك يحمد إخوتك . يدك على قُذُلِ أعدائك . يسجد لك بنو أبيك » (تك ٨/٤٩) .

التفسير :

متى سجد إخوة يهوذا له ، بل هم نَعَمْ سجدوا لإخوة يوسف ، بل لأن يعقوب قال : إن كل هذه الأقوال نبوءة على ما سيكون من بني بنيهم في آخر الأيام ، فكان هذا القول ليس ليهوذا بنفسه بل للمسيح الإله المتجسّد من نسله ، الإله الذي صار ... وصار بنو آدم إخوته بالناسوت ، وهم مع ذلك كلّه ، يسبّحون ويسجدون ويعترفون ، مؤمنين ان ليس هو انساناً فقط ، بل هو انسان وهو بحقّ إله ، لأنه إله تأنّس ، ابن الآب ، حقّ طبيعي ، مولودٌ منه قبل الدهور ، وهو بعينه ابن مريم ابنة يهوذا حقّ طبيعي . هو إله حق كامل ، وهو بعينه انسان حق كامل : طبيعة واحدة ، أُقنوم واحد ، له السُّبْح والسجود .

قال : لك يسجد إخوتك ، ويدك على رقاب أعدائك ، يعني بالأعداء الشياطين والخطيئة ، الذين بصلبه قَهَرَهُم وأعطى المؤمنين به روحَ قدسه ، لكي به يقووا عليهم ويدوسوهم بالتوبة المستمرّة . قال : يداك على رقاب أعدائك ، يعني بيده المعمودية والتوبة ، الموهبتين اللتين أعطاهما لنا بموته ، لكي بهما نقهر أعداءَه الذين هم الشياطين والخطيئة . قال : لك يسجد بنو أخيك ، يعني بنو أبيه الذين يداومون فعل الاعتراف بعد المعمودية ، لأنهم بني الآب السماوي يصيرون .. وهم مع ذلك يسجدون للأبن الوحيد الحقيقي ، معترفين إذّاك باين بالطبع والحق ، وهم بنون بالنعمة والفضل .

الكتاب :

« يهوذا شبل أسد . من فريسة صعدت يا بني . جثم وربض كأسد وكلبوة فمن ذا يُقيمه » (تك ٩/٤٩) .

التفسير :

أسماه شبل ليث . يريد بالليث القوّة أي أنه قويّ ابن قويّ ، قادر ابن قادر ، إله حق من إله حق . قال : من النصب نجوت ، جهاد الصليب الذي به حارب الشيطان والجحيم والموت ، وتنجو من

---

(١) الشعانين ؟

كل ذلك وتقوم بلا ألم ، بلا موت . قال : اتكأت ونمت مثل الأسد ، يعني بالاتكاء اتكاءه مع تلاميذه بالعشاء السرّي ليلة صلبه ، لأن الانجيل المقدس يقول : **« انه اتكأ وأعطاهم جسده ودمه »** (متى ٢٠/٢٦ الخ ... و//) ، الذي هو سرّ موته . قال : اتكأت ونمت ، يعني موته الذي كان على الصليب ، لأنه مات بناسوته ، وهو غير ميت بلاهوته . الغير ميت والميت متّحدان بغير افتراق . أقنوم واحد على الصليب وفي القبر .

قال : نمت مثل الأسد ، يعني انك عند موتك لَسْتَ ضعيفاً مثل الموتى ، بل قوّتك كلّها في ذلك الوقت تظهر . لأنك كالأسد القويّ الجبّار ، بل وكإله قادر تربط أركون العالم رئيس الشرّ ، لأنه يجيئك في ساعة موتك لظنه انك انسان . فللوقت يراك إلهاً ويرتجف رجيف ثعلب يقع في يدي أسد . وقد كان لا يظن أنه أسد ، بل كان يظن أنه فرّوج له يغتذي به . فلما قفز عليه بهذا الظنّ ، وجده أسداً جبّاراً كاسراً قادراً ، لبس الراعي جلد الخروف وبيده سيف قاتل . نظر الديب حليته وظنّ أنه خروف يغتذي به . قفز عليه ، صابه الراعي ، أخذ ضربة الموت من سيفه .

قال : نمت مثل الأسد . لأن الأسد ينام وعيناه مفتوحتان . فهو يكون في نومه يخيف مَن ينظر اليه . كذلك كان الإله المتجسّد ميّتاً بجسده وهو حيّ بلاهوته ، يخيف أرواح الشر ويفزّعهم ، وينجّي من اعتقالهم ويعتق آدمَ وجنسه منهم . قال : نمت مثل الأسد ومثل الشبل ، من يثيره ؟ دعاه أسداً وشبلاً ، لأنه إله ابن الله . وقوله من يثيره ، أي من يستجري على الأسد يثيره من نومه ، لأنه نائم وليس ميتاً . ومن يدنو منه بجسارة فقد سبّب لذاته الموت .

الكتاب :

« لا يزول صولجان من يهوذا ومشترع من صلبه حتى يأتي شيلو وتطيعه الشعوب . رابط بالجفنة جحشه وبأفضل كرمة ابن أتانه . غسل بالخمر لباسه وبدم العنب ردآءه . عيناه أشد سواداً من الخمر وأسنانه أشد بياضاً من اللبن » (تك ١٠/٤٩ — ١٢) .

التفسير :

حقّق وأوضح أن بعد مجيء المسيح الملك الطاهر من يهوذا ، لا يبقى في يهوذا ملك ومتسلّط ، وان القضيب والمتسلّط لا ينقطع من يهوذا حتى يجيء ذلك الذي هو له واياه تنتظر الأمم . لأن الأمم هم الذين قبلوا وآمنوا به أكثر من اليهود . وبه انعتقوا من عبادة الأصنام ومن سيرة عدم الناموس وضلالة الكفر . وصاروا بإله الحقّ عارفين ، وله ساجدين وعابدين . بل وبالحقيقة صاروا بنين وللملكوته وارثين . فهم أولى بانتظاره من اليهود ، وهم جحشه الذي ربطه بالكرمة وبقضبانها . لأنه هو هو الكرمة ، وقضبانه تلاميذه ، كما قال لهم : **« أنا الكرمة وأنتم القضبان »** (يوحنا ٥/١٥) ؛ والأمم الذين آمنوا به هم جحشه الذي ربطه بناموس تلاميذه ، وجعلهم تحت طاعة أوامرهم وتحت خضوع تلمذتهم .

وقد كان هذا الجحش مربوطاً أولاً مع الشياطين تحت سنن الخطيئة ، فأرسل تلاميذه حلّوه من

ذلك الرباط النجس ، وأتوا به اليه ، ووضعوا عليه ثيابهم التي هي فرائضهم وقوانينهم . وحينئذ ركبه وسبّح قوته . قال : إنه جحش أتانه . لأن الأتانة هي أمّةُ بني اسرائيل التي كانت له وقد ركبها ناموسه . آمن به منها تلاميذه ، وهم صاروا جحش الأمم حين المذوهم وعلّموهم الأمانة بالمسيح ، فصاروا هم وهم جحشاً وأتانة للرب ، خاضعين وطائعين لأوامره ، أعني الذين آمنوا به من بني اسرائيل ومن الأمم .

زكريا النبي ذكر هو أيضاً هذه الأتانة والجحش وتنبأ على كون الرب يركبهما قائلاً : « **قولوا لابنة صهيون : هوذا ملكك يأتيك وديعاً راكباً أتانة وجحشاً ابنَ اتانة** » (زكريا ٩/٩ ؛ متى ٥/٢١ ؛ يوحنا ١٥/١٢) . وذلك أن الجحش والأتانة اللذين ركبهما الرب عند دخوله الى المدينة المقدسة ، انما كانا اشارة الى الذين آمنوا به من الجهتين ، من اليهود والأمم ، وصاروا تحت ناموسه وتحت نير طاعة أوامره . وهم الذين صاروا للمسيح لباساً ، كما قد صار هو أيضاً لهم لباساً ، كما يوضح بولس ذلك قائلاً : « **ان الذين تعمّدوا بالمسيح ، قد لبسوا المسيح** » (غلاطية ٢٧/٣) .

والمسيح هو أيضاً يقول : « **من يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت فيّ وأنا فيه** » (يوحنا ٥٧/٦) ، لأنه جعل جسده ودمه سبب التوبة وقطعاً لمادة الخطيئة . وذلك انه أمَرَ أن نستعمله كل حين بشوق وحبّ ، لكونه يعطينا الحيوية المؤبدة . وأمرنا أن لا نستعمله أبداً إلا بالتوبة وأخذ القانونِ عن كلّ زلة . ولذلك قال يعقوب إنه يغسل بالخمر لباسَه وبدم العنب رداءَه ، يعني ان بدمه يكون يغسل المؤمنين الذين قد صاروا له لباساً يغسله بدمه من الخطيئة بالتوبة المستمرّة ؛ لأن دمه ، كما تقدّم القول ، جُعل سبباً للتوبة وقطع مادة الخطيئة . فيه يغسل كلُّ المؤمنين به ذنوبَهم كل يوم ، لكونه يكون سببَ توبتهم وأمانتهم من الخطيئة ، يتوبون عنها ويمتنعون عنها لكي يستحقوا شرب ذلك الدم الالهي الذي لا يستحقون شربه أبداً ، إلا وهم تائبون توبة حقيقية عن كل زلّة . فحقٌ هو قوله انه بدمه غسل المؤمنين به ، وحسناً قال : « دم العنب » ، سبقت النبوءة بتسميته الخمر دماً ، لكي يوضح لنا في توبته سرَّ تصيّره دم المسيح ، كما قد شهد الانجيل بعد ذلك .

وهذا الدم ، به يغسل المسيحُ لباسَه ، الذي هو جسده ، وهو معلّق على الصليب ، لأنه حين طعن ، حُمَّ جسدُه بدمه ، تماماً كقول يعقوب : إنه يغسل بدم العنب لباسه . وأسماه خمر العنب ودمه لكونه من الخمر جعلنا نأخذ ذلك الدمَ الإلهي كلّ حين نغتسل به من ذنوبنا . وموسى النبي ، في موضع آخر غير هذا ، في السفر الخامس من أسفاره ، يسمّي الخمر أيضاً دَماً ، ويُسَمّي القمحَ لحماً ، لأنه يقول : « **أكلوا شحم خلاء القمح وشربوا دم العنب** » (تثنية الاشتراع ١٤/٣٢) . ولكون الذي يأكل جسد الرب ويشرب دمه باستحقاق ينال التطهيرَ من ذنوبه والفرحَ برجاء الخلاص ، لذلك قال يعقوب : **إن عينيه متباشرات من الخمر وأسنانه بيض مثل اللبن** .

ذكر الأسنان ها هنا ، لكون المؤمن بأسنانه يستعمل السرائر المقدسة التي بها تبيّضه من ذنوبه باستمرار التوبة ، كما يقول داود النبي في موضع من مزاميره : « **انضح عليّ زوفاك فأنقى . إغسلني فأبيّض أفضل من الثلج** » (مز ٩/٥٠) . وأشعيا النبي هو أيضاً يأمر بالتوبة ويقول : « **إنكم ، اذا تبتم ،**

وكانت خطاياكم مثل القرمز تبيضّ مثل الثلج . وان كانت حمراً كالأرجوان فهي تنقّى مثل الصوف وتبيضّ » (أشعيا ١٨/١) . هكذا يبيض من ذنوبه كلَّ حين مَن يستعمل جسدَ ودم الرب بتوبة مستمرّة وبفرح ورجاء الخلاص ، كما يُفرِحُ الخمرُ شاربه . ولذلك قال : ان عينيه متباشرات من الخمر ، يعني ان شرب الخمر يظهر علامة في عينيه ، لأن الذي يشرب دم المسيح بتوبة مستمرّة ، هو حافظ نظره كلّ حين من كل منظر يحرّك عليه الشهوة النجسة . وحافظ أسنانه أيضاً من استعمال كل طعام يخالف الناموس . ولذلك قال : ان أسنانه بيض مثل اللبن ، يعني انهم أبرياء أطهار من استعمال كلّما يخالف الناموس .

الكتاب :

« زبولون في سواحل البحر يسكن وعند مرفأ السفن . وطرف تخمه الى صيدون » (تك ١٣/٤٩) .

التفسير :

إن الربّ المسيح تربّى في الناصرة بالجسد (متى ٢٢/٢ — ٢٣ و//) ، ولم يزل بها الى حين تعميده . ثم « رحل وسكن بكفرناحوم التي على شاطئ البحر ، أرض زابلون هذا ونفتاليم أخيه » (متى ١٢/٤ — ١٣) .

الكتاب :

« يسّاكر حمار ضخم رابض بين التخمين . وقد رأى الراحة ما أجودها والأرض ما أنزهها فأحنى كتفه للحمل وصار للمهنة عبداً » (تك ١٤/٤٩ — ١٥) .

التفسير :

يعقوب إنما تنبأ عن ما سيكون من كل واحد من أولاده عند مجيء المسيح الذي هو آخر زمان شريعة بني إسرائيل . فالذي « ذكر لنا من أولاد يعقوب في الانجيل » (متى ٢/١) ، لا بدّ ان تكون نبوءة يعقوب قد صحّت فيه ، ولكن ، لكون الانجيل لم يذكره لنا ، لا نعلمه نحن ، وقد علمناه من الانجيل ان الكهنة الذين من سبط لاوي ، هم قد قتلوا المسيح وأخطأوا ، كما « شهد الانجيل عن حنان وقيافا » (يوحنا ١٣/١٨ — ١٤) . كذلك تنبأ يعقوب في ذكره اللاوي ودمه لقبح فعله ودعا عليه . وبذلك علمنا من الانجيل « ان المسيح من يهوذا ظهر » (متى ٢/١) ، وان نبوءة يعقوب ليهوذا قد تمّت فيه . وكذلك « زابلون ، ذكره الانجيل ، ان حدوده كانت على البحر » (متى ١٣/٤) ، مثل نبوءة يعقوب ، « وان المسيح سكن في كفرناحوم التي كانت في حدوده على البحر » (متى ١٢/٤ — ١٣) . وأما أباكار هذا ، فلم يذكره الانجيل .

الكتاب :

« دانٌ يحكم لقومه كأحد أسباط إسرائيل . يكون دان ثعباناً على الطريق وأفعواناً على السبيل يلسع رُسغ الفرس فيسقط الراكب الى الوراء . خلاصك انتظرت يا ربّ » (تك ٤٩/١٦ — ١٨) .

التفسير :

وهذا أيضاً لم يذكره في الانجيل .

الكتاب :

« جادٌ يقحمه الغزاة وهو يقحم ساقتهم » (تك ٤٩/١٩) .

التفسير :

هذا أيضاً لم يذكره الانجيل .

الكتاب :

« أشير طعامه دسم وهو يعطي ملذّات الملوك » (تك ٤٩/٢٠) .

التفسير :

« لأن حنّة النبيّة التي عرفت المسيح ربّنا عند دخوله الى الهيكل وبشّرت به ، وهو طفل ، هي من سبط هذا كانت » (لوقا ٢/٣٦ — ٣٨) .

الكتاب :

« نفتالي إيلة سائغة يرود أقوال الحُسنى » (تك ٤٩/٢١) .

التفسير :

« كفرناحوم التي سكنها ربّنا ، وفيها كان تعليمه كانت في تخوم نفتاليم هذا ، وأخوه زابلون » (متى ٤/١٣ — ١٤) .

الكتاب :

« يوسف غصن مفرع ، غصن مفرع على عين له فروع قد امتدّت على سور . قامرته أصحاب السهام ورمته واضطهدته ولكن ثبتت بمتانة قوسه وتشددت سواعد يديه من يدي عزيز يعقوب . من هناك الراعي صخر إسرائيل . من إله أبيك الذي يُعينك ومن القدير الذي يباركك تأتي بركة السمآء من العلو وبركات الغمر الراكد أسفل . بركات الثديين والرحم . بركات أبيك تضاف الى بركات آبآئي الى منية الآكام الدهرية . لتكن على رأس يوسف وعلى قمّة نذير إخوته » تك ٤٩/٢٢ — ٢٦) .

التفسير :

« هذا عبر الربّ المسيح بساكر مدينته ، ونزل على بئر الماء الذي كان له ، وخاطب السامريّة عن ماء الحيوية التي ، مَن شرب منها ، لا يعطش ، وعن السجود الروحاني » (يوحنا ١/٤ — ٤٢) .

الكتاب :

« بنيامين ذئب يفترس . بالغداة يأكل غنيمة وبالعشيّ يُقسّم السلب » (تك ٤٩/٢٧) .

التفسير :

« بولس الرسول من سبط هذا كان » (روميه ١/١١) . ولكون المسيح سُمّي في هذه النبوءة أسداً ، وشبلَ أسد رسولُه سمّي ، يعني أنه ذئب خاطف لكونه بقوّة شديدة كسر الشياطين ، ونهبَ البشر من سلطانهم ، وخطفَهُم من عبوديّتهم . وفي النهار والليل ، كان يغنم بني آدم الى المسيح ويجعلهم له كسباً .

الكتاب :

« هؤلاء كلهم أسباط إسرائيل الاثنا عشر وهذا ما قال لهم أبوهم وباركهم . كل واحد بركته باركهم . وأوصاهم وقال لهم أنا منضم الى قومي فادفنوني مع آبائي في المغارة التي في حقل عفرون الحثّي المغارة التي في حقل المكفيلة بإزاء ممرا في أرض كنعان التي اشتراها إبراهيم مع الحقل من عفرون الحثّي ملك قبر . هناك دفن إبراهيم وسارة امرأته وهناك دفن إسحق ورفقة امرأته وهناك دفنت ليئة . شراء الحقل والمغارة التي فيه كان من بني حث » (تك ٤٩/٢٨ — ٣٢) .

التفسير :

بارك يعقوب على بنيه وأوصاهم أن يحملوا جسده بعد موته الى أرض كنعان ويدفنوه مع ابائه في قبرهم . يقصد بالوصيّة على جسده ، إشارة الى قيامة الموتى . ان الأجساد لم تكن تقوم . لم يكن للصدّيق بها عناية هكذا . وذلك انهم كانوا يُعْنَون به في حياتهم وبعد مماتهم . وأما عنايتهم بها بعد مماتهم تأكيداً بالقبر الذي يوضع فيه ؛ وعنايتهم بها أيضاً في حياتهم ، إشارة الى حفظهم لها من كل زلّة وخطيئة . يروم الشيطان أن يرميهم فيها ، وذلك أن الشيطان هو الحيّة التي قال يعقوب عنها إنها تلدغ الفرس . لأن جسد الانسان هو فرس العقل ، والعقل هو الفارس . فاذا ما الشيطان الحيّة لدغ جسد الانسان ، إما بنظر خطيئة أو بسمع خطيئة أو بمذاقة خطيئة أو بشمّ خطيئة أو بلمس خطيئة ، فانه يرمي العقل في تلك الخطيئة مع الجسد ، اذا ذاق لذّةَ الخطيئة وذاقها العقلُ معه ، لذّت له وساعد الجسد على تمامها ، هلكوا جميعاً ؛ واذا كانِ العقل مستيقظاً ، لا يمكن الجسد بتلذّذ الخطيئة من البداية . وهو يخلّصه مع ذاته من لدغة الخطيئة التي هي الحيّة العقلية .

فأما يعقوب أبونا ، فدعا بولسَ معلّمنا ذئباً خاطفاً ، بُكْرَة يأكل الغنيمة وبالعشي يَقسم مَن انتهب . بولس كالذئب الخاطف الغنم خطفَ بني آدم الذين كانوا رعيّة الشيطان ، وجعلهم رعيّة للمسيح

الراعي الصالح . وقوله انه بكرة يأكل ما غنم ، يعني ببكرة الوقتَ الذي آمن فيه بالمسيح ، وخرج من ظلمة التجديف اليهودي ، وذاق حلاوة ما غنم من لذّة معرفة المسيح الإله . ونظر الى مجد نور اللاهوتي الذي ، عند نظره إياه ، ترك التجديف اليهودي وصار مسيحياً حقيقياً ، بل ومعلّماً للمسيحيين . وقوله إنه بالعشيِ يقتسم ما انتهب ، يعني الوقت الذي فارق هذا العالم بموت الشهادة عن المسيح . فأخذ من المسيح ميراثَ الملك المؤبد ، عوض النفوس التي انتهبا وخلّصها له من سلطان الشيطان .

القراءة السابعة والخمسون (من سفر الكون)

ليوم الجمعة عشيّة من الجمعة السادسة من الصوم المقدس

الكتاب :

« فلما فرغ يعقوب من وصيته لبنيه ضمّ رجليه على السرير وفاضت روحه وصار الى قومه فوقع يوسف على وجه أبيه وبكى عليه وقبله وأمر عبيده الأطباء أن يحنطوا أباه فحنّطت الأطباء إسرائيل . وكملت له أربعون يوما لأنه كذلك تكمل ايام المحنطين وبكى عليه المصريون سبعين يوماً . ولما انقضت أيام بكائه كلم يوسف آل فرعون وقال إن حظيت في عيونكم فتكلّموا على مسامع فرعون وقولوا له إن أبي قد استحلفني وقال لي ها أنا مائت فادفني في قبري الذي حفرته لي في أرض كنعان هناك ادفني . والآن أصعد فأدفن أبي وأرجع . فقال فرعون اصعد فادفن أباك كما استحلفك . فصعد يوسف ليدفن أباه وصعد معه جميع عبيد فرعون شيوخ بيته وجميع شيوخ أرض مصر وجميع آل يوسف وإخوته وآل أبيه وتركوا أطفالهم وغنمهم وبقرهم في أرض جاسان . وصعدت معه مراكب وفرسان فكان الموكب عظيما جدا . فأفضوا الى بيدر أطاد الذي في عبر الأردن وندبوه ثم ندبا عظيما وبليغا جدا وأقام لأبيه مناحة سبعة أيام . فرأى سكان أرض كنعان المناحة في بيدر أطاد فقالوا هذه مناحة عظيمة للمصريين ولذلك سمي مناحة المصريين وهي في عبر الأردن . وصنع به بنوه كما أوصاهم فحملوه الى أرض كنعان ودفنوه في مغارة حقل المكفيلة التي اشتراها إبراهيم مع الحقل ملك قبر من عفرون الحثي حذاء ممرا » (تك ٣٣/٤٩ + ١/٥٠ — ١٣) .

التفسير :

لماذا لم يذكر الكتاب المناحة العظيمة والبكاء الذي فعله يوسف على يعقوب أبيه جزافاً ، بل تعليماً فاضلا يعلّمنا ها هنا أن نبكي وننوح وئندب نحن بحرقة ومرارة على فضيلة تموت منا . وذلك ان من يكون له فضيلة طاهرة ونسك وصلاة أو رحمة أو محبة ، اذا هو تهاون بها وفعل ضدها ، فقد ماتت فيه وأخطأ ، فلا يجب ان يتوانى ، بل بسرعة يندب ويبكي **« كما فعل عظيم الرسل بطرس حين جحد »** (متى ٧٥/٢٦ و//) ، ومثل **« داود النبي حين أخطأ ومضى بها يدفنها في قبر التوبة بالاعتراف بها واخذ القانون عنها »** (سفر الملوك الثاني ١٣/١٢ — ١٥) ، اشار بالتوبة الى القبر الذي ابتاعه لنا المسيح الهنا بدمه ، كما ابتاع ابراهيم القبر . ابتاع لنا المسيح بدمه قبر التوبة ، ندفن نحن فيه خطايانا ، ولا ندعها مكشوفة تجففنا وتفضحنا . في عبر الاردن ، بكوا على يعقوب اولاً ، وبعد ذلك حملوه وعبروا في نهر الاردن الى القبر دفنوه . عبرُ الاردن اشارة الى المعمودية التي هي بدء تطهيرنا من الخطيئة ، والقبر هو التوبة التي فيها نقبر ذنوبنا . نقبرها مع المسيح الذي قُبر عنا اذ نتوب عنها ، من أجل موته والتناول من جسده ودمه الذي اهرقه عنا على خشبة الصليب .

الكتاب :

« ثم رجع يوسف بعد أن دفن أباه الى مصر هو واخوته وسائر من صعد معه لدفن أبيه . فلمّا رأى اخوة يوسف أن قد مات أبوهم قالوا لعل يوسف يضطهدنا ويكافئنا على الشر الذي فعلناه به . فأمروا من قال ليوسف إن أباك أوصانا قبل موته وقال كذا تقولون ليوسف اغتفر لإخوتك ذنبهم وخطيئتهم فقد فعلوا بك سوءا والآن أسالك أن تصفح عن ذنب عبيد إله أبيك . فبكى يوسف حين قيل له ذلك . وجاء إخوته أيضاً فوقعوا بين يديه وقالوا ها نحن عبيد لك . فقال لهم يوسف لا تخافوا أليس أني تحت مشيئة الله . أنتم نويتم عليّ شرا والله نوى به خيراً لكي يصنع ما ترونه اليوم ويحيي شعبا كثيراً . والآن لا تخافوا أنا أعولكم وأطفالكم وعزاهم ولاطف قلوبهم » (تك ١٤/٥٠ — ٢١) .

التفسير :

هذا يريده الله من كل تائب ان لا يذكر ذنب من سبّه واساء اليه ، ولا يكافئه شرّاً بدل الشرّ ، بل يحسن اليه ويكافئه على الشرّ بالخير ، لانه هكذا ينال غفران ذنوبه التي يصنع التوبة عنها ، كالوعد الصادق القائل : « **ان غفرتم للناس سيآتهم غفر لكم ابوكم السماوي سيآتكم** » (متى ١٤/٦) . وكل تائب يحقد على من يسيء اليه يتحقق أن تعب توبته قد ضاع ، لان كذلك قال الصادق في وعده : « **انكم اذ لم تغفروا للناس سيآتهم ولا أبوكم السماوي يغفر لكم** » (متى ١٥/٦) . فمن نظر انه يغفر لمن يسيء اليه ، فليشكر وليفرح ، عالماً ومتيقنا ان الله بهذه العلامة قد قبل توبته وغفر له سيآته . وليست علامة اخرى للغفران وقبول التوبة سوى هذه . ومن يكافئ شرّاً بشرّ ، فليتحقّق انه بهؤلاء قد صار يهوديا وليس مسيحيا . ان مذهب اليهودية القصاصُ بالانتقام ؛ ومذهب المسيح أمر بالمسامحة والغفران .

الكتاب :

« وأقام يوسف بمصر هو وآل أبيه وعاش يوسف مئة وعشر سنين . ورأى يوسف من بني أفرائيم الجيل الثالث وأيضاً بنو ماكير بن منسى ولدوا على ركبتيه . وقال يوسف لإخوته أنا مائت والله سيفتقدكم ويصعدكم من هذه الأرض الى الأرض التي أقسم عليها لإبراهيم واسحق ويعقوب . واستحلف يوسف بني إسرائيل وقال إن الله سيفتقدكم فأصعدوا عظامي من ههنا . ومات يوسف وهو ابن مئة وعشر سنين فحنطوه وجعل في تابوت بمصر » (تك ٢٢/٥٠ — ٢٦) .

التفسير :

رأسَ يوسف على أرض مصر وعمره ثلاثون سنة ، وأقام مترئساً عليها ثمانين سنة . وعند موته ، صدّق بوعد الله بأن لا بُدَّ له أن يتمّ الذي وعد بني اسرائيل قائلا : أن أُخرجكم من أرض مصر . ومن أجل أمانة يوسف بهذا الوعد ، أوصى اخوته بني اسرائيل أن يُصعدوا عظامه معهم إذا ما صعدوا . قال يوسف لهم : أنا أعلم ان الله سيفتقدكم افتقادا ، ويخرجكم من هذه الأرض ، كما قد حلف لآبائنا . فاذا ما افتقدكم وأخرجكم ، أخرجوا عظامي معكم .

هذا القول قاله كتاب الله اشارة الى الافتقاد الذي افتقد به اللهُ الكلمةُ المتجسّد بني اسرائيل الذين كانوا في الجحيم ، وانحدر اليهم بعد موته على الصليب بنفس ناسوته المتّحد بلاهوته ، ورفعهم من هناك

الى الفردوس الذي هو أرض أبويهما الأولّين آدم وحواء ، التي فيها كانا يسكنان قبل المعصية . سأل يوسف أن يُرفع معهم الى تلك الأرض وتنبأ على ذلك . وبلا شك ان عظامه تكون ، مضافة الى نفسه ، قد ارتفعت في ذلك الوقت . لان الله الكلمة — تبارك اسمه — لمّا تجسّد ومات بالجسد ، « **عاشت في ساعة موته أجساد كثيرين من هؤلاء القديسين الموتى ، وقاموا من مقابر ، وتراءوا للكثيرين ، كما شهد الانجيل المقدس** » (متى ٥٢/٢٧ — ٥٣) . ولا شك أن يوسف واحد منهم ، تتمة لقوله : ان عظامه تُرفع معهم .

عاش الذين قاموا من الأموات مدّة بعد القيامة ، لكنهم عادوا ماتوا . دليل ذلك انهم لم يقوموا بجسد القيامة ، حتى لا أحد يقوم قبل ربّنا . لانه هو بكر في قيامة الأموات ، الذي ، من أجل طاعته لله أبيه ، صارت القيامة لكل جنس آدم ؛ كما يموت آدم من أجل معصيته لوصيّة الله ، صار الموت لكل جنسه ؛ ولكن ، بمعصية آدم ، شمل الموت جنسه أعواماً كثيرة .

وبعد ذلك ، من كان عاصيا مثل آدم ، شمله العقاب في الجحيم . ومن كان لم يَعْصَ مثله ، نال النياح . وكذلك بقيامة المسيح من أجل طاعته ، شملت القيامة كلَّ جنس آدم . وبعد ذلك ، من كان طائعاً المسيح ، ملك معه وتنيّح الى الأبد . ومن لم يكن طائعا مثله ، شمله العقاب الى الأبد . هكذا قال في انجيله المقدس : « **ان الموتى يقومون من مقابرهم ويخرجون فاعلي الحسنات لقيامة الحياة ، وفاعلي السيآت لقيامة الدينونة وللعذاب المؤبد** » (يوحنا ٢٨/٥ — ٢٩) .

فهرس

فهرس